224

آیا صوفیه
۱
۷۷۲

الجلد الاول من تفسير القرطبي
لسح
٤٥

CD-9285

Micro File
Reel 15076

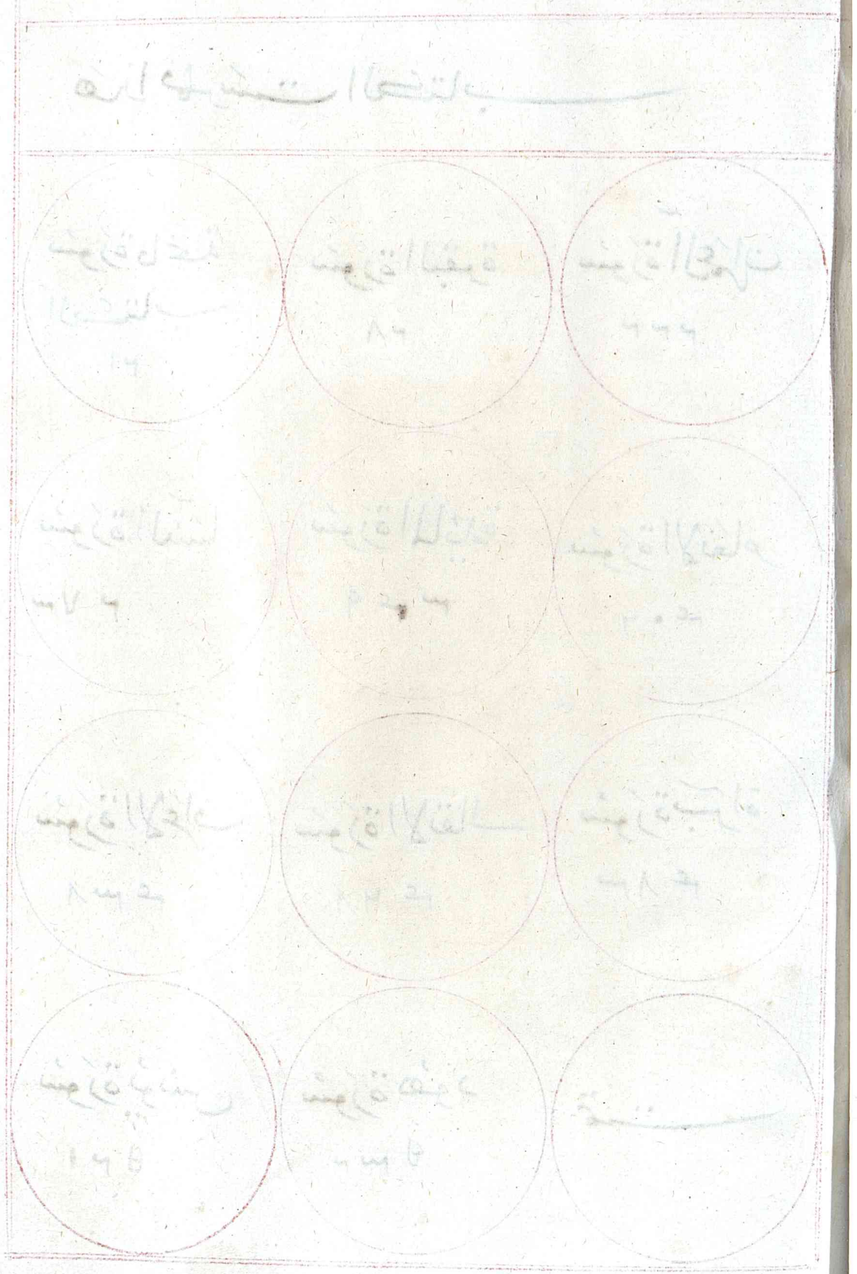

هذا فهرست الكتاب

سورة فاتحة الكتاب ٢١

سورة البقرة ٢٨

سورة آل عمران ٢٢٢

سورة النسآ ٢٧٣

سورة المائدة ٣٤٩

سورة الانعام ٤٠٦

سورة الاعراف ٤٣٨

سورة الانفال ٤٦٨

سورة برآة ٤٨٣

سورة يونس ٥٠١

سورة هود ٥٣٢

تمت

الله حسبي

استصحب هذا الجزء المبارك مع ما يتلوه
الى اخر الكتاب العبد الفقير الى ربه الوهاب
مصطفى الوزير القائد بالاساطيل المنصورة
عفي عنه

الجزء الاول من تفسير القران العظيم

للشيخ الامام العالم المحدث ابي عبد الله
محمد بن احمد بن ابي بكر بن فرج الانصاري الخزرجي
الاندلسي ثم القرطبي
رحمه الله تعالى
ونفعنا
به

٢٢٧

قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الاعظم والخاقان المعظم
مالك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان بن السلطان
السلطان الغازي محمود خان وقفا صحيحا شرعيا لمن طالع وتلى
اكرمه الله تعالى بالزلفى والحسنى حرره الفقير احمد شيخ زاده
المفتش باوقاف الحرمين الشريفين غفر لهما

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم يسر بالخير يا كريم

قال الشيخ الامام المحدث ابو عبد الله محمد بن احمد بن ابي بكر بن فرج الانصاري الخزرجي الاندلسي ثم القرطبي رضي
الله عنه وارضاه الحمد لله المبتدي بحمد نفسه قبل ان يحمده حامد • واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الرب
الصمد الواحد • الحي القيوم الذي لا يموت ذي الجلال والاكرام والمواهب العظام • والمتكلم بالقران والخالق للانسان
والمنعم علينا بالايمان والمرسل رسوله بالبيان • محمدا صلى الله عليه وسلم ما اختلف الملوان • وتعاقب الجديدان • ارسله
بكتابه المبين الفارق بين الشك واليقين • الذي اعجزت الفصحا معارضته واعيت الالبا مناقضته واخرست
البلغا مشاكلته فلا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا جعل امثاله عبرا لمن تدبرها واوامره هدى لمن
استبصرها وشرح فيه واجبات الاحكام وفرق فيه بين الحلال والحرام وكرر فيه المواعظ والقصص للافهام
وضرب فيه الامثال ونص فيه غيب الاخبار فقال تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء خاطب به اولياه ففهموا
وبين لهم فيه مراده فعلموا فقراة القران حملة سر الله المكنون وحفظة علمه المخزون خلفا انبيائه وامناوه وهم
اهله وخاصته وخيرته واصفياوه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله اهلين قالوا يا رسول الله من هم
قال هم اهل القران هم اهل الله وخاصته اخرجه ابن ماجة في سننه وابو بكر البزار في مسنده فما احق من علم
كتاب الله ان يزدجر بنواهيه ويتذكر ما شرح له فيه ويخشى الله ويتقيه ويراقبه ويستحييه فانه قد حمل
اعبا بالرسل وصار شهيدا في القيامة على من خالف من اهل الملل قال الله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا
لتكونوا شهدا على الناس الا وان الحجة على من علمه فاغفله اوكد منها على من قصر عنه وجهله ومن اوتي علم القران
فلم ينتفع وزجرته نواهيه فلم يرتدع وارتكب من الماثم قبيحا ومن الجرايم فضوحا كان القران حجة عليه
وخصما لديه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القران حجة لك او عليك خرجه مسلم فالواجب على من خصه
الله بحفظ كتابه ان يتلوه حق تلاوته ويتدبر حقايق عبارته ويتفهم عجايبه ويتبين غرايبه قال الله تعالى
كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا اياته وقال افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها جعلنا الله ممن يرعاه
حق رعايته ويتدبره حق تدبره ويقوم بقسطه ويوفي بشرطه ولا يلتمس الهدى في غيره وهدانا لاعلامه
الظاهرة واحكامه القاطعة الباهرة وجمع لنا به خير الدنيا والاخرة فانه اهل التقوى واهل المغفرة • ثم
جعل الى رسوله صلى الله عليه وسلم بيان ما كان منه مجملا وتفسير ما كان منه مشكلا وتحقيق ما كان منه محتملا
ليكون له مع تبليغ الرسالة ظهور الاختصاص به ومنزلة التفويض اليه قال الله تعالى وانزلنا اليك الذكر
لتبين للناس ما نزل اليهم • ثم جعل الى العلما بعد رسوله صلى الله عليه وسلم استنباط ما نبه على معانيه واشار
الى اصوله ليتوصلوا بالاجتهاد فيه الى علم المراد فيمتازوا بذلك من غيرهم ويختصوا بثواب اجتهادهم قال
الله تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات فصار الكتاب اصلا والسنة له بيانا واستنباط
العلما ايضاحا وتبيانا فالحمد لله الذي جعل صدورنا اوعية كتابه واذاننا موارد سنن نبيه وهممنا مصروفة
الى تعلمهما والبحث عن معانيهما وغرايبهما طالبين بذلك رضا رب العالمين ومتدرجين به الى علم الملة والدين

وبعد

وبعد فلما كان كتاب الله هو الكفيل بجميع علوم الشرع الذي استقل بالسنة والفرض ونزل به امين السما الى
امين الارض رايت ان اشتغل به مدى عمري واستفرغ فيه منتي بان اكتب فيه تعليقا وجيزا يتضمن نكتا من
التفسير واللغات والاعراب والقراات والرد على اهل الزيغ والضلالات واحاديث كثيرة شاهدة لما نذكره من
الاحكام ونزول الايات جامعا بين معانيهما ومبينا لما اشكل منهما باقاويل السلف ومن تبعهم من الخلف وعملته
تذكرة لنفسي وذخيرة ليوم رمسي وعملا صالحا بعد موتي قال الله تعالى ينبا الانسان يومئذ بما قدم واخر وقال
علمت نفس ما قدمت واخرت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات الانسان انقطع عنه عمله الا من ثلاث
صدقة جارية او علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له • وشرطي في هذا الكتاب اضافة الاقوال الى قايليها
والاحاديث الى مصنفيها فانه يقال من بركة العلم ان يضاف القول الى قايله وكثيرا ما يجي الحديث في كتب الفقه
والتفسير مبهما لا يعرف من اخرجه الا من اطلع على كتب الحديث فيبقى من لا خبرة له بذلك حايرا لا يعرف الصحيح
من السقيم ومعرفة ذلك علم جسيم فلا يقبل منه الاحتجاج به ولا الاستدلال حتى يضيفه الى من خرجه من الايمة
الاعلام والثقات المشاهير من علما الاسلام ونحن نشير الى جمل من ذلك في هذا الكتاب والله الموفق للصواب
واضرب عن كثير من قصص المفسرين واخبار المورخين الا ما لا بد منه ولا غنى عنه للتبيين واعتضت من ذلك
تبيين اي الاحكام بمسايل تسفر عن معناها وترشد الطالب الى مقتضاها فضمنت كل اية تتضمن حكما او حكمين فما
زاد مسايل يبين فيها ما تحتوي عليها من اسباب النزول والتفسير والغريب والحكم فان لم يتضمن حكما ذكرت
ما فيها من التفسير والتاويل هكذا الى اخر الكتاب • وسميته بالجامع لاحكام القران والمبين لما تضمنه من
السنة واي الفرقان جعله الله خالصا لوجهه وان ينفعني به ووالدي ومن اراده بمنه انه سميع الدعا قريب
مجيب امين باب ذكر جمل من فضايل القران والترغيب فيه وفضل طالبه وقاريه ومستمعه والعامل
به اعلم ان هذا الباب واسع كبير الف فيه العلما كتبا كثيرة نذكر من ذلك نكتا تدل على فضله وما اعد الله
لاهله اذا اخلصوا الطلب لوجهه وعملوا به • فاول ذلك ان يستشعر المومن من فضل القران انه كلام رب العالمين
غير مخلوق كلام من ليس كمثله شيء وصفة من ليس له شبيه ولا ند فهو من نور ذاته جل وعز وان القراة اصوات
القرا ونغماتهم وهي اكسابهم التي تومرون بها في حال ايجابا في بعض العبادات وندبا في كثير من الاوقات
ويزجرون عنها اذا اجتنبوا ويثابون عليها ويعاقبون على تركها وهذا مما اجمع عليه المسلمون اهل الحق ونطقت
به الاثار ودل عليها المستفيض من الاخبار ولا يتعلق الثواب والعقاب الا بما هو من اكساب العباد على
ما ياتي بيانه ولولا انه سبحانه جعل في قلوب عباده من القوة على حمله ما جعله ليتدبروه وليعتبروا به وليتذكروا
ما فيه من طاعته وعبادته واداء حقوقه وفرايضه لضعفت ولاندكت بثقله او لتضعضعت له واني
تطيقه وهو يقول تعالى جده وقوله الحق لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية
الله فاين قوة القلوب من قوة الجبال ولكن الله تعالى رزق عباده من القوة على حمله ما شا ان يرزقهم فضلا
منه ورحمة واما ما جا من الاثار في هذا الباب فاول ذلك ما خرجه الترمذي عن ابي سعيد قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول الرب تبارك وتعالى من شغله قراة القران عن مسيلتي اعطيته افضل ما اعطي السايلين
قال وفضل كلام الله على ساير الكلام كفضل الله على خلقه قال هذا حديث حسن غريب • وروى ابو محمد الدارمي
السمرقندي في مسنده عن عبد الله قال السبع الطول مثل التوراة • والمئين مثل الانجيل • والمثاني مثل الزبور
وساير القران بعد فضل • واسند عن الحرث عن علي رضي الله عنه وخرجه الترمذي قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ستكون فتن كقطع الليل المظلم قلت يا رسول الله وما المخرج منها قال كتاب الله
تبارك وتعالى فيه نبا من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه
الله ومن ابتغى الهدى في غيره اضله الله هو حبل الله المتين ونوره المبين والذكر الحكيم وهو الصراط
المستقيم وهو الذي لا يزيغ به الاهوا ولا تلتبس به الالسنة ولا تتشعب معه الارا ولا تشبع منه العلما
ولا تمله الاتقيا ولا يخلق عن كثرة الرد لا تنقضي عجايبه وهو الذي لم تنته الجن اذ سمعته ان قالوا
انا سمعنا قرانا عجبا من علم علمه سبق ومن قال به صدق ومن حكم به عدل ومن عمل به اجر ومن دعي اليه
هدي الى صراط مستقيم • خذها اليك يا اعور الحرث • رماه الشعبي بالكذب وليس بشي ولم يبن من الحرث كذب
وانما نقم منه افراطه في حب علي وتفضيله له على غيره ومن ههنا والله اعلم كذبه الشعبي لان الشعبي يذهب
الى تفضيل ابي بكر والى انه اول من اسلم قال ابو عمر بن عبد البر واظن الشعبي عوقب لقوله في الحرث الهمداني
حدثني الحرث وكان احد الكذابين واسند ابو بكر محمد بن القسم بن بشار بن محمد الانباري النحوي اللغوي في كتاب
الرد له على من خالف مصحف عثمان عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان القران
مادبة الله فتعلموا من مادبته ما استطعتم ان القران هو حبل الله النور البين والشفا النافع عصمة
من تمسك به ونجاة من اتبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضي عجايبه ولا يخلق عن رد

قايلوه فان الله ياجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات اما انى لا اقول الم حرف ولا الفين احدكم
واضعا احدى رجليه يدع ان يقرا سورة البقرة فان الشيطان يفر من البيت الذى تقرا فيه سورة البقرة
وان اصفر البيوت لجوف اصفر من كتاب الله وقال ابو عبيد فى غريبه عن عبد الله قال ان هذا القران
مادبة الله فمن دخل فيه فهو امن قال وتاويل الحديث انه مثل شبه القران بصنيع صنعه الله عز
وجل للناس لهم فيه خير ومنافع ثم دعاهم اليه يقال مادبه ومادبه فمن قال مادبه اراد الصنيع يصنعه
الانسان فيدعو اليه الناس ومن قال مادبة فانه يذهب به الى الادب يجعله مفعلة من الادبة ويحتج
بحديثه الاخر ان هذا القران مادبة الله عز وجل فتعلموا من مادبته وكان الاحمر يجعلهما لغتين بمعنى واحد
ولم اسمع احدا يقول هذا غيره والتفسير الاول اعجب الى • وروى البخارى عن عثمان عن النبى صلى الله عليه وسلم
قال خيركم من تعلم القران وعلمه • وروى مسلم عن ابى موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المومن
الذى يقرا القران مثل الاترجة ريحها طيب وطعمها طيب ومثل المومن الذى لا يقرا القران مثل التمرة لا ريح
لها وطعمها طيب ومثل المنافق الذى يقرا القران مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل المنافق الذى
لا يقرا القران مثل الحنظلة لا ريح لها وطعمها مر • وفى رواية مثل الفاجر بدل المنافق • وقال البخارى مثل
المومن الذى يقرا القران ويعمل به كالاترجة طعمها طيب وريحها طيب والمومن الذى لا يقرا القران ويعمل به
كالتمرة وذكر الحديث • وذكر ابو بكر الانبارى وقد اخبرنا احمد بن يحيى الحلوانى ثنا يحيى بن عبد الحميد ثنا هشيم
ح وانا ادريس نا خلف نا هشيم عن العوام بن حوشب ان ابا عبد الرحمن السلمى كان اذا ختم عليه القران
الخاتم اجلسه بين يديه ووضع يده على راسه وقال له يا هذا اتق الله فما اعرف احدا خيرا منك ان عملت بالذى
علمت • وروى الدارمى عن وهب الدينارى قال من اتاه الله القران فقام به انا الليل وانا النهار وعمل بما
فيه ومات على الطاعة بعثه يوم القيامة مع السفرة والاحكام قال سعد السفرة الملايكة والاحكام
الانبيا • وروى مسلم عن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الماهر بالقران مع السفرة الكرام
البررة والذى يقرا القران ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له اجران التتعتع التردد فى الكلام عيا
وصعوبة وانما كان له اجران من حيث التلاوة ومن حيث المشقة ودرجات الماهر فوق ذلك كله
لانه قد كان القران متعتعا عليه ثم ترقى عن ذلك الى ان شبه بالملايكة والله اعلم • وروى الترمذى عن
عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة
بعشر امثالها لا اقول الم حرف ولكن الف حرف ولام حرف وميم حرف قال حديث حسن صحيح غريب من هذا
الوجه وقد روى موقوفا • وروى مسلم عن عقبة بن عامر قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونحن فى الصفة فقال ايكم يحب ان يغدو كل يوم الى بطحان او العقيق فياتى منه بناقتين كوماوين
فى غير اثم ولا قطيعة رحم فقلنا يرسول الله نحب ذلك قال افلا يغدو احدكم الى المسجد فيعلم او يقرا
ايتين من كتاب الله عز وجل خير له من ناقتين وثلاث خير له من ثلاث واربع خير له من اربع
ومن اعدادهن من الابل • وعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفس عن مسلم كربة من كرب
الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون اخيه ومن
سلك طريقا يلتمس به علما سهل الله له طريقا الى الجنة وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون
كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملايكة وذكرهم
الله فيمن عنده ومن بطا به عمله لم يسرع به نسبه • وروى ابو داود والنساى والدارمى والترمذى عن
عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الجاهر بالقران كالجاهر بالصدقة والمسر
بالقران كالمسر بالصدقة قال الترمذى حديث حسن غريب • وروى الترمذى عن ابى هريرة عن النبى
صلى الله عليه وسلم قال يجى صاحب القران يوم القيامة فيقول يا رب حله فيلبس تاج الكرامة ثم يقول
يا رب زده فيلبس حلة الكرامة ثم يقول يا رب ارض عنه فيرضى عنه فيقول اقرا وارق ويزاد لكل اية حسنة
قال حديث صحيح • وروى ابو داود عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال
لصاحب القران اقرا وارتق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فان منزلتك عند اخر اية تقراها واخرجه
ابن ماجة فى سننه • عن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال لصاحب القران
اذا دخل الجنة اقرا واصعد فيقرا ويصعد بكل اية درجة حتى يقرا اخر شى معه • واسند ابو بكر الانبارى
عن ابى امامة الحمصى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعطى ثلث القران فقد اعطى ثلث النبوة ومن
اعطى ثلثى القران فقد اعطى ثلثى النبوة ومن قرا القران كله فقد اعطى النبوة كلها غير انه لا يوحى اليه ويقال
له يوم القيامة اقرا وارق فيقرا اية ويصعد درجة حتى ينجز ما معه من القران ثم يقال له اقبض فيقبض
ثم يقال له اقبض فيقبض ثم يقال له اتدرى ما فى يديك فاذا فى يده اليمنى الخلد وفى اليسرى النعيم

حدثنا

حدثنا ادريس عن خلف نا اسمعيل بن عياش عن تمام عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذ ثلث
القران وعمل به فقد اخذ ثلث النبوة ومن اخذ نصف القران وعمل به فقد اخذ امر نصف النبوة ومن اخذ
القران كله فقد اخذ النبوة كلها • قال وحدثنا محمد بن يحيى المروزى انا محمد وهو ابن سعدان نا الحسين بن محمد
عن حفص عن كثير بن زاذان عن عاصم بن ضمرة عن على رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا القران وحفظه وتلاه ادخله الله الجنة وشفعه فى عشرة من اهل بيته كل قد وجبت له النار •
وقالت ام الدردا دخلت على عايشة رضى الله عنها فقلت لها ما فضل من قرا القران على من لم يقراه ممن
دخل الجنة فقالت عايشة رضى الله عنها ان عدد اى القران على عدد درج الجنة فليس احد دخل الجنة افضل
ممن قرا القران ذكره ابو محمد مكى • وقال ابن عباس من قرا القران واتبع ما فيه هداه الله من الضلالة
ووقاه يوم القيامة سو الحساب وذلك بان الله تبارك وتعالى يقول فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى
قال ابن عباس فضمن الله لمن اتبع القران ان لا يضل فى الدنيا ولا يشقى فى الاخرة ذكره مكى ايضا • وقال
الليث ما الرحمة الى احد باسرع منها الى مستمع القران لقول الله عز وجل واذا قرى القران فاستمعوا له
وانصتوا لعلكم ترحمون ولعل من الله واجبة • وفى مسند ابى داود الطيالسى وهو اول مسند الف فى الاسلام
عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قام بعشر ايات لم يكتب من الغافلين ومن
قام بماية اية كتب من القانتين ومن قام بالف اية كتب من المقسطين والاثار فى معنى هذا الباب
كثيرة وفيما ذكرنا كفاية والله الموفق للهداية باب كيفية التلاوة لكتاب الله تعالى وما يكره
منها وما يحرم واختلاف الناس فى ذلك • روى البخارى عن قتادة قال سالت انسا عن قراة رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال كان يمد مدا قرا بسم الله الرحمن الرحيم ثم يمد بسم الله ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم • وروى
الترمذى عن ام سلمة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع القراة يقول الحمد لله رب العالمين ثم يقف
الرحمن الرحيم ثم يقف وكان يقرا مالك يوم الدين قال حديث غريب واخرجه ابو داود بنحوه • وروى عن
النبى صلى الله عليه وسلم انه قال احسن الناس صوتا من اذا قرا القران رايته يخشى الله تعالى • وروى عن زياد
النميرى انه جامع القرا الى انس بن مالك فقيل له اقرا فرفع صوته وطرب وكان رفيع الصوت فكشف
انس عن وجهه وكان على وجهه خرقة سودا فقال يا هذا ما هكذا كانوا يفعلون وكان اذا راى شيا
ينكره كشف الخرقة عن وجهه • وروى عن قيس بن عباد انه قال كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يكرهون رفع الصوت عند الذكر • وممن روى عنه كراهة رفع الصوت عند قراة القران سعيد بن المسيب
وسعيد بن جبير والقسم بن محمد والحسن وابن سيرين والنخعى وغيرهم وكرهه مالك بن انس واحمد بن حنبل كلهم
كره رفع الصوت بالقران والتطريب فيه • روى عن سعيد بن المسيب انه سمع عمر بن عبد العزيز يوم الناس
يطرب فى قراته فارسل اليه سعيد يقول اصلحك الله ان الايمة لا تقرا هكذا فترك التطريب بعد •
وروى عن القسم بن محمد ان رجلا قرا فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم فطرب فانكر ذلك القسم وقال
يقول الله عز وجل كتاب عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه الاية • وروى عن مالك انه سيل عن النبز
فى قراة القران فى الصلاة فانكر ذلك وكرهه كراهة شديدة وانكر رفع الصوت به • وروى ابن القسم
عنه انه سيل عن الالحان فى الصلاة فقال لا يعجبنى وقال انما هو غنا يتغنون به لياخذوا عليه الدراهم
واجازت طايفة رفع الصوت بالقران والتطريب به وذلك لانه اذا احسن الصوت به كان اوقع فى النفوس
واسمع فى القلوب واحتجوا بقوله عليه السلام زينوا القران باصواتكم رواه البرا بن عازب اخرجه ابو داود
والنساى وبقوله عليه السلام ليس منا من لم يتغن بالقران اخرجه مسلم وبقول ابى موسى للنبى صلى الله
عليه وسلم لو علمت انك تسمع لقراتى لحبرته لك تحبيرا وبما رواه عبد الله بن المغفل قال قرا رسول الله
صلى الله عليه وسلم عام الفتح فى مسير له سورة الفتح على راحلته فرجع فى قراته وممن ذهب الى هذا ابو
حنيفة واصحابه والشافعى وابن المبارك والنضر بن شميل وهو اختيار ابى جعفر الطبرى وابى الحسن بن بطال
والقاضى ابى بكر بن العربى وغيرهم قلت القول الاول اصح لما ذكرناه وياتى واما ما احتجوا به من الحديث
الاول فليس على ظاهره وانما هو على باب المقلوب اى زينوا اصواتكم بالقران قال الخطابى وكذا فسره غير
واحد من ايمة الحديث زينوا اصواتكم بالقران وقالوا هو من باب المقلوب كما قالوا عرضت الناقة على
الحوض وانما عرضت الحوض على الناقة قال ورواه معمر عن منصور عن طلحة فقدم الاصوات على القران
وهو الصحيح قال الخطابى ورواه طلحة عن عبد الرحمن عن عوسجة عن البرا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال زينوا القران باصواتكم اى الهجوا بقراته واشغلوا به اصواتكم واتخذوه شعارا وزينة وقيل معناه
الحض على قراة القران والدوب عليه • وقد روى عن ابى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول زينوا اصواتكم بالقران وروى عن عمر انه قال حسنوا اصواتكم بالقران قلت والى هذا المعنى

يرجع قوله عليه السلام ليس منا من لم يتغن بالقرآن اى ليس منا من لم يحسن صوته بالقرآن كذلك تاوله عبد
الله بن ابى مليكة فاخرجه البخارى ومسلم وابو داود والنسائى من طريق ابن ابى مليكة يقول قال عبيد الله بن ابى يزيد مر بنا ابو لبابة
فانتحناه حتى دخل بيته فاذا رجل رث الهيئة فسمعته يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ليس منا من لم يتغن بالقرآن قال فقلت لابن ابى مليكة يا ابا محمد اراد به الترنم حسن الصوت قال يحسنه
ما استطاع ذكره ابو داود والبيه يرجع ايضا قول ابى موسى للنبى صلى الله عليه وسلم انى لو علمت انك تسمع لقراءتى
لحسنت صوتى بالقرآن وزينته ورتلته وهذا يدل على انه كان يهد فى قراءته مع حسن صوته الذى جبل عليه
والتحبير الترتيل والتحسين فلو علم ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يسمعه لمد فى قراءته ورتلها كما كان يقرأ على
النبى صلى الله عليه وسلم فيكون ذلك زيادة حسن صوته بالقراءة ومعاذ الله ان يتاول على رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يقول القرآن يزين بالاصوات او يغيرها فمن تاول هذا فقد واقع امرا عظيما ان يوحى القرآن الى من
يزينه وهو النور والضياء والتزيين الاعلام لما ليس بحسنه واستنار بضيائه وقد قيل ان الامر بالترتيل
اكتساب القراءات وتزيينها باصواتنا وتقديره لك اى زينوا القراءة باصواتكم فيكون القرآن بمعنى القراءة كما قال
تعالى وقرآن الفجر اى قراءة الفجر وقوله فاذا قرأناه فاتبع قرآنه اى قراءته وكما فى صحيح مسلم عن عبد
الله بن عمرو قال انى البحر شياطين مسجونة اوثقها سليمان عليه السلام يوشك ان تخرج فتقرأ على الناس قرآنا
اى قراءة وقال الشاعر فى عثمان رضى الله عنه • ضحوا بأشمط عنوان السجود به • يقطع الليل تسبيحا وقرآنا •
اى قراءة فيكون معناه على هذا التاويل صحيحا الا ان يخرج القراءة التى هى التلاوة عن حدها على ما بينه فيمتنع
وقد قيل ان معنى يتغنى به يستغنى به من الاستغناء الذى هو ضد الافتقار لا من الغنا يقال تغنيت وتغانيت
بمعنى استغنيت وفى الصحاح تغنى الرجل بمعنى استغنى واغناه الله وتغانوا اى استغنى بعضهم عن بعض قال
المغيرة بن حنبا التميمى • كلانا غنى عن اخيه حياته • ونحن اذا امتنا اشد تغانيا •
وا لى هذا التاويل ذهب سفيان بن عيينة ووكيع بن الجراح ورواه سفيان عن سعد بن ابى وقاص • وقد روى
عن سفيان ايضا وجه اخر ذكره اسحاق بن راهويه اى يستغنى به عما سواه من الاحاديث وا لى هذا التاويل
ذهب البخارى محمد بن اسمعيل لاتباعه الترجمة بقوله تعالى اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم والمراد
الاستغناء بالقرآن عن علم اخبار الامم قالة اهل التاويل • وقيل ان معنى يتغنى به يتحزن به اى يظهر على قارئه
الحزن الذى هو ضد السرور عند قراءته وتلاوته وليس من الغنية لانه لو كان من الغنية لقال تتغانى به ولم
يقل تتغنى به ذهب الى هذا جماعة من العلماء منهم الامام ابو محمد بن حبان البستى واحتجوا بما رواه مطرف بن عبد
الله بن الشخير عن ابيه قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى ولصدره ازيز كازيز المرجل من البكاء ازيز
يزاين صوت الرعد وغليان القدر قالوا ففى هذا الخبر بيان واضح على المراد بالحديث التحزن وعضد هذا ايضا
بما رواه الاجرية عن عبد الله قال قال لى النبى صلى الله عليه وسلم اقرا على قرا ئى عليه سورة النساء حتى اذا بلغت
فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد وجينا بك على هؤلا شهيدا فنظرت اليه فاذا عيناه تذرفان قد معان هذه اربعة تاويلات
ليس فيها ما يدل على القراءة بالالحان والترجيع فيها • وقال ابو سعيد بن الاعرابى فى قوله صلى الله عليه وسلم ليس منا
من لم يتغن بالقرآن قال كانت العرب تولع بالغنا والتنشيد فى اكثر افراحها فلما نزل القرآن احبوا ان يكون القرآن
هجيراهم مكان الغنا فقال ليس منا من لم يتغن بالقرآن • التاويل الخامس مما تاوله من استدل به على الترجيع والتقريب
فذكر عمر بن شيبة قال ذكرت لابى عاصم النبيل تاويل ابن عيينة فى قوله يتغنى يستغنى فقال لم يصنع ابن عيينة
شيا • وسئل الشافعى عن تاويل ابن عيينة فقال نحن لم نعلم هذا لو اراد النبى صلى الله عليه وسلم الاستغنا لقال لم
يستغن ولكن لما قال يتغنى علمنا انه اراد التغنى • قال الطبرى المعروف من كلام العرب ان التغنى انما هو الغنا
الذى هو حسن الصوت بالترجيع وقال الشاعر • تغن بالشعر هما كنت قايله • ان الغنا لهذا الشعر مضمار •
قال وما ادعاه الزاعم ان تغنيت بمعنى استغنيت فليس ذلك من كلام العرب واشعارها ولا نعلم احدا من اهل العلم قاله
واما احتجاجه بقول الاعشى • وكنت امرأ زمنا بالعراق • خفيف المناخ طويل التغن •
وزعم انه اراد الاستغنا فانه غلط منه وانما عنى الاعشى فى هذا الموضع الاقامة من قول العرب غنى فلان
بمكان كذا اى اقام ومنه قوله تعالى كان لم يغنوا فيها • واما استشهاده بقوله • ونحن اذا امتنا اشد تغانيا •
فانه اغفل منه وذلك ان التغانى تفاعل من نفسين اذا استغنى كل واحد منهما عن صاحبه كما قال يقضا ب الرجلان
اذا ضرب كل واحد منهما صاحبه ومن قال هذا فى فعل الاثنين لم يجز ان يقول مثله فى الواحد غير جايز ان يقول تغانا
زيد وتضارب عمرو وكذلك غير جايز ان يقال تغنى بمعنى استغنا قلت • ما ادعاه الطبرى من انه لم يرد
فى كلام العرب تغنى بمعنى استغنى فقد ذكره الجوهرى كما ذكرنا وذكره الهروى ايضا • واما قوله ان صيغة فاعل انما
تكون من اثنين فقد جاءت من واحد فى مواضع كثيرة منها قول ابن عمر وانا يومئذ قد ناهزت الاحتلام وتقول العرب
طارقت النعل وعاقبت اللص واويت العليل وهو كثير فيكون تغانا منه • واذا احتمل قوله عليه السلام

تغنى

تغنى الغنا والاستغنا فليس حمله على احدهما باولى من الاخر بل حمله على الاستغنا اولى لو لم يكن لنا تاويل غيره لانه مروى
عن صحابى كبير كما ذكر سفيان وقد قال ابن وهب فى حق سفيان ما رايت اعلم بتاويل الاحاديث من سفيان بن عيينة
ومعلوم انه راى الشافعى وعاصره • وتاويل سادس وهو ما جا من الزيادة فى صحيح مسلم عن ابى هريرة انه سمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ما اذن الله لشى اذنه لنبى حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به قال الطبرى ولو كان
كما قال ابن عيينة لم يكن لذكر حسن الصوت والجهر به معنى قلنا قوله يجهر به لا يخلو اما ان يكون من قول النبى
صلى الله عليه وسلم او من قول ابى هريرة او غيره فان كان الاول وفيه بعد فهو دليل على عدم التطريب والترجيع
لانه لم يقل يطرب به وانما قال يجهر به اى يسمع نفسه ومن يليه بدليل قوله عليه السلام للذى سمعه وقد
رفع صوته بالتهليل ايها الناس اربعوا على انفسكم فانكم لستم تدعون اصم ولا غايبا الحديث وسيا تى وكذلك
ان كان من صحابى او غيره فلا حجة فيه على ما راموه وقد اخبرنا هذا التاويل بعض علمايانا فقال وهذا اشبه
لان العرب تسمى كل من رفع صوته ووالى به غانيا وفعلة ذلك غنا وان لم يلحنه بتلحين الغنا قال وعلى هذا
فسرة الصحابى وهو اعلم بالمقال واقعد بالحال • وقد اجتج ابو الحسن بن بطال لمذهب الشافعى فقال
وقد رفع الاشكال فى هذه المسئلة ما رواه ابن ابى شيبة قال نا زيد بن الحباب قال نا موسى بن على بن رباح عن
ابيه عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا القرآن وغنوه واكتبوه فوالذى نفسى بيده
لهو اشد تفصيا من المخاض من العقل قال علما ونا وهذا الحديث وان صح سنده فيرده ما يعلم من القطع والثبات
من قراءة القرآن بلغتنا متواترة عن كافة المشايخ جيلا بعد جيل الى العصر الكريم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وليس فيها تلحين ولا تطريب مع كثرة المتعقبين فى مخارج الحروف فى المد والادغام والاظهار وغير ذلك من كيفية
القراءات ثم ان فى الترجيع والتطريب همزا ليس بهمز ومدا ليس بمد وقد ترجع الالف الواحدة الفات والواو
الواحدة واوات والشهة الواحدة شهات فيودى ذلك الى زيادة فى القرآن وذلك ممنوع وان وافق ذلك
موضع نبر وهمز هيروه نبرات وهمزات والنبرة حيث ما وقعت من الحروف فانما هى همزة واحدة لا غير
اما ممدودة واما مقصورة فان قيل فقد روى عبد الله بن المغفل قال قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى صهيره سورة الفتح على راحلته فرجع فى قرائه ذكره البخارى وقال فى صفة الترجيع ثلاث مرات
فلنا ذلك محمول على اشباع المد فى موضعه ويحتمل ان يكون حكاية صوته عند هز الراحلة كما يعترى رافع
صوته اذا كان راكبا من انضغاط صوته وتقطيعه لاجل هز الركوب واذا احتمل هذا فلا حجة فيه •
وقد خرج ابو محمد عبد الغنى بن سعيد الحافظ من حديث قتادة عن عبد الرحمن بن ابى بكر عن ابيه قال كانت قراة
رسول الله صلى الله عليه وسلم المد ثم قرا بسم الله الرحمن الرحيم يمد بسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم
وقد خرج الترمذى من حديث ابن جريج عن عطا عن ابن عباس قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم مؤذن يطرب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاذان سهل سمح فان كان اذانك سمحا سهلا
والا فلا تؤذن اخرجه الدارقطنى فى سننه فاذا كان النبى صلى الله عليه وسلم قد منع ذلك فى الاذان فغيره
ان لا يجوزه فى قراة القرآن الذى حفظه الرحمن فقال وقوله الحق انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
وقال لا يا تيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد قلت • وهذا الغلاف انما هو ما لم
يفهم معنى القرآن بترديد الاصوات وكثرة الترجيعات فان زاد الامر على ذلك حتى لا يفهم معناه فذلك
حرام بالاتفاق كما يفعل القرا بالديار المصرية الذين يقرون امام الملوك والجنايز ويا خذون على ذلك الاجور
والجوايز فضل سعيهم وخاب عملهم فيستحلون بذلك تغيير كتاب الله ويهونون على انفسهم الاجتراء على
الله بان يزيدوا فى تنزيله ما ليس منه حملا بديهم ومروفا عن سنة نبيهم ورفضا لسير الصالحين فيه من
سلفهم وتزوعا الى ما يزين لهم الشيطان من اعمالهم وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا فهم فى غيهم يترددون
وبكتاب الله يبتلا عكبون فانا لله وانا اليه راجعون لكن قد اخبر الصادق ان ذلك يكون فكان كما اخبر صلى
الله عليه وسلم وقد ذكر الامام الحافظ ابو الحسن بن رزين وابو عبد الله الترمذى الحكيم فى نواد ر الاصول من حديث
حذيفة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقرؤا القرآن بحون العرب واصواتها واياكم وحون اهل الفسق
وحون اهل الكتابين وسيجى من بعدى قوم يرجعون بالقرآن ترجيع الغنا والنوح لا يجاوز حناجرهم
مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شانهم • الحون جمع لحن وهو التطريب وترجيع الصوت
وتحسينه بالقراة والشعر والغنا • قال علما ونا وينبغى ان يكون هذا الذى يفعله قرا زماننا بين يدى الوعاظ
وفى المجالس من الحون الاعجمية التى يقرون بها ما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم والترجيع والقراة
بالتغبر المرتل وهو المشبه بتوالا الحوان وهو المطلوب فى قراة القرآن قال الله تعالى ورتل القرآن ترتيلا
وسئلت ام سلمة عن قراة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلاته فقالت مالكم وصلاته ثم نعتت قرائته
فاذا هى نعت قراة مفسرة حرفا حرفا اخرجه النسائى وابو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح غريب

باب تحذير اهل القرآن والعلم من الرياء وغيره

قال الله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيا وقال فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا • روى مسلم عن ابى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد فاتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال قاتلت فيك حتى استشهدت قال كذبت ولكنك قاتلت ليقال جرئ فقد قيل ثم امر به فسحب على وجهه حتى القى فى النار ورجل تعلم العلم وعلمه وقرا القران فاتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال تعلمت العلم وعلمته وقرات فيك القران قال كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم وقرات القران ليقال هو قارئ فقد قيل ثم امر به فسحب على وجهه حتى القى فى النار ورجل وسع الله عليه واعطاه من اصناف المال كله فاتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال ما تركت من سبيل تحب ان ينفق الا انفقت فيها لك قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم امر به فسحب على وجهه حتى القى فى النار • وقال الترمذى فى هذا الحديث ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبتى فقال يا اباهريرة اولئك الثلاثة اول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة ابو هريرة اسمه عبد الله وقيل عبد الرحمن وقال كنيت اباهريرة لانى حملت هرة فقال يا اباهريرة قال ابن عبد البر وهذا الحديث فيمن لم يرد بعمله وعلمه وجه الله وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من طلب العلم لغير الله او اراد به غير الله فليتبوا مقعده من النار • وخرج ابن المبارك فى رقايقه عن العباس بن عبد المطلب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهر هذا الدين حتى يجاوز البحار وحتى يخاض البحر بالخيل فى سبيل الله ثم تارك وتعالى ثم يأتى اقوام يقرؤن القران فاذا اقروه قالوا من اقرء منا من اعلم منا ثم التفت الى اصحابه فقال هل ترون فى اولئكم من خير قالوا لا اقال اولئك منكم واولئك من هذه الامة واولئك هم وقود النار • وروى ابو داود والترمذى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعوذوا بالله من جب الحزن قالوا يا رسول الله وما جب الحزن قال واد فى جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم مائة مرة قيل يا رسول الله ومن يدخله قال القراء المراؤن باعمالهم قال هذا حديث غريب • وفى كتاب اسد بن موسى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان فى جهنم لوادى ان جهنم لتتعوذ من شر ذلك الوادى كل يوم سبع مرات وان فى ذلك الوادى لجبا ان جهنم وذلك الوادى ليتعوذان بالله من شر ذلك الجب وان فى الجب لحية وان جهنم والوادى والجب ليتعوذون بالله من شر فلك الحية سبع مرات اعدها الله للاشقيا من حملة القران الذين يعصون الله فيجب على حامل القران وطالب العلم ان ينفى الله فى نفسه ويخلص العمل لله فان كان تقدم له شئ مما ينكر فليبادر بالتوبة والانابة وليبتدئ الاخلاص فى الطلب وعمله فالذى يلزم حامل القران من التحفظ اكثر مما يلزم غيره كما ان له من الاجر ما ليس لغيره • روى الترمذى عن ابى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزل الله فى بعض الكتب او اوحى الى بعض الانبيا قال للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بعمل الاخرة يلبسون للناس مسوك الكباش وقلوبهم كقلوب الذياب السنتهم احلى من العسل وقلوبهم امر من الصبر اياى يخادعون وبى يستهزؤن لاتيحن لهم فتنة تذر الحليم فيهم حيرانا • وخرج الطبرى فى كتاب اداب النفوس حدثنا ابو كريب محمد بن العلا نا الحمانى عن عمر وبن عامر البجلى عن ابن صدقة عن رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم او من حدثه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تخادع الله فانه من يخادع الله يخدعه الله ونفسه يخدع لو يشعر قالوا يا رسول الله وكيف يخادع الله قال تعمل بما امرك الله به وتطلب به غيره واتقوا الرياء فانه الشرك وان المرائى يدعى يوم القيامة على رؤس الاشهاد باربعة اسماء يا فاجر يا كافر يا غادر يا خاسر ضل عملك وبطل اجرك فلا خلاق لك اليوم فالتمس اجرك ممن كنت تعمل له يا مخادع • وروى علقمة عن عبد الله ابن مسعود قال كيف انتم اذا لبستكم فتنة يربو فيها الصغير ويهرم الكبير وتتخذ سنة مبتدعة يجرى عليها الناس فاذا غير منها شئ قيل قد غيرت السنة قيل متى ذلك يا ابا عبد الرحمن قال اذا كثر قراؤكم وقل فقهاؤكم وكثر امراؤكم وقل امناؤكم والتمست الدنيا بعمل الاخرة وتفقه لغير الدين • وقال سفيان بن عيينة رضى الله عنه عن ابن عباس رضى الله عنه قال لو ان حملة القران احذوه بحقه وما ينبغى لاحملته ولكن طلبوا به الدنيا فابغضهم الله وهانوا على الناس • وروى عن ابى جعفر محمد بن على فى قول الله تعالى فكبكبوا فيها هم والغاوون قال قوم وصفوا الحق والعدل بالسنتهم وخالفوه الى غيره وسانى هذا ان شاء الله تعالى فى اثناء الكتاب بيان فى شاء

باب ما ينبغى لصاحب القران ان ياخذ نفسه

بقراءة القران فى ليله ونهاره فى الصلاة او فى غير الصلاة ليلا يلتهيه طلبه لله جل ذكره كما ذكرنا وان ياخذ نفسه

روى مسلم عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما مثل صاحب القران كمثل صاحب الابل المعقلة ان عاهد عليها امسكها وان اطلقها ذهبت وان اقام صاحب القران قرأه بالليل والنهار ذكره وان لم يقم به نسيه وينبغى له ان يكون لله حامدا ولنعمه شاكرا وله ذاكرا وعليه متوكلا وبه مستنصرا واليه راغبا وبه معتصما وللموت ذاكرا وله مستعدا وينبغى له ان يكون خايفا من ذنبه راجيا عفو ربه يكون الخوف فى صحته اغلب عليه اذ لا يعلم ما يختم له ويكون الرجاء عند حضور اجله اقوى فى نفسه لحسن الظن بالله تعالى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله اى انه يرجمه ويغفر له وينبغى له ان يكون باهلا زمانه متحفظا من سلطانه ساعيا فى خلاص نفسه ونجاة مهجته مقدما بين يديه ما يقدر عليه من عرض دنياه مجاهدا نفسه فى ذلك ما استطاع وينبغى له ان يكون ساعيا فى امور عنده الورع فى دينه واستعمال تقوى الله ومراقبته فيما امر به ونهاه عنه وقال ابن مسعود ينبغى لقارئ القران ان يعرف بليله اذا الناس ينامون وبنهاره اذا الناس مفطرون وببكائه اذا الناس يضحكون وبصمته اذا الناس يخوضون وبخشوعه اذا الناس يختالون وبحزنه اذا الناس يفرحون وقال عبد الله بن عمرو لا ينبغى لحامل القران ان يجوض مع من يجوض ولا يجهل مع من يجهل ولكن يعفو ويصفح لحق القران لان فى جوفه كلام الله تعالى وينبغى له ان ياخذ نفسه بالتصاون عن طرف الشهات وينقل الضحك والكلام فى مجالس القران وغيرها بما لا فايدة فيه وياخذ نفسه بالحلم والوقار وينبغى له ان يتواضع للفقرا ويجتنب الكبر والاعجاب ويتخلى عن الدنيا وابنايها ان خاف على نفسه الفتنة ويترك الجدال والمرا ويأخذ نفسه بالرفق والادب وينبغى له ان يكون ممن يؤمن شره ويرجى خيره ويسلم من ضرره ولا يسمع ممن تمم عنده وقيل صاحب من يعاونه على الخير ويدله على الصدق ومكارم الاخلاق ويزينه ولا يشينه وينبغى له ان يتعلم احكام القران فيفهم عن الله مراده وما فرض عليه فينتفع بما يقرأ ويعمل بما يتلو فما افتح لحامل القران ان يتلو فرايضه واحكامه عن ظهر قلب وهو لا يفهم كيف يعمل بما لا يفهم معناه وما افتح به ان يسال عن فقه ما يتلوه ولا بد له فما من هذه حالته الا كمثل الحمار يحمل اسفارا وينبغى له ان يعرف المكى من المدنى ليفرق بذلك بين ما خاطب الله به عباده فى اول الاسلام وما ندبهم اليه فى اخر الاسلام وما افترض الله فى اول الاسلام وما زاد عليهم من الفرايض فى اخر ما انزل فالمدنى هو الناسخ للمكى فى اكثر القران ولا يمكن ان يتسخ المكى المدنى لان المنسوخ هو المتقدم فى التنزيل قبل الناسخ له ومن كماله ان يعرف الاعراب والغريب فذلك مما يستعان عليه معرفة ما يقرأ ويزيل عنه الشك فيما يتلو وقد قال ابو جعفر الطبرى سمعت الجرمى يقول انا منذ ثلاثين سنة اقتى الناس فى الفقه من كتاب سيبويه قال محمد بن يزيد وذلك ان ابا عمر الجرمى كان صاحب حديث فلما علم كتاب سيبويه تفقه فى الحديث اذ كان كتاب سيبويه يتعلم منه النظر والتفسير ثم ينظر فى الشئ الماثور الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يصل الطالب الى مراد الله عز وجل فى كتابه ومتى تفتح له احكام القران فتحا وقد قال الضحاك فى قوله تعالى كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب قال حتى على كل من تعلم القران ان يكون فقيها وذكر ابن ابى الحوارى قال اتينا فضيل بن عياض سنة خمس وثمانين ومائة ونحن جماعة فوقفنا على الباب فلم ياذن لنا بالدخول فقال بعض من كان خارجا لشئ فسيخرج لتلاوة القران فامرنا قارئا يقرأ فطلع علينا من كوة ففلنا السلام عليك ورحمة الله فقال وعليكم السلام قلنا كيف انت يا اباعلى وكيف حالك فقال انا من الله فى عافية ومنكم فى اذى وان ما انتم فيه حدث فى الاسلام فانا لله وانا اليه راجعون ما هذا كنا نطلب العلم وكذا كنا نالى المشيخة فلا نرى انفسنا اهلا للجلوس معهم فنجلس ونحن مشتركون فيه ونشترق التسميع فاذا امر الحديث سالنا اعادته وقيدناه وانتم تطلبون العلم بالجهل وقد ضيعتم كتاب الله ولو طلبتم كتاب الله لوجدتم فيه شفاء لما تريدون قال قلنا قد تعلمنا القران قال ان فى تعلمكم القران شغلا لامامكم وامارا ولادكم قلنا كيف يا اباعلى قال لن تعلموا القران حتى تفرقوا اعرابه ومحكمه من متشابهه وناسخه من منسوخه فاذا عرفتم ذلك استغنيتم عن كلام فضيل وابن عيينة ثم قال اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمومنين قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون قلت فاذا حصلت هذه المراتب لقارئ القران كان ماهرا بالقران وعالما بالفرقان وهو قريب من قربه الله عليه ولا ينتفع بشئ مما علم حتى يخلص النية فيه جل ذكره عند طلبه او بعد طلبه كما تقدم فقد يبتدئ الطالب للعلم يريد به المباهاة والشرف فى الدنيا فلا يزال به فهم العلم حتى يتبين له انه على خطا فى اعتقاده فينوب من ذلك ويخلص النية لله تعالى فينتفع بذلك وتحسن حاله قال الحسن كنا نطلب العلم للدنيا فجرنا الى الاخرة وقال سفيان الثورى وقال حبيب بن الحباب طلبنا هذا الامر وليس لنا فيه نية ثم جاءت النية بعد

باب ما جاء فى اعراب القران وتعليمه والحث عليه وثواب من قرأ القران معربا

قال ابو بكر بن الانبارى جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن اصحابه وعن تابعيهم رضوان الله عليهم اجمعين من تفضيل اعراب القران والحض على تعليمه وذم اللحن وكراهته ما وجب على قراء القران ان ياخذوا انفسهم بالاجتهاد فى تعليمه من ذلك ما حدثنا

القوم ج

يحيى بن سليمان الضبي قال ثنا محمد يعني ابن سعدان قال ثنا ابو معاوية عن عبد الله بن سعيد المقبري عن ابيه عن جده عن
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اعربوا القرآن والتمسوا غرائبه . حدثني ابي قال ثنا ابراهيم بن الهيثم قال ثنا
ادم يعني بن ابي اياس قال انا ابو الطيب المروزي قال انا عبد العزيز بن ابي رواد عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرا القران فلم يعربه وكل به ملك يكتب له كما انزل بكل حرف عشر حسنات فان اعربه وكل به
ملكان يكتبان له بكل حرف عشرين حسنة فان اعرب املاك يكتبون له بكل حرف سبعين حسنة . وروى
جويبر عن الضحاك قال قال عبد الله بن مسعود حرروا القران وزينوه بحسن الاصوات واعربوه فانه عربي والله
يحب ان يعرب به . وعن مجاهد عن ابن عمر قال اعربوا القران . وعن محمد بن عبد الرحمن بن زيد قال قال ابو بكر وعمر
رضي الله عنهما لبعض اعراب القران احب الينا من حفظ حروفه . وعن الشعبي قال قال عمر رحمه الله من قرا القران
فاعربه كان له عند الله اجر شهيد . وقال مكحول لينفعني ان من قرا اعرابا كان له من الاجر ضعفان ممن قرا بغير اعراب
وروى ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احبوا العرب لثلاث لاني عربي
والقران عربي وكلام اهل الجنة عربي وروى سفيان عن ابي حمزة قال قيل للحسن في قوم يتعلمون العربية قال
احسنوا يتعلمون لغة نبيهم صلى الله عليه وسلم . وقيل للحسن ان لنا اماما يلحن قال احترموه وعن ابن ابي مليكة قال
قدم اعرابي في زمان عمر رضي الله عنه فقال من يقرئني مما انزل الله على محمد عليه السلام قال فاقراه رجل براءة
فقال ان الله بريء من المشركين ورسوله بالجر فقال الاعرابي او قد برئ الله من رسوله فان يكن الله برئ من رسوله
فانا ابرا منه فبلغ عمر مقالة الاعرابي فدعاه يا اعرابي اتبرا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا امير
المومنين اني قدمت المدينة ولا علم لي بالقران فسالت من يقرئني فاقرا لي هذا سورة براءة فقال ان الله
بريء من المشركين ورسوله فقلت وقد برئ الله من رسوله ان يكن الله برئ من رسوله فانا ابرا منه فقال عمر
ليس هكذا يا اعرابي قال فكيف هي يا امير المومنين قال ان الله بريء من المشركين ورسوله فقال الاعرابي وانا
والله ابرا مما برئ الله ورسوله منه فامر عمر بن الخطاب ان لا يقرئ الناس الا عالما باللغة وامرا بالاسود
فوضع النحو وعن علي بن الجعد قال سمعت شعبة يقول مثل صاحب الحديث الذي لا يعرف العربية مثل
الحمار عليه مخلاة لا علف فيها وقال احمد بن سلمة من طلب الحديث ولم يتعلم النحو وقال العربية فهو كمثل الحمار
تعلق عليه مخلاة ليس فيها شعير قال ابن عطية اعراب القران اصل في الشريعة لان بذلك تقوم معانيه التي
هي الشرع قال ابن الانباري وكان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وتابعيهم رضوان الله عليهم من الاحتجاج
على غريب القران ومشكله باللغة والشعر بالمحل الذي لا يدفع وانت اذا وضح لك فساد مذهب من
انكر ذلك عليهم من ذا الشاهد لنا عبيد بن عبد الواحد بن شريك البزار قال ثنا ابن ابي مريم قال ابنا ابن فروخ
قال اخبرني اسامة قال اخبرني عكرمة ان ابن عباس قال اذا اتتموني عن غريب القران فالتمسوه في الشعر فان
الشعر ديوان العرب وحدثنا ادريس بن عبد الكريم قال ثنا خلف قال ثنا حماد بن زيد عن علي بن زيد بن جدعان
قال سمعت سعيد بن جبير وعبد الله بن معبد الزماني يقولان سمعنا ابن عباس يسأل عن الشيء من القران
فيقول فيه كذا وكذا اما سمعت الشاعر يقول فيه كذا وكذا وعن عكرمة عن ابن عباس وسأله رجل عن
قول الله جل وعز وثيابك فطهر قال لا تلبس ثيابك على غدر وتمثل بقول عنيلات الثقفي

فاني بحمد الله لا ثوب غادر ... لبست ولا من سوءة اتقنع

وسأل رجل عكرمة عن الزنيم فقال هو ولد الزنا وتمثل ببيت شعر

زنيم ليس يعرف من ابوه ... بغي الامر وحسب لئيم ومنه ايضا الزنيم الدعي

ثم قال

زنيم تداعاه الرجال زيادة ... كما زيد في عرض الاديم الكارعه

وعند في قوله تعالى ذواتا افنان قال اذا وافاظل واعصان لم تسمع الى قول الشاعر

ما هاج شوقك من هذيل حمامة ... تدعو على فنن الغصون حماما

تدعو اباقر حين صاد وطاير ... ذا مخلبين من الصقور قطاما

وعن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى فاذا هم بالساهرة قال الارض قال ابن عباس وقال امية بن ابي الصلت

عندهم لحم بحر ولحم ساهرة ... قال ابن الانباري والرواة يروون هذا البيت ... وفيها لحم ساهرة وبحر ... وما فاهوا
به لهم مقيم . وقال نافع بن الازرق لابن عباس اخبرني عن قول الله جل وعز لا تاخذه سنة ولا نوم ما السنة
قال النعاس قال زهير بن ابي سلمى

لا سنة في طول الليل تاخذه ... ولا ينام ولا في امره فند

باب ما جاء في تفسير القران واهله

قال علماؤنا رحمة الله عليهم واما ما جاء في فضل التفسير عن الصحابة والتابعين ممن ذلك ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه ذكر جابر بن عبد الله ووصفه بالعلم
فقال له رجل جعلت فداك نصفت جابرا بالعلم وانت انت فقال انه كان يعرف تفسير قوله تعالى ان الذي
فرض عليك القران لراد ك الى معاد وقال مجاهد احب الخلق الى الله اعلمهم بما انزل وقال الحسن والله ما انزل

الله اية الا احب ان يعلم فيمن انزلت وما يعنى بها وقال الشعبي رحل مسروق الى البصرة في تفسير اية
فقيل له ان الذي يفسرها رحل الى الشام فتجهز ورحل الى الشام حتى علم تفسيرها وقال عكرمة في قوله
عز وجل ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت نزلت هذه الاية في رجل واحد اربع عشرة سنة حتى وجدته قال
ابن عبد البر هو ضمرة بن حبيب وسياتي وقال ابن عباس مكثت سنتين اريد ان اسال عمر عن المراتين
اللتين تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يمنعني الا مهابته فسالته فقالت حفصة
وعايشة وقال ابو سريحة سمعت عمار بن ياسر وسئل عن قوله تعالى ان الذين يقرءون القران وهم لا يعلمون تفسيره كمثل قوم جاءهم كتاب
من ملكهم ليلا وليس عندهم مصباح فندا خلهم روعة ولا يدرون ما في الكتاب ومثل الذي يعرف
التفسير كمثل رجل جاءهم بمصباح فقرءوا ما في الكتاب

باب ما جاء في حامل القران ومن هو وفيمن عاداه

قال ابو عمر روى من وجوه فيها لين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من تعظيم جلال الله
اكرام ثلاثة الامام المقسط وذي الشيبة المسلم وحامل القران غير الغالي فيه ولا الجافي عنه قال
ابو عمر وحملة القران هم العالمون باحكامه وحلاله وحرامه والعاملون بما فيه وروى انس ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال للقران افضل من كل شيء من وقر القران فقد وقر الله ومن استخف القران فقد استخف
بحق الله جل وعز

باب ما يلزم قارئ القران وحامله من تعظيم القران وحرمته

قال الترمذي الحكيم ابو عبد الله في نوادر الاصول فمن حرمة القران ان لا يمسه الا طاهر ومن حرمته ان يقراه وهو على
طهارة ومن حرمته ان يستاك ويتخلل فيطيب فاه اذ هو طريقه قال يزيد بن ابي مالك ان افواهكم
طرق من طرق القران فطهروها ونظفوها ما استطعتم ومن حرمته ان يستوي له قاعدا ان كان في غير
صلاة ولا يكون متكئا ومن حرمته ان يتلبس له كما يتلبس للدخول على الامير انه مناجي ومن حرمته
ان يستقبل القبلة لقرائته وكان ابو العالية اذا اقام اعتم ولبس رداءه واستقبل القبلة ومن حرمته
ان يتمضمض كلما تنخع روى شعبة عن ابي حمزة عن ابن عباس قال انه كان يكره بين يدي نوم اذا تنخع تمضمض
ثم اخذ في الذكر وكان كلما تنخع تمضمض ومن حرمته اذا انتاب ويمسك عن القراة لانه اذا اقرا فهو
مخاطب ربه ومناج والتثاوب من الشيطان قال مجاهد اذا تثاءبت وانت تقرا القران فامسك عن القران
تعظيما حتى يذهب انتاوبك وقاله عكرمة يريد ان في ذلك الفعل اجلالا للقران ومن حرمته ان
يستعيذ بالله عند اية اية للقراة من الشيطان الرجيم ويقرا بسم الله الرحمن الرحيم ان كان ابتدا قرائته
من اول السورة او من حيث بلغ ومن حرمته اذا اخذ في سورة لم يشتغل بشيء حتى يفرغ منها الا من
ضرورة ومن حرمته اذا اخذ في القراة لم يقطعها ساعة فساعة بكلام الادميين من غير ضرورة ومن حرمته
ان يخلوا بقرائته حتى لا يقطع عليه احد بكلام فيخلطه بحوابه لانه اذا فعل ذلك زال عنه سلطان الاستعاذة
الذي استعاذ في البدو ومن حرمته ان يقراه على تودة وترسيل وترتيل ومن حرمته ان يستعمل فيه ذهنه
وفهمه حتى يعقل ما يخاطب به ومن حرمته ان يقف على اية الوعد فيرغب الى الله تعالى ويسأله من فضله
وان يقف على اية الوعيد فيستجير بالله منه ومن حرمته اذا مر بذي الحاجة حقه من الاداء حتى يمر بالكلام
بالملفظ تماما فان له بكل حرف عشر حسنات ومن حرمته اذا انتهت قرائته ان يصدق ربه ويشهد بالبلاغ
لرسوله صلى الله عليه وسلم ويشهد على ذلك انه حق فيقول صدقت ربنا وبلغت رسلك الكرام ونحن على ذلك
من الشاهدين اللهم اجعلنا من شهدا الحق القايمين بالقسط ثم يدعو بدعوات ومن حرمته اذا قراه ان
لا يلتفظ الا بما مر كل سورة فيقراه فانه روى لنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه مر بيلال وهو يقرا
من كل سورة شيا فامره ان يقرا على التوا وكما قال ومن حرمته اذا وضع الصحيفة ان لا يمد رجليه منشورة وان لا
يضع فوقه شيا من الكتب حتى يكون ابدا عاليا لسائر الكتب علما كان او غيره ومن حرمته ان يضعه في حجره اذا قراه
او على شيء بين يديه ولا يضعه بالارض ومن حرمته ان لا يمحوه من الالواح بالبزاق ولكنه يغسله بالماء ومن حرمته
اذا غسله بالماء ان يتوخى النجاسات من المواضع والمواضع التي توطا فان لتلك الغسالة حرمة وكان من قبلنا
من السلف من يستشفي بغسالته ومن حرمته ان لا يتخذ الصحيفة اذا بليت ودرست وقاية للكتب
فان ذلك جفاء عظيم ولكن يمحوها بالماء ومن حرمته ان لا يخلي يوما من ايامه من النظر في المصحف مرة وكان
ابو موسى يقول اني لاستحيي ان لا انظر كل يوم في عهدي مرة ومن حرمته ان يعطي عينيه حظهما منه فان العين
تودي الى النفس وبين النفس والصدر حجاب والقران في الصدر فاذا اقراه من ظهر قلب قاما يسمع اذنه فتودي
الى النفس فاذا نظر في الخط كانت العين والاذن قد اشتركا في الاداء وذلك اوفر للاداء وكان قد اخذ العين
حظها كالاذن روى زيد بن اسلم عن عطاء بن يسار عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اعطوا اعينكم حظها من العبادة قالوا وما حظها من العبادة قال النظر في المصحف والتفكر فيه
والاعتبار عند عجايبه وروى مكحول عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

حملة القرآن هم المخصوصون برحمة الله
المعظمون كلام الله المكلمون نور الله
فمن الامم فقد والى الله ومن عاداهم
فقد استخف بحق الله ع

الفاحش اللئيم ع

منهم ع

افضل عبادة امتي قراءة القرآن نظر ومن حرمته ان لا يتاول له عند ما يعرض له من امر الدنيا حدثنا عمرو بن زياد الحضرمي قال ثنا هشيم بن بشير عن المغيرة عن ابراهيم قال كان يكره ان ينام وفي شيء من القرآن عند ما يعرض له من امر الدنيا والتاويل مثل قولك للرجل اذا جاء حين تغدى يا موسى ومثل قوله كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم هذا عند حضور الطعام وانتهاء هذا ومن حرمته ان لا يقال سورة كذا لقول النبي سورة النحل وسورة البقرة وسورة النساء ولكن يقال السورة التي يذكر فيها سورة كذا قلت هذا يعارضه قوله صلى الله عليه وسلم لا يقل احدكم نسيت سورة كذا وقد احتج به الفقهاء في ليلة كفاه حرجه البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود ومن حرمته ان لا يتعلم صبيا كفعل معلمي الصبيان يلقنهم احدهم بذلك الذي احذق من نفسه والمهارة فان ذلك مجانة ومن حرمته ان لا يقع في قرائته كفعل هؤلاء المميزين المبتدعة المتطعين في ابراز الكلام من تلك الاقواه المنتنة تكلفا فان ذلك محدث القاه اليهم الشيطان فعليكم عنه ومن حرمته ان لا يقراه بالحان العجم كلحون اهل الفسق ولا بترجيع النصارى ولا نوح الرهبانية فان ذلك كله رديء وقد تقدم ومن حرمته ان يجلل تخطيطه اذا خطه وعن ابي حكيمة انه كان يكتب المصاحف بالكوفة فمر علي رضي الله عنه فنظر الى كتابته فقال اجل قلمك فاخذ القلم فقطط مرطوفه قطا ثم كتب وعلى قايم ينظر الى كتابتي فقال هكذا نوره كما نوره الله عز وجل ومن حرمته ان لا يجهر بعض على بعض في القراءة حتى يعض الجبه ما يسمع ويكون هيئة المعالنة ومن حرمته ان لا يماري ولا يجادل فيه في القرآن ولا يقول لصاحبه ليس هكذا هو ولعله ان تكون تلك القراءة صحيحة جايزة من القرآن فيكون قد جحد كتاب الله ومن حرمته ان لا يقراء في الاسواق ولا في مواطن اللغط واللغو ومجمع السفهاء الا من ذكر عباد الرحمن واثنى عليهم بانهم اذا مروا باللغو مروا كراما هذا المروء بنفسه فكيف اذا مر بالقرآن الكريم تلاوة بين ظهراني اهل اللغو ومجمع السفهاء ومن حرمته ان لا يتوسد المصحف ولا يعتمد عليه ولا يرمي به الى صاحبه اذا اراد ان يناوله ومن حرمته ان لا يصغر المصحف روى الاعمش عن ابراهيم عن علي رضي الله عنه قال لا يصغر المصحف قلت وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه راى مصحفا صغيرا في يد رجل فقال من كتبه قال انا فضربه بالدرة وقال عظموا القرآن وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى ان يقال مسيجد او مصحف ومن حرمته ان لا يخلط فيه ما ليس منه ومن حرمته ان لا يحلى بالذهب ولا يكتب بالذهب فيخلط به زينة الدنيا وروى مغيرة عن ابراهيم انه كان يكره ان يحلى المصحف او يكتب بالذهب او يعلم عند رءوس الاي او يصغر وروى ابو الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زخرفتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم وقال ابن عباس رأى مصحفا قد زين بفضة نقرون به الشارق وزينته في حوقه ومن حرمته ان لا يكتبه على الارض ولا على حايط كما يفعل بهذه المساجد الحديثة حدثنا محمد بن علي الشقيقي عن ابيه عن عبد الله بن المبارك عن سفيان عن محمد بن الزبير قال سمعت عمر بن عبد العزيز يحدث قال امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب في ارض فقال انشدكم بالله من كتابه هذا قال فاخرج كتابه فاذا كتبه يهودي فقال لعن الله من فعل هذا لا تضعوا كتاب الله الا موضعه قال محمد بن الزبير راى عمر بن عبد العزيز ابنا له يكتب القرآن على حايط فزبره ومن حرمته انه اذا اغتسل بكتابة حبر مستشفيا من سقم ان لا يصبه على كناسة ولا في موضع نجاسة ولا على موضع يوطا ولكن ناحية من الارض في بقعة لا يطاها الناس او يحفر حفيرة في موضع طاهر حتى يصب ماء غسله في تلك الحفيرة ثم يكبسها او في غير كبير مختلط بما به فيجري ومن حرمته ان يفتتحه كما ختمه حتى لا يكون كهيئة المهجور ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ختم القرآن يقرا من اول القرآن قدر خمس آيات ليلا يكون في هيئة الهجر وروى ابن عباس قال اجاء رجل فقال يا رسول الله اي العمل افضل قال عليك بالحال المرتحل قال وما الحال المرتحل قال صاحب القرآن يضرب من اوله حتى يبلغ اخره ثم يضرب في اوله كلما كاد ان يحل قلت ويستحب له اذا ختم القرآن ان يجمع اهله ذكر ابو بكر الانباري اخبرنا ادريس ابنا خلف ثنا وكيع عن مسعر عن قتادة ان انس بن مالك كان اذا ختم القرآن جمع اهله ودعا واخبرنا ادريس ابنا خلف ثنا جرير عن منصور عن الحكم قال كان مجاهد وعبدة بن ابي لبابة وقمر يعرضون المصاحف فاذا اراد ان يختموا وجهوا الينا احضرونا فان الرحمة تنزل عند ختم القرآن واخبرنا ادريس ابنا خلف ثنا هشيم عن العوام عن ابراهيم النخعي قال كان ختم القرآن اول الليل صلت عليه الملايكة حتى يمسي ومن ختم اول النهار صلت عليه الملايكة حتى يصبح قال فكانوا يستحبون ان يختموا اول الليل واول النهار ومن حرمته ان لا يكتب لتعاويذ منه ثم يدخله في الخلا الا ان يكون في غلاف مراد معروضة او غيره فيكون كتابه في صدرك ومن حرمته اذا كتبه وبشر به سمي الله على كل نفس وعظم النية فيه فان الله يوتيه على قدر نيته روى ليث عن مجاهد قال لا باس ان تكتب القرآن ثم تسقيه المريض وعن ابي جعفر قال من وجد في قلبه قساوة فليكتب بسم الله الرحمن الرحيم في جام بزعفران ثم يشربه قلت ومن حرمته ان لا يقال سورة صغيرة وكره ابو العالية ان يقال سورة صغيرة او كبيرة وقال لمن سمعه قالها انت اصغر منها واما القرآن فكله عظيم ذكره مكي رحمه الله قلت وقد روى ابو داود ما يعارض هذا من حديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده انه قال ما من المفصل سورة صغيرة ولا كبيرة الا وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بها الناس في الصلاة

باب

ما جا من الوعيد في تفسير القرآن بالراي والجراة على ذلك ومراتب التفسير

روى عن عايشة رضي الله عنها قالت ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر من كتاب الله الا ايا بعدد علمهن اياهن جبريل قال ابن عطية ومعنى هذا الحديث في مغيبات القرآن وتفسير مجمله ونحو هذا مما لا سبيل اليه الا بتوقيف من الله تعالى وعن جملة مغيباته ما لم يعلم الله به كوقت قيام الساعة ونحوها مما يستقر من الفاظه كعدد الخلق وكونية خلق السموات والارض روى الترمذي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الحديث عني الا ما علمتم فمن كذب علي متعمدا فليتبوا مقعده من النار ومن قال في القرآن برايه فليتبوا مقعده من النار وروى ايضا عن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في القرآن برايه فاصاب فقد اخطا قال هذا حديث غريب واخرجه ابو داود وتكلم في احد رواته وزاد ومن قال برايه فاخطا فقد كفر قال ابو بكر محمد بن القسم بن بشار بن مهران الانباري النحوي اللغوي في كتابه الرد في تفسير حديث ابن عباس تفسير من احد هما ما قال في مشكل القرآن بما لا يعرف من مذهب الاوايل من الصحابة والتابعين فهو متعرض لسخط الله والجواب الاخر وهو اثبت القولين واصحهما معنى من قال في القرآن قولا يعلم ان الحق في غيره فليتبوا مقعده ومعنى يتبوا ينزل ويحل قال الشاعر

وتبوئت في صميم معشر ... فضم في قومها مبوء حقا

وقال في حديث جندب محمل بعض اهل العلم هذا الحديث على ان الراي معنى به الهوى من قال في القرآن قولا يوافق هواه لم يلتفت عن ائمة السلف فاصاب فقد اخطا لحكمه على القرآن بما لا يعرف اصله ولا يقف على مذاهب اهل التفسير والنقل فيه وقال ابن عطية ومعنى هذا ان يسال الرجل عن معنى من كتاب الله عز وجل فيتسور عليه برايه دون نظر فيما قال العلماء وافتضته قوانين العلم كالنحو والاصول وليس يدخل في هذا الحديث ان تفسير اللغويون لغته والنحويون نحوه والفقهاء معانيه ويقول كل واحد باجتهاده المبني على قوانين علم ونظر فان القايل على هذه الصفة ليس قايلا بمجرد راية قلت هذا صحيح وهو الذي اختاره غير واحد من العلماء فان من قال فيه بما سبح في وهمه وخطر على باله من غير استدلال عليه بالاصول فهو مخطي وان اصاب لانه استنبط معناه بحدسه على الاصول المحكمة المتفق على معناها فهو متمدح وقال بعض العلماء ان التفسير موقوف على السماع لقوله تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول وهذا فاسد لان النهي عن تفسير القرآن لا يخلو اما ان يكون المراد به الاقتصار على النقل والمسموع وترك الاستنباط او المراد به امر اخر وباطل ان يكون المراد به ان لا يتكلم احد في القرآن الا بما سمعه فان الصحابة رضي الله عنهم قد فسروا القرآن واختلفوا في تفسيره على وجوه وليس كل ما قالوه سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم فان النبي صلى الله عليه وسلم دعا لابن عباس وقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل فان كان التاويل مسموعا كالتنزيل فما فايدة تخصيصه بذلك وهذا يبين لك اشكال ما في السيا في هذا مزيد بيان في سورة النساء ان شاء الله وانما النهي يحمل على احد وجهين احدهما ان يكون له في الشيء راي واليه ميل من طبعه وهواه فيتاول القرآن على وفق رايه وهواه ليصح على تصحيح غرضه ولو لم يكن له ذلك الراي والهوى لكان لا يتوجه له من القرآن ذلك المعنى وهذا النوع يكون تارة مع العلم كالذي يحتج ببعض ايات القرآن على تصحيح بدعته وهو يعلم ان ليس المراد بالاية ذلك ولكن مقصوده ان يلبس على خصمه وتارة يكون مع الجهل وذلك اذا كانت الاية محتملة فيميل فهمه الى الوجه الذي يوافق غرضه ويرجح ذلك الجانب برايه وهواه فيكون قد فسر برايه اي رايه حمله على ذلك التفسير ولو لا رايه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه وتارة يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلا من القرآن ويستدل عليه بما يعلم انه مما اريد به كمن يدعوا الى مجاهدة القلب لقاسي فيقول قال الله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى ويشير الى قلبه ويروى ان المراد بفرعون وهذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ في المقاصد الصحيحة تحسينا للكلام وترغيبا للمستمع وهو ممنوع لانه قياس في اللغة وذلك غير جايز وقد تستعمله ارباب الطريقة في المقاصد الفاسدة لترغيب الناس ودعوتهم الى مذاهبهم الباطلة فيتاولون القرآن على وفق رايهم ومذهبهم على امور يعلمون قطعا انها غير مرادة فهذه الفنون احد وجهي المنع من التفسير بالراي الوجه الثاني ان يتسارع الى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرايب القرآن ومافيه من الابهام المبهمة والمجملة ومافيه من الاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتاخير فمن لم يحكم ظاهر التفسير وتادى الى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه ودخل في زمرة من فسر القرآن بالراي والنقل والسماع لا بد منه في ظاهر التفسير اولا يتقي به مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط والغرايب التي لا تفهم الا بالسماع كثيرة ولا مطمع في الوصول الى الباطن قبل احكام الظاهر الا ترى ان قوله تعالى واتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها معناه اية مبصرة فظلموا انفسهم بقتلها فالناظر الى ظاهر العربية يظن ان المراد به ان الناقة كانت مبصرة ولا يدري بماذا ظلموا وانهم ظلموا غيرهم وانفسهم

فهذا من الحذف والاضمار وامثال هذا في القران كثير وما عدا هذين الوجهين فلا يتطرق النهي اليه والله اعلم
قال ابن عطية وكان جلة من السلف كسعيد بن المسيب وعامر الشعبي وغيرهما يعظمون تفسير القران
ويتوقفون عنه تورعا واحتياطا لانفسهم مع ادراكهم وتقدمهم قال ابو بكر الانباري وقد كان الايمة
من السلف الماضي يتورعون عن تفسير المشكل من القران فبعض يقدر ان الذي يفسره لا يوافق مراد الله عز وجل
فيحجم عن القول وبعض يشفق من ان يجعل في التفسير اماما يبني على مذهبه ويقتفي طريقه فلعل متاخرا
ان يفسر حرفا برايه ويخطي فيه ويقول امامي في تفسير القران بالراي فلان الامام من السلف وعن ابن ابي
مليكة قال سئل ابو بكر رضي الله عنه عن تفسير حرف من القران فقال اي سما تظلني واي ارض تقلني واين اذهب
وكيف اصنع اذا قلت في حرف من كتاب الله بغير ما اراد تبارك وتعالى قال ابن عطية وكان جلة من السلف
كثير عددهم يفسرون القران وهم ابقوا على المسلمين في ذلك رضي الله عنهم فاما صدر المفسرين
والمؤيد فيهم فعلي ابن ابي طالب رضي الله عنه ويتلوه عبد الله بن عباس وهو تجرد للامر وكمله وتبعه
العلما عليه كمجاهد وسعيد بن جبير وغيرهما والمحفوظ عنه في ذلك اكثر من المحفوظ عن علي وقال
ابن عباس ما اخذت من تفسير القران فعن علي بن ابي طالب وكان علي رضي الله عنه يثني على تفسير ابن عباس
ويحض على الاخذ عنه وكان ابن مسعود يقول نعم ترجمان القران عبد الله بن عباس وقال عنه علي رضي الله عنه
ابن عباس كانما ينظر الى الغيب من ستر رقيق ويتلوه عبد الله بن مسعود وابي بن كعب وزيد بن ثابت وعبد
الله بن عمرو بن العاص وكلما اخذ عن الصحابة فحسن مقدم لشهودهم التنزيل ونزوله بلغتهم وعن عامر بن واثلة
شهدت علي بن ابي طالب رضي الله عنه يخطب فسمعته يقول في خطبته سلوني فوالله لا تسالوني عن شي
يكون الى يوم القيامة الا حدثتكم به سلوني عن كتاب الله فوالله ما من اية الا انا اعلم ابليل نزلت ام
بنهار ام في سهل نزلت ام في جبل فقام اليه ابن الكوا فقال يا امير المؤمنين ما الذاريات ذروا وذكر
الحديث وعن المنهال بن عمرو قال قال عبد الله بن مسعود لو اعلم احدا اعلم بكتاب الله مني تبلغه المطي
لاتيته فقال له رجل اما لقيت علي بن ابي طالب فقال بلى لقيته وعن مسروق قال وجدت اصحاب محمد صلى الله
عليه وسلم مثل الاخاذ يروي الواحد والاخاذ يروي الاثنين والاخاذ لو ورد عليه الناس اجمعون لاصدرهم وان
عبد الله بن مسعود من تلك الاخاذ ذكر هذه المناقب ابو بكر الانباري في كتاب الرد والاخاذ عند العرب
الموضع الذي يحبس الما كالغدير قال ابو بكر حدثنا احمد بن الهيثم بن خالد نا احمد بن عبد الله بن يونس نا سلام
عن زيد العمي عن ابي بكر الناجي عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارحم امتي بها
ابو بكر • واقواهم في دين الله عمر • واصدقهم حيا عثمان • واقضاهم علي • وافرضهم زيد • واقروهم لكتاب
الله عز وجل ابي بن كعب • واعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل • وامين هذه الامة ابو عبيدة بن الجراح • وابو
هريرة وعا من العلم • وسلمان بحر من علم لا يدرك • وما اظلت الخضرا ولا اقلت الغبرا او قال البطحا من ذي لهجة
اصدق من ابي ذر • قال ابن عطية ومن المبرزين في التابعين الحسن البصري ومجاهد وسعيد بن جبير وعلقمة
وقرا مجاهد على ابن عباس قراة تفهم ووقوف عند كل اية ويتلوهم الضحاك وان كان لم يلق ابن عباس وانما
اخذ عن ابن جبير واما السدي فكان عامر الشعبي يطعن عليه وعلى ابي صالح لانهما كانا يراهما مقصرين في النظر
قلت وقال يحيى بن معين الكلبي ليس بشي وعن يحيى بن سعيد القطان عن سفيان قال قال الكلبي قال
ابو صالح كل ما حدثتك كذب وقال حبيب بن ابي ثابت كنا نسميه الذر وغزن يعني ابا صالح مولى ام هاني
والذر وغزن هو الكذاب بلغة الفرس ثم حمل تفسير كتاب الله تعالى عدول كل خلف كما قال صلى الله عليه وسلم
يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتاويل الجاهلين خرجه ابو
عمر وغيره قال الخطيب ابو بكر احمد بن علي البغدادي وهذه شهادة من رسول الله صلى الله عليه وسلم بانهم اعلام الدين
وايمة المسلمين لحفظهم الشريعة من التحريف والانتحال للباطل ورد تاويل الابله الجاهل وانه يجب الرجوع
اليهم والمعول في امر الدين عليهم رضي الله عنهم قال ابن عطية والف الناس فيه كعبد الرزاق والمفضل وعلي بن
ابي طلحة والبخاري وغيرهم ثم ان محمد بن جرير رحمه الله جمع على الناس اشتات التفسير وقرب البعيد منها
وشفا في الاسناد ومن المبرزين في المتاخرين ابو اسحاق الزجاج وابو علي الفارسي واما ابو بكر النقاش وابو
جعفر النحاس فكثير ما استدرك الناس عليهما وعلى سنتهما مكي بن ابي طالب رضي الله عنه وابو العباس المهدوي
متقن التاليف وكلهم مجتهد ماجور رحمهم الله ونضر وجوههم

باب تبيين الكتاب بالسنة وما جا في ذلك

قال الله تعالى وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم وقال فليحذر الذين يخالفون عن امره
ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم وقال وانك لتهدي الى صراط مستقيم وفرض طاعته في غير اية من كتابه
وقرنها بطاعته عز وجل وقال وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ذكر ابن عبد البر في كتاب العلم له
عن عبد الرحمن بن يزيد انه راى محرما عليه ثيابه فنهى المحرم فقال ايتني باية من كتاب الله تنزع ثيابي قال فقرا

عليه

عليه وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وعن هشام بن حجير قال كان طاوس يصلي ركعتين
بعد العصر فقال ابن عباس اتركهما فقال انما نهى عنهما ان تتخذ سنة فقال ابن عباس قد نهى رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة بعد العصر فلا ادري اتعذب عليها ام توجر لان الله تعالى قال وما كان
لمومن ولا مومنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان تكون لهم الخيرة من امرهم وروى ابو داود عن المقدام
ابن معدي كرب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الا واني قد اوتيت الكتاب ومثله معه الا يوشك
رجل شبعان على اريكته يقول عليكم بهذا القران فما وجدتم فيه من حلال فاحلوه وما وجدتم فيه من حرام
فحرموه الا لا يحل لكم الحمار الاهلي ولا كل ذي ناب من السباع ولا لقطة معاهد الا ان يستغني عنها صاحبها
ومن نزل بقوم فعليهم ان يقروه فان لم يقروه فله ان يعقبهم بمثل قراه • قال الخطابي اوتيت الكتاب ومثله
معه يحتمل وجهين من التاويل احدهما ان معناه انه اوتي من الوحي الباطن غير المتلو مثل ما اعطي من الظاهر
المتلو والثاني انه اوتي الكتاب وحيا يتلى واوتي من البيان مثله اي اذن له ان يبين ما في الكتاب
فيعم ويخص ويزيد عليه ويشرع ما في الكتاب فيكون في وجوب العمل به ولزوم قبوله كالظاهر المتلو من القران
وقوله يوشك رجل شبعان يحذر بهذا القول من مخالفة السنن التي بينها مما ليس له في القران ذكر على ما ذهب
اليه الخوارج والروافض فانهم تعلقوا بظاهر القران وتركوا السنن التي قد ضمنت بيان الكتاب قال
فتحيروا وضلوا قال والاريكة السرير ويقال انه لا يسمى اريكة حتى يكون في حجلة قال وانما اراد بالاريكة اصحاب
الترفه والدعة الذين لزموا البيوت ولم يطلبوا العلم من مظانه وقوله الا ان يستغني عنها صاحبها معناه ان
يتركها صاحبها لمن اخذها استغنا عنها كقوله فكفروا واستغنى الله معناه تركهم الله استغنا عنهم وقوله
فله ان يعقبهم بمثل قراه هذا في حال المضطر الذي لا يجد طعاما ويخاف التلف على نفسه فله ان ياخذ
من مالهم بقدر قراه عوض ما حرموه من قراه ويعقبهم يروى مشددا ومخففا من المعاقبة ومنه قوله تعالى
فعاقبتم اي فكانت الغلبة لكم فغنمتم منهم وكذلك لهذا ان يغنم منهم من اموالهم بقدر قراه قال
وفي الحديث دلالة على انه لا حاجة بالحديث الى ان يعرض على الكتاب فانه مهما ثبت عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان حجة بنفسه قال فاما ما رواه بعضهم انه قال اذا جاكم الحديث فاعرضوه على كتاب الله فان وافقه
فخذوه والا فانه حديث باطل لا اصل له ثم البيان منه صلى الله عليه وسلم على ضربين بيان لمجمل في الكتاب
كبيانه للصلوات الخمس في مواقيتها وسجودها وركوعها وساير احكامها وكبيانه لمقدار الزكاة ووقتها
وما الذي توخذ منه من الاموال وبيانه لمناسك الحج قال صلى الله عليه وسلم اذ حج بالناس خذوا عني مناسككم
وقال صلوا كما رايتموني اصلي اخرجه البخاري وروى ابن المبارك عن عمران بن حصين انه قال لرجل انك رجل
احمق اتجد الظهر في كتاب الله اربعا لا تجهر فيها بالقراة ثم عدد عليه الصلاة والزكاة ونحو هذا ثم قال
اتجد هذا في كتاب الله تعالى مفسرا ان كتاب الله تعالى ابهم هذا وان السنة تفسر هذا وروى الاوزاعي
عن حسان بن عطية قال كان الوحي ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحضره جبريل بالسنة التي تفسر ذلك
وروى سعيد بن منصور نا عيسى بن يونس عن الاوزاعي عن مكحول قال القران احوج الى السنة من السنة الى القران
وبه عن الاوزاعي قال قال يحيى بن كثير السنة قاضية على الكتاب وليس الكتاب بقاض على السنة قال
الفضيل بن زياد سمعت ابا عبد الله يعني احمد بن حنبل وسيل عن هذا الحديث الذي روي ان السنة قاضية على
الكتاب فقال ما اجسر على هذا ان اقوله ولكني اقول ان السنة تفسر الكتاب وتبينه وبيان اخر وهو زيادة
على حكم الكتاب كتحريم نكاح المراة على عمتها وخالتها وتحريم الحمر الاهلية وكل ذي ناب من السباع والقضا باليمين
مع الشاهد وغير ذلك على ما ياتي بيانه ان شا الله تعالى

باب كيفية التعلم والفقه لكتاب الله تعالى

وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وما جا انه سهل على من تقدم العمل به دون حفظه ذكر ابو عمرو الداني في
كتاب البيان له باسناده عن عثمان وابن مسعود وابي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقريهم العشر فلا
يجاوزونها الى عشر اخرى حتى يتعلموا ما فيها من العمل فيعلمنا القران والعمل جميعا وذكر عبد الرزاق عن معمر عن عطا
ابن السايب عن ابي عبد الرحمن السلمي قال كنا اذا تعلمنا عشر ايات من القران لم نتعلم العشر الذي بعدها
حتى نعرف حلالها وحرامها وامرها ونهيها وفي موطا مالك انه بلغه ان عبد الله بن عمر مكث على سورة البقرة ثماني سنين
يتعلمها وذكر ابو بكر احمد بن علي بن ثابت بن محمد ابي بلال الاشعري قال حدثنا مالك عن نافع عن ابن عمر قال تعلم عمر
البقرة في اثنتي عشرة سنة فلما ختمها نحر جزورا وذكر ابو بكر الانباري حدثني محمد بن شهريار نا حسين بن الاسود حدثنا
عبيد الله بن موسى عن زياد بن ابي مسلم ابي عمرو عن زياد بن مخراق قال قال عبد الله بن مسعود انا صعب علينا حفظ
القران وسهل علينا العمل به وان من بعدنا يسهل عليهم حفظ الفاظ القران ويصعب عليهم العمل به حدثنا
ابراهيم بن موسى نا يوسف بن موسى نا الفضل بن دكين ثنا اسمعيل بن ابراهيم بن المهاجر عن ابيه عن مجاهد عن
ابن عمر قال كان الفاضل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر هذه الامة لا يحفظ من القران الا السورة

الحافظ في كتابه المسمى في ذكر اسما من روى عن مالك عن مرداس صح

او نحوها ورزقوا العمل بالقران وان اخر هذه الامة يقرون القران منهم الصبي والاعجمي ولا يرزقون عملا به حدثني
حسن بن عبد الوهاب ابو محمد بن ابي العنبر نا ابو بكر بن حماد المقرى قال سمعت خلف بن هشام البزار يقول
ما اظن القران الا عارية في ايدينا وذلك انا روينا ان عمر بن الخطاب حفظ البقرة في بضع عشرة سنة فلما حفظها
نحر جزورا شكرا لله وان الغلام في دهرنا هذا يجلس بين يدي فيقرا ثلث القران لا يسقط منه حرفا فما احسب القران
الا عارية في ايدينا وقال اهل العلم بالحديث لا ينبغي لطالب الحديث ان يقتصر على سماع الحديث وكتبه دون
معرفته وفهمه فيكون قد اتعب نفسه من غير ان يظفر بطائل وليكن تحفظه للحديث على التدريج قليلا قليلا
مع الليالي والايام وممن ورد عنه ذلك من حفاظ الحديث شعبة وابن عيينة ومعمر قال معمر سمعت الزهري يقول
من طلب العلم جملة فاته جملة وانما يدرك العلم حديثا وحديثين والله اعلم وقال معاذ بن جبل اعلموا ما شئتم
ان تعلموا فلن ياجركم الله بعلمه حتى تعملوا قال ابن عبد البر وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل قول معاذ
من رواية عباد بن عبد الصمد وفيه زيادة ان العلما همتهم الدراية وان السفها همتهم الرواية روي
موقوفا وهو اولى من رواية من رواه مرفوعا وعباد بن عبد الصمد ليس ممن يحتج به ولقد احسن القائل
في نظمه في فضل العلم وشرف الكتاب العزيز والسنة الغراء

ان العلوم وان جلت محاسنها ... فتاجها ما به الايمان قد وجبا
هو الكتاب العزيز الله يحفظه ... وبعد ذلك علم فرج الكربا
فذاك فاعلم حديث المصطفى فيه ... نور النبوة سن الشرع والادبا
وبعد هذا علوم لا انتهاء لها ... فاختر لنفسك يا من اثر الطلبا
فالعلم كنز تجده في معادنه ... يا ايها الطالب ابحث وانظر الكتبا
واتل بفهم كتاب الله فيه اتت ... كل العلوم فدبره ترى عجبا
واقرا حديث حديث المصطفى وسل ... مولاك ما تشتهي يقضى لك الاربا
من ذاق طعما لعلم الدين شربه ... اذا تزيد منه قال واطربا

باب معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا القران انزل على سبعة احرف فاقروا ما تيسر منه

روى مسلم عن ابي بن كعب ان النبي صلى الله عليه وسلم كان عند اضاة بني غفار فاتاه جبريل عليه السلام فقال ان الله
يامرك ان تقرا امتك القران على حرف فقال اسال الله معافاته ومغفرته وان امتي لا تطيق ذلك ثم اتاه الثانية
فقال ان الله يامرك ان تقرا امتك القران على حرفين فقال اسال الله معافاته ومغفرته وان امتي لا تطيق ذلك
ثم اتاه الثالثة فقال ان الله يامرك ان تقرا امتك القران على ثلاثة احرف فقال اسال الله معافاته ومغفرته
وان امتي لا تطيق ذلك ثم جاه الرابعة فقال ان الله يامرك ان تقرا امتك القران على سبعة احرف فايما حرف قروا
عليه فقد اصابوا وروى الترمذي عنه قال لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل فقال يا جبريل فقال يا جبريل
اني بعثت الى امة امية منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية والرجل الذي لا يقرا كتابا قط فقال لي يا محمد
ان القران انزل على سبعة احرف قال هذا حديث حسن صحيح وثبت في الامهات للبخاري ومسلم والموطا وابي داود
والنسائي وغيرها من المصنفات والمسندات قصة عمر مع هشام بن حكيم وسياتي بكماله في اخر الباب مبينا
ان شا الله تعالى وقد اختلف العلما في المراد بالاحرف السبعة على خمسة وثلاثين قولا ذكرها ابو حاتم محمد بن حبان
البستي تذكر منها في هذا الكتاب خمسة اقوال الاول وهو الذي عليه اكثر اهل العلم كسفيان بن عيينة وعبيد الله بن
وهب والطبري والطحاوي وغيرهم ان المراد سبعة اوجه من المعاني المتقاربة بالفاظ مختلفة نحو اقبل وتعال
وهلم قال الطحاوي وابين ما ذكر في ذلك حديث ابي بكرة قال جا جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اقرا على
حرف فقال ميكائيل استزده قال اقرا على حرفين فقال ميكائيل استزده حتى بلغ الى سبعة احرف فقال اقرا
فكل شاف كاف الا ان تخلط اية رحمة باية عذاب او اية عذاب باية رحمة على نحو هلم وتعال واقبل واذهب
واسرع واعجل وروى ورقا عن ابن ابي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس عن ابي بن كعب انه كان يقرا للذين امنوا
انظرونا للذين امنوا امهلونا للذين امنوا اخرونا للذين امنوا ارقبونا وبهذا الاسناد عن ابي انه كان يقرا
كلما اضا لهم مشوا فيه مروا فيه سعوا فيه وفي البخاري ومسلم قال الزهري انما هذه الاحرف في الامر الواحد
ليس يختلف في حلال ولا حرام قال الطحاوي انما كانت السعة للناس في الحروف لعجزهم عن اخذ القران
على غير لغتهم لانهم كانوا اميين لا يكتب الا القليل منهم فلما كان يشق على كل ذي لغة ان يتحول الى غيرها
من اللغات ولو رام ذلك لم يتهيا له الا بمشقة عظيمة فيوسع لهم في اختلاف الالفاظ اذ كان المعنى
متفقا فكانوا كذلك حتى كثر فيهم من يكتب وعادت لغاتهم الى لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقروا بذلك
على تحفظ الفاظه فلم يسعهم حينئذ ان يقروا بخلافها قال ابن عبد البر فبان بهذا ان تلك السبعة الاحرف
انما كان في وقت خاص لضرورة دعت الى ذلك ثم ارتفعت تلك الضرورة فارتفع حكم هذه السبعة وعاد ما يقرا

ان الله صح

به

به القران الا حرف واحد وروى ابو داود عن ابي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابي اني اقريت
القران فقيل لي على حرف او حرفين فقال الملك الذي معي قل على حرفين فقيل لي على حرفين او ثلاث فقال
الملك الذي معي قل على ثلاثة حتى تبلغ سبعة احرف ثم قال ليس فيها الا شاف كاف ان قلت سميعا عليما
عزيزا حكيما ما لم يخلط اية عذاب برحمة او اية رحمة بعذاب واسند ثابت بن قاسم نحو هذا الحديث
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وذكر من كلام ابن مسعود نحوه قال القاضي ابن الطيب واذا
ثبتت هذه الرواية يريد حديث ابي حمل على ان هذا كان مطلقا ثم نسخ فلا يجوز للناس ان يبدلوا اسما لله
في موضع بغيره مما يوافق معناه او يخالف **القول الثاني** قال قوم هي سبع لغات في القران على لغات العرب
يمنها ونزارها لان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يجهل شيا منها وكان قد اوتي جوامع الكلم وليس معناه
ان يكون في الحرف الواحد سبعة اوجه ولكن هذه اللغات السبع مفترقة في القران فبعضه بلغة قريش
وبعضه بلغة هذيل وبعضه بلغة هوازن وبعضه بلغة يمن قال الخطابي على ان في القران ما قد قرئ
بسبعة اوجه وهو قوله وعبد الطاغوت وقوله ارسله معنا غدا نرتع ونلعب وذكر وجوها كانه
يذهب الى ان بعضه انزل على سبعة احرف لا كله والى هذا القول بان القران انزل على سبعة احرف على سبع
لغات ذهب ابو عبيد القاسم بن سلام واختاره ابن عطية قال ابو عبيد وبعض الاحيا اسعد بها
واكثر خطا فيها من بعض وذكر حديث بن شهاب عن انس ان عثمان قال لهم حين امرهم ان يكتبوا المصاحف
ما اختلفتم انتم وزيد فاكتبوه بلغة قريش فانه نزل بلغتهم ذكره البخاري وذكر حديث ابن عباس
قال نزل القران بلغة الكعبيين كعب قريش وكعب خزاعة قيل وكيف ذلك قال لان الدار واحدة قال ابو عبيد
يعني ان خزاعة جيران قريش فاخذوا بلغتهم قال القاضي بن الطيب رضي الله عنه معنى قول عثمان
فانه نزل بلسان قريش يريد معظمه واكثره ولم تقم دلالة قاطعة على ان القران باسره منزل
بلغة قريش وقد قال الله تعالى انا جعلناه قرانا عربيا ولم يقل قرشيا وهذا يدل على انه منزل بجميع لسان
العرب وليس لاحد ان يقول انه اراد قريشا من العرب دون غيرها كما انه ليس له ان يقول اراد لغة
عدنان دون قحطان او ربيعة دون مضر لان اسم العرب يتناول جميع هذه القبايل تناولا واحدا
وقال ابن عبد البر قول من قال ان القران نزل بلغة قريش معناه عندي في الاغلب والله اعلم
لان غير لغة قريش موجودة في صحيح القراات من تحقيق الهمزات ونحوها وقريش لا تهمز وقال
ابن عطية معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم انزل القران على سبعة احرف اي فيه عبارة سبع قبايل بلغة
جملتها نزل القران فيعبر عن المعنى فيه مرة بعبارة قريش ومرة بعبارة هذيل ومرة بغير
ذلك بحسب الافصح والاوجز في اللفظة الا ترى ان فطر معناه عند غير قريش ابتدا فجات
في القران فلم تتجه لابن عباس حتى اختصم اليه اعرابيان في بير فقال احدهما انا فطرتها قال
ابن عباس ففهمت حينئذ موقع قوله فاطر السموات والارض وقال ايضا ما كنت ادري معنى
قوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا حتى سمعت بنت ذي يزن تقول لزوجها تعال افاتحك وكذلك قال
عمر بن الخطاب وكان لا يفهم معنى قوله او ياخذهم على تخوف اي على تنقص لهم وكذلك اتفق لقطبة بن مالك
اذ سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرا في الصلاة والنحل باسقات ذكره مسلم في باب القراة في صلاة الفجر
الى غير ذلك من الامثلة **القول الثالث** ان هذه اللغات السبع انما تكون في مضر قاله قوم واحتجوا
بقول عثمان نزل القران بلغة مضر وقالوا جايز ان يكون منها لقريش ومنها لكنانة ومنها لاسد ومنها
لهذيل ومنها ليتم ومنها لضبة ومنها لقيس قالوا فهذه قبايل مضر تستوعب سبع لغات على هذه
المراتب وقد كان ابن مسعود يحب ان يكون الذين يكتبون المصاحف من مضر وانكر اخرون ان تكون كلها في مضر
وقالوا في مضر شواذ لا يجوز ان يقرا القران بها مثل كشكشة قيس وتمتمة تميم فاما كشكشة قيس
فانهم يجعلون كاف المونث شينا فيقولون في جعل ربك تحتك سريا جعل ربش تحتش شريا واما
تمتمة تميم فيقولون في الناس النات وفي اكياس اكيات قالوا وهذه لغات يرغب عن القران بها
ولا يحفظ عن السلف فيها شي وقال اخرون اما بدل الهمزة عينا وبدل حروف الحلق بعضها من بعض
فمشهور عن الفصحا وقد قرا به الجلة واحتجوا بقراة ابن مسعود ليسجننه عتى حين ذكرها ابو داود
وبقول ذي الرمة • فعيناك عيناها وجيدك جيدها • ولونك الا عنها غير طايل •
يريد الا انها **القول الرابع** ما حكاه صاحب الدلايل عن بعض العلما وحكى نحوه القاضي ابن الطيب قال
تدبرت وجوه الاختلاف في القراة فوجدتها سبعة منها ما تتغير حركته ولا يزول معناه ولا صورته
مثل هن اطهر لكم واطهر ويضيق صدري ويضيق ومنها ما لا تتغير صورته ويتغير معناه بالاعراب
مثل ربنا باعد بين اسفارنا وباعد ومنها ما تبقى صورته ويتغير معناه باختلاف الحروف مثل ننشرها

ونتشرها ومنها ما يتغير صورته ويبقى معناه كالصوف المنفوش وكالصوف المنفوش ومنها ما يتغير صورته ومعناه مثل وطلع منضود وطلع منضود ومنها بالتقديم والتاخير كقوله وجاءت سكرة الموت بالحق وجاءت سكرة الحق بالموت ومنها الزيادة والنقصان مثل قوله تسمع وتسقون نجعة انثى وقوله وأما الغلام فكان كافرا وكان ابواه مومنين وقوله فان الله من بعد اكراههن لهن لغفور رحيم **القول الخامس** ان المراد بالاحرف السبعة معاني كتاب الله تعالى وهي امر ونهي ووعد ووعيد وقصص ومجادلة وامثال قال ابن عطية وهذا ضعيف لان هذا لا يسمى احرفا وايضا فالاجماع ان التوسعة لم تقع في تحليل حلال ولا في تغيير شيء من المعاني وذكر القاضي ابن الطيب في هذا المعنى حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال ولكن ليست هذه هي التي اجاز لهم القراءة بها وانما الحرف في هذه بمعنى الجهة والطريقة ومنه قوله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف فكذلك معنى هذا الحديث على سبع طرائق من التحليل والتحريم وغير ذلك وقد قيل ان المراد بقوله عليه الصلاة والسلام انزل القرآن على سبعة احرف القراءات السبع التي وانها القراءات السبعة لانها كانت صحت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا اليسر بشتى لظهور بطلانه على ما ياتي **فصل** قال الكثير من علمائنا كالداودي وابن ابي صفرة وغيرهما هذه القراءات السبع التي تنسب لهؤلاء السبع ليست هي الاحرف السبعة التي اتسعت الصحابة في القراءة بها وانما هي راجعة الى حرف واحد من تلك السبعة وهو الذي جمع عليه عثمان المصحف ذكره ابن النحاس وغيره وهذه القراءات المشهورة هي اختيارات اولئك الائمة القراء وذلك ان كل واحد منهم اختار فيما روى وعلم وجهه من القراءات ما هو الاحسن عنده والاولى في الترجمة طريقة ورواه واقرائه واشتهر عنه وعرف به ونسب اليه فقيل حرف نافع وحرف ابن كثير ولم يمنع منه واحد اختيار الاخر ولا انكره بل سوغه وجوزه وكل واحد من هؤلاء السبعة روى عنه اختيار ان او اكثر وكل صحيح وقد اجمع المسلمون في هذه الاعصار على الاعتماد على ما صح عن هؤلاء الائمة فيما رووه ورواه من القراءات وكتبوا في ذلك مصنفات فاستمر الاجماع على الصواب وحصل ما وعد الله به من حفظ الكتاب وعلى هذا الائمة المتقدمون والفضلاء المحققون كالقاضي ابي بكر بن الطيب والطبري وغيرهما قال ابن عطية واما الاعصار والامصار على قراءة السبعة وبها يصلى لانها تحتسب بالاجماع واما شاذ القراءات فلا يصلى بها لانه لم يجمع الناس عليه لما ان المروي منه عن الصحابة رضي الله عنهم وعن علماء التابعين لا يعتقد فيه الا انهم رووه واما ما يوثر عن الي السماك ومن قاربه فانه لا يوثق به قال غيره اما شاذ القراءات من المصاحف المتواترة فليست بقرآن ولا يعمل بها على انها منه واحسن بها ملها ان تكون بيانا وتاويل مذهب من نسبت اليه كقراءة ابن مسعود فصيام ثلاثة ايام متتابعات فاما الموضح الراوي بسماعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختلف العلماء في العمل بزيادته على قولين بالنفي والاثبات وجه النفي ان الراوي لم يروه في معرض الخبر الذي يعرض القرآن ولم يكتب فلا يثبت ووجه الثاني انه وان لم يثبت كونه قرآنا فقد ثبت كونه سنة وذلك يوجب العمل كسائر اخبار الاحاد **فصل** في ذكر معنى حديث عمر وهشام قال ابن عطية اباح الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام هذه الحروف السبعة وعارضه بها جبريل في عرضاته على الوجه الذي فيه الاعجاز وجودة الوصف ولم تقع الاباحة في قوله عليه الصلاة والسلام فاقرؤا ما تيسر منه بان يكون كل واحد من الصحابة اذا اراد ان يبدل اللفظ من بعض هذه اللغات جعلها من تلقاء نفسه ولو كان هذا لذهب اعجاز القرآن وكان معرضا ان يبدل هذا وهذا حتى يكون غير الذي نزل من عند الله وانما وقعت الاباحة في الحروف السبعة للنبي صلى الله عليه وسلم ليوسع بها على امته فاقرأه مرة على ما عارضه به جبريل ومرة لا بن مسعود مما عارضه به ايضا وعلى هذا يحمل قراءة عمر من الخطاب لسورة الفرقان وقراءة هشام بن حكيم لها والاختلاف بينهم ان يقول النبي صلى الله عليه وسلم في كل قراءة منها وقد اختلفتما هكذا اقرانيها جبريل هكذا لك الا انه اقراه مرة بهذه ومرة بهذه وعلى هذا يحمل قول انس حين قرا ان ناشئة الليل هي اشد وطا واصوب قيلا فقيل له انما يقرا واقوم قيلا واقوم قيلا واصوب قيلا فقال انما هو اقوم قيلا واهيا واحد فانما معنى هذا انها مروية عن النبي صلى الله عليه وسلم والا فلو كان هذا لاحد من الناس ان يضعه لبطل معنى قوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون روى البخاري ومسلم وغيرهما عن عمر بن الخطاب قال سمعت هشام بن حكيم يقرا سورة الفرقان على غير ما اقرؤها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرانيها فكدت ان اعجل عليه ثم امهلته حتى انصرف ثم لببته برداية فجئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله اني سمعت هذا يقرا سورة الفرقان على غير ما اقرانيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسله اقرا فقرا القراءة التي سمعته يقرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا انزلت ان القرآن انزل على سبعة احرف فاقرؤا ما تيسر منه **قلت** وفي معنى حديث عمر هذا ما رواه مسلم عن ابي بن كعب قال كنت في المسجد فدخل رجل يصلي فقرا قراءة انكرتها عليه ثم دخل اخر فقرا قراءة سوى قراءة صاحبه فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان هذا قرا قراءة انكرتها عليه ودخل اخر فقرا سوى قراءة صاحبه فامرهما النبي صلى الله عليه وسلم فقرا فحسن النبي صلى الله عليه وسلم شانهما فسقط في نفسي من التكذيب ولا اذ كنت في الجاهلية فلما راى النبي صلى الله عليه وسلم

ما قد غشيني ضربة في صدري ففضت عرقا وكاني انظر الى الله تعالى فرقا فقال يا ابي ان ربي ارسل الي ان اقرا القرآن على حرف فرددت اليه ان هون على امتي فرد الي الثانية اقراه على سبعة احرف ولك بكل ردة ردة تسالنيها فقلت اللهم اغفر لامتي اللهم اغفر لامتي واخرت الثالثة ليوم يرغب الي فيه الخلق كلهم حتى ابراهيم عليه السلام • قوله في رضي الله عنه فسقط في نفسي حتى اعتراني جيرة وذهشة اي اصابني نزغة من الشيطان ليشوش علي حاله ويكدر علي وقته فاراد الله عز وجل ان يطرد عنه ذلك بان انشرح صدره ونور باطنه حتى ابصر الكشف والشرح الى حالة المكاشفة فعلم القراءات ما ليس عليها في نفسه والا فاي شيء يلزم من المحال والتكذيب بين اختلاف القراءات ظاهرا يزول ذلك والحمد لله في النسخ الذي وهو اعظم تكيف القراءة لما راى النبي صلى الله عليه وسلم ما اصابه من ذلك الخاطر نهاه ثان ضرب في صدره فاعقب ذلك بان انشرح صدره ونور باطنه حتى ابصر الكشف والشرح الى حالة المكاشفة فعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته شهادة رجلين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه • وقال الترمذي عن قتادة اية من سورة الاحزاب كنت اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا هاهي الى معك من رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه فالتمستها فوجدتها عند خزيمة بن ثابت الذي جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته شهادة رجلين **قلت** فسقطت الاية الاولى من اخر براءة في الجمع الاول على ما قال البخاري والترمذي وفي الجمع الثاني فقد اية من سورة الاحزاب • وحكى الطبري ان اية براءة سقطت له في الجمع الاخير والاول الاصح والله اعلم فان قيل فما وجه جمع عثمان الناس على مصحفه وقد سبقه به ابو بكر الى ذلك وفرع منه قيل له ان عثمان رضي الله عنه لم يقصد بما صنع جمع الناس على تاليف المصحف الا ترى كيف ارسل الى حفصة ان ارسلي الينا بالصحف لننسخها في المصاحف ثم نردها اليك على ما ياتي وانما فعل ذلك عثمان لان الناس اختلفوا في القراءات بسبب تفرق الصحابة في البلدان واشتد الامر في ذلك وعظم اختلافهم وتشتتهم ووقع بين اهل الشام والعراق ما ذكره حذيفة رضي الله عنه وذلك انهم اجتمعوا في غزاة ارمينية فقرات كل طايفة بما روي لها فاختلفوا وتنازعوا واظهر بعضهم الكفار بعض والبراة منه وتلاعنوا فاشفق حذيفة مما راى منهم فلما قدم حذيفة المدينة فيما ذكر البخاري والترمذي دخل الى عثمان قبل ان يدخل الى بيته فقال ادرك هذه الامة قبل ان هلك فقال فيما قال في كتاب الله اني حضرت هذه الغزوة وجمعت ناسا من العراق والشام والحجاز فوصف لها تقدمه وقال اني اخشى عليكم ان تختلفوا في كتابكم كما اختلفت اليهود والنصارى **قلت** وهذا اول دليل على بطلان من قال ان المراد بالاحرف السبعة قراءات القرآن المشتهرة لان الحق لا يختلف فيه • وقد روى سويد بن غفلة عن علي بن ابي طالب ان عثمان قال ما تقرون في المصاحف فان الناس قد اختلفوا في القراءة حتى ان الرجل ليقول ان قراءتي خير من قراءتك وقراءتي افضل من قراءتك وهذا شبيه بالكفر فقلنا ما الذي عندك يا امير المومنين قال الراي ان يجتمع الناس على قراءة فانكم اذا اختلفتم اليوم كان من بعدكم اشد اختلافا قلنا الراي رايك يا امير المومنين فارسل عثمان الى حفصة ان ارسلي الينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها اليك فارسلت بها اليه فامر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد ابن العاص وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام فنسخوها في المصاحف وقال عثمان للرهط القرشيين اذا اختلفتم انتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فانما نزل بلسانهم ففعلوا حتى اذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف الى حفصة فارسل الى كل افق بمصحف مما نسخوا وامر بما سوى ذلك من القرآن في كل صحيفة او مصحف ان يحرق وكان هذا من عثمان رضي الله عنه بعد ان جمع المهاجرين والانصار وحلة اهل الاسلام وشاورهم في ذلك فاتفقوا في جمعه بما صح وثبت من القراءات المشهورة عن النبي صلى الله عليه وسلم واطراح ما سواها واستصوبوا رايه وكان رايا سديدا مو فقا رحمة الله عليه وعليهم اجمعين • وقال الطبري فيما روى ان عثمان قرن يزيد بان بن سعيد بن العاص وحده وهذا ضعيف وما ذكره البخاري والترمذي وغيرهما اصح • وقال الطبري ايضا ان الصحف التي كانت عند حفصة جعلت اماما في هذا الجمع الاخير وهذا صحيح قال ابن شهاب واخبرني عبيد الله بن عبد الله ان عبد الله بن مسعود كره قراءة زيد بن ثابت نسخ المصاحف وقال يتامعشر المسلمين اعزل عن نسخ المصاحف ويتولاها رجل والله لقد اسلمت وانه لفي صلب رجل كافر يريد زيد بن ثابت ولذلك قال عبد الله بن مسعود يا اهل العراق اكتموا المصاحف التي عندكم وغلوها فان الله عز وجل يقول ومن يغلل ياتي بما غل يوم القيامة فالقوا الله بالمصاحف خرجه الترمذي وسياتي الكلام في هذا في سورة الاعمران شاء الله تعالى • قال ابو بكر الانباري ولم يكن الاختيار لزيد من جملة اهل بكر وعثمان وممن علي عبد الله بن مسعود في جمع القرآن وعبد الله افضل من زيد واقدم في الاسلام واكثر سوابق واعظم فضايل الا ان زيدا كان احفظ للقرآن من عبد الله اذ وعاه كله ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي والذي حفظ منه عبد الله في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم نيف وسبعون سورة ثم لعلم الباقي بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم فالذي ختم القرآن وحفظه ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي اولى لجمع المصحف واحق بالايثار والاختيار ولا ينبغي ان يظن جاهل ان في هذا طعنا على عبد الله بن مسعود لان زيدا انما كان احفظ للقرآن منه فليس ذلك موجبا بتقدمه عليه لان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما كان زيد احفظ منهما للقرآن وليس هو

خير منهما ولا مساويا لهما في الفضايل والمناقب • قال ابو بكر وما بدا من عبد الله بن مسعود من نكير ذلك فشيء
نتجه الغضب ولا يعمل به ولا يوخذ به ولا يشك في انه كرم الله وجهه قد عرف بعد زوال الغضب عنه حسن
اختيار عثمان ومن معه من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقي على موافقتهم وترك الخلاف لهم فالشايع
الذايع المتعالم عند اهل الرواية والنقل ان عبد الله بن مسعود تعلم بقية القران بعد وفاة رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقد قال بعض الايمة مات عبد الله بن مسعود قبل ان يختم القران • قال يزيد بن هارون المعوذتان
بمنزلة البقرة وال وال عمران من زعم انهما ليسا من القران فهو كافر بالقران العظيم فقيل له فقول عبد الله بن
مسعود فيهما فقال الاختلاف بين المسلمين في ان عبد الله بن مسعود مات وهو لا يحفظ القران كله **قلت**
هذا فيه نظر وسياتي وروى اسماعيل بن اسحاق وغيره قال حماد اظنه عن انس بن مالك قال كانوا يختلفون في
الاية فيقولون اقراها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلان بن فلان فعسى ان يكون من المدينة على ثلاث ليال
فيرسل اليه فيجابه فيقال كيف اقراك رسول الله صلى الله عليه وسلم اية كذا وكذا فيكتبون كما قال • قال ابن
شهاب واختلفوا يومئذ في التابوت فقال زيد التابوه وقال ابن الزبير وسعيد بن العاصي التابوت
فرفع اختلافهم الى عثمان فقال اكتبوه بالتا فانه نزل بلسان قريش اخرجه البخاري والترمذي • قال ابن عطية
قراة زيد بالها والقرشيون بالتا فاثبتوه بالتا وكتبت المصاحف على ما هو عليه غابر الدهر ونسخ منها عثمان
نسخا • قال غيره قيل سبعة وقيل اربعة وهو الاكثر ووجه بها الى الافاق فوجه للعراق والشام ومصر
بامهات فاتخذها قرا الامصار معتمد اختياراتهم ولم يخالف احد منهم مصحفه على النحو الذي بلغه وما
بين هولا القرا السبعة من الاختلاف في حروف يزيدها بعضهم وينقصها بعضهم فذلك لان كلا منهم اعتمد
على ما بلغه في مصحفه ورواه اذ كان عثمان كتب تلك المواضع في بعض النسخ ولم يكتبها في بعض اشعارا
بان كل ذلك صحيح وان القراة بكل منها جايز • قال ابن عطية ثم ان عثمان امر بما سواها من المصاحف ان تحرق
او تخرق • تروى بالحا غير منقوطة وتروى بالخا على معنى ثم تدفن • ورواية الحا غير منقوطة احسن وذكر
ابو بكر الانباري في كتاب الرد عن سويد بن غفلة قال سمعت علي بن ابي طالب رضي الله عنه يقول يا معشر
الناس اتقوا الله واياكم والغلو في عثمان وقولكم حراق المصاحف فوالله ما حرقها الا عن ملا منا اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم • وعن عمير بن سعيد قال قال علي بن ابي طالب لو كنت الوالي وقت عثمان لفعلت في
المصاحف مثل الذي فعل عثمان • قال ابو الحسن بن بطال وفي امر عثمان بتحريق الصحف والمصاحف حين
جمع القران جواز تحريق الكتب التي فيها اسما الله تعالى وذلك اكرام لها وصيانة عن الوطي بالاقدام وطرحها
في ضياع من الارض • روى معمر عن ابن طاوس عن ابيه انه كان يحرق الصحف اذا اجتمعت عنده الرسايل فيها بسم
الله الرحمن الرحيم وحرق ابن الزبير كتب كانت عنده فقه يوم الحرة وكره ابراهيم ان تحرق الصحف اذا كان فيها
ذكر الله وقول من حرقها اولى بالصواب وقد فعله عثمان وقد قال القاضي ابو بكر لسان الامة جايز للامام تحريق
الصحف التي فيها القران اذا اداه الاجتهاد الى ذلك **فصل** قال العلما رحمة الله عليهم وفي فعل عثمان
رضي الله عنه رد على الحلولية الحشوية القايلين بقدم الحروف والاصوات وان القراة والتلاوة قديمة وان
الايمان قديم والروح قديم • وقد اجمعت الامة من كل امة من النصارى واليهود والبراهمة بل كل ملحد
وموحد ان القديم لا يفعل ولا تتعلق به قدرة قادر بوجه ولا بسبب ولا يجوز العدم على القديم وان القديم
لا يصير محدثا والمحدث لا يصير قديما وان القديم ما لا اول لوجوده وان المحدث هو ما كان بعد ان لم يكن وهذه
الطايفة خرقت اجماع العقلا من اهل الملل وغيرهم فقالوا يجوز ان يصير قديما وان العبد اذا قرا كلام الله تعالى
فعل كلاما لله تعالى قديما وكذلك اذا نحت حروفا من الاجر والخشب او صاغ احرفا من الذهب والفضة او
نسج ثوبا فنقش عليه اية من كتاب الله فقد فعلوا هولا كلام الله قديما وصار كلامه منسوجا قديما ومنحوتا
قديما ومصوغا قديما فيقال لهم ما تقولون في كلام الله تعالى ايجوز ان يذاب ويمحى ويحرق فان قالوا نعم
فارقوا الدين وان قالوا لا قيل لهم فما قولكم في حروف مصورة اية من كتاب الله تعالى من شمع او ذهب
او فضة او خشب او كاغد فوقعت في النار فذابت او احترقت فهل تقولون ان كلام الله احترق فان قالوا
نعم تركوا قولهم وان قالوا لا قيل لهم اليس قلتم ان هذه الكتابة كلام الله وقد احترقت وقلتم ان
هذه الاحرف كلامه وقد ذابت فان قالوا احترقت الحروف وكلامه تعالى باق رجعوا الى الحق والصواب
ودانوا بالجواب وهو الذي قال النبي صلى الله عليه وسلم منبها على ما يقوله اهل الحق لو كان القران في اهاب ثم
وقع في النار ما احترق وقال الله عز وجل انزلت عليك كتابا لا يغسله الما تقروه نايما ويقظان الحديث
اخرجه مسلم فثبت بهذا ان كلامه سبحانه ليس بحرف ولا يشبه الحروف والكلام في هذه المسيلة يطول وتتميمها
في كتب الاصول وقد بيناها في الكتاب الاسنا في شرح اسما الله الحسنى **فصل** وقد طعن الرافضة
قبحها الله تعالى في القران وقالوا ان الواحد يكفي في نقل الاية والحرف كما فعلتم فانكم اثبتم بقول رجل واحد

وهو

وهو خزيمة بن ثابت وحده اخر براة وقوله من المومنين رجال فالجواب ان خزيمة رضي الله عنه لما جاء
بهما تذكرهما كثير من الصحابة وقد كان زيد يعرفها ولذلك قال فقدت ايتين من اخر سورة التوبة
ولو لم يعرفها لم يدر هل فقد شيا ام لا فالاية انما ثبتت بالاجماع لا بخزيمة وحده جواب ثان
انما ثبتت بشهادة خزيمة وحده لقيام الدليل على صحتهما في صفة النبي صلى الله عليه وسلم فهي قرينة تغني
عن طلب شاهد اخر بخلاف اية الاحزاب فان تلك ثبتت بشهادة زيد وابي خزيمة لسماعهما اياها من
النبي صلى الله عليه وسلم قال معناه المهلب • وذكر ان خزيمة غير ابي خزيمة وان ابا خزيمة التي وجدت معه
اية التوبة معروف من الانصار وقد عرفه انس وقال نحن ورثناه والتي في الاحزاب وجدت مع خزيمة
ابن ثابت فلا تعارض والقصة غير القصة لا اشكال فيها ولا التباس • وقال ابن عبد البر ابو خزيمة
لا يوقف على صحة اسمه وهو مشهور بكنيته وهو ابو خزيمة بن اوس بن زيد بن اصرم بن ثعلبة بن غنم
ابن مالك بن النجار شهد بدرا وما بعدها من المشاهد وتوفي في خلافة عثمان بن عفان وهو اخو
مسعود بن اوس قال ابن شهاب عن عبيد بن السباق عن زيد بن ثابت وجدت اخر التوبة مع ابي خزيمة
الانصاري وهو هذا ليس بينه وبين الحارث بن خزيمة ابي خزيمة نسب الا اجتماعهما في الانصار احدهما
اوسي والاخر خزرجي وفي مسلم والبخاري عن انس قال جمع القران على عهد النبي صلى الله عليه وسلم اربعة كلهم
من الانصار ابي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وابو زيد **قلت** لانس من ابو زيد قال احد عمومتي
وفي البخاري ايضا عن انس قال مات النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجمع القران غير اربعة ابو الدردا ومعاذ
ابن جبل وزيد وابو زيد ونحن ورثناه • وفي اخرى قال مات ابو زيد ولم يترك عقبا وكان بدريا واسم
ابي زيد سعد بن عبيد قال ابن الطيب رضي الله عنه لا تدل هذه الاثار على ان القران لم يحفظ في
حياة النبي صلى الله عليه وسلم وانه لم يجمعه غير اربعة من الانصار كما قال انس بن مالك فقد ثبت بالطرق
المتواترة انه جمع القران عثمان وعلي وتميم الداري وعبادة بن الصامت وعبد الرحمن بن عمرو بن العاص
فقول انس لم يجمع القران غير اربعة يحتمل انه لم يجمع القران واخذه تلقيا من في رسول الله صلى الله عليه وسلم
غير تلك الجماعة فان اكثرهم اخذ بعضه عنه وبعضه عن غيره وقد تظاهرت الروايات بان الايمة الاربعة
جمعوا القران على عهد النبي صلى الله عليه وسلم لاجل سبقهم الى الاسلام واعظام الرسول صلى الله عليه وسلم لهم
قلت لم يذكر القاضي عبد الله بن مسعود وسالم مولى ابي حذيفة رضي الله عنهما فيما رايت وهما
ممن جمع القران • روى جرير عن عبد الله بن يزيد الصهباني عن كميل قال قال عمر بن الخطاب كنت مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر ومن شا الله فمررنا بعبد الله وهو يصلي فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من هذا الذي يقرا القران فقيل له هذا عبد الله بن ام عبد فقال ان عبد الله يقرا القران غضا كما
انزل الحديث قال بعض العلما معنى قوله غضا كما انزل اي انه كان يقرا الحرف الاول الذي انزل عليه القران دون
الحروف السبعة التي رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم في قراته عليها بعد معارضة جبريل عليه السلام القران
اياه في كل رمضان • وقد روى وكيع وجماعة معه عن الاعمش عن ابي ظبيان قال قال لي عبد الله بن عباس
اي القراتين تقرا **قلت** القراة الاولى قراة ام عبد فقال لي بل الاخرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يعرض القران على جبريل في كل عام مرة فلما كان العام الذي قبض فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضه عليه
مرتين فحضره عبد الله فعلم ما نسخ من ذلك وما بدل • وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول خذوا القران من اربعة من ابن ام عبد فبدا به ومعاذ بن جبل وابي بن كعب وسالم
مولى ابي حذيفة **قلت** هذه الاخبار تدل على ان عبد الله جمع القران في حياة رسول الله صلى الله عليه
وسلم خلاف ما تقدم فالله اعلم وقد ذكر ابو بكر الانباري في كتاب الرد حديثا محمد بن شهريار ثنا حسين بن
ابن الاسود نا يحيى بن ادم عن ابي بكر عن ابي اسحاق قال قال عبد الله بن مسعود قرات من في رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثنتين وسبعين سورة او ثلاثا وسبعين سورة وقرات عليه من البقرة الى يحب التوابين ويحب
المتطهرين • قال ابو اسحاق وتعلم عبد الله بقية القران من مجمع بن جارية الانصاري • **قلت**
فان صح هذا مع الاجماع الذي ذكره يزيد بن هارون فلذلك لم يذكره القاضي ابو بكر بن الطيب مع من جمع
القران وحفظه في حياة النبي صلى الله عليه وسلم والله اعلم • قال ابو بكر الانباري حدثني ابراهيم بن موسى الجوزي
ثنا يوسف بن موسى بن مالك بن اسماعيل ثنا زهير عن ابي اسحاق قال سالت الاسود ما كان عبد الله يصنع
بسورة الاعراف فقال ما كان تعلمها حتى قدم الكوفة قال وقد قال بعض اهل العلم مات عبد الله بن مسعود
رحمه الله قبل ان يتعلم المعوذتين فلهذه العلة لم توجدا في مصحفه وقيل غير هذا على ما ياتي بيانه اخر الكتاب
عند ذكر المعوذتين ان شا الله تعالى • قال ابو بكر والحديث الذي حدثناه ابراهيم بن موسى نا يوسف بن موسى
نا عمر بن هارون الخراساني عن ربيعة بن عباس عن محمد بن كعب القرظي قال كان ممن ختم القران ورسول الله صلى

الله عليه وسلم حي عثمان بن عفان وعلي بن ابي طالب رضي الله عنه وعبد الله بن مسعود حديث ليس بصحيح عند اهل
العلم انما هو مقصور على محمد بن كعب فهو مقطوع لا يؤخذ به ولا يعمل عليه **قلت** قوله عليه السلام خذوا
القران من اربعة من ابن ام عبد يدل على صحته ومما يبين لك ذلك ان اصحاب القراات من اهل الحجاز والشام
والعراق كل منهم عزا قراته التي اختارها الى رجل من الصحابة قراها على رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يستثن من جملة القران شيا فاسند عاصم قراته الى علي وابن مسعود واسند ابن كثير قراته الى ابي
واما عبد الله بن عامر فانه اسند قراته الى عثمان وهولا كلهم يقولون قرانا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
واسانيد هذه القراات متصلة ورجالها ثقات قاله الخطابي **باب ما جا في ترتيب سور
القران واياته وشكله ونقطه وتحزيبه وتعشيره** وعدد حروفه واجزائه وكلماته وآية قال
ابن الطيب ان قال قائل قد اختلف السلف في ترتيب سور القران فمنهم من كتب في مصحفه الحمد ومنهم
من جعل في اوله اقرا باسم ربك وهذا اول مصحف علي رضي الله عنه واما مصحف ابن مسعود فان اوله
مالك يوم الدين ثم البقرة ثم النسا على ترتيب مختلف وفي مصحف ابي كان اوله الحمد لله ثم النسا ثم ال
عمران ثم الانعام ثم الاعراف ثم المائدة ثم كذلك على اختلاف شديد قال القاضي ابو بكر بن الطيب فالجواب
انه يحتمل ان يكون ترتيب السور على ما هي عليه اليوم في المصحف كان على وجه الاجتهاد من الصحابة وذكر ذلك
مكي رحمه الله في تفسير سورة براة وذكر ان ترتيب الايات في السور ووضع البسملة في الاوايل هو من النبي صلى الله
عليه وسلم ولما لم يامر بذلك في اول سورة براة تركت بلا بسملة هذا اصح ما قيل في ذلك وسياتي وذكر ابن
وهب في جامعه قال سمعت سليمان بن بلال يقول سمعت ربيعة يسال لم قدمت البقرة وال عمران وقد نزل
قبلهما بضع وثمانون سورة وانما نزلتا بالمدينة فقال ربيعة قد قدمتا والف القران على علم ممن الفه وقد
اجتمعوا على العلم بذلك فهذا مما ينتهي ولا يسال عنه • وذكر سنيد قال نا معتمر عن سلام بن مسكين
عن قتادة قال قال ابن مسعود من كان منكم متاسيا فليتاس باصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فانهم
كانوا ابر هذه الامة قلوبا واعمقها علما واقلها تكلفا واقومها هديا واحسنها حالا اختارهم الله
لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم واقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في اثارهم فانهم كانوا
على الهدى المستقيم وقال قوم من اهل العلم ان تاليف سور القران على ما هو عليه في مصحفنا كان عن توقيف
من النبي صلى الله عليه وسلم واما ما روي من اختلاف مصحف ابي وعبد الله وابي انما كان قبل العرض الاخير وان
رسول الله صلى الله عليه وسلم رتب لهم تاليف السور بعد ان لم يكن فعل ذلك روى يونس عن ابن وهب
قال سمعت مالكا يقول انما الف القران على ما كانوا يسمعونه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر ابو
بكر الانباري في كتاب الرد ان الله تعالى انزل القران جملة الى سما الدنيا ثم فرق على النبي صلى الله عليه وسلم
عشرين سنة فكانت السورة تنزل في امر يحدث والاية جوابا لمستخبر يسال ويقف جبريل رسول الله
صلى الله عليه وسلم على موضع السورة والاية فاتساق السور كاتساق الايات والحروف فكله عن محمد خاتم
النبيين عليه السلام عن رب العالمين فمن اخر سورة مقدمة او قدم اخرى موخرة كمن افسد نظم الايات
وغير الحروف والكلمات ولا حجة على اهل الحق في تقديم البقرة على الانعام والانعام نزلت قبل البقرة لان رسول
الله صلى الله عليه وسلم عنه اخذ هذا الترتيب وهو كان يقول ضعوا هذه السورة موضع كذا وكذا من القران
وكان جبريل عليه السلام يقف على مكان الايات • حدثنا حسن بن الحباب نا ابو هشام نا ابو بكر عن عياش عن ابي
اسحاق عن البرا قال اخر ما نزل يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة قال ابو بكر بن عياش واخطا ابو اسحاق لان
محمد بن السايب حدثنا عن ابي السايب عن ابن عباس قال اخر ما نزل من القران واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم
توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون فقال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم يا محمد ضعها في راس ثمانين ومايتين
من البقرة قال ابو الحسن بن بطال ومن قال بهذا القول ان تلاوة القران في الصلاة والدرس يجب ان يكون مرتبا
على حسب الترتيب الموقف عليه في المصحف بل انما يجب تاليف سورة في الرسم والخط خاصة ولا نعلم
ان احدا منهم قال ان ترتيب ذلك في الصلاة وفي قراة القران ودرسه ولا يحل لاحد ان يتلقن الكهف قبل
البقرة ولا الحج بعد الكهف الا ترى قول عايشة رضي الله تعالى عنها للذي سالها لا يضرك اية قرات قبل وقد
كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرا في الصلاة السورة في ركعة ثم يقرا في ركعة اخرى بغير السورة التي تليها
واما ما روي عن ابن مسعود وابن عمر انهما كرها ان يقرا القران منكوسا وقالا ذلك منكوس القلب فانما عنيا
بذلك من يقرا السورة منكوسة ويبتدي من اخرها الى اولها لان ذلك حرام محظور ومن الناس من يتعاطى
هذا في القران والشعر ليذلل لسانه بذلك ويقدره على الحفظ وهذا حظره الله تعالى ومنعه في القران لانه افساد
لسورة ومخالفة لما قصد بها ومما يدل على انه لا يجب اثباته في المصاحف على تاريخ نزوله ما صح وثبت ان
الايات كانت تنزل بالمدينة فتوضع في السورة المكية الا ترى قول عايشة رضي الله عنها وما نزلت

لا يقول ع

سورة

سورة البقرة والنسا الا وانا عنده تعني بالمدينة وقد قدمنا في المصحف على ما نزل قبلهما من القران بمكة
ولو الفوه على تاريخ النزول لوجب ان ينتقض ترتيب ايات السور • قال ابو بكر الانباري حدثنا اسمعيل
ابن اسحاق القاضي نا حجاج بن منهال نا همام عن قتادة قال نزل بالمدينة من القران البقرة • وال عمران
والنسا • والمائدة • والانفال وبراة • والرعد • والنحل • والحج • والنور • والاحزاب • ومحمد •
والفتح • والحجرات • والرحمن • والحديد • والمجادلة والحشر • والممتحنة • والصف • والجمعة • والمنافقون
والطلاق • ويايها النبي لم تحرم الى راس العشر • واذا زلزلت • واذا جا نصر الله • هولا السور نزلت بالمدينة
وساير القران نزل بمكة • قال ابو بكر فمن عمل على ترك الاثر والاعراض عن الاجماع ونظم السور على منازلها بمكة والمدينة
لم يدر اين تقع الفاتحة لاختلاف الناس في موضع نزولها ويضطر الى تاخير الاية التي في راس خمس وثلاثين
ومايتين من البقرة الى راس الاربعين ومن افسد نظم القران فقد كفر به ورد على محمد صلى الله عليه وسلم ما حكاه
عن ربه تعالى • وقد قيل ان علة تقديم المدني على المكي هو ان الله تعالى خاطب العرب بلغتها وما تعرف من افانين
خطابها ومحاورتها فلما كان قرن من كلامهم مبنيا على تقديم الموخر وتاخير المقدم خوطبوا بهذا المعنى في كتاب
الله الذي لو فقدوه من القران لقالوا ما باله عري عن هذا الباب الموجود في كلامنا المستحلى من نظامنا
قال عبيد بن الابرص • ان تبدلت من اهلها وحوشا • وغيرت حالها الخطوب •
• عيناك دمعهما سروب • كان شانيهما شعيب •
اراد عيناك دمعهما سروب لان تبدلت من اهلها وحوشا وحوشا فقدم الموخر واخر المقدم ومعنى سروب
منصب على وجه الارض من كثرته ومنه السارب للذاهب على وجهه في الارض قال الشاعر •
اني سربت وكنت غير سروب • وقوله شانيهما الشان واحد الشون وهي مواصل قبايل الراس وملتقاها
ومنها تجي الدموع • شعيب متفرق **فصل** واما شكل المصحف ونقطه • فروي ان عبد الملك
ابن مروان امر به وعمله فتجرد لذلك الحجاج بواسط وجد فيه وزاد تحزيبه وامر وهو والي العراق
الحسن ويحيى بن يعمر بذلك والف اثر ذلك بواسط كتابا في القراات جمع فيه ما روي من اختلاف
الناس فيما وافق الخط ومشى الناس على ذلك زمانا طويلا الى ان الف ابن مجاهد كتابه في القراات
واسند الزبيدي في كتاب الطبقات الى المبرد ان اول من نقط المصحف ابو الاسود الدولي وذكر
ايضا ان ابن سيرين كان له مصحف نقطه له يحيى بن يعمر **فصل** واما وضع الاعشار فقال
ابن عطية مر بي في بعض التواريخ ان المامون العباسي امر بذلك وقيل ان الحجاج فعل ذلك وذكر ابو عمرو
الداني في كتاب البيان له عن عبد الله بن مسعود انه كره التعشير في المصحف وانه كان يحكه • وعن مجاهد
انه كره التعشير والطيب في المصحف • وقال اشهب سمعت مالكا وسيل عن العشور التي تكون في المصحف
بالحمرة وغيرها من الالوان فكره ذلك وقال تعشير المصحف بالحبر لا باس به • وسيل عن المصاحف يكتب
فيها خواتيم السور في كل سورة ما فيها من اية قال اني اكره ذلك في امهات المصاحف ان يكتب فيها شي او
تشكل فاما ما يتعلم به الغلمان من المصاحف فلا ارى به باسا قال اشهب ثم اخرج الينا مصحفا لجده كتبه
اذ كتب عثمان المصاحف فراينا خواتمه من حبر على عمل السلسلة في طول السطر ورايته معجوم الاي بالحبر
وقال قتادة بدوا فنقطوا ثم خمسوا ثم عشروا • وقال يحيى بن ابي كثير كان القران مجردا في المصاحف فاول ما احدثوا
فيه النقط على البا والتا والثا وقالوا لا باس به هو نور له ثم احدثوا نقطا عند منتهى الاي ثم احدثوا
الفواتح والخواتم • وعن ابي حمزة قال راى ابراهيم النخعي في مصحفي فاتحة سورة كذا وكذا فقال لي امحه
فان عبد الله بن مسعود قال لا تخلطوا في كتاب الله ما ليس فيه • وعن ابي بكر السراج قال قلت لابي رزين
اكتب في مصحفي سورة كذا وكذا قال اني اخاف ان ينشا قوم لا يعرفونه فيظنونه من القران • قال
الداني رضي الله عنه وهذه الاخبار كلها تؤذن بان التعشير والتخميس وفواتح السور ورؤس الاي من
عمل الصحابة رضي الله عنهم فاداهم الى عمله الاجتهاد وارى ان من كره ذلك منهم ومن غيرهم انما كره ان
يعمل بالالوان كالحمرة والصفرة وغيرهما على ان المسلمين في ساير الافاق قد اطبقوا على جواز ذلك واستعماله
في الامهات وغيرها والحرج والخطا مرتفعان عنهم فيما اطبقوا عليه ان شا الله **فصل** واما عدد
حروفه واحزابه فروى سلام ابو محمد الحماني ان الحجاج بن يوسف جمع القرا والحفاظ والكتاب فقال اخبروني
عن القران كله كم من حرف هو قال وكنت فيهم فحسبنا واجمعنا على ان القران ثلثماية الف حرف واربعون الف
حرف وسبعماية حرف واربعون حرفا قال فاخبروني الى اي حرف ينتهي نصف القران فاذا هو في الكهف وليتلطف
في الفا قال فاخبروني باثلاثه فاذا الثلث الاول راس ماية من براة • والثلث الثاني راس ماية او احدى
وماية من طسم الشعرا • والثلث الثالث ما بقي من القران قال فاخبروني باسباعه على الحروف فاذا اول سبع
في النسا فمنهم من امن به ومنهم من صد في الدال • والسبع الثاني في الاعراف اوليك حبطت في التاء

بن ع

والسبع الثالث في الرعد اكلها دايم في الالف من اخر اكلها والسبع الرابع في الحج ولكل امة جعلنا منسكا في الالف
والسبع الخامس في الاحزاب وما كان لمومن ولا مومنة في الها والسبع السادس في الفتح الظانين بالله ظن
السوء في الواو والسبع السابع ما بقي من القران • قال سلام ابو محمد علمناه في اربعة اشهر • وكان الحجاج يقرا في كل ليلة ربعا
فاول ربعه خاتمة الانعام والربع الثاني في الكهف وليتلطف • والربع الثالث خاتمة الزمر • والربع الرابع
ما بقي من القران • وفي هذه الجملة خلاف مذكور في كتب البيان لابي عمرو الداني من اراد الوقوف عليه وجده هناك

فصل واما عدد اي القران في المدني الاول فقال محمد بن عيسى جميع عدد اي القران في المدني ستة الاف
اية قال ابو عمرو وهو العدد الذي رواه اهل الكوفة عن اهل المدينة لم يسموا في ذلك احدا بعينه يسندونه
اليه واما المدني الاخير فهو في قول اسمعيل بن جعفر ستة الاف اية ومايتا اية واربع عشرة اية وقال
الفضل عدد اي القران في قول المكيين ستة الاف اية ومايتان وتسع عشرة اية قال محمد بن عيسى وجميع
عدد اي القران في قول الكوفيين ستة الاف ومايتا اية وثلاثون وست ايات وهو العدد الذي رواه سليم
والكسائي عن حمزة واسنده الكسائي الى علي رضي الله عنه قال محمد وجميع اي القران في عدد البصريين ستة الاف
ومايتان واربع ايات وهو العدد الذي مضى عليه خلفهم حتى الان واما عدد اهل الشام فقال يحيى بن الحارث
الذماري ستة الاف ومايتان وست وعشرون وفي رواية ستة الاف ومايتان وخمس وعشرون نقص
اية قال ابن ذكوان فظننت يحيى لم يعد بسم الله الرحمن الرحيم قال ابو عمرو فهذه الاعداد التي يتداولها
الناس تاليفا ويعدون بها في ساير الافاق قديما وحديثا • واما كلماته فقال الفضل بن شاذان جميع
كلام القران في قول عطا بن يسار سبعة وسبعون الفا واربعماية وتسع وثلاثون كلمة وحروفه
ثلثماية الف وثلاثة وعشرون الفا وخمسة عشر حرفا **قلت** هذا يخالف ما تقدم عن الحماني قبل هذا وقال
عبد الله بن كثير عن مجاهد قال هذا ما احصينا من القران وهو ثلثماية الف حرف واحد وعشرون الف حرف
وماية وثمانون حرفا

باب ذكر معنى السورة والاية والكلمة والحرف معنى السورة في كلام
العرب الابانة لها من سورة اخرى وانفصالها عنها وسميت بذلك لانه يرتفع فيها من منزلة الى منزلة
قال النابغة • الم تر ان الله اعطاك سورة • ترى كل ملك دونها يتذبذب •
اي منزلة شرف ارتفعت اليها عن منزل الملوك وقيل سميت بذلك لشرفها وارتفاعها كما يقال لما ارتفع
لما ارتفع من الارض سور وقيل سميت بذلك لان قاريها يشرف على ما لم تكن عنده كسور البنا كله بغير
همز وقيل سميت بذلك لانها قطعة من القران على حدة من قول العرب للبقية سور وجا في اسار الناس
اي بقاياهم فعلى هذا تكون الاصل سورة بالهمز ثم خففت فابدلت واوا لانضمام ما قبلها وقيل
سميت بذلك لتمامها وكمالها من قول العرب للناقة التامة سورة وجمع سورة سور بفتح الواو
وقال الشاعر • سود المحاجر لا يقران بالسور • ويجوز ان يجمع على سورات وسورات • واما الاية فهي
العلامة بمعنى انها علامة لانقطاع الكلام الذي قبلها من الذي بعدها وانفصاله اي هي بائنة من اختها
ومنفردة وتقول العرب بيني وبين فلان اية اي علامة ومن ذلك قوله تعالى ان اية ملكه وقال النابغة
• توهمت ايات لها فعرفتها • لستة اعوام وذا العام سابع •
وقيل سميت اية لانها جماعة حروف من القران وطايفة منه كما يقال خرج القوم بايتهم اي بجماعتهم قال
برج بن مسهر الطاي • خرجنا من اليقين لاحي مثلنا • باينا ترجي اللقاح المطافلا •
وقيل سميت اية لانها عجب يعجز البشر عن التكلم بمثلها • واختلف النحويون في اصل اية فقال سيبويه
ايية على فعلة مثل اكمة وشجرة فلما تحركت اليا وانفتح ما قبلها انقلبت الفا فصارت اية بهمزة
بعدها مدة وقال الكسائي اصلها ايية على وزن فاعلة مثل امنة فقلبت اليا الفا لتحركها وانفتاح
ما قبلها ثم حذفت لالتباسها وقال الفرا اصلها ايية بتشديد اليا الاولى فقلبت الفا كراهة للتشديد
فصارت اية وجمعها اي واياي وايات وانشد ابو زيد •
• لم يبق هذا الدهر من اياته • غير اثافيه وارمذايه •
واما الكلمة فهي السورة القايمة بجميع ما يختلط بها من الشبهات اي الحروف واطول الكلم في كتاب الله
عز وجل ما بلغ عشرة احرف نحو قوله ليستخلفنهم وانلزمكموها وشبههما فاما قوله فاسقيناكموه فهو
عشرة احرف في الرسم واحد عشر في اللفظ واقصرهن ما كان على حرفين نحو ما ولا ولك وله وما اشبه
ذلك ومن حروف المعاني ما هو من كلمة واحدة مثل همزة الاستفهام وواو العطف الا انه لا ينطق به
مفردا وقد تكون الكلمة وحدها اية تامة نحو قوله والفجر والضحى والعصر وكذلك الم والمص وطه
ويس وحم في قول الكوفيين وذلك في فواتح السور فاما في حشوهن فلا قال ابو عمرو الداني ولا اعلم
كلمة هي وحدها اية الا قوله في الرحمن مدهامتان لا غير وقد اتت كلمتان متصلتان وهما ايتان

وذلك

وذلك في قوله حم عسق على قول الكوفيين لا غير وقد تكون الاية الكلمة في غير هذا الاية التامة والكلام
القايم بنفسه وان كان اكثر او اقل قال الله عز وجل وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرايل بما صبروا قيل
انما يعني بالكلمة هاهنا قوله تعالى ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض الى اخر الايتين وقال
عز وجل والزمهم كلمة التقوى قال مجاهد لا اله الا الله وقال النبي صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان
على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وقد تسمي العرب
القصيدة باسرها والقصة كلها كلمة فيقولون قال قس في كلمته كذا اي في خطبته وقال زهير في كلمته
كذا اي في قصيدته وقال فلان في كلمته يعني في رسالته فتسمي جملة الكلام كلمة اذا كانت الكلمة منها
على عادتهم في تسميتهم الشي باسم ما هو منه وما قاربه وجاوره وكان بسبب منه مجازا واتساعا واما
الحرف فهو الشبهة القايمة وحدها من الكلمة وقد يسمى الحرف كلمة والكلمة حرفا على ما بيناه من الاتساع
والمجاز قال ابو عمرو الداني فان قيل فكيف يسمى ما جا من حروف الهجا في الفواتح على حرف واحد نحو ص
وق ون حرفا او كلمة **قلت** كلمة لا حرفا وذلك من جهة ان الحرف لا يسكت عليه ولا ينفرد وحده في
الصورة ولا ينفصل مما يختلط به وهذه الحروف مسكوت عليها منفردة منفصلة كانفراد الكلم وانفصالها
فلذلك سميت كلمات لا حروفا قال ابو عمرو وقد يكون الحرف في غير هذا المذهب والوجه قال الله عز وجل
ومن الناس من يعبد الله على حرف اي على وجه ومذهب ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم انزل القران
على سبعة احرف اي على سبعة اوجه من اللغات والله اعلم

باب هل ورد في القران كلمات خارجة عن لغات العرب اولا لا خلاف بين الامة انه ليس في القران كلام مركب على اساليب غير العرب
وان فيه اسما اعلاما لمن لسانه غير لسان العرب كاسرايل وجبريل وعمران ونوح ولوط واختلفوا هل
وقع فيه الفاظ غير اعلام مفردة من غير كلام العرب فذهب القاضي ابو بكر بن الطيب والطبري وغيرهما
الى ان ذلك لا يوجد فيه وان القران عربي صريح وما وجد فيه من الالفاظ التي تنسب الى ساير اللغات
انما اتفق فيها ان توارد اللغات فتكلمت بها العرب والفرس والحبشة وغيرهم وذهب بعضهم الى
وجودها فيه وان تلك الالفاظ لقلتها لا تخرج القران عن كونه عربيا مبينا ولا الرسول عن كونه متكلما
بلسان قومه فالمشكاة الكوة ونشا قام من الليل ومنه ان ناشية الليل ويوتكم كفلين اي ضعفين وفرت
من قسورة اي الاسد كله بلسان الحبشة والغساق البارد المنتن بلسان الترك والقسطاس الميزان
بلغة الروم والسجيل الحجارة والطين بلسان الفرس والطور الجبل واليم بالسريانية والتنور وجه الارض
بالعجمية قال ابن عطية فحقيقة العبارة عن هذه الالفاظ انها في الاصل اعجمية لكن استعملتها العرب وعربتها
فهي عربية بهذا الوجه وقد كان للعرب العاربة التي نزل القران بلسانها بعض مخالطة لساير الالسنة
بتجارات وبرحلتي قريش وكسفر مسافر بن ابي عمرو الى الشام وسفر عمر بن الخطاب وكسفر عمرو بن العاصي وعمارة
ابن الوليد الى ارض الحبشة وكسفر الاعشى الى الحيرة وصحبته لنصارا هما مع كونه حجة في اللغة فعلقت
العرب بهذا كله الفاظا اعجمية غيرت بعضها بالنقص من حروفها وجرت الى نقل تخفيف العجمة واستعملتها
في اشعارها ومحاوراتها حتى جرت مجرى العربي الصحيح ووقع بها البيان وعلى هذا الحد نزل بها القران
فان جهلها عربي ما فكجهل الصريح بما في لغة غيره كما لم يعرف ابن عباس معنى فاطر الى غير ذلك قال
ابن عطية وما ذهب اليه الطبري رحمه الله من اللغتين اتفقتا في لفظة لفظة فذلك بعيد بل احدهما
اصل والاخر فرع لا انا ندفع ايضا جواز الاتفاق قليلا شاذا قال غيره والاول اصح وقوله هي اصل
في كلام غيرهم دخيلة في كلامهم ليس باولى من العكس فان العرب لا تخلو اما ان تكون تخاطبت بها اولا فان كان
الاول فهي من كلامهم اذ لا معنى للغتهم وكلامهم الا ما كان كذلك عندهم ولا يبعد ان يكون غيرهم قد وافقهم
على بعض كلماتهم وقد قال ذلك الامام الكبير ابو عبيدة فان قيل ليست هذه الكلمات على اوزان كلام
العرب فلا تكون منه قلنا ومن سلم لكم انكم حصرتم اوزانهم حتى تخرجوا هذه منها فقد بحث القاضي عن
اصول اوزان كلام العرب ورد هذه الاسما اليها على الطريقة النحوية واما ان لم تكن العرب تخاطبت بها ولا
عرفتها استحال ان يخاطبهم الله تعالى بما لا يعرفون وحينيذ لا يكون القران عربيا مبينا ولا يكون الرسول
مخاطبا لقومه بلسانهم والله اعلم

باب ذكر نكت في اعجاز القران وشرايط المعجزة وحقيقتها المعجزة واحد معجزات الانبيا الدالة على صدقهم صلوات الله عليهم وسميت معجزة
لان البشر يعجزون عن الاتيان بمثلها وشرايطها خمسة فان اختل منها شرط لا تكون معجزة • فالشرط
الاول من شروطها ان تكون مما لا يقدر عليها الا الله سبحانه وانما وجب حصول هذا الشرط للمعجزة لانه
لو اتى ات في زمان يصح فيه مجي الرسول وادعى الرسالة وجعل معجزته ان يتحرك ويسكن ويقوم ويقعد
لم يكن هذا الذي ادعاه معجزة له ولا دالا على صدقه لقدرة الخلق على مثله وانما يجب ان تكون المعجزات

كخلق البحر وانشقاق القمر وما شاكلها تماما لا يقدر عليه البشر • والشرط الثاني هو ان تخرق العادة وانما
وجب اشتراط ذلك لانه لو قال المدعي للرسالة اني ابتي بحي الليل بعد النهار وطلوع الشمس من مشرقها
لم يكن فيما ادعاه معجزة لان هذه الافعال وان كان لا يقدر عليها الا الله فلم تفعل من اجله وقد كانت •
قبل دعواه عليها جارية على عادة الله في اجراء دعواه في دلالتها على نبوته كدعوى غيره فبان انه لا وجه له
لاستشهاده بها على صدقه والذي يستشهد به الرسول عليه السلام له وجه يدل على صدقه وذلك
ان يقول الدليل على صدقي ان يخرق الله تعالى العادة من اجل دعواي عليه الرسالة فيتعذب هذه المعصية فيما
ويشق الجبل ويخرج من وسطه ناقة او ينبع الماء من بين اصابعي بدل ما ينبعه من العين او ما شاكل ذلك من الآيات
الخارقة للعادة اي الذي يتعذر بها جبال الارض والسموات فتقوم له هذه العلامات مقام قول الرب سبحانه
لو اسمعنا كلامه العزيز وقال صدق ما يقوله محمد وكذبه وشاهد هذه المسئلة وبيانه المثل الاعلى ما لو كانت
جماعة بحضرة ملك من ملوك الارض وهم بمرأى او مسمع منه فقال احد رجاله والملك يسمعه للملك بابي انتم
ايها الجماعة فلانا وكذا وقد ليذ لك ان الملك يصدقني بفعل كل فعاله وهو ان يخرج خاتمه من يده قاصدا
بذلك تصديقي فاذا اسمع الملك كلامه لهم • ودعواه فيهم ثم عمل ما استشهد به على صدقه قام ذلك مقام
قوله لو قال اصدق فيما ادعاه على ذلك اذا عمل الله عملا لا يقدر عليه الا هو وخرق به العادة على يد الرسول
قام ذلك الفعل مقام كلامه تعالى لو سمعناه وقال صدق عبدي في دعوى الرسالة واطيعوا رسلي الكرام
فاسمعوا له واطيعوا • والشرط الثالث هو ان يستشهد بعامد على الرسالة على الله عز وجل فيقول اني
ان يقلب الله سبحانه هذا الماء دما او يحرك الارض عند قولي لها تزلزلي فاذا فعل الله سبحانه ذلك حصل
المتحدى به • والشرط الرابع هو ان يقع على وفق دعوى المتحدي بها المشتهر بكونها معجزة له وانما وجب
اشتراط هذا الشرط لانه لو قال المدعي للرسالة اية ينوني ودليل مجتي ان تنطق يدي او هذه الدابة فنطقت
يده او الدابة بان قالت كذب وليس هو نبي فان هذا الكلام الذي خلقه الله تعالى دالا على كذب ذلك المدعي
للرسالة لان ما فعله الله لم يقع على وفق دعواه وكذلك ما يروى من ان مسيلمة الكذاب لعنه الله تفل في بير
ليكثر ماؤها فغارت البير وقعدت عما كان فيها من الماء فعل الله سبحانه هذا كان من الآيات المكذبة لمن ظهرت
على يديه لا انها وقعت على خلاف ما اراده المتنبي الكذاب • والشرط الخامس من شروط المعجزة ان لا يأتي احد
بمثل ما اتى به المتحدى على وجه المعارضة فان تمام الامر المتحدى به المستشهد به على النبوة على هذا الشرط
مع الشروط المتقدمة تسمى معجزة ودالة على نبوة من ظهرت على يديه فان اقام الله تعالى من يعارضه حتى يأتي
بمثل ما اتى به ويعمل مثل ما عمل بطل كونه نبيا وخرج ما ظهر على يديه عن كونه معجزا ولم يدل على صدقه
وهذا قال المولى سبحانه فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين وقال امر يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور
مثله مفتريات كانه يقول لان ادعيتم ان هذا القرآن من نظم محمد صلى الله عليه وسلم وعمله فاعملوا عشر سور من
جنس نظمه فان عجزتم وايسركم عزفه لذلك فاعلموا انه ليس من نظمه ولا من عمله • لا يقال ان المعجزات المقيدة
بالشروط الخمسة لا تظهر الا على يدي الصادقين فمن اين لهذا المسيح الدجال فيما يروى عن نبيكم صلى الله عليه وسلم
يظهر على يديه من الآيات العظام والامور الجسام ما هو معروف مشهور فانا نقول ذلك لا رسالة وهذا يدعي
الربوبية وبينهما من الفرق ما بين البصر والعمى وقد قام الدليل العقلي على ان بعثة بعض الخلق الى بعض
غير ممتنعة ولا مستحيلة فلم يبعد ان يقيم الله تعالى الادلة على صدق من يخلقه الى عباده بالشرع والملة وقد دلت الادلة
العقلية ايضا على ان المسيح الدجال فيه التغرير والتغرير من الحال الى المحال وثبت ان هذه الصفات لا تليق
الا بالمحدثات تعالى رب البريات عن ان يشبه شيئا او يشبهه شيء ليس كمثله شيء وهو السميع البصير

فصل

اذا ثبت هذا فاعلم ان المعجزات على ضربين الاول ما اشتهر نقله والغرض عصر بعموث النبي صلى الله عليه
وسلم • والثاني ما تواترت الاخبار بصحته وحصوله واستفاضت بثبوته ووجوده ووقع لسامعها العلم
بذلك الضرورة • ومن شرطه ان يكون الناقلون له خلقا كثيرا وجما غفيرا وان يكونوا عالمين بما نقلوه علما
ضروريا وان يستوي في النقل اولهم واخرهم ووسطهم في كثرة العدد حتى يستحيل عليهم التواطؤ على الكذب
وهذه صفة نقل القرآن ونقل وجود النبي صلى الله عليه وسلم وكان الامة رضي الله عنهم لم تزل تنقل القرآن
خلفا عن سلف والتسلف عن سلفه الى ان يتصل ذلك بالنبي عليه السلام المعلوم وجوده بالضرورة وصدقه
بالادلة المعجزات والرسول احد عن جبريل عليه السلام عن ربه جل وعز فنقل القرآن في الاصل رسول معصوم
من الزيادة والنقصان ونقله الينا بعدهم اهل التواتر الذين لا يجوز عليهم الكذب فيما ينقلونه ويسمعونه
لكثرة العدد وذلك وقع لنا العلم الضروري بصدقهم فيما نقلوه من وجود نبي محمد صلى الله عليه وسلم ومن ظهور هذا
القرآن على يديه وتحديه به ونظير ذلك من علم الدنيا علم الانسان بما نقل اليه من وجود البلدان كالبصرة والشام
والعراق وخراسان والمدينة ومكة واشباه ذلك من الاخبار الكثيرة الظاهرة المتواترة • فالقرآن معجزة

نبينا صلى الله عليه وسلم الباقية بعده الى يوم القيامة ومعجزة كل نبي انقرضت بانقراضه او دخلها التبديل والتغيير
كالتوراة والانجيل • ووجوه اعجاز القرآن عشرة منها النظم البديع المخالف لكل نظم معهود في كلام العرب وفي
غيرها لان نظمه ليس في قطم الشعر في شيء وكذلك قال رجل العربة الذي خوفي نظمه وما عاناه الشعر وما يشبه
له وفي صحيح ان انيسا اخا ابي ذر قال لابي ذر لقيت رجلا بمكة على دينك يزعم ان الله ارسله فقلت ما يقول
الناس قال يقولون شاعر كاهن ساحر وكان انيس احد الشعراء قال انيس لقد سمعت قول الكهنة فما هو
بقولهم ولقد وزنت قوله على اقراء الشعر فلم يلتئم على لسان احد بعدي انه شعر والله انه لصادق وانهم
لكاذبون وكذلك الشاعر عتبة بن ربيعة انه ليس بسحر ولا شعر لما قرأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
حم فصلت على ما يأتي بيانه هذا الذي اعترف عتبة على موضعه من اللسان وموضعه من الفصاحة والبلاغة
بانه ما سمع مثل القرآن قط كان في هذا اللفظ مقرا بإعجاز القرآن له ولغيره من المتحققين بالفصاحة مع
القدرة على التكلم بجميع اجناس القول وانواعه ومنها الاسلوب الخالف لجميع اساليب العرب ومنها
لجزالة التي لا تقصر عن مخلوق بحال وتامل ذلك في سورة ق والقرآن المجيد الى اخرها وقوله سبحانه والارض
جميعا قبضته يوم القيامة الى اخر السورة قال ابن الخصار فمن علم ان الله سبحانه هو الخلق علم ان مثل هذه الجزالة
لا تنبغي ولا تصح في غيره ولا تصح من اعظم ملوك الدنيا ان يقول انا الملك الجليل ولا ان يقول ويرسل الصواعق
فيصيب بها من يشاء قال ابن الخصار وهذه الثلاثة من النظم والاسلوب والجزالة لازمة كل سورة بل هي
لازمة كل اية ومجموع هذه الثلاثة يتميز مسموع كل اية وكل سورة عن سائر كلام البشر وبها وقع التحدي
والتعجيز ومع هذا فقد سورة تنفرد بهذه الثلاث من غير ان ينضاف اليها امر اخر من الوجوه العشرة فهذه
سورة الكوثر ثلاث اياتها قصار وهي اقصر سورة في القرآن وقد تضمنت الاخبار عن مغيبين احدهما الاخبار
عن الكوثر وعطيه وسعته وكثرة اوانيه وذلك يدل على ان المصدق به اكثر من اتباع سائر الرسل والثاني
الاخبار عن الوليد بن المغيرة وقد كان عند قول الاية ذا مال وقد علم ما يقتضيه قول الحق ذرني ومن
خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ثم اهلك الله سبحانه ماله وولده وانقطع نسله
ومنها التصرف في لسان العرب على وجه لا يستقل به غيرها حتى يقع منهم الاتفاق من جميعهم على صحة
في وضع كل كلمة وحرف موضعه ومنها الاخبار عن الامور التي تقدمت منا ول الدنيا الى وقت نزوله
من امر ما كان يتلو من قبله من كتاب ولا يخطه بيمينه فاخبر بما كان من قصص الانبياء مع امهم والقرون
الخالية في دهرها وذكر مسالة اهل الكتاب عنه ونحدوه به من قصة اهل الكهف وشان موسى
والخضر عليهما السلام وخالد ذي القرنين فجاءهم وهو امي من امة امية ليس بها من يقرأ الكتب السالفة صحيحة فتحققوا صدقه قال القاضي بن الطيب ونحن نعلم ضرورة ان هذا مما لا سبيل
اليه الا عن تعلم واذا كان معروفا انه لم يكن ملابسا لاهل الآثار وحملة الاخبار ولا مترددا الى التعلم
منهم ولا كان ممن يقرأ فيجوز ان ينفع اليد كتاب فيأخذ منه علم انه لا يصل الى علم ذلك الا بانباء من جهة
الوحي ومنها الوفاء بالوعد للدرك بالحس في العيان في كلما وعد الله سبحانه وهي تنقسم الى اخباره للطائفة
كوعده بنصر رسوله عليه السلام واخراج الذين اخرجوه من وطنه والى وعد مقيد بشرط كقوله ومن يتوكل على
الله فهو حسبه ومن يؤمن بالله يهد قلبه ومن يتق الله يجعل له مخرجا وان يكن منكم عشرون صابرون
يغلبوا مائتين وشبه ذلك ومنها الاخبار عن المغيبات في المستقبل التي لا يطلع عليها الا بالوحي من
ذلك ما وعد الله نبيه عليه السلام انه سيظهر دينه على الاديان بقوله هو الذي ارسل رسوله بالهدى
ودين الحق الاية ففعل ذلك فكان ابو بكر رضي الله عنه اذا اغزى جيوشه عرفهم ما وعدهم في اظهار
دينه ليثقوا بالنصر وليستيقنوا بالفتح وكان عمر يفعل ذلك فلم يزل الفتح يتوالى شرقا وغربا برا وبحرا
قال الله تعالى وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من
قبلهم وقال لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين وقال واذ يعدكم
الله احدى الطائفتين انها لكم وقال الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فهذه
كلها اخبار عن الغيوب التي لا يقف عليها الا رب العالمين او من اوقفه عليها رب العالمين فدل على ان
الله تعالى قد وقف عليها رسوله لتكون دلالة على صدقه ومنها ما تضمنه القرآن من العلم الذي هو
قوام جميع الانام في الحلال والحرام وفي سائر الاحكام ومنها الحكم البالغة التي لا تجري العادة بان تصدر
في كثرتها وشرفها من آدمي ومنها التناسب في جميع ما تضمنه ظاهرا وباطنا من غير اختلاف فيقال
الله العظيم ولو كان من عند الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا قلت فهذه عشرة اوجه ذكرها
علماؤنا رحمة الله عليهم ووجه حادي عشر قاله النظام وبعض اهل القدرية ان وجه الاعجاز هو المنع
من معارضته والصرفة عندنا التحدي بمثله وان المنع والصرفة هو المعجزة دون ذات القرآن وذلك

ان الله تعالى صرف هممهم عن معارضته مع تحديهم ان ياتوا بسورة من مثله وهذا فاسد لان اجماع الامة قبل حدوث
المخالف ان القران هو المعجز فلو قلنا ان المنع والصرفة هو المعجز لخرج القران عن كونه معجزا وذلك خلاف الاجماع
واذا كان كذلك علم ان نفس القران هو المعجز لان فصاحته وبلاغته امر خارق للعادة اذ لم يوجد قط كلام على
هذا الوجه فلما لم يكن ذلك الكلام مالوفا معتادا منهم دل على ان المنع والصرفة لم يكن معجزا واختلف من
قال بهذه الصرفة على قولين احدهما انهم صرفوا عن القدرة عليه ولو تعرضوا له لعجزوا عنه الثاني انهم صرفوا
عن التعرض له مع كونه في مقدورهم ولو تعرضوا له لجاز ان يقدروا عليه قال ابن عطية وجه الاعجاز في القران
انما هو بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة الفاظه ووجه اعجازه ان الله قد احاط بكل شيء علما واحاط
بالكلام كله علما فعلم باحاطة اي لفظة تصلح ان تلي الاولى وتبين المعنى بعد المعنى ثم كذلك من اول القران الى اخره
والبشر معهم الجهل والنسيان والذهول ومعلوم ضرورة ان بشرا لم يكن محيطا قط فبهذا جاء القران نظم
في الغاية القصوى من الفصاحة وبهذا النظر يبطل قول من قال ان العرب كانت في قدرتها ان تاتي بمثل
القران في الغاية القصوى من الفصاحة فلما جاء محمد صلى الله عليه وسلم صرفوا عن ذلك وعجزوا عنه والصحيح ان
الاتيان بمثل القران لم يكن قط في قدرة احد من المخلوقين ويظهر لك قصرة البشر في ان الفصيح منهم يصنع
خطبة او قصيدة يستفرغ فيها جهده ثم لا يزال ينقحها حولا كاملا ثم تعطى لاخر بعده فياخذها بقريحة
جامعة فيبدل فيها وينقح ثم لا تزال كذلك فيها مواضع للنظر والبدل وكتاب الله لو نزعت منه لفظة
ثم ادير لسان العرب ان يوجد احسن منها لم يوجد ومن فصاحة القران ان الله جل ذكره ذكر في اية واحدة امرين
ونهيين وخبرين وبشارتين وهي قوله تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه الاية وكذلك فاتحة سورة
المائدة امر بالوفاء ونهى عن النكث وحلل تحليلا عاما ثم استثنا استثناء بعد استثناء ثم اخبر عن حكمته وقدرته
وذلك مما لا يقدر عليه الا الله تعالى وانبا سبحانه عن الموت وحسرة الفوت والدار الاخرة وثوابها
وعقابها وفوز الفائزين وتردي المجرمين والتحذير من التغرير بالدنيا ووصفها بالقلة بالاضافة الى
دار البقاء بقوله تعالى كل نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيامة الاية وانبا ايضا عن
قصص الاولين والاخرين ومال المترفين وعواقب المهلكين في شطر اية وذلك قوله تعالى فمنهم من
ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا وانبا جل
وعز عن امر السفينة واجرائها واهلاك الكفرة واستقرار السفينة واستوائها وتوجه اوامر التسخير
على الارض والسماء بقوله عز وجل وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها الى قوله وقيل بعدا للقوم
الظالمين الى غير ذلك فلما عجزت قريش عن الاتيان بمثله وقالت ان النبي صلى الله عليه وسلم تقوله انزل
الله تعالى ام يقولون بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين ثم انزل تعجيزا ابلغ من ذلك
فقال ام يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات فلما عجزوا حطهم عن هذا المقدار الى مثل سورة
من السور القصار فقال جل ذكره وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله فافحموا عن الجواب
وتقطعت بهم الاسباب وعدلوا الى الحروب والعناد وانزوا سبي الحريم والاولاد ولو قدروا على المعارضة
لكان اهون كثيرا وابلغ في الحجة واشد تاثيرا هذا مع كونهم ارباب البلاغة واللحن وعنهم تؤخذ الفصاحة
واللسن فبلاغة القران في اعلا طبقات الاحسان وارفع درجات الايجاز والبيان بل تجاوزت حد
الاحسان والاجادة الى حيز الارباء والزيادة هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ما اوتي من جوامع الكلم
واختص به من غرائب الحكم اذا تاملت قوله في صفة الجنان وان كان في نهاية الاحسان وجدته منحطا
عن رتبة القران وذلك عليه الصلاة والسلام فيها ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
فاين ذلك من قوله عز وجل فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وقوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين
هذا اعدل وزنا واحسن تركيبا واعذب لفظا واقل حروفا على انه لا يعتبر الا في مقدار سورة او اطول اية
لان الكلام كلما طال اتسع فيه مجال المتصرف وضاق المقال على القاصر المتكلف وبهذا قامت الحجة على العرب
اذ كانوا ارباب الفصاحة ومظنة المعارضة كما قامت الحجة في معجزة عيسى عليه السلام على الاطباء
ومعجزة موسى على السحرة فان الله سبحانه انما جعل معجزات الانبياء عليهم السلام بالوجه الشهير ابرع
ما يكون في زمان النبي الذي اراد اظهاره فكان السحر في مدة موسى عليه السلام قد انتهى الى غاية وكذلك
الطب في زمن عيسى عليه السلام والفصاحة في زمن محمد صلى الله عليه وسلم **باب التنبيه**
على احاديث وضعت في فضل سور القران وغيرها لا التفات لما وضعه الواضعون واختلقه
المختلقون من الاحاديث الكاذبة والاخبار الباطلة في فضل سور القران وغير ذلك من فضائل الاعمال
وقد ارتكبها جماعة كبيرة اختلفت اغراضهم ومقاصدهم في ارتكابها فمن قوم من الزنادقة مثل المغيرة
ابن سعيد الكوفي ومحمد بن سعيد الشامي المصلوب في الزندقة وغيرهما وضعوا احاديث وحدثوا بها

تقوله ح

قوله ع

ليوقعوا

ليوقعوا الشك في قلوب الناس فمما رواه محمد بن سعيد عن انس بن مالك في قوله صلى الله عليه وسلم انا خاتم
النبيين لا نبي بعدي الا ما شاء الله فزاد هذا الاستثناء لما كان يدعوا اليه من الالحاد والزندقة **قلت**
وقد ذكره ابن عبد البر في كتاب التمهيد ولم يتكلم عليه بل تاول الاستثناء على الرؤيا فالله اعلم • ومنهم قوم وضعوا
الحديث لهوى يدعو الناس اليه قال شيخ من شيوخ الخوارج بعد ان تاب ان هذه الاحاديث دين فانظروا ممن
تاخذون دينكم فانا كنا اذا هوينا امرا صيرناه حديثا • ومنهم جماعة وضعوا الحديث حسبة كما زعموا يدعون
الناس الى فضائل الاعمال كما روي عن ابي عصمة نوح بن ابي مريم المروزي ومحمد بن عكاشة الكرماني واحمد
ابن عبد الله الجويباري وغيرهم قيل لابي عصمة من اين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضل سور القران سورة
سورة فقال اني رايت الناس قد اعرضوا عن القران واشتغلوا بفقه ابي حنيفة ومغازي محمد بن اسحاق فوضعت
هذا الحديث حسبة قال ابو عمرو عثمان بن الصلاح في كتاب علوم الحديث له وهكذا الحديث الطويل الذي
يروى عن ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم في فضل القران سورة سورة وقد بحث باحث عن مخرجه حتى
انتهى الى من اعترف بانه وجماعة وضعوه وان اثر الوضع عليه لبين وقد اخطا الواحدي المفسر ومن ذكره
من المفسرين في ايداعه تفاسيرهم • ومنهم قوم من السؤال والمكذبين يقفون في الاسواق والمساجد
فيضعون على رسول الله صلى الله عليه وسلم احاديث باسانيد صحاح قد حفظوها فيذكرون الموضوعات
بتلك الاسانيد قال جعفر بن محمد الطيالسي صلى احمد بن حنبل ويحيى بن معين في مسجد الرصافة فقام بين
ايديهما قاص فقال حدثنا احمد بن حنبل ويحيى بن معين قالا حدثنا عبد الرزاق قال انا محمد عن قتادة
عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله يخلق من كل كلمة منها طائر منقاره من ذهب
وريشه مرجان واخذ في قصة نحو من عشرين ورقة فجعل احمد ينظر الى يحيى ويحيى ينظر الى احمد فقال
انت حدثته بهذا فقال والله ما سمعت به الا هذه الساعة قال فسكتا جميعا حتى فرغ من قصصه
فقال له يحيى من حدثك بهذا الحديث فقال احمد بن حنبل ويحيى بن معين فقال انا ابن معين وهذا احمد
ابن حنبل ما سمعنا بهذا قط في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان ولا بد من الكذب فعلى غيرنا
فقال له انت يحيى بن معين قال نعم قال لم ازل اسمع ان يحيى بن معين احمق وما علمته الا هذه الساعة فقال
له يحيى وكيف علمت اني احمق قال كانه ليس في الدنيا يحيى بن معين واحمد بن حنبل غير كما كتبت عن سبعة
عشر احمد بن حنبل غير هذا قال فوضع احمد كمه على وجهه وقال دعه يقوم فقام كالمستهزئ بهما فهؤلاء
الطوائف كذبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يجري مجراهم • يذكر ان الرشيد كان يعجبه الحمام
واللهو به فاهدى اليه حمام وعنده البختري القاضي فقال روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال لا سبق الا في خف او حافر او جناح قراد او جناح وهي لفظة وضعها للرشيد فاعطاه جائزة
سنية فلما خرج قال الرشيد والله لقد علمت انك كذاب وامر بالحمام ان تذبح فقيل له وما ذنب الحمام
قال من اجله كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فترك العلماء حديثه لذلك ولغيره من موضوعاته فلا
يكتب العلماء حديثه بحال **قلت** فلو اقتصر الناس على ما ثبت في الصحاح والمسانيد وغيرها من
المصنفات التي تداولها العلماء ورواها الائمة الفقهاء لكان لهم في ذلك غنية وخرجوا عن تحذير نبيهم
صلى الله عليه وسلم حيث قال اتقوا الحديث علي الا ما علمتم فمن كذب علي متعمدا فليتبوا مقعده من النار الحديث
فتخويفه صلى الله عليه وسلم امته بالنار على الكذب دليل على انه كان يعلم انه سيكذب عليه فحذار مما وضعه
اعداء الدين وزنادقة المسلمين في باب الترغيب والترهيب وغير ذلك واعظمهم ضررا اقوام من المنسوبين
الى الزهد وضعوا الحديث حسبة فيما زعموا فيقبل الناس موضوعاتهم ثقة منهم بهم وركونا اليهم فضلوا
واضلوا **باب ما جاء من الحجة في الرد على من طعن في القران وخالف مصحف عثمان** بالزيادة
والنقصان لا خلاف بين الامة ولا بين الائمة اهل السنة ان القران اسم لكلام الله تعالى الذي جاء به
محمد صلى الله عليه وسلم معجزة له على ما تقدم وانه محفوظ في الصدور ومقروء بالالسنة مكتوب في المصاحف
في المصاحف معلومة على الاضطرار سوره واياته مبراة من الزيادة والنقصان حروفه وكلماته
فلا يحتاج في تعريفه لحد ولا في حصره لعد فمن ادعى زيادة عليه او نقصانا منه فقد ابطل الاجماع
وبهت الناس ورد ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من القران المنزل عليه ورد قوله تعالى قل لئن اجتمعت
الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وابطل اية رسوله
عليه السلام لان اذ ذاك يصير القران مقدورا عليه حين شيب بالباطل ولما قدر عليه لم يكن حجة ولا اية
فالقائل بان القران فيه زيادة ونقصان زاد لكتاب الله ولما جاء به الرسول وكان كمن قال الصلوات
المفروضات خمسون صلاة وتزوج تسع من النساء حلال وفرض الله اياما مع شهر رمضان الى غير ذلك
مما لم يثبت في الدين فاذا رد هذا الاجماع كان الاجماع على القران اثبت واكد والزم واوجب قال الامام

ابو بكر محمد بن القاسم بن بشار بن محمد الانباري ولم يزل اهل الفضل والعقل يعرفون من شرف القرآن وعلو منزلته
ما يوجبه الحق والانصاف والديانة وينفون عنه قول المبطلين وتمويه الملحدين وتحريف الزايغين حتى
منع في زمانه من ادعاء زايغ زاغ عن الملة وجهل على الامة بما يحاول به ابطال الشريعة التي لا تزال بتوفيق الله تؤيدها
ويثبت انتهاؤه وفي فرقها وتحرسها من معايب اولي الخيف والفجور ومكايد اهل العداوة والكفر فرقم القرآن المعنى
الذي جمعه عثمان رضي الله عنه باتفاق اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على نقوشه فيما فعل ذلك
لا يشتمل على جميع القرآن اذ كان قد سقط منه خمسماية حرف قد قرأ بعضها وسافر ليبقنها فمنعها
والعصر ونوايب الدهر فقد سقط من القرآن على جماعة المسلمين ونوايب الدهر ومنها حتى اذا اخذت الارض
زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كان لم تغن
بالامس وما كان الله ليهلكها الا بذنوب اهلها وقد روى عن ابن عباس انه سقط على اهل الاسلام من القرآن
وما كان الله ليهلكها الا بذنوب اهلها وذكر ما يدعى حروفا كثيرة وادعى ان عثمان والصحابة رضي الله عنهم
زادوا في القرآن ما ليس فيه فقرا في صلاة الفرض والناس يسمعون الله الواحد الصمد فاسقط من القرآن
قل هو وغير لفظ احد وادعى ان هذا هو الصواب والذي عليه المناصر هو الباطل والمحال وقرا في صلاة
الفرض قل للذين كفروا لا اعبد ما تعبدون وطعن على قراة المسلمين وادعى ان المصحف الذي في ايدينا
اشتمل على تصحيف وحروف مفسدة مغيرة منها ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت الغفور
الرحيم وتراي به الفحي هذا واشكاله حتى ان المسلمين يصحفون وكان عند الله وجيها والصواب
الذي لم يزل عنده وكان بجد الله وجيها وحتى قرا في صلاة معترضة على ما اخبرنا جماعة سمعوه
وشهدوه لا اخبرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرانه فاذا قرانا فاتبع قرانه ثم ان علينا بيانه
وحكى لنا اخرون عن اخرين انهم سمعوه يقرا ولقد نصركم الله ببدر وانتم بسيف علي واتم اذلة وروى
هو ايضا لنا عنه قال هذا صراط علي مستقيم واخبرنا انه ادخل في اية من القرآن ما ليس منها وهي
فصاحة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يدخل في لسان قومه الذين خاطبهم الله عز وجل وما ارسلنا من
رسول الا بلسان قومه فقرا البيس قلت للناس في موضع الشين قلت للناصر وهذا لا يعرف في
نحو المعربين ولا يحمل على هذا هب النحو يرى ان العرب لم تعلل ليس قمت فاما لست قمت فما لتا فساد
قبيح خبيث ردي لان ليس لا تجحد الفعل الماضي لم يوجد مثل هذا الا في قولهم ليس قد خلق الله مثله
وهو لغة شاذة لا يحمل كتاب الله تعالى عليها وادعى ان عثمان رضي الله عنه لما استدجمع القرآن الى زيد بن ثابت
لم يصب لان عبد الله بن مسعود وابي بن كعب كانا اولى بذلك من زيد لقول النبي صلى الله عليه وسلم
اقرا امتي ابي بن كعب ولقوله عليه السلام من سره ان يقرا القرآن غضا كما انزل فليقراه بقراة ابن ام عبد
وقال هذا القايل لما ان خالف مصحف عثمان كما خالفه ابو عمرو بن العلا قرا ان هذين فاصدقة واكون
وبشر عبادي الذين بفتح الياء فما اتاني الله بفتح الياء والذي في المصحف ان هذان بالالف فاصدقة
واكن بغيروا وفبشر عباد فما اتاني الله بغير ياء في الموضعين وكما خالف ابن كثير ونافع وحمزة والكسائي
مصحف عثمان فقرا كذلك حفظا علينا نجي المومنين بالتشديد بفتح الثانية بعضهم ويسكنها بعضهم
وفي المصحف نون واحدة وكما خالف حمزة المصحف فقرا تمدون بمال بنون واحدة ووقف على الياء وفي
المصحف نونان ولا يا بعدهما وكما خالف حمزة ايضا المصحف فقرا الا ان تود كفرا بهم بغير تنوين وبثبات
الالف بوجب التنوين وكل هذا الذي شنع به على القرا ما يلزمهم به خلاف للمصحف قلت
قد اشرنا الى العدد فيما تقدم مما اختلفت فيه المصاحف وسياتي بيان هذه المواضع في مواضعها من
هذا الكتاب ان شا الله تعالى قال ابو بكر وذكر هذا الانسان ان ابي بن كعب هو الذي قرا كان لم تغن بالامس
وما كان الله ليهلكها الا بذنوب اهلها وذلك باطل لان عبد الله بن كثير قرا على مجاهد ومجاهد على ابن عباس
وابن عباس قرا القرآن على ابي بن كعب حصيدا كان لم تغن بالامس كذلك تفصل الايات في رواية وقرا الى
القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا الاسناد متصل برسول الله عليه السلام فقله اهل العدالة
والصيانة واذا صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم امر لم يوخذ بحديث يخالفه وقال يحيى بن مبارك
اليزيدي قرا القرآن على ابي عمرو بن العلا وقرا ابو عمرو على مجاهد وقرا مجاهد على ابن عباس وقرا ابن عباس
على ابي بن كعب وقرا ابي على النبي صلى الله عليه وسلم وليس فيها وما كان الله ليهلكها الا بذنوب اهلها
فمن مجد ان هذه الزيادة اثرها الله تعالى على نبيه عليه السلام فليس بكافر ولا اثم حدثني ابي نا
نضر بن داود الصانع نا ابو عبيد قال ما يروى من الحروف التي تخالف المصحف الذي عليه الاجماع من
الحروف التي يعرف اسانيدها الخاصة دون العامة مما نقلوا فيه عن ابي وما كان الله ليهلكها الا بذنوب
اهلها وعن ابن عباس ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم في مواسم الحج ومما يحكون عن عمر بن الخطاب

قرا ع

انه قرا غير المغضوب عليهم وغير الضالين مع تظاير هذه الحروف كثيرة لم يبطلها اهل العلم على ان الصلاة
بها تحل ولا على انها معارض بها مصحف عثمان لانها حروف لو جحدها جاحد انها من القرآن لم يكن كافرا
والقرآن الذي جمعه عثمان هو افقة الصحابة له لو انكر بعضه منكر كان كافرا حكمه حكم المرتد يستتاب
فان تاب والا ضربت عنقه وقال ابو عبيد لم يزل صنيع عثمان رحمه الله في جمعه القرآن يعتقد له بانه
من مناقبه العظام وقد طعن عليه في بعض اهل الزيغ فانكشف عواره ووضحت فضايحه قال
ابو عبيد وقد حدثت عن يزيد بن زريع عن عمران بن خدير عن ابي مجلز قال طعن قوم على عثمان رحمه الله
جمعهم جمع القرآن ثم قروا بما نسخ قال ابو عبيد يذهب ابو مجلز الى ان عثمان اسقط الذي اسقط يعلم
كما اثبت الذي اثبت يعلم قال ابو بكر وفي قول الله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون دلالة على
كفر هذا الانسان لان الله عز وجل قد حفظ القرآن من التغيير والتبديل والزيادة والنقصان فاذا اقرا
قارى تبت يدا ابي لهب وقد نبه ما اعتنى عنه ماله وما كسب سيصلى نارا ذات لهب وامرته حمالة
الحطب في جيدها حبل من ليف فقد كذب على الله جل وعلا وقوله ما لم يقل وبدل كتابه وحرفه
وحاول ما قد حفظه منه ومنع من اختلاطه به وفي هذا الذي اتاه توطية الطريق لاهل الالحاد ليدخلوا
في القرآن ما يجلو اعوجاجه عن الاسلام وينتسبونه الى قوم كهو لا القوم الذين احال هذا بالبهتان عليهم
وفيه ابطال الاجماع الذي به يحرس الاسلام وبنيانه تتعاقر الصلوات وتودى الزكوات وتنخرى
المنتقدات وفي قول الله تعالى الركتاب احكمت اياته دلالة على بدعة هذا الانسان وخروجه الى
الكفر لان معنى احكمت اياته منع الخلق من القدرة على ان يزيدوا فيها او ينقصوا منها او يعارضوها
بمثلها وقد وجدنا هذا الانسان زاد فيها وكفى الله المومنين القتال بعلي وكان الله قويا عزيزا
فقال في القرآن هجرا وذكر عليا في مكان لو سمعه يذكره فيه لا مضى عليه الحد وحكم عليه بالقتل واسقط
من كلام الله قل هو وغير احد افقرا الله الواحد الصمد واسقاطا اسقطه نفي له وكفر ومن كفر بحرف
من القرآن فقد كفر به كله وابطل معنى الاية لان اهل التفسير قالوا لما انزلت الاية جوابا لاهل الشرك
لما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم صف لنا ربك امن ذهب ام من نحاس ام من صفر فقال الله جل
وعز رادا عليهم قل هو الله احد ففي هو دلالة على موضع الرد ومكان الجواب فاذا اسقط بطل معنى
الاية ووضح الافتراء على الله جل وعز والتكذيب لرسوله صلى الله عليه وسلم ويقال لهذا الانسان
ومن ينتحل نحلته اخبرونا عن القرآن الذي تقرءونه ولا نعرف نحن ولا من كان قبلنا من اسلافنا سواه
هل هو مشتمل على جميع القرآن من اوله الى اخره صحيح الالفاظ والمعاني عار من الفساد والخلل ام هو
واقع على بعض القرآن والبعض الاخر غايب عنا كما غاب عن اسلافنا والمتقدمين من اهل ملتنا فان
اجابوا بان القرآن الذي معنا مشتمل على جميع القرآن لا يسقط منه شي صحيح اللفظ والمعاني سليمها
من كل زلل وخلل فقد قضوا على انفسهم بالكفر حين زادوا فيه فليس له اليوم هاهنا حميم وليس له
شراب الا من غسلين من عين تجري من تحت الجحيم فاي زيادة في القرآن اوضح من هذه وكيف تختلط
بالقرآن وقد حرسه الله منها ومنع كل مفتر ومبطل من ان يلحق به مثلها واذا تاملت وبحث عن
معناها وجدت فاسدة غير صحيحة لا تشاكل كلام الباري تعالى ولا تختلط به ولا توافق معناه
وذلك ان بعدها الا ياكله الا الخاطيون فكيف يوكل الشراب والذي اتى به قبلها فليس له اليوم هاهنا
حميم وليس له شراب الا من غسلين من عين تجري من تحت الجحيم لا ياكله الا الخاطيون فهذا متناقض يفسد
بعضه بعضا لان الشراب لا يوكل لا تقولوا العرب اكلت الماء كلهم يقولون شربته وذقته وطعمته ومعناه فيما
انزل الله تبارك وتعالى على الصحة في القرآن الذي من خالف حرفا منه كفر ولا طعام الا من غسلين لا ياكل
الغسلين الا الخاطيون او لا ياكل الطعام الا الخاطيون والغسلين ما يخرج من اجوافهم من الشحم وما يتعلق
به من التقديد وغيره فهذا طعام يوكل عند البلية والنقمة والشراب محال ان يوكل فان ادعى هذا
الانسان ان هذا الباطل الذي زاده من قوله من عين تجري من تحت الجحيم ليس بعدها الا ياكله الخاطيون
وفي هذه الاية من القرآن لتصح له زيادته فقد كفرها مجاهد من القرآن وحسبك بهذا كله ردا
لقوله وخبرنا بمقاله وما يوثر عن الصحابة والتابعين انه قرا وايكذا وكذا امارة لك على جهة البيان
والتفسير لا ان ذلك قرآن يتلى وكذلك ما نسخ لفظه وحكمه او لفظه دون حكمه ليس بقرآن على
ما باني بيانه عند قوله ما ننسخ من اية او ننسها نات بخير منها او مثلها والله تعالى اعلم

القول في الاستعاذة

وفيها اثنتا عشرة مسيلة

الاولى امر الله تعالى بالاستعاذة عند كل قراة فقال تعالى فاذا قرات القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم اي اذا اردت ان تقرا فاوقع الماضي موقع المستقبل كما قال الشاعر

• واني لاتيكم لذكرى الذي مضى • من الود واستيناف ما كان في غد •

اراد ما يكون في غد وقيل في الكلام تقديم وتاخير وان فعلين تقاربا في المعنى جاز تقديم ايهما شئت كما قال
تعالى ثم دنا فتدلى المعنى فتدلى ثم دنا ومثله اقتربت الساعة وانشق القمر وهو كثير الثانية هذا الامر
على الندب في قول الجمهور في كل قراءة في غير صلاة واختلفوا فيه في الصلاة فحكى النقاش عن عطا ان الاستعاذة
واجبة وكان ابن سيرين والنخعي وقوم يتعوذون في الصلاة في كل ركعة ويمتثلون امر الله في الاستعاذة على
العموم وابو حنيفة والشافعي يتعوذان في الركعة الاولى من الصلاة ويريان قراءة الصلاة كلها كقراءة واحدة
ومالك لا يرى التعوذ في الصلاة المفروضة ويراه في قيام رمضان الثالثة اجمع العلما على ان التعوذ ليس
من القران ولا اية منه وهو قول القارى اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وهذا اللفظ هو الذي عليه الجمهور من
العلما في التعوذ لانه لفظ كتاب الله تعالى وروى عن ابن مسعود انه قال قلت اعوذ بالله السميع العليم
من الشيطان الرجيم فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم يا ابن ام عبد اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقراني
جبريل عن اللوح عن القلم الرابعة روى ابو داود وابن ماجة في سننهما عن جبير بن مطعم انه راى رسول
الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة قال عمر ولا ادري اي صلاة هي فقال الله اكبر كبيرا الله اكبر كبيرا الله
اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا الحمد لله كثيرا الحمد لله كثيرا ثلاثا سبحان الله بكرة واصيلا ثلاثا اعوذ بالله
من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه قال عمر وهمزه الموتة ونفثه الشعر ونفخه الكبر وقال
ابن ماجة الموتة يعني الجنون والنفث كلما نفخ الرجل من فيه من غير ان يخرج ريقه والكبر التيه ان شاء
الله وروى ابو داود عن ابي سعيد الخدري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل كبر
ثم قال سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ثم يقول لا اله الا الله ثلاثا ثم يقول
الله اكبر كبيرا ثلاثا اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه ثم يقرا
وروى سليمان بن سالم عن ابن القاسم رحمه الله ان الاستعاذة اعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم
ان الله هو السميع العليم بسم الله الرحمن الرحيم قال ابن عطية واما المقربون فاكثروا في هذا من تبديل
الصفة في اسم الله تعالى وفي الجهة الاخرى كقول بعضهم اعوذ بالله المجيد من الشيطان المريد ونحو هذا مما
لا اقول فيه نعمت البدعة ولا اقول انه لا يجوز الخامسة قال المهدوي اجمع القرا على اظهار الاستعاذة
في اول قراءة سورة الحمد الا حمزة فانه اسرها وروى المسيبي عن اهل المدينة انهم كانوا يفتتحون القراءة
بالبسملة وذكر ابو الليث السمرقندي عن بعض المفسرين ان التعوذ فرض واذا نسيه القارى وذكره في
بعض الحزب قطع وتعوذ ثم ابتدا من اوله وبعضهم يقول يستعيذ ثم يرجع الى موضعه الذي وقف
فيه وبالاول قال اسانيد الحجاز والعراق وبالثاني قال اسانيد الشام ومصر السادسة حكى الزهراوي
قال نزلت الاية في الصلاة وندبنا الى الاستعاذة في غير الصلاة وليس بفرض قال غيره كانت فرضا على
النبي صلى الله عليه وسلم وحده ثم تاسينا السابعة روى عن ابي هريرة ان الاستعاذة بعد القراءة وقاله
داود قال القاضي ابو بكر بن العربي انتهى الغي بقوم الى ان قالوا اذا فرغ القارى من قراءة القران يستعيذ
بالله من الشيطان الرجيم وقد روى ابو سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ في صلاته قبل
القراءة وهذا نص فان قيل فما الفائدة في الاستعاذة من الشيطان الرجيم وقت القراءة قلنا فائدتها
امتثال الامر وليس للشرع فائدة الا القيام بحق الوفا في امتثالها امرا واوجبنا بها نهيا وقد قيل فائدتها
امتثال الامر بالاستعاذة من وسوسة الشيطان عند القراءة كما قال تعالى وما ارسلنا من رسول ولا نبي
الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته الثامنة قال ابن العربي ومن اغرب ما وجدناه قول مالك في المجموعة
في تفسير هذه الاية فاذا قرات القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم قال ذلك بعد قراءة ام القران
لمن قرا في الصلاة وهذا قول لم يرد به اثر ولا يعضده نظر فان كان هذا كما قال بعض الناس ان الاستعاذة
بعد القراءة كان تخصيص ذلك بقراءة ام القران في الصلاة دعوى عريضة ولا يشبه اصل مالك ولا فهمه
فالله اعلم بسر هذه الرواية التاسعة في فضل التعوذ روى مسلم عن سليمان بن صرد قال استب
رجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم فجعل احدهما يغضب ويحمر وجهه وتنتفخ اوداجه فنظر اليه النبي
صلى الله عليه وسلم فقال اني لاعلم كلمة لو قالها لذهب ذا عنه اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقام الى الرجل
رجل سمع النبي صلى الله عليه وسلم فقال هل تدري ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انفا قال اني لاعلم كلمة
لو قالها لذهب ذا عنه اعوذ بالله من الشيطان فقال له الرجل امجنونا تراني خرجه البخاري ايضا وروى
مسلم ايضا عن عثمان بن ابي العاصي الثقفي انه اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان الشيطان
قد حال بيني وبين صلاتي وقد اتى يلبسها علي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك شيطان يقال
له خنزب فاذا احسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا قال ففعلت فاذهبه الله عني
وروى ابو داود عن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سافر فاقبل عليه الليل قال يا ارض

كلم

الرجيم

ربي

ربي وربك الله اعوذ بالله من شرك ومن شر ما خلق فيك ومن شر ما يدب عليك من اسد واسود ومن الحية
والعقرب ومن ساكني البلد ووالد وما ولد وروت خولة بنت حكيم قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول من نزل منزلا ثم قال اعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شي حتى يرتحل اخرجه الموطا
ومسلم والترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح ومما يتعوذ منه كثير ثابت في الاخبار والله المستعان
العاشرة معنى الاستعاذة في كلام العرب الاستجارة والتحيز الى الشي على معنى الامتناع به من المكروه
يقال عذت بفلان واستعذت به اي لجات اليه وهو عياذي اي ملجاي واعذت غيري به وعوذته بمعنى
ويقال عوذ بالله منك اي اعوذ بالله منك قال الراجز

قالت وفيها حيدة وذعر ... عوذ بربي منكم وحجر

والعرب تقول عند الامر حجرا له اي دفعا وهو استعاذة من الامر والعوذة والمعاذة والتعويذ كله بمعنى
واصل اعوذ اعوذ نقلت الفه الى العين لاستثقالها على الواو فسكنت الحادية عشرة الشيطان
واحد الشياطين على التكسير والنون اصلية لانه من شطن اذا بعد عن الخير وشطنت داره اي بعدت
قال الشاعر

نات سعاد عنك نوى شطون ... فبانت والفؤاد بها رهين

وبير شطون اي بعيدة القعر والشطن الحبل سمي به لبعد طرفيه وامتداده ووصف اعرابي فرسا فقال
كانه شيطان في اشطان وسمي الشيطان شيطانا لبعده عن الحق وتمرده وذلك ان كل عاة متمرد من الجن
والانس والدواب شيطان وقال جرير

ايام يدعونني الشيطان من غزلي ... وهن يهوينني اذ كنت شيطانا

وقيل ان شيطانا ماخوذ من شاط يشيط اذا بطل فالنون زايدة وشاط اذا احترق وشيطت اللحم اذا
دخنته ولم ينضجه واشتاط الرجل اذا احتد غضبا وناقة مشياط التي يطير فيها السمن واشتاط اذا
هلك قال الاعشى

قد تطعن العير في مكنون قايلة ... وقد يشيط على ارماحنا البطل

اي يهلك ويرد على هذه الفرقة ان سيبويه حكى ان العرب تقول تشيطن فلان اذا فعل افعال الشياطين
فهذا بين انه تفيعل من شطن ولو كان من شاط لقالوا تشيط ويرد عليهم ايضا بيت امية بن ابي الصلت

ايما شاطن عصاه عكاه ... ورماه في السجن والاغلال

فهذا شاطن من شطن لا شك فيه الثانية عشرة الرجيم اي المبعد من الخير المهان واصل الرجم
الرمي بالحجارة وقد رجمته ارجمه فهو رجيم ومرجوم والرجم القتل واللعن والطرد والشتم وقد قيل
هذا كله في قوله تعالى لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين وقول ابي ابراهيم لئن لم تنته لارجمنك
وسياتي ان شا الله تعالى روى الاعمش عن ابي وايل عن عبد الله قال قال علي عليه السلام رايت النبي صلى
الله عليه وسلم عند الصفا وهو مقبل على شخص في صورة الفيل وهو يلعنه فقلت ومن هذا الذي
تلعنه يا رسول الله قال هذا الشيطان الرجيم فقلت والله يا عدو الله لاقتلنك ولاريحن الامة منك قال
ما هذا جزاي منك قلت وما جزاوك مني يا عدو الله قال والله ما ابغضك احد قط الا شركت اباه في
رحم امه البسملة وفيها ثمان وعشرون مسيلة الاولى قال العلما بسم الله الرحمن الرحيم قسم من ربنا
انزله عند راس كل اية سورة يقسم لعباده ان هذا الذي وضعت لكم يا عبادي في هذه السورة حق
فاني اوفي لكم بجميع ما ضمنت في هذه السورة من وعدي ولطفي وبري وبسم الله الرحمن الرحيم مما انزله
الله تعالى في كتابنا وعلى هذه الامة خصوصا بعد سليمان عليه السلام قال بعض العلما ان بسم الله
الرحمن الرحيم تضمنت جميع الشرع لانها تدل على الذات وعلى الصفات وهذا صحيح الثانية قال
سعيد بن ابي سكينة بلغني ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه نظر الى رجل يكتب بسم الله الرحمن الرحيم
فقال له جودها فان رجلا جودها فغفر له قال سعيد وبلغني ان رجلا نظر الى قرطاس فيه بسم الله الرحمن
الرحيم فقبله ووضعه على عينيه فغفر له ومن هذا المعنى قصة بشر الحافي فانه لما رفع الرقعة التي
فيها اسم الله وطيبها طيب اسمه ذكره القشيري وروى النساي عن ابي المليح عن ردف رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا عثرت بك الدابة فلا تقل تعس
الشيطان فانه يتعاظم حتى يصير مثل البيت ويقول بقوتي صنعته ولكن قل بسم الله الرحمن الرحيم
فانه يتصاغر حتى يصير مثل الذباب وقال علي بن الحسين في تفسير قوله تعالى واذا ذكرت ربك في
القران وحده ولوا على ادبارهم اذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم وروى وكيع عن الاعمش عن ابي
وايل عن عبد الله بن مسعود قال من اراد ان ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر فليقرا بسم الله
الرحمن الرحيم ليجعل الله تعالى له بكل حرف منها جنة من كل واحد فالبسملة تسعة عشر على
عدد ملايكة اهل النار الذين قال الله فيهم عليها تسعة عشر وهم يقولون في كل افعالهم

بالضم ح

البسملة

نفورا ح

بسم الله الرحمن الرحيم ممن هنالك قولتهم وبهم الله استشهدوا قال ابن عطية وفطرهذا قولهم في ليلة القدر وانها ليلة سبع وعشرين مراعاة للفظة هي من كلمات اناالتي نظيرها أيضا قولهم رمضان عدد الليالي بكذا الفرد ابتدروا قول المقاتل ربنا ولك الحمد كثيرا طيبا مباركا فيه فانها ليست بآية من كل سورة ولا هي حرفا فلذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لقد رأيت بضعا وثلاثين ملكا يبتدرونها ايهم يكتبها اول قال ابن عطية وهذا من مدح التعسير وليس من متين العلم **الثالثة** روى الشعبي والاعمش ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكتب باسمك اللهم حتى امران يكتب بسم الله فكتبها فانزلت قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن كتب بسم الله الرحمن فلما نزلت انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم كتبها وفي مصنف ابي داود قال الشعبي وابو مالك وقتادة وثابت من عمارة ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكتب بسم الله الرحمن الرحيم حتى نزلت سورة النمل **الرابعة** روى عن جعفر الصادق رضي الله عنه انه قال البسملة يجحف السور **قلت** وهذا يدل على انها ليست بآية من الفاتحة ولا غيرها وقد اختلف العلماء في هذا المعنى على ثلاثة اقوال الاول ليست بآية لا في الفاتحة ولا في غيرها وهو قول مالك الثاني انها آية من كل سورة وهو قول عبد الله بن المبارك الثالث قال الشافعي هي آية في الفاتحة وتردد قوله في سائر السور مرة قال هي آية وحدها ولا خلاف بينهم على انها آية من القرآن في سورة النمل احتج الشافعي بما رواه الدارقطني من حديث ابي بكر عبد الحميد بن جعفر الحنفي عن نوح بن ابي بلال عن سعيد بن ابي سعيد المقبري عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قرأتم الحمد لله رب العالمين فاقرؤا بسم الله الرحمن الرحيم انها ام القرآن وام الكتاب والسبع المثاني وبسم الله الرحمن الرحيم احداياتها رفع هذا الحديث عبد الحميد ابن جعفر وعبد الحميد هذا وثقه احمد بن حنبل ويحيى بن سعيد ويحيى بن معين وابو حاتم يقول فيه محله الصدق وكان سفيان الثوري يضعفه ويحمل عليه ونوح بن ابي بلال ثقة مشهور وقد احتج ابن المبارك وأحد قولي الشافعي بما رواه مسلم عن انس قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين اظهرنا اذ اغفى اغفاءة ثم رفع راسه متبسما فقلنا ما اضحكك يا رسول الله قال نزلت علي انفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر وفصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر وذكر الحديث وسيأتي بكماله في سورة الكوثر ان شاء الله تعالى **الخامسة** الصحيح من هذه الاقوال قول مالك لان القرآن لا يثبت باخبار الآحاد وانما طريقه التواتر القطعي الذي لا يختلف فيه قال ابن العربي ويكفيك انها ليست من القرآن لاختلاف الناس فيها والقرآن لا يختلف فيه والاخبار الصحاح التي لا مطعن فيها دالة على ان البسملة ليست بآية من الفاتحة ولا غيرها الا في النمل وحدها روى مسلم عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله عز وجل حمدني عبدي واذا قال العبد الرحمن الرحيم قال الله اثنى علي عبدي واذا قال العبد مالك يوم الدين قال مجدني عبدي وقال مرة فوض الي عبدي واذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل فاذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدي ولعبدي ما سأل فقوله سبحانه قسمت الصلاة يريد الفاتحة وسماها صلاة لان الصلاة لا تصح الا بها فجعل الثلاث الاول لنفسه واختص بها تبارك اسمه ولم يختلف المسلمون فيها ثم الاية الرابعة جعلها بينه وبين عبده لانها تضمنت ذل العبد وطلب الاستعانة منه وذلك يتضمن تعظيم الله تعالى ثم ثلاث آيات تتمة سبع آيات وما يدل على انها ثلاث قوله هو لعبدي اخرجه مالك ولم يقل بها فان هذا يدل على ان انعمت عليهم اية قال ابن بكير قال مالك انعمت عليهم اية ثم الاية السابعة الى اخرها تثبت بهذه القسمة التي قسمها تعالى وبقوله عليه السلام لابي كيف تقرأ اذا افتتحت الصلاة قال فقرأت الحمد لله رب العالمين حتى اتيت على اخرها • ان البسملة ليست بآية منها وهذا عند اهل المدينة واهل الشام واهل البصرة واكثر الفقهاء وانعمت عليهم اية وكذا روى قتادة عن ابي نصرة عن ابي هريرة قال الاية السادسة انعمت عليهم واما اهل الكوفة من القراء والفقها فانهم عدوا فيها بسم الله الرحمن الرحيم ولم يعدوا انعمت عليهم • فان قيل فانما ثبتت في المصحف وهي مكتوبة بخطه ونقلت نقله كما نقلت في النمل وذلك متواتر قيل لم ينقل عنه قلنا انما كرتموه صحيح ولكن لكونها قرانا او لكونها فاصلة بين السور كما روى عن الصحابة كنا لا نعرف انقضاء السورة حتى تنزل بسم الله الرحمن الرحيم اخرجه ابو داود او تبركا كما قد اتفقت الامة على كتبها في اوايل الكتب والرسايل كل ذلك محتمل وقد قال الجزيري سئل الحسن عن بسم الله الرحمن الرحيم قال هي صدور الرسايل

وقال

الرحيم ٤

وقال الحسن ايضا لم تنزل بسم الله الرحمن الرحيم في شيء من القرآن الا في طس سليمان انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم والصحيح ان القرآن لا يثبت بالنظر والاستدلال وانما يثبت بالنقل المتواتر القطعي لا اضطراري ثم قد اضطرب قولا الشافعي فيها في اول كل سورة فدل على انها ليست بآية من كل سورة والحمد لله فان قيل فقد روى جماعة قرانها وقد تولى الدارقطني جمع ذلك في جزء وصححه قلنا لا شك ان الرواية بذلك قد اشرنا اليها ولنا اخبار ثابتة في مقابلتها رواها الائمة الثقات والفقها الاثبات روت عايشة في صحيح مسلم قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين الحديث وسياتي بكماله وروى مسلم ايضا عن انس بن مالك قال صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر فكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم لا في اول قراءة ولا اخرها ثم ان مذهبنا يترجح في ذلك بوجه عظيم وهو المعقول وذلك ان مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة انقرضت عليه العصور ومرت عليه الازمنة والدهور سلمت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى زمان مالك ولم يقرا احد فيه بسم الله الرحمن الرحيم اتباعا للسنة وهذا يرد احاديثهم بيد ان اصحابنا استحبوا قرانتها في النفل وعليه تحمل الآثار الواردة في قرانتها او على التسمية في ذلك قال مالك ولا باس ان يقرا بها في النافلة ومن يعرض القرآن عرضا وجملة مذهب مالك واصحابه انها ليست عندهم اية من فاتحة الكتاب ولا غيرها ولا يصلي بها المصلي في المكتوبة ولا في غيرها سرا ولا جهرا ويجوز ان يقرأها في النوافل هذا هو المشهور من مذهبه عند اصحابه وعنه رواية اخرى انها تقرا اول السورة في النوافل ولا تقرا اول ام القرآن وروى عنه ابن نافع ابدا القراءة بها في الصلاة الفرض والنفل ولا يتركها بحال ومن اصحاب المدينة من يقول انه لابد فيها من بسم الله الرحمن الرحيم منهم عمر بن شهاب وبه قال الشافعي واحمد واسحاق وابو ثور وابو عبيد وهذا يدل على ان المسئلة مسئلة اجتهادية لا قطعية كما ظنه بعض الجهال من المتفقهة الذي لم يلزم على قوله تكفير المسلمين وليس كما ظن لوجود الاختلاف المذكور والحمد لله وقد ذهب جمع من العلما الى الاسرار بها مع الفاتحة منهم ابو حنيفة والثوري وروي ذلك عن عمر وعلي وابن مسعود وعمار وابن الزبير وهو قول الحكم وحماد وبه قال احمد بن حنبل وابو عبيد وروى عن الاوزاعي مثل ذلك حكاه ابو عمر ابن عبد البر في الاستذكار واحتجوا من الاثر في ذلك بما رواه منصور بن زاذان عن انس بن مالك قال صليت برسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يسمعنا قراءة بسم الله الرحمن الرحيم ومما رواه عمار عن زريق عن الاعمش عن شعبة عن ثابت عن انس قال صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم وخلف ابي بكر وعمر فلم اسمع احدا منهم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم **قلت** هذا قول حسن وعليه تتفق الاقاويل عن انس ولا تتضاد ويخرج به من الخلاف في قراءة البسملة وقد روى عن سعيد بن جبير قال كان المشركون يحضرون المسجد فاذا قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا هذا محمد يذكر رحمان اليمامة يعنون مسيلمة فامران يخافت ببسم الله الرحمن الرحيم ونزلت ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال الترمذي الحكيم ابو عبد الله فبقي ذلك الى يومنا هذا على ذلك الرسم وان زالت العلة كما بقي الرمل في الطواف وان زالت العلة وبقيت المخافتة في صلاة النهار وان زالت العلة **السادسة** اتفقت الامة على جواز كتبها في اوايل الكتاب من كتب العلم والرسايل فان كان الكتاب ديوان شعر فروى مجالد عن الشعبي قال اجمعوا الا يكتبوا امام الشعر بسم الله الرحمن الرحيم وذهب الى رسم التسمية في اول كتب الشعر سعيد بن جبير وتابعه على ذلك كثير من المتاخرين قال ابو بكر الخطيب وهو الذي نختاره ونستحبه **السابعة** قال الماوردي ويقال لمن قال بسم الله مبسمل وهي لغة مولدة وقد جاءت في الشعر قال عمر بن ابي ربيعة

• لقد بسملت ليلى غداة لقيتها • فيا حبذا ذاك الحبيب المبسمل

قلت المشهور عن اهل اللغة بسمل قال يعقوب بن السكيت والمطرز والثعالبي وغيرهم من اهل اللغة بسمل الرجل اذا قال بسم الله يقال قد اكثر من البسملة اي من قول بسم الله ومثل حوقل الرجل اذا قال لا حول ولا قوة الا بالله وهلل اذا قال لا اله الا الله وسبحل اذا قال سبحان الله وحمدل اذا قال الحمد لله وحيعل اذا قال حي على الفلاح ولم يذكر المطرز الحيعلة اذا قال حي على الصلاة وجعفل اذا قال جعلت فداك وطبقل اذا قال اطال الله بقاك ودمعزل اذا قال اكرم الله عزك **الثامنة** ندب الشرع الى ذكر البسملة في اول كل فعل كالاكل والشرب والنحر والجماع والطهارة وركوب البحر الى غير ذلك من الافعال قال الله تعالى فكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اغلق بابك واذكر اسم الله واطف مصباحك واذكر اسم الله وخمر اناءك واذكر اسم الله واوك سقاءك واذكر اسم الله وقال لوان احدكم اذا اراد ان ياتي اهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فانه ان يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره شيطان ابدا

وقال لعمر بن ابي سلمة يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك وقال ان الشيطان ليستحل الطعام الا ان يذكر اسم
الله عليه وقال من لم يذبح فليذبح بسم الله وشكى اليه عثمان بن ابي العاصي وجعا يجده في جسده منذ اسلم
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ضع يدك على الذي يالم من جسدك وقل بسم الله ثلاثا وقل سبع
مرات اعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما اجد واحاذر هذا كله ثابت في الصحيح روى ابن ماجة والترمذي
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ستر ما بين الجن وعورات بني ادم اذا دخل الكنيف ان يقول بسم الله وروى
الدارقطني عن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مس طهوره سمى الله تعالى ثم يفرغ الماء
على يديه **التاسعة** قال علماونا وفيها رد على القدرية وغيرهم ممن يقول ان افعالهم مقدورة لهم وموضع
الاحتجاج عليهم من ذلك ان الله سبحانه امرنا عند الابتدا بكل فعل ان نفتتح بذلك كما ذكرنا فمعنى بسم الله اي
بالله ومعنى بالله اي بخلقه وتقديره يوصل الى ما يوصل اليه وسياتي لهذا مزيد بيان ان شا الله تعالى وقال
بعضهم معنى قوله بسم الله يعني بدات بعون الله وتوفيقه وبركته وهذا تعليم من الله تعالى عباده
ليذكروا اسمه عند افتتاح القراة وغيرها حتى يكون الافتتاح ببركة اسمه جل وعز **العاشرة** ذهب
ابو عبيدة معمر بن المثنى الى ان اسم صلة زايدة واستشهد بقول لبيد

الى الحول ثم اسم السلام عليكما ... ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

فذكر اسم زيادة وانما اراد ثم السلام عليكما وقد استدل علماونا بقول لبيد هذا على ان الاسم هو المسمى
وسياتي الكلام فيه في هذا الباب وغيره ان شا الله تعالى **الحادية عشرة** اختلف في معنى زيادة
اسم فقال قطرب زيدت لاجلال ذكره تعالى وتعظيمه وقال الاخفش زيدت ليخرج بذكرها من حكم
القسم الى قصد التبرك لان اصل الكلام بالله **الثانية عشرة** واختلفوا ايضا في معنى دخول البا
عليه هل دخلت على معنى الامر والتقدير ابدا بسم الله او على معنى الخبر وتقديره ابتدات بسم الله
قولان الاول للفرا والثاني للزجاج فبسم في موضع نصب على التاويلين وقيل المعنى ابتداي بسم الله فبسم
في موضع رفع خبر الابتدا وقيل الخبر محذوف اي ابتداي مستقر او ثابت بسم الله فاذا اظهرته كان
بسم الله في موضع نصب بثابت او مستقر وكان بمنزلة قولك زيد في الدار وفي التنزيل فلما راه مستقرا
عنده فعنده في موضع نصب روى هذا عن نحاة اهل البصرة وقيل التقدير ابتداي بسم الله موجود
او ثابت فبسم في موضع نصب بالمصدر الذي هو ابتداي **الثالثة عشرة** بسم الله يكتب بغير
الف استغنى عنها بيا الالصاق في اللفظ والخط بكثرة الاستعمال خلاف قوله اقرا باسم ربك فانها
لم تحذف لقلة الاستعمال واختلفوا في حذفها مع الرحمن والقاهر فقال الكساي وسعيد الاخفش
تحذف الالف وقال يحيى بن وثاب لا تحذف الا مع بسم فقط لان الاستعمال انما كثر فيه **الرابعة عشرة**
واختلف في تخصيص بالجر بالكسر على ثلاثة معان فقيل ليناسب لفظها عملها وقيل لما كانت البا
لا تدخل الا على الاسما خصت بالخفض الذي لا يكون الا في الاسما الثالث ليفرق بينها وبين ما قد يكون
من الحروف اسما نحو الكاف في قول الشاعر ... ورحنا بك ابن الماء يجنب وسطنا
اي بمثل ابن الما وما كان مثله **الخامسة عشرة** اسم وزنه افع الذاهب منه الواو لانه من
سموت وجمعه اسما وتصغيره سمي واختلف في تقدير اصله فقيل فعل وقيل فعل قال الجوهري
واسما تكون جمعا لهذا الوزن وهو مثل جذع واجذاع وقفل واقفال وهذا لا تدرك صيغته الا
بالسماع وفيه اربع لغات اسم بالكسر واسم بالضم قال احمد بن يحيى من ضم الالف اخذه من سموت
اسمو ومن كسره اخذه من سميت اسمي ويقال وسم واسم وينشد

والله اسماك سما مباركا ... اثرك الله به ايثاركا

اخر ... وعامنا اعجبنا مقدمه ... يدعا ابا السمح وقرصاب سمه ... مبتركا لكل عظم يلجمه
قرصب الرجل اذا اكل شيا يابسا فهو قرصاب سمه بالضم والكسر جميعا ومنه قول الاخر
باسم الذي في كل سورة سمه ... وسكنت السين من بسم اعتلالا على غير قياس والفه الف وصل
وربما جعلها الشاعر الف قطع للضرورة كقول الاحوص

وما انا بالمخسوس في خذم مالك ... ولا من تسمى ثم يلتزم الاسما

السادسة عشرة تقول في النسب الى الاسم سموي وان شيت اسمي تركته على حاله وجمعه
اسما وجمع الاسما اسام وحكى الفرا اعيذك باسما وان الله **السابعة عشرة** واختلفوا
في اشتقاق الاسم على وجهين فقال البصريون هو مشتق من السمو وهو العلا والرفعة فقيل اسم
لان صاحبه بمنزلة المرتفع به وقيل لان الاسم يسمو بالمسمى فيرفعه عن غيره وقيل انما سمي الاسم
اسما لانه علا بقوته على قسمي الكلام الحرف والفعل والاسم اقوى منهما بالاجماع لانه الاصل فلعلوه

عليهما

عليهما سمي اسما فهذه ثلاثة اقوال وقال الكوفيون انه مشتق من السمة وهي العلامة لان الاسم علامة
لمن وضع له فاصل اسم على هذا وسم والاول اصح لانه يقال في التصغير سمي وفي الجمع اسما والجمع
والتصغير يرد ان الاسما الى اصولها فلا يقال وسيم ولا اوسام ويدل على صحته ايضا فايدة الخلاف وهي
الثامنة عشرة فان من قال الاسم مشتق من العلو تقول لم يزل الله سبحانه موصوفا قبل وجود الخلق
وبعد وجودهم وعند فنايهم لا تاثير لهم في اسمايه ولا صفاته وهذا قول اهل السنة ومن قال الاسم
مشتق من السمة تقول كان الله في الازل بلا اسم ولا صفة فلما خلق الخلق جعلوا له اسما وصفات فاذا
افناهم بقي بلا اسم ولا صفة وهذا قول المعتزلة وهو خلاف ما اجمعت عليه الامة وهو اعظم في الخطا
من قولهم ان كلامه مخلوق تعالى الله عن ذلك وعلى هذا الخلاف وقع الكلام في الاسم والمسمى وهي
التاسعة عشرة فذهب اهل الحق فيما نقل القاضي ابو بكر بن الطيب الى ان الاسم هو المسمى
وارتضاه ابن فورك وهو قول ابي عبيدة وسيبويه فاذا قال قايل الله عالم فقوله دال على الذات الموصوفة
بكونه عالما فالاسم كونه عالما وهو المسمى بعينه وكذلك اذا قال الله خالق فالخالق هو الرب وهو بعينه
الاسم فالاسم عندهم هو المسمى بعينه من غير تفصيل قال ابن الحصار من ينفي الصفات من المبتدعة
يزعم ان لا مدلول للتسميات الا الذات ولذلك يقولون الاسم غير المسمى ومن يثبت الصفات يثبت
للتسميات مدلولات هي اوصاف الذات وهي غير العبارات وهي الاسما عندهم وسياتي لهذا مزيد بيان
في البقرة والاعراف ان شا الله تعالى **الموفية عشرين** قوله الله هذا الاسم اكبر اسمايه سبحانه
واجمعها حتى قال بعض العلما انه اسم الله الاعظم ولم يتسم به غيره ولذلك لم يثن ولم يجمع وهو
احد تاويلي قوله تعالى هل تعلم له سميا اي من تسمى باسمه الذي هو الله فالله اسم للموجود الحق الجامع
لصفات الالهية المنعوت بنعوت الربوبية المنفرد بالوجود الحقيقي لا اله الا هو سبحانه وقيل معناه
الذي يستحق ان يعبد وقيل معناه واجب الوجود الذي لم يزل ولا يزال والمعنى واحد **الحادية والعشرون**
واختلفوا في هذا الاسم هل هو مشتق او موضوع للذات علم فذهب الى الاول كثير من اهل العلم واختلفوا
في اشتقاقه واصله فروى سيبويه عن الخليل ان اصله الاه مثل فعال فادخلت الالف واللام بدلا من
الهمزة قال سيبويه مثل الناس اصله اناس وقيل اصل الكلمة لاه وعليه دخلت الالف واللام للتعظيم
وهذا اختيار سيبويه وانشد

لاه ابن عمك لا افضلت في حسب ... عني ولا انت دياني فتخزوني

وكذا الرواية فتخزوني بالخا المعجمة ومعناه تسوسني وقال الكساي والفرا معنى بسم الله بسم الاله
فحذفوا الهمزة وادغموا اللام الاولى في الثانية فصارتا لاما مشددة كما قال عز وجل لكنا هو الله ربي
ومعناه لكن انا كذلك قراها الحسن ثم قيل هو مشتق من وله اذا تحير والوله ذهاب العقل يقال رجل
واله وامراة والهة وواله وما موله ارسل في الصحارى فالله سبحانه تتحير الالباب وتذهب في حقايق
صفاته والفكر في معرفته فعلى هذا اصل الاه ولاه وان الهمزة مبدلة من واو كما ابدلت في اشاح ووشاح
واسادة ووسادة وروي عن الخليل وروي عن الضحاك انه قال انما سمي الله الها لان الخلق يتالهون اليه
في حوايجهم ويتضرعون اليه عند شدايدهم وذكر عن الخليل بن احمد انه قال لان الخلق يالهون اليه بنصب
اللام ويالهون ايضا بكسرها وهما لغتان وقيل انه مشتق من الارتفاع فكانت العرب تقول لكل شي مرتفع
لاها وكانوا يقولون اذا طلعت الشمس لاهة وقيل هو مشتق من اله الرجل اذا تعبد وتاله اذا تنسك ومن
ذلك قوله تعالى ويذرك والاهتك على هذه القراة فان ابن عباس وغيره قالوا وعبادتك قالوا فاسم الله
مشتق من هذا فالله سبحانه معناه المقصود بالعبادة ومنه قول الموحدين لا اله الا الله معناه لا معبود
غير الله والا في الكلمة بمعنى غير لا بمعنى الاستثنا وزعم بعضهم ان الاصل فيه الها التي هي الكناية عن الغايب
وذلك انهم اثبتوه موجودا في فطر عقولهم فاشاروا اليه بحرف الكناية ثم زيدت فيه لام الملك اذ قد علموا
انه خالق الاشيا ومالكها وصار له ثم زيدت فيه الالف واللام تعظيما وتفخيما القول الثاني
ذهب اليه جماعة من العلما ايضا منهم الشافعي وابو المعالي والخطابي والغزالي والمفضل وغيرهم وروي
عن الخليل وسيبويه وان الالف واللام لازمة له لا يجوز حذفهما منه قال الخطابي والدليل على ان الالف
واللام من بنية هذا الاسم ولم يدخلا للتعريف دخول حرف الندا عليه كقولك يا الله وحروف الندا لا تجتمع
مع الالف واللام للتعريف الا ترى انك لا تقول يا الرحمن ولا يا الرحيم كما تقول يا الله فدل على انه من بنية
الاسم والله اعلم **الثانية والعشرون** واختلفوا ايضا في اشتقاق اسمه الرحمن فقال بعضهم
لا اشتقاق له لانه من الاسما المختصة به سبحانه ولانه لو كان مشتقا من الرحمة لاتصل بذكر المرحوم
فجاز ان يقال الله رحمان بعباده كما يقال رحيم بعباده وايضا لو كان مشتقا من الرحمة لم تنكره العرب

جين سمعوه اذ كانوا لا ينكرون رحمة ربهم وقد قال الله عزوجل واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن
الاية ولما كتب علي رضي الله عنه في صلح الحديبية بامر النبي صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم قال
سهيل بن عمرو اما بسم الله الرحمن الرحيم فما ندري ما بسم الله الرحمن الرحيم ولكن اكتب ما نعرف باسمك اللهم
الحديث قال ابن العربي انما جهلوا الصفة دون الموصوف واستدل على ذلك بقوله وما الرحمن ولم يقولوا
ومن الرحمن قال ابن الحصار وكانه رحمه الله لم يقرا الاية الاخرى وهم يكفرون بالرحمن وذهب الجمهور من الناس
الى ان الرحمن مشتق من الرحمة مبني على المبالغة ومعناه ذو الرحمة الذي لا نظير له فيها ولذلك لا يثنى ولا يجمع
كما يثنى الرحيم ويجمع قال ابن الحصار ومما يدل على الاشتقاق ما خرجه الترمذي وصححه عن عبد الرحمن بن
عوف انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عزوجل انا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها
اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته وهذا نص في الاشتقاق فلا معنى للمخالفة والشقاق
وانكار العرب له لجهلهم بالله وبما وجب له **الثالثة والعشرون** زعم المبرد فيما ذكر ابن الانباري
في كتاب الزاهر له ان الرحمن اسم عبراني فجامعه بالرحيم وانشد

لن تدركوا المجد او تشروا عباءكم ● بالخز او تجعلوا الينبوت ضمرانا ●
او تتركون الى القسين هجرتكم ● ومسحكم صلبهم رحمان قربانا ●

وقال ابو اسحاق الزجاج في معاني القران وقال احمد بن يحيى الرحيم عربي والرحمن عبراني فلهذا جمع
بينهما وهذا القول مرغوب عنه وقال ابو العباس النعت قد يقع للمدح كما تقول قال جرير الشاعر
وروى مطر عن قتادة في قول الله عزوجل بسم الله الرحمن الرحيم قال مدح نفسه وقال ابو اسحاق
وهذا قول حسن وقال قطرب يجوز ان يكون جمع بينهما للتوكيد قال ابو اسحاق وهذا قول حسن وفي
التوكيد اعظم الفائدة وهو كثير في كلام العرب يستغنى عن الاستشهاد والفائدة في ذلك
ما قاله محمد بن يزيد انه تفضل بعد تفضل وانعام بعد انعام وتقوية لمطامع الراغبين ووعد لا يخيب
آمله **الرابعة والعشرون** واختلفوا اهل هما بمعنى واحد او بمعنيين فقيل هما بمعنى واحد كندمان
ونديم قاله ابو عبيدة وقيل ليس بنا فعلان كفعيل فان فعلان لا يقع الا على مبالغة الفعل
نحو قولك رجل غضبان للممتلي غضبا وفعيل قد يكون بمعنى الفاعل والمفعول قال عملس

فاما اذا عضت بك الحرب عضة ● فانك معطوف عليك رحيم ●

فالرحمن خاص الاسم عام الفعل والرحيم عام الاسم خاص الفعل هذا قول الجمهور قال ابو علي الفارسي الرحمن
اسم عام في جميع انواع الرحمة يختص به الله والرحيم انما هو في جهة المومنين كما قال تعالى وكان
بالمومنين رحيما وقال العرزمي الرحمن بجميع خلقه في الامطار ونعم الحواس والنعم العامة والرحيم بالمومنين
في الهداية لهم واللطف بهم وقال ابن المبارك الرحمن الذي اذا سيل اعطى والرحيم اذا لم يسال غضب
وروى ابن ماجة في سننه والترمذي في جامعه عن ابي صالح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من لم يسال الله يغضب عليه لفظ الترمذي وقال ابن ماجة من لم يدع الله غضب عليه قال وسالت
ابا زرعة عن ابي صالح هذا فقال هو الذي يقال له الفارسي وهو خوزي ولا اعرف اسمه وقد اخذ بعض الشعرا
هذا المعنى فقال

الله يغضب ان تركت سواله ● وبني ادم حين يسال يغضب ●

وقال ابن عباس هما اسمان رفيقان احدهما ارق من الاخر اي اكثر رحمة قال الخطابي وهذا مشكل لان الرقة
لا مدخل لها في شي من صفات الله تعالى وقال الحسين بن الفضل البجلي هذا وهم من الراوي لان الرقة
ليست من صفات الله تعالى في شي وانما هما اسمان رفيقان احدهما ارفق من الاخر والرفق من صفات الله
جل وعز قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف ه
الخامسة والعشرون اكثر العلما على ان الرحمن مختص بالله عزوجل لا يجوز ان يسمى به غيره الا تراه
قال قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن فعادل الاسم الذي لا يشركه فيه غيره وقال واسال من ارسلنا من قبلك
من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون فاخبر ان الرحمن هو المستحق للعبادة جل وعز وقد
تجاسر مسيلمة الكذاب لعنه الله فتسمى برحمان اليمامة ولم يتسم به حتى قرع مسامعه فالزمه
الله تعالى نعت الكذب لذلك وان كان كل كافر كاذبا فقد صار هذا الوصف لمسيلمة علما يعرف به الزمه
الله اياه وقد قيل في اسمه الرحمن انه اسم الله الاعظم ذكره ابن العربي **السادسة والعشرون**
الرحيم صفة مطلقة للمخلوقين ولما في الرحمن من العموم قدم في كلامنا على الرحيم مع موافقة التنزيل
قاله المهدوي وقيل ان معنى الرحيم اي بالرحيم وصلوا الى الله والى الرحمن فالرحيم نعت محمد صلى الله عليه وسلم
وقد نعته تعالى بذلك فقال روف رحيم فكان المعنى ان يقول بسم الله الرحمن وبالرحيم اي بمحمد صلى الله
عليه وسلم وصلتم الي اي باتباعه وبما جاء به وصلتم الى ثوابي وكرامتي والنظر الى وجهي والله اعلم

السابعة

بلغ مقابلة

السابعة والعشرون روي عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه انه قال في قوله تعالى بسم الله انه شفاء من كل
داء وعون على كل دوا واما الرحمن فهو عون لكل من امن به وهو اسم لم يسم به غيره واما الرحيم فهو لمن تاب وامن وعمل
صالحا وقد فسره بعضهم على الحروف فروي عن عثمان بن عفان انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير بسم الله
الرحمن الرحيم فقال اما البا فبلا الله وروحه ونضره وبهاوه واما السين فسنا الله واما الميم فملك الله واما الله
فلا اله غيره واما الرحمن فالعاطف على البر والفاجر من خلقه واما الرحيم فالرفيق بالمومنين خاصة وروي
عن كعب الاحبار انه قال البا بهاوه والسين سناوه فلا شي اعلا منه والميم ملكه وهو على كل شي قدير فلا شي يعاده وقد
قيل ان كل حرف هو افتتاح اسم من اسمائه فالبا مفتاح اسمه بصير والسين مفتاح سميع والميم مفتاح اسمه مليك والالف
مفتاح اسمه الله واللام مفتاح اسمه لطيف والها مفتاح اسمه هادي والرا مفتاح اسمه رازق والحا مفتاح اسمه حليم
والنون مفتاح اسمه نور ومعنى هذا كله دعا الله تعالى عند افتتاح كل شي **الثامنة والعشرون** واختلف في
وصلم
الرحيم بالحمد لله فروي عن ام سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم الرحيم الحمد يسكن الميم ويقف عليها ويبتدى بالف
مقطوعة وقرا به قوم من الكوفيين وقرا جمهور الناس الرحيم الحمد تعرب الرحيم بالخفض وتوصل الالف من الحمد
وحكى الكسائي عن بعض العرب انها تقرا الرحيم الحمد بفتح الميم وصلة الالف كانه سكنت الميم وقطعت الالف
ثم القيت حركتها على الميم وحذفت قال ابن عطية ولم ترو هذه قراة عن احد فيما علمت وهذا نظر يحيى بن
زياد في قوله تعالى الم الله

سورة الفاتحة

تفسير سورة الفاتحة بحول الله وكرمه وفيها اربعة ابواب **الباب الاول**
في فضلها واسمايها وفيه سبع مسايل **الاولى** روى الترمذي عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما انزل الله في التوراة ولا في الانجيل مثل ام القران وهي السبع المثاني وهي مقسومة بيني وبين عبدي ولعبدي
ما سال اخرجه مالك عن العلا بن عبد الرحمن بن يعقوب ان ابا سعيد مولى عامر بن كريز اخبره ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم نادى ابي بن كعب وهو يصلي فذكر الحديث قال ابن عبد البر ابو سعيد لا يوقف له على اسم وهو
معدود في اهل المدينة روايته عن ابي هريرة وحديثه هذا مرسل وقد روي هذا الحديث عن ابي سعيد بن المعلى
رجل من الصحابة لا يوقف على اسمه ايضا رواه عنه حفص بن عاصم وسعيد بن جبير **قلت** كذا قال في التمهيد
لا يوقف له على اسم وذكر في كتاب الصحابة الاختلاف في اسمه والحديث خرجه البخاري عن ابي سعيد بن المعلى
قال كنت اصلي في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم اجبه فقلت يا رسول الله اني كنت اصلي
فقال الم يقل الله استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم ثم قال اني لاعلمنك سورة هي اعظم السور في القران
قبل ان تخرج من المسجد ثم اخذ بيدي فلما اراد ان يخرج قلت له الم تقل لاعلمنك سورة هي اعظم سورة في القران
قال الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقران العظيم الذي اوتيته قال ابن عبد البر وغيره ابو سعيد بن
المعلى من جلة الانصار وسادات الانصار تفرد به البخاري واسمه رافع ويقال الحارث بن نفيع بن المعلى
ويقال اوس بن المعلى ويقال ابو سعيد بن اوس توفي سنة اربع وسبعين وهو ابن اربع وستين وهو اول
من صلى الى القبلة حين حولت وسياتي وقد اسند حديث ابي يزيد بن زريع قال حدثنا روح بن القسم عن العلا
ابن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي هريرة قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابي وهو يصلي فذكر الحديث بمعناه
وذكر ابن الانباري انه حدثني ابي حدثني ابو عبيد الله الوراق نا ابو داود نا شيبان عن منصور عن مجاهد قال
ان ابليس لعنه الله رن اربع رنات حين لعن وحين اهبط من الجنة وحين بعث محمد صلى الله عليه وسلم وحين
انزلت فاتحة الكتاب وانزلت بالمدينة **الثانية** واختلف العلما في تفضيل بعض السور على بعض والاي ه
وتفضيل بعض اسما الله الحسنى على بعض فقال قوم لا فضل لبعض على بعض لان الكل كلام الله وكذلك اسماوه
لا مفاضلة بينها ذهب الى هذا ابو الحسن الاشعري والقاضي ابو بكر بن الطيب وابو حاتم محمد بن حبان البستي ه
وجماعة من الفقها وروي معناه عن مالك قال يحيى بن يحيى تفضيل بعض القران على بعض خطا وكذلك كره مالك
ان تعاد سورة او تردد دون غيرها وقال عن مالك في قوله تعالى نات بخير منها او مثلها قال محكمة مكان
منسوخة وروى ابن كنانة مثل ذلك كله عن مالك واحتج هولا بان قالوا ان الافضل يشعر بنقص المفضول
والذاتية في الكل واحدة وهي كلام الله وكلام الله تعالى لا نقص فيه قال البستي ومعنى هذه اللفظة ما في
التوراة ولا في الانجيل مثل ام القران ان الله تعالى لا يعطي لقاري التوراة والانجيل من الثواب مثل ما يعطي لقاري
ام القران اذ الله بفضله فضل هذه الامة على غيرها من الامم واعطاها من الفضل على قراة كلامه اكثر ما اعطى
غيرها من الفضل على قراة كلامه وهو فضل منه لهذه الامة قال ومعنى قوله اعظم سورة اراد به في الاجر لا ان
بعض القران افضل من بعض وقال قوم بالتفضيل وان ما تضمنه قوله تعالى والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم
واية الكرسي واخر سورة الحشر وسورة الاخلاص من الدلالات على وحدانيته وصفاته ليس موجودا مثلا في
تبت يدا ابي لهب وما كان مثلها فالتفضيل انما هو بالمعاني العجيبة وكثرتها لا من حيث الصفة وهذا هو الحق
وممن قال بالتفضيل اسحاق بن راهويه وغيره من العلما والمتكلمين وهو اختيار القاضي ابو بكر بن العربي وابن الحصار
لحديث ابي سعيد بن المعلى وحديث ابي بن كعب انه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابي اي اية معك في

كتاب الله اعظم قال قلت الله لا اله الا هو الحي القيوم وضرب في صدري وقال ليهنك العلم يا ابا المنذر واخرجه البخاري ومسلم قال ابن الحصار ربما يحتج بهذا من ذكر الاختلاف في هذه النصوص وقال ابن العربي قوله ما انزل الله في التوراة ولا في الانجيل ولا في القرآن مثلها وسكت عن سائر الكتب كالصحف المنزلة والزبور وغيرها لان هذه المذكورة افضلها واذا كان الشيء افضل الافضل كان افضل الكل كقولك زيد افضل العلماء فهو افضل الناس وفي الفاتحة من الصفات ما ليس لغيرها حتى قيل ان جميع القرآن فيها وهي خمس وعشرون كلمة تضمنت جميع علوم القرآن ومن ثم قيل ان الله سبحانه قسمها بينه وبين عبده ولا تصح القرية الا بها ولا يحق عمل بتوابها وبهذا المعنى صارت ام القرآن كما صارت قل هو الله احد تعدل ثلث القرآن اذ القرآن توحيد واحكام ووعظ وقل هو الله احد فيها التوحيد كله وبهذا المعنى وقع البيان في قوله عليه السلام لاي اية في كتاب اعظم قال الله لا اله الا هو الحي القيوم وانما كانت اعظم اية لانها توحيد كلها كما صارت قوله افضل ما قلت انا والنبيون من قبلي لا اله الا الله وحده لا شريك له افضل الذكر لانها كلمة حوت جميع العلوم في التوحيد والفاتحة تضمنت التوحيد والعبادة والوعظ والتذكير ولا يستبعد ذلك في قدرة الله تعالى **الثالثة** روى علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتحة الكتاب واية الكرسي وشهد الله انه لا اله الا هو وقل اللهم مالك الملك هذه الايات معلقات بالعرش ليس بينهن وبين الله حجاب اسنده ابو عمر والداني في كتاب البيان له **الرابعة** في اسمها وهي اثنا عشر اسما **الاول** الصلاة قال الله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين الحديث وقد تقدم **الثاني** الحمد لان فيها ذكر الحمد كما يقال سورة الاعراف والانفال والتوبة ونحوها **الثالث** فاتحة الكتاب من غير خلاف بين العلماء وسميت بذلك لانه يفتتح قراءة القرآن بها لفظا ويفتتح بها الكتابة في المصحف خطا ويفتتح بها الصلوات **الرابع** ام الكتاب وفي هذا الاسم خلاف جوزه الجمهور وكرهه الحسن وابن سيرين قال الحسن ام الكتاب احلال وحرام قال الله تعالى وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم وقال ابن سيرين اسم اللوح المحفوظ قال الله تعالى وانه في ام الكتاب **الخامس** ام القرآن واختلف فيه ايضا فجوزه الجمهور وكرهه انس وابن سيرين والاحاديث الآتية تردهذين القولين روى الترمذي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله ام القرآن وام الكتاب والسبع المثاني قال هذا حديث حسن صحيح وفي البخاري قال وسميت ام القرآن لانه يبدأ بكتابتها في المصحف ويبدأ بقرائتها في الصلاة قال يحيى بن يعمر ام القرى مكة وام خراسان مرو وام القرآن سورة الحمد وقيل سميت ام القرآن لانها اوله ومتضمنة لجميع علومه وبه سميت مكة ام القرى لانها اول الارض ومنها دحيت ومنها سميت الام اما لانها اصل النسل والارض اما في قوله امية بن ابي الصلت

فالارض معقلنا وكانت امنا ٭ فيها مقابرنا وفيها نولد

ويقال لراية الحرب ام لتقدمها واتباع الجيش لها واصل ام امهة ولذلك تجمع امهات قال الله تعالى وامهاتكم ويقال امات بغير هاء قال

فرجت الطلا بامانك ٭

وقيل ان امهات في الناس وامات في البهائم حكاه ابن فارس في المجمل **السادس** المثاني سميت بذلك لانها تثنى في كل ركعة وقيل سميت بذلك لانها استثنيت لهذه الامة فلم تنزل على احد قبلها وخرها **السابع** القرآن العظيم سميت بذلك لتضمنها جميع علوم القرآن وذلك انها تشتمل على الله عز وجل باوصاف كماله وجلاله وعلى الامر بالعبادات والاخلاص فيها والاعتراف بالعجز عن القيام بشيء منها الا باعانته تعالى وعلى الابتهال اليه في الهداية الى الصراط المستقيم وكفاية احوال السالكين وعلى عاقبة بيان الجاحدين **الثامن** الشفا روى الدارمي عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتحة الكتاب شفاء من كل سم **التاسع** الرقية ثبت ذلك من حديث ابي سعيد الخدري وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للرجل الذي رقى سيد الحي حين اراد اخذ الشاة اصبت رقية فقال ما يدريك انها رقية ثم قال اقسموا واضربوا لي معكم سهما وسيأتي بقية الحديث مخرجه في الايمة وسيأتي بتمامه **العاشر** الاساس شكى رجل الى الشعبي وجع الخاصرة فقال عليك باساس القرآن فاتحة الكتاب سمعت ابن عباس يقول لكل شيء اساس واساس الدنيا مكة لانها منها دحيت واساس السموات عربيا وهي السماء السابعة واساس الارضين تحتها وهي الارض السابعة السفلى واساس الجنان جنة عدن وهي سرة الجنان عليها اسست الجنة واساس النار جهنم وهي الدركة السابعة السفلى عليها اسست الدركات واساس الخلق ادم واساس الانبياء نوح واساس بني اسرائيل يعقوب واساس لكتب القرآن واساس القرآن الفاتحة واساس الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم فاذا اعتللت او اشكيت فعليك بالفاتحة تشفى **الحادي عشر** الوافية قاله سفيان بن عيينة لانها لا تنتصف ولا تحتمل الاجتزال ولو قرأ من سائر السور نصفها في ركعة ونصفها الاخر في ركعة لاجزا ولو نصفت الفاتحة في ركعتين لم تجز **الثاني عشر** الكافية قاله يحيى بن ابي كثير لانها تكفي عن سواها ولا يكفي سواها عنها يدل عليه ما روى محمد بن خلاد الاسكندراني قال قالا النبي صلى الله عليه وسلم ام القرآن عوض من غيرها وليس غيرها منها عوضا **الخامسة** قال المهلب ان موضع الرقية انما هو اياك

نعبد واياك نستعين وقيل السورة كلها رقية لقوله عليه السلام للرجل لما اخبره وما ادراك انها رقية ولم يقل ان فيها رقية وعلى هذا فالسورة باجمعها رقية لانها فاتحة الكتاب وعيدوه متضمنة لجميع علومه كما تقدم والله اعلم **السادسة** ليس في تسميتها بالمثاني وام الكتاب ما يمنع من تسميتها غيرهما بذلك قال الله تعالى كتابا متشابها مثاني فاطلق على كتابه مثاني لان الاخبار تثنى فيه وقد سميت السبع الطول ايضا مثاني لان القرايض والقصص يثنى فيها قال ابن عباس اوتي رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعا من المثاني قال السبع الطول ذكره النسائي وهي من البقرة الى الاعراف سميت بذلك لان القراءة تثنى فيها وقيل الانفال والتوبة وهو قول مجاهد وسعيد بن جبير وقال اعشى همدان

فآليت لا ابغي القلوص ولا ارى ٭ لها المسجد واد سواه ولا اليا

وسيأتي لهذا مزيد بيان في سورة الحجر ان شاء الله تعالى **السابعة** المثاني جمع مثنى وهي التي جاءت بعد الاولى كالطول جمع طولى وقد سميت الانفال من المثاني لانها تثنو الطولى في القدر والتي تلي الطولى تسمى المئين لانها تثنو المئين وتنقص عنها والمئون هي التي تلي المئين والتي تلي كل واحدة منها على مباينة اية واسم المفصل الثاني في نزولها واحكامها وفيه عشرون مسئلة **الاولى** اجمعت الامة على ان فاتحة الكتاب في سبع اياتها الا ما روي عن الحسين الجعفي انها ست وهذا شاذ والا ما روي عن عمرو بن عبيد انه جعل اياك نعبد اية وهو على عدة ثماني اياتها وهذا شاذ وقوله تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم وقوله قسمت الصلاة الحديث يريد هذين القولين واجمعت الامة ايضا انها من القرآن فان قيل لو كانت قرآنا لاثبتها عبد الله بن مسعود في مصحفه فالجواب انه لم يثبتها دليل على انها ليست من القرآن كالمعوذتين عنده فالجواب الصحيح ما ذكره ابو بكر الانباري قال احدثنا الحسن بن الحباب قال حدثنا سليمان بن الاشعث قال حدثنا ابن قدامة قال اخبرنا جرير عن الاعمش عن ابي ظبيان عن ابراهيم قال قيل لعبد الله بن مسعود لم لم تكتب فاتحة الكتاب في مصحفك قال لو كتبتها لكتبتها مع كل سورة قال ابو بكر يعني ان كل ركعة سبيلها ان تفتتح بام القرآن قبل السورة المتلوة بعدها فقال اختصرت باسقاطها ووثقت بحفظ المسلمين لها ولم اكتبها في موضع فيلزمني ان اكتبها مع كل سورة اذ كانت يتقدمها في الصلاة **الثانية** واختلفوا هل هي مكية او مدنية فقال ابن عباس وقتادة وابو العالية الرياحي واسمه رفيع وغيرهم هي مكية وقال ابو هريرة ومجاهد وعطاء بن يسار والزهري وغيرهم هي مدنية ويقال نزلت نصفها بمكة ونصفها بالمدينة حكاه ابو الليث نصر بن محمد بن ابراهيم السمرقندي في تفسيره والاول اصح لقوله تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم والحجر مكية باجماع ولا خلاف ان فرض الصلاة كان بمكة وما حفظ انه كان في الاسلام قط صلاة بغير الحمد لله رب العالمين يدل على هذا قوله عليه السلام لا صلاة الا بفاتحة الكتاب وهذا خبر عن الحكم لا عن الابتداء والله اعلم وقد ذكر القاضي ابو الطيب اختلاف الناس في اول ما نزل من القرآن فقيل المدثر وقيل اقرأ وقيل الفاتحة وذكر البيهقي في دلايل النبوة عن ابي ميسرة عمرو ابن شرحبيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لخديجة اني اذا خلوت وحدي سمعت نداء وقد والله خشيت ان يكون هذا امرا قالت معاذ الله ما كان الله ليفعل بك فوالله انك لتؤدي الامانة وتصل الرحم وتصدق الحديث فلما دخل ابو بكر ولبس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثيابه ذكرت خديجة حديثه له قالت يا عتيق اذهب مع محمد الى ورقة فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ ابو بكر بيده فقال انطلق بنا الى ورقة فقال ومن اخبرك قال خديجة فانطلقا اليه فقصا عليه فقال اذا خلوت وحدي سمعت نداء فانطلق يا محمد يا محمد فانطلق هاربا حتى اذا كان في الارض فقال لا تفعل اذا اتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول ثم ائتني فاخبرني فلما خلا ناداه يا محمد قل بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين حتى بلغ ولا الضالين قال قل لا اله الا الله فاتى ورقة فذكر ذلك له فقال له ورقة ابشر ثم ابشر فانا اشهد انك الذي بشر به ابن مريم وانك على مثل ناموس موسى وانك نبي مرسل وانك سوف تؤمر بالجهاد بعد يومك هذا وان يدركني ذلك لاجاهدن معك فلما توفي ورقة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رايت القسي في الجنة عليه ثياب الحرير لانه امن بي وصدقني يعني ورقة قال البيهقي رحمه الله هذا منقطع يعني هذا الحديث فان كان محفوظا فيحتمل ان يكون خبرا عن نزولها بعد ما نزل اقرأ باسم ربك ويا ايها المدثر **الثالثة** قال ابن عطية ظن بعض العلماء ان جبريل عليه السلام لم يبتدئ بسورة الحمد لما رواه مسلم عن ابن عباس قال بينما جبريل قاعد عند النبي صلى الله عليه وسلم سمع نقيضا من فوقه فرفع راسه فقال هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط الا اليوم فنزل منه ملك فقال هذا ملك نزل الى الارض لم ينزل الا اليوم فسلم وقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يوتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لم يقرا بحرف منهما الا اوتيته قال ابن عطية وليس كما ظن فهذا الحديث يدل ان جبريل عليه السلام تقدم الملك الى النبي صلى الله عليه وسلم فعلمه به وبما يقول معه وعلى هذا يمكن جبريل شارك في نزولها والله اعلم **قلت** الظاهر من الحديث يدل على ان جبريل عليه السلام لم يعلم

النبي صلى الله عليه وسلم شيئا من ذلك وقد بينا ان نزوله كان بمكة نزل بها جبريل عليه السلام لقوله تعالى نزل به
الروح الامين وهذا يقتضي جميع القرآن فيكون جبريل عليه السلام نزل بتلاوته بمكة ونزل الملك بتلاوتها بالمدينة
والله اعلم او قد يحمل ان ملائكة غير جبريل نزلت بصاحبيه مرتين حكاه الثعلبي وذكر اه اولى فانه جمع بين القرآن والسنة
ولله الحمد والمنة **القرابعة** قد تقدم ان البسملة ليست منها بآية على القول الصحيح واذا ثبت ذلك فحكم
المفصل اذا اراد ان يصله بالفاتحة ولا يسكت ولا يذكر توجيها ولا تشبيها حديث عائشة وانس المتقدمين
وغيرهما وقد جاءت احاديث التوجيه والتشبيه والسكوت فالعمل بجماعة منها فروى عن عمر بن الخطاب
وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما انهما كانا يقولان اذا افتتح الصلاة سبحانك اللهم وبحمدك تبارك
اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك وبه قال اسحاق واحمد واصحاب الرأي وكان انشنا فعي يقول بالذي
روي عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اذا افتتح الصلاة كبر ثم قال وجهت وجهي الحديث ذكره مسلم وسيأتي تمامه
في آخر سورة الانعام وهنالك يأتي القول في وجه مستوفى وان شاء الله قال ابن الحسن رأيت ابا يوسف صلى
الله عليه وسلم كان اذا كبر في الصلاة سكت هنيهة قبل ان يقرأ يقول اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت
بين المشرق والمغرب اللهم نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الابيض من الدنس اللهم اغسلني من خطاياي
بالماء الثلج والبرد واستعاذ كذلك ابو هريرة وقال ابو سلمة بن عبد الرحمن للامام سكتتان فاغتنموا فيهما القراءة
وكان الاوزاعي وسعيد بن عبد العزيز واحمد بن حنبل يميلون الى حديث النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب
الخامسة واختلف العلماء في وجوب قراءة الفاتحة في الصلاة فقال مالك واصحابه هي متعينة للامام والمنفرد
في كل ركعة قال ابن خواز بنداد المصري المالكي لم يختلف قول مالك انه من نسيها في ركعة من صلاة او ركعتين من صلاة
تبطل وكذلك اذا تعمد تركها ناسيا في ركعة من صلاة رباعية او ثلاثية فقال مرة يعيد الصلاة
وقال مرة اخرى يسجد سجدتي السهو وقد روى ابن عبد الحكم وغيره عن مالك قال ابن خواز بنداد وقد قيل انه يعيد
تلك الركعة ويسجد للسهو بعد السلام قال ابن عبد البر الصحيح من القول انه تلك الركعة ويأتي بركعة بدلا منها
كمن اسقط سجدة سواء وهو اختيار ابن القاسم وقال الحسن البصري واكثر اهل البصرة والمغيرة بن عبد الرحمن الخزومي
المدني اذا قرأ بام القرآن مرة واحدة في الصلاة اجزاه ولم يكن عليه اعادة لانها صلاة قد قرئ فيها بام القرآن
وفي تمامة لقوله عليه السلام لا صلاة لمن لم يقرأ بام القرآن وهذا قد قرأ بها **قلت** ويحتمل لا صلاة لمن
لم يقرأ بها في كل ركعة وهو الصحيح على ما يأتي ويحتمل لا صلاة لمن لم يقرأ بها في اكثر عدد الركعات وهذا هو
سبب الخلاف والله اعلم **وقال** ابو حنيفة والثوري والاوزاعي ان تركها عامدا في صلاته كلها او قرأ غير ها
اجزاه على اختلاف عن الاوزاعي في ذلك وقال ابو يوسف ومحمد بن الحسن اقله ثلاث آيات او اية طويلة كاية
الدين وعن محمد بن الحسن ايضا قال استوسع الاجتهاد في مقدار اية ومقدار كلمة مفهومة نحو الحمد لله ولا اسوغه
في خرق لان كلا ما وقال الطبري يقرأ المصلي بام القرآن وكل ركعة فان لم يقرأ بها لم يجزه الا مثلها من القرآن
عددا بها وحروفها قالا بن عبد البر وهذا لا معنى له لان التعيين لها والنص عليها قد خصها بهذا الحكم دون غيرها
ومحال ان يحل بالبدل ما من وجبت عليه فتركها وهو قادر عليها وانما عليه ان يجيء بها ويعود اليها كسائر الفروض
المتعينات في العبادات **السادسة** واما المأموم فان ادرك الامام راكعا فالامام يحمل عنه القراءة لاجماعهم
على انه اذا كان ادركه راكعا انه يكبر ويركع ولا يقرأ شيأ وان ادركه قائما فانه يقرأ **وفي المسئلة السابعة**
ولا ينبغي لاحد ان يدع القراءة خلف امامه في صلاة السر فان فعل فقد اساء ولا شيء عليه عند مالك واصحابه واما
اذا جهر الامام **وفي المسئلة الثامنة** فالقراءة بفاتحة الكتاب ولا غيرها في المشهور من مذهب مالك لقول
الله تعالى واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا وقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم مالي انازع القرآن وقوله في الامام
اذا قرأ فانصتوا وقوله من كان له امام فقراءة الامام له قراءة وقال الشافعي فيما حكى عنه البويطي واحمد بن حنبل
لا يجزئ لاحد صلاة حتى يقرأ بفاتحة الكتاب في كل ركعة اماما كان او مأموما جهر امامه او سر وكان الشافعي
بالعراق يقول في المأموم يقرأ اذا اسر ولا يقرأ اذا جهر كمشهور مذهب مالك وقال بمصر فيما يجهر فيه الامام بالقراءة
قولان احدهما ان يقرأ والاخر يجزيه ان لا يقرأ ويكفي قراءة الامام حكاه ابن المنذر وقال ابن وهب واشهب وابن
عبد الحكم وابن حبيب والكوفيون لا يقرأ المأموم شيئا جهر امامه او سر لقوله فقراءة الامام له قراءة وهذا اعم
وقول جابر من صلى ركعة لم يقرأ فيها بام القرآن فلم يصل الا وراء الامام **التاسعة** الصحيح من هذه الاقوال قول
الشافعي واحمد ومالك في القول الاخر وان الفاتحة متعينة في كل ركعة لكل احد على العموم لقوله صلى الله عليه وسلم
لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب وقوله من صلى صلاة لم يقرأ فيها بام القرآن فهي خداج ثلاثا وقال ابو هريرة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نادى انه لا صلاة الا بقراءة فاتحة الكتاب فما زاد اخرجه ابو داود وما لا يجوز
سجود ركعة ولا ركوعها عن ركعة اخرى فكذلك لا يجوز قراءة ركعة عن غيرها وبه قال عبد الله بن عون وايوب
السختياني وابو ثور وغيره من اصحاب الشافعي وداود بن علي وروى مثله عن الاوزاعي وبه قال مكحول وروى

عن عمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس وابو هريرة وابي بن كعب وابي ايوب الانصاري وعبد الله بن عمرو بن
العاص وعبادة بن الصامت وابي سعيد الخدري وعثمان بن ابي العاص وخوات بن جبير انهم قالوا لا صلاة
الا بفاتحة الكتاب وهو قول ابن عمر والمشهور من مذهب الاوزاعي منهم كالقعابة بهم القدوة وفيهم الاسوة
كلهم يوجبون الفاتحة وكل ركعة واخرج الامام ابو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني في سننه
ما يرفع الخلاف ويزيل كل احتمال فقال حدثنا ابو كريب نا محمد بن فضالح وحدثنا سويد بن سعيد نا علي
ابن مسهر جميعا عن ابي سفيان السعدي عن ابي نضرة عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا صلاة لمن لم يقرأ في كل ركعة بالحمد وسورة في فريضة او غيرها وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة انه عليه السلام
قال للذي علمه الصلاة وافعل ذلك في صلاتك كلها وسيأتي ومن الحجة في ذلك ايضا ما رواه ابو داود عن نافع
ابن محمود بن الربيع الانصاري قال ابطأ عبادة عن صلاة الصبح فاقام ابو نعيم المؤذن الصلاة فصلى ابو نعيم
بالناس وانا مع عبادة بن الصامت وانا معه حتى صففنا خلف ابي نعيم وابو نعيم يجهر بالقراءة فجعل عبادة
يقرأ بام القرآن فلما انصرف قلت لعبادة سمعتك تقرأ بام القرآن وابو نعيم يجهر قال اجل صلى بنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعض الصلوات التي يجهر فيها بالقراءة فالتبست علينا فلما انصرف اقبل علينا بوجهه فقال وهل
تقرؤن اذا جهرت بالقراءة فقال بعضهم انا نصنع ذلك قال فلا واني اقول مالي ينازعني القرآن فلا تقرؤا بشيء
من القرآن اذا جهرت الا بام القرآن وهذا نص صريح في المأموم واخرجه ابو عيسى الترمذي من حديث محمد
ابن اسحاق بمعناه وقال حديث حسن والعمل على هذا الحديث في القراءة خلف الامام عند اكثر اهل العلم من اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين وهو قول مالك بن انس وابن المبارك والشافعي واحمد واسحاق يرون القراءة
خلف الامام واخرجه ايضا الدارقطني وقال هذا اسناد حسن ورجاله كلهم ثقات وذكر ان محمد بن الربيع كان
يسكن ايليا وان ابا نعيم اول من اذن في بيت المقدس وقال ابو محمد عبد الحق ونافع بن محمود لم يذكره
البخاري في تاريخه ولا ابن ابي حاتم ولا اخرج له البخاري ومسلم شيأ وقال فيه ابو عمر مجهول وذكر الدارقطني
عن يزيد بن شريك قال سألت ابن عمر عن القراءة خلف الامام فامرني ان اقرأ قلت وان كنت انت قال وان كنت انا
قلت وان جهرت قال وان جهرت قال الدارقطني هذا اسناد صحيح وروى عن جابر بن عبد الله قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا امام ضامن فما صنع فاصنعوا قال ابو حاتم هذا يصح لمن قال بالقراءة خلف الامام
وهذا في ابو هريرة القارسي ان يقرأ بها في نفسه حين قال له اني احيانا اكون وراء الامام ثم استدل بقول
تعالى فسمت الصلاة بيني وبين نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اقرءوا يقول العبد الحمد لله رب العالمين الحديث **العاشرة** اما استدلاله بالاولين بقوله
عليه السلام واذا قرأ فانصتوا فاخرجه مسلم من حديث ابي موسى الاشعري وقال وفي حديث جرير عن سليمان
عن قتادة من الزيادة واذا قرأ فانصتوا قال الدارقطني هذه اللفظة لم يتابع سليمان التيمي فيها عن
قتادة وخالفه الحفاظ من اصحاب قتادة فلم يذكروها منهم شعبة وهشام وسعيد بن ابي عروبة وهمام
وابو عوانة ومعمر وعدي بن ابي عمارة قال الدارقطني فاجماعهم يدل على وهمه وقد روى عن عمر عن عامر عن قتادة
متابعة التيمي ولكن ليس هو بالقوي تركه القطان واخرج ايضا هذه الزيادة ابو داود من حديث ابي هريرة
وقال هذه الزيادة اذا اقرأ فانصتوا ليست بمحفوظة وذكر ابو محمد عبد الحق ان مسلما صحح حديث ابي هريرة
وقال هو عندي صحيح **قلت** وما يدل على صحتها عنده ادخالها في كتابه من حديث ابي موسى وان كانت مما لم
يجمعوا عليها وقد صححها احمد بن حنبل وابن المنذر واما قوله تعالى واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا فانه
نزل بمكة وتحريم الكلام في الصلاة نزل بالمدينة كما قال زيد بن ارقم فلا حجة فيها فان المقصود كان المشركين
على ما قال سعيد بن المسيب وقد روى الدارقطني عن ابي هريرة انها نزلت في رفع الصوت خلف رسول الله
صلى الله عليه وسلم في الصلاة وقال عبد الله بن عامر ضعيف واما قوله عليه السلام مالي انازع القرآن فاخرجه
مالك عن ابن شهاب عن ابن اكيمة الليثي واسمه فيما قال مالك عمرو وغيره يقول عامر وقيل يزيد وقيل عمارة
وقيل عباد يكنى ابا الوليد توفي سنة احدى وماية وهو ابن تسع وسبعين سنة لم يرو عنه الزهري الا هذا الحديث
الواحد وهو ثقة وروى عنه محمد بن عمرو وغيره والمعنى في حديثه لا تجهروا اذا جهرت فان ذلك تنازع له
وتخالج وتخلج اقرؤا في انفسكم ببينه حديث عبادة وقد نبأ الفاروق وابو هريرة الراوي الحديثين فلو
فهم المنع جملة من قوله مالي انازع القرآن لما افتى بخلافه وقول الزهري في حديث ابن اكيمة فانتهى الناس
عن القراءة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جهر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقراءة حين سمعوا ذلك
ذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد بما حمد علمنا بينا وبالله توفيقنا واما قوله صلى الله عليه وسلم من كان
له امام فقراءة الامام له قراءة حديث ضعيف اسنده الحسن بن عمارة وهو متروك وابو حنيفة وهو ضعيف
كلاما من موسى بن ابي عائشة عن عبد الله بن شداد عن جابر اخرجه الدارقطني وقال رواه سفيان الثوري

وشعبة واسرائيل بن يونس وشريك وابو خالد الدالاني وابو الاحوص وسفيان بن عيينة وجرير بن عبد الحميد
وغيرهم عن موسى بن ابي عايشة عن عبد الله بن شداد مرسلا عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو الصواب واما قول جابر من
صلى ركعة لم يقرا فيها بام القران فلم يصل الا وراء امام فرواه مالك عن وهب بن كيسان عن جابر قوله قال ابن
عبد البر ورواه يحيى بن سلام صاحب التفسير عن مالك عن ابي نعيم وهب بن كيسان عن جابر عن النبي صلى الله
عليه وسلم وصوابه موقوف على جابر كما في الموطا وفيه من الفقه ابطال الركعة التي لا يقرا فيها بام القران وهو
يشهد لصحة ما ذهب اليه ابن القاسم ورواه عن مالك في الغا الركعة والبنا على غيرها ولا يعتد المصلي بركعة
لا يقرا فيها بفاتحة الكتاب وفيه ايضا ان الامام قراته لمن خلفه قراة وهذا مذهب جابر وقد خالفه فيه
غيره **الحادية عشرة** قال ابن العربي لما قال صلى الله عليه وسلم لا صلاة لمن لم يقرا بفاتحة الكتاب واختلف الناس
في هذا الاصل هل يحمل النفي على التمام والكمال او على الاجزا اختلفت الفتوى بحسب اختلاف حال الناظر ولما كان الاشهر
في هذا الاصل والاقوى ان النفي على العموم كان الاقوى من رواية مالك ان من لم يقرا الفاتحة في صلاته بطلت ثم
نظرنا في تكرارها في كل ركعة فمن تاول قول النبي صلى الله عليه وسلم افعل ذلك في صلاتك كلها لزمه ان يعيد
القراة كما يعيد الركوع والسجود والله اعلم **الثانية عشرة** ما ذكرناه في هذا الباب من الاحاديث من تعيين
الفاتحة يرد على الكوفيين قولهم في ان الفاتحة لا تتعين وانها وغيرها من اي القران سوا وقد عينها النبي
صلى الله عليه وسلم بقوله كما ذكرنا وهو المبين عن الله تعالى مراده في قوله واقيموا الصلاة وقد روى ابو داود عن
ابي سعيد الخدري قال امرنا ان نقرا بفاتحة الكتاب وما تيسر فدل هذا الحديث على ان قوله عليه السلام
للاعرابي اقرا ما تيسر معك من القران ما زاد على الفاتحة وهو يفسر قوله تعالى فاقروا ما تيسر منه
وقد روى مسلم عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا صلاة لمن لم يقرا بام القران زاد
في رواية فصاعدا وقوله عليه السلام هي خداج ثلاثا غير تام اي غير مجزية بالادلة المذكورة والخداج
النقص والفساد قال الاخفش خدجت الناقة اذا القت ولدها لغير تمام واخدجت اذا قذفت به
قبل وقت الولادة وان كان تام الخلق والنظر يوجب في النقصان ان لا تجوز الصلاة معه لانها صلاة لم تتم
ومن خرج من صلاة لم تتم فعليه اعادتها كما امر على حسب حكمها ومن ادعى انها تجوز مع اقراره بنقصها فعليه
الدليل ولا سبيل اليه من وجه يلزم والله اعلم **الثالثة عشرة** روي عن مالك ان القراة لا تجب في شي
من الصلاة وكذلك كان الشافعي يقول بالعراق فيمن نسيها ثم رجع عن هذا بمصر فقال لا تجزي صلاة من يحسن
فاتحة الكتاب الا بها ولا يجزيه ان ينقص منها حرفا فان لم يقراها ونقص منها حرفا اعاد صلاته وان قرا
بغيرها وهذا هو الصحيح في المسئلة واما ما روي عن عمر رحمه الله انه صلى المغرب فلم يقرا فيها فذكر ذلك له فقال
كيف كان الركوع والسجود قالوا حسن قال لا باس اذن فحديث منكر اللفظ منقطع الاسناد لانه يرويه
ابراهيم بن الحارث التيمي عن عمر ومرة يرويه ابراهيم عن ابي سلمة بن عبد الرحمن عن عمر وكلاهما منقطع لا حجة
فيه وقد ذكره مالك في الموطا وهو عند بعض الرواة وليس عند يحيى وطايفة معه لانه رماه مالك من كتابه
باجرة وقال ليس عليه العمل لان النبي صلى الله عليه وسلم قال كل صلاة لا يقرا فيها بام القران فهي خداج وقد روي
عن عمر انه اعاد تلك الصلاة وهو الصحيح عنه روى يحيى بن يحيى النيسابوري قال نا ابو معاوية عن الاعمش
عن ابراهيم النخعي عن همام بن الحارث ان عمر نسي القراة في المغرب فاعاد بهم الصلاة قال ابن عبد البر وهذا
حديث متصل شهده همام بن عمر روى ذلك من وجوه وروى اشهب عن مالك قال سئل مالك عن الذي نسي
القراة ايعجبك ما قال عمر فقال انا انكر ان يكون عمر فعله وانكر الحديث وقال يرى الناس عمر يصنع هذا في المغرب
ولا يسبحون به ارى ان يعيد الصلاة من فعل **الرابعة عشرة** اجمع العلما على ان لا صلاة الا بقراة على ما
تقدم من اصولهم في ذلك واجمعوا على ان لا توقيت في ذلك بعد فاتحة الكتاب الا انهم يستحبون
ان لا يقرا مع فاتحة الكتاب الا سورة واحدة لانه الاكثر مما جا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مالك وسنة
القراة ان يقرا في الركعتين الاولتين بام القران وسورة وفي الاخرتين بفاتحة الكتاب وقال الاوزاعي
يقرا بام القران فان لم يقرا بام القران وقرى بغيرها اجزاه وقال وان نسي ان يقرا في ثلاث ركعات اعاد وقال
الثوري يقرا في الركعتين الاولتين بفاتحة الكتاب وسورة ويسبح في الاخرتين ان شا وان شا قرا وان لم يقرا ولم
يسبح جازت صلاته وهو قول ابي حنيفة وساير الكوفيين قال ابن المنذر وقد روينا عن علي بن ابي طالب رضي
الله عنه انه قال اقرا في الاولتين وسبح في الاخرتين وبه قال النخعي قال سفيان فان لم يقرا في ثلاث ركعات اعاد
الصلاة لانه لا يجزيه قراة ركعة قال ولذلك ان نسي ان يقرا في ركعة من صلاة الفجر وقال ابو ثور لا تجزي صلاة
الا بقراة فاتحة الكتاب في كل ركعة كقول الشافعي المصري وعليه جماعة اصحاب الشافعي وكذلك قال ابن خواز بنداد
المالكي قال قراة الفاتحة واجبة عندنا في كل ركعة وهذا هو الصحيح في المسئلة روى مسلم عن ابي قتادة قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بنا فيقرا في الظهر والعصر في الركعتين الاولتين بفاتحة الكتاب وسورتين

ويسمعنا

ويسمعنا الاية احيانا وكان يطول في الركعة الاولى من الظهر ويقصر الثانية وكذلك في الصبح وفي رواية
ويقرا في الركعتين الاخرتين بفاتحة الكتاب وهذا نص صريح وحديث صحيح لما ذهب اليه مالك ونص في
تعيين الفاتحة في كل ركعة خلافا لمن ابى ذلك والحجة في السنة لا فيما خالفها **الخامسة عشرة** ذهب
الجمهور الى ان ما زاد على الفاتحة من القراة ليس بواجب لما رواه مسلم عن ابي هريرة قال في كل صلاة قراة فما
اسمعنا النبي صلى الله عليه وسلم اسمعناكم وما اخفى منا اخفينا منكم فمن قرا بام القران فقد اجزت عنه ومن زاد
فهو افضل وفي البخاري وان زدت فهو خير وقد ابى كثير من اهل العلم ترك السورة لضرورة او لغير ضرورة منهم
عمران بن الحصين وابو سعيد الخدري وخوات بن جبير ومجاهد وابو وايل وابن عمر وابن عباس وغيرهم قالوا
لا صلاة لمن لم يقرا فيها بفاتحة الكتاب وشي معها من القران وكل هذا موجب لتعلم ما تيسر من القران على كل
حال مع فاتحة الكتاب لحديث عبادة وابي سعيد الخدري وغيرهما وفي المدونة وكيع عن الاعمش عن خيثمة قال
حدثني من سمع عمر بن الخطاب يقول لا تجزي صلاة لمن لم يقرا فيها بفاتحة الكتاب وشي معها واختلف المذهب
في قراة السورة على ثلاثة اقوال سنة فضيلة واجبة **السادسة عشرة** من تعذر ذلك عليه بعد بلوغ
مجهوده فلم يقدر على تعليم الفاتحة او شي من القران ولا علق منه بشي لزمه ان يذكر الله في موضع القراة ما امكنه
من تكبير او تهليل او تسبيح او تحميد او تمجيد او لا حول ولا قوة الا بالله اذا صلى وحده او مع امام فيما اسر فيه
الامام فقد روى ابو داود وغيره عن عبد الله بن ابي اوفى قال جا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني لا استطيع
ان اخذ من القران شيا فعلمني ما يجزيني منه قال قل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة
الا بالله قال يا رسول الله هذا لله فما لي قال قل اللهم ارحمني وعافني واهدني وارزقني **السابعة عشرة** فان
عجز عن شي من هذا اللفظ فلا يدع الصلاة مع الامام جهده فالامام يحمل ذلك عنه ان شا الله وعليه ابدا ان
يجهد نفسه في تعلم فاتحة الكتاب فما زاد الى ان يحول الموت دون ذلك وهو بحال الاجتهاد فيعذره الله تعالى
الثامنة عشرة من لم يواته لسانه الى التكلم بالعربية من الاعجميين وغيرهم ترجم له الدعا العربي بلسانه
الذي يفقه لاقامة صلاته فان ذلك يجزيه ان شا الله تعالى **التاسعة عشرة** لا تجزي صلاة من قرا
بالفارسية وهو يحسن العربية في قول الجمهور وقال ابو حنيفة تجزيه القراة بالفارسية وان احسن العربية
لان المقصود اصابة المعنى قال ابن المنذر لا يجزيه ذلك لانه خلاف ما امر الله به وخلاف ما علم النبي
صلى الله عليه وسلم وخلاف جماعات المسلمين ولا نعلم احدا وافقه على ما قال **الموفية عشرين** من افتتح
الصلاة كما امر وهو غير عالم بالقراة فطرا عليه العلم بها في اثنا الصلاة ويتصور ذلك بان يكون سمع من قراها
فعلقت بحفظه من مجرد السماع فلا يستانف الصلاة لانه ادى ما مضى على حسب ما امر به فلا وجه لابطاله
قاله في كتاب ابن سحنون **الباب الثالث في التامين وفيه سبع مسايل الاولى** ويسن
لقاري القران ان يقول بعد الفراغ من الفاتحة بعد سكتة على نون ولا الضالين امين ليتميز ما هو قران مما ليس
بقران **الثانية** ثبت في الامهات من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا امن الامام فامنوا
فانه من وافق تامينه تامين الملايكة غفر له ما تقدم من ذنبه قال علماونا رحمة الله عليهم فترتيب المغفرة للذنب
على مقدمات اربع تضمنها هذا الحديث الاولى تامين الامام الثانية تامين من خلفه الثالثة تامين الملايكة
الرابعة موافقة التامين قيل في الاجابة وقيل في الزمن وقيل في الصفة من اخلاص الدعا لقوله عليه السلام
ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة واعلموا ان الله لا يستجيب دعا من قلب غافل لاه **الثالثة** روى ابو داود عن ابي
مصبح المقراي قال كنا نجلس الى ابي زهير النميري وكان من الصحابة فيحدث احسن الحديث فاذا دعا الرجل منا بدعا
قال اختمه بامين فان امين مثل الطابع على الصحيفة قال ابو زهير الا اخبركم عن ذلك خرجنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فاتينا على رجل قد الح في المسئلة فوقف النبي صلى الله عليه وسلم يسمع منه فقال
النبي صلى الله عليه وسلم اوجب ان ختم فقال له رجل من القوم باي شي يختم قال بامين فانه ان ختم بامين فقد اوجب
فانصرف الرجل الذي سال النبي صلى الله عليه وسلم فاتى الرجل فقال له اختم يا فلان وابشر قال ابن عبد البر ابو زهير
النميري اسمه يحيى بن نفير روى عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تقتلوا الجراد فانه جند الله الاعظم وقال وهب
ابن منبه امين اربعة احرف يخلق الله من كل حرف ملكا يقول اللهم اغفر لكل من قال امين وفي الخبر لقنني جبريل
امين عند فراغي من فاتحة الكتاب وقال انه كالخاتم على الكتاب وفي حديث اخر امين خاتم رب العالمين قال
الهروي قال ابو بكر معناه انه طابع الله على عباده لانه يدفع الافات والبلايا فكان كخاتم الكتاب الذي يصونه
ويمنع من افساده واظهار ما فيه وفي حديث اخر امين درجة في الجنة قال ابو بكر معناه انه حرف يكتسب به قايله
درجة في الجنة **الرابعة** معنى امين عند اكثر اهل العلم اللهم استجب لنا وضع موضع الدعا وقال قوم هو اسم
من اسما الله روي عن جعفر بن محمد ومجاهد وهلال بن يساف ورواه ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصح
قاله ابن العربي وقيل معنى امين كذلك فليكن قاله الجوهري وروى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس قال سالت رسول الله

صلى الله عليه وسلم ما معنى امين قال رب افعل وقال مقاتل هو قوة للدعا واشتراك للبركة وقال الترمذي معناه لا تخيب رجاءنا **الخامسة** وفي امين لغتان المد على وزن فاعيل كياسين والقصر على وزن يمين قال الشاعر

في المد ... يارب لا تسلبني حبها ابدا ... ويرحم الله عبدا قال امينا

وقال الاخر في القصر ... امين امين لا ارضى بواحدة ... حتى ابلغها الفين امينا

وقال الاخر فقصر ... تباعد مني فطحل اذ رايته ... امين فزاد الله ما بيننا بعدا

وتشديد الميم خطا قاله الجوهري وقد روى عن الحسن وجعفر الصادق وهو قول الحسين بن الفضل من اممت اذا قصدت اي نحن قاصدون نحوك ومنه قوله تعالى ولا امين البيت الحرام حكاه ابو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم القشيري قال الجوهري وهو مبني على الفتح مثل اين وكيف لاجتماع الساكنين وتقول منه امن فلان تامينا **السادسة** واختلف العلما هل يقولها الامام وهل يجهر بها فذهب الشافعي ومالك في رواية المدنيين الى ذلك وقال الكوفيون وبعض المدنيين لا يجهر بها وهو قول الطبري وبه قال ابن حبيب من علمائنا وقال ابن بكير هو مخير وروى ابن القاسم عن مالك ان الامام لا يقول امين وانما يقول ذلك من خلفه وهو قول ابن القاسم والمصريين من اصحاب مالك وحجتهم حديث ابي موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبنا فبين لنا سنتنا وعلمنا صلاتنا فقال اذا اصليتم فاقيموا صفوفكم ثم ليؤمكم احدكم فاذا كبر فكبروا واذا قال غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا امين يجبكم الله وذكر الحديث اخرجه مسلم ومثله حديث سمي عن ابي هريرة اخرجه مالك الى قوله الصحيح الاول حديث وائل بن حجر قال كان رسول الله اذا قال ولا الضالين قال امين يرفع بها صوته اخرجه ابو داود والدارقطني وزاد قال ابو بكر هذه سنة تفرد بها اهل الكوفة هذا صحيح والذي بعده وترجم البخاري باب جهر الامام بالتامين وقال عطا امين دعا ائمة ابن الزبير ومن وراه حتى ان للمسجد اللجة قال الترمذي وبه يقول غير واحد من اهل العلم من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم يرون ان يرفع الرجل صوته بالتامين لا يخفيها وبه يقول الشافعي واحمد واسحق وفي الموطا والصحيحين قال ابن شهاب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول امين وفي سنن ابن ماجة عن ابي هريرة قال ترك الناس امين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قال غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال امين حتى يسمعها اهل الصف الاول فيرتج بها المسجد واما حديث ابي موسى فمعناه اهل الموضع الذي يقال فيه امين وهو اذا قال الامام ولا الضالين ليكون قولهما معا ولا يتقدموه بقولها امين سها اذ كرناه والله اعلم ولقوله عليه السلام اذا امن الامام فامنوا وقال ابن نافع في كتاب ابن الحارث لا يقولها المامور الا ان يسمع الامام يقول ولا الضالين وان كان بيعد لا يسمعه فلا يقل وقال ابن عبدوس يجزي قدر القراءة ويقولا امين **السابعة** قال اصحاب ابي حنيفة الاخفا بامين اولى من الجهر بها لانه دعا وقد قال تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية قالوا والدليل عليه ما روى في تاويل قوله تعالى قد اجيبت دعوتكما قال كان موسى يدعو وهارون يومن فسماهما الله تعالى داعيين والجواب ان اخفا الدعا انما كان افضل لما يدخله من الرياء واما ما يتعلق بصلاة الجماعة لتشهودها اشهار شعار ظاهر واظهار حق يندب العباد الى اظهاره وقد ندب الامام الى اشهار قراءة الفاتحة المشتملة على الدعا والتامين في اخرها فاذا كان الدعا مما سن الجهر فيه قالتامين على الدعا تابع له وجار مجراه وهذا بين **الثامنة** كلمة امين لم تكن قبلنا الا لموسى وهارون عليهما السلام وذكر الترمذي الحكيم في نوادر الاصول حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد نا ابي قال نا رزين مؤون مسجد هشام بن حسان نا انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اعطى امتي ثلاثا لم تعط احدا قبلهم السلام وهي تحية اهل الجنة وصفوف الملايكة وامين الا ما كان من موسى وهارون قال ابو عبد الله معناه ان موسى دعا على فرعون وآمن هارون فقال الله تبارك وتعالى اسمه عند ما ذكر دعا موسى في تنزيله قد اجيبت دعوتكما ولم يذكر مقالة هارون وقال موسى ربنا فكان من هارون التامين فسماه داعيا في تنزيله اذ صير منه ذلك دعوة وقد قيل ان امين خاص لهذه الامة لما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما حسدتكم اليهود على شي ما حسدتكم على السلام والتامين اخرجه ابن ماجة من حديث حماد بن سلمة عن سهيل بن ابي صالح عن ابيه عن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الحديث واخرج ايضا من حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما حسدتكم اليهود على شي ما حسدتكم على التامين فاكثروا من قولنا امين قال علما رحمة الله عليهم انما حسدتنا اهل الكتاب لان اولها حمد لله وثنا عليه ثم خضوع له واستكانة ثم دعا لنا بالهداية وانصراط المستقيم ثم الدعا عليهم مع قولنا امين

الباب الرابع فيما تضمنته الفاتحة من المعاني والقراات والاعراب وفضل الحامدين

وفيه ست وثلاثون مسئلة **الاولى** قوله سبحانه وتعالى الحمد لله روى ابو محمد عبد الغني بن سعيد الحافظ من حديث ابي هريرة وابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قالا اذا قال العبد الحمد لله قال صدق عبدي الحمد لي وروى مسلم عن مسرور بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليرضى عن العبد ان ياكل الاكلة فيحمده عليها او يشرب الشربة فيحمده عليها وقال الحسن ما من نعمة الا والحمد افضل منها وروى ابن ماجة عن مسرور بن مالك قال

قال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انعم الله على عبد نعمة فقال الحمد لله الا كان الذي اعطى افضل مما اخذ وفي نوادر الاصول عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان الدنيا كلها بحذافيرها في يد رجل من امتي فقال الحمد لله لكان الحمد لله افضل من ذلك قال ابو محمد الله معناه عندنا انه قد اعطى الدنيا ثم اعطى على اثرها هذه الكلمة حتى نطق بها وكانت هذه الكلمة افضل من الدنيا كلها لان الدنيا فانية والكلمة باقية هي من الباقيات الصالحات وقال هو خير عند ربك ثوابا وخير املا وفي بعض الروايات لكان ما اعطي اكثر مما اخذ فتصير الكلمة اعطى من العبد والدنيا اخذ من الله فمهذا في التدبير كذا اليحيى في الكلام ان هذه الكلمة من العبد والدنيا من الله وكليهما من الله في الاصل الدنيا منه والكلمة منه اعطاه الدنيا فاغناه واعطاه الكلمة فشرفه بها في الاخرة وروى ابن ماجة عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثهم ان عبدا من عباد الله قال يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك فعضلت بالملكين فلم يدريا كيف يكتبانها فصعدا الى السما فقالا يا ربنا ان عبدك قد قال مقالة لا ندري كيف نكتبها قال الله تعالى وهو اعلم بما قال عبده ماذا قال عبدي قالا يا رب انه قد قال لك يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك فقال الله لهما اكتبا ها كما قال عبدي حتى يلقاني فاجزيه بها قال اهل اللغة عضل الامر اشتد واستغلق والمعضلات بتشديد الضاد الشدايد وعضلت المراة والشاة اذا نشب ولدها فلم يسهل مخرجه بتشديد الضاد ايضا فعلى هذا يكون اعضلت الملكين او عضلت الملكين بغير تا والله اعلم **الثانية** اختلف العلما ايما افضل قول العبد الحمد لله رب العالمين او قول لا اله الا الله فقالت طايفة قول الحمد لله رب العالمين افضل لان في ضمنه التوحيد الذي هو لا اله الا هو فهي قوله توحيد وجد وفي قوله لا اله الا الله توحيد فقط وقالت طايفة لا اله الا الله افضل لانها تدفع الكفر والاشراك وعليها درج بقا الخلق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله واختار هذا القول ابن عطية قال والحاكم بذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم افضل ما قلت انا والنبيون من قبلي لا اله الا الله وحده لا شريك له **الثالثة** اجمع المسلمون ان الله سبحانه محمود على ساير نعمه وان مما انعم الله به الايمان فدل على ان الايمان فعله وخلقه والدليل على ذلك قوله رب العالمين والعالمون جملة المخلوقات ومن جملتها الايمان لانها قال القدرية انه خلق لهم على ما بانى بيانه **الرابعة** الحمد في كلام العرب معناه الثنا الكامل والالف واللام لاستغراق الجنس من المحامد فهو سبحانه يستحق الحمد باجمعه اذ له الاسما الحسنى والصفات العلى وقد جمع لفظ الحمد جميع اللغة في قول الشاعر

فشق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد

وبابع محمود الثنا خصصته ... بافضل اقوالي وافضل احمدي

فالحمد نقيض الذم تقول حمدت الرجل احمده حمدا فهو حميد ومحمود والتحميد ابلغ من الحمد والحماعم من الشكر والمحمدة الذي كثرت خصاله المحمودة قال الشاعر

الى الفرد الجواد المحمد ... وبذلك سمي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشاعر

وقد علم الاقوام لو ان حمدا ... يخلد او مجد على الناس مخلد

والحمدة خلاف المذمة واحمد الرجل صار امره الى الحمد واحمدته وجدته محمودا تقول اتيت موضع كذا فاحمدته اي صادفته محمودا موافقا وذو الحاذ رضيت سكناه او مرعاه ورجل حمدة مثل هزءة يكثر حمد الاشيا ويقول فيها اكثر مما فيها وحمدة الناقة بالضم صوت النها بها **الخامسة** ذهب ابو جعفر الطبري وابو العباس المبرد الى ان الحمد والشكر بمعنى واحد سوا وليس كرضي وحكاه ابو عبيد الرحمن السلمي في كتاب الحقايق قاله عن جعفر الصادق وابن عطا قال ابن عطا معناه الشكر لله اذ كان منه الامتنان على تعليمنا اياه حتى حمدناه واستدل الطبري على انهما بمعنى بصحة قولك الحمد لله شكرا قال ابن عطية وهو في الحقيقة دليل على خلافه ما وهب الله لان فولك شكرا انما خصصت به الحمد انه على نعمة من النعم وقال بعض العلما ان الشكر اعم من الحمد لانه باللسان وبالجوارح والقلب والحمد انما يكون باللسان خاصة وفيل الحماعم لان فيه معنى الشكر ومعنى المدح وهو اعم من الشكر لان الحمد يوضع موضع الشكر ولا يوضع الشكر موضع الحمد وروى عن ابن عباس انه قال الحمد لله كلمة كل شاكر وازاده عليه السلام قال حين عطس الحمد لله وقال الله لنوح وقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين وقال ابراهيم الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحاق وقال في قصة داود وسليمان الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المومنين وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا وقال اهل الجنة الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين فهي كلمة كل شاكر **قلت** الصحيح ان الحمد ثنا على الممدوح بصفاته من غير سبق احسان والشكر ثنا على المشكور بما اولى من الاحسان وعلى هذا الحد قال علما وانا الحماعم من الشكر لان الحمد يقع على الثنا وعلى التحميد وعلى الشكر والجزا مخصوص انما يكون مكافاة لمن اولا الانعم وقد فصار الحماعم في الاية لانه يزيد على الشكر ويذكر الحمد بمعنى الرضا يقال بلوته فحمدته اي رضيته ومنه قوله تعالى مقاما محمودا وقال عليه السلام احمد اليكم غسل الاحليل اي ارضاه لكم ويذكر عن جعفر الصادق في قوله الحمد لله من حمده بصفاته كما وصف نفسه فقد حمد لان الحد حاو ميم ودال فالحا من الوحدانية والميم من الملك والدال من الدايمومية فمن عرفه بالدايمومية والوحدانية والملك فقد عرفه وهذا هو حقيقة الحمد لله وقال شقيق بن ابراهيم في تفسير الحمد لله قال هو

على ثلاثة اوجه اولها اذا اعطاك الله شيئا تعرف مر اعطاك والثانى ان ترضى بما اعطاك والثالث مادام
نفسه فى جسدك ان لا تعصيه فهذه شرايط الحمد السادسة انثنى الله سبحانه ما الحمد على نفسه وافتتح
كتابه بحمده ولهو ماذون فى ذلك لغيره بل نظامهم على ذلك فى كتابه وعلى لسان نبيه عليه السلام فقال
فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى وقال عليه السلام احتوانى وجوه المدّاحين التراب رواه المقداد وباقى
القول فيه فى المسئلة ان شاء الله تعالى ومعنى الحمد لله رب العالمين اى سبق احمد معنى لنفسى قبل ان يحمدنى احد
من العالمين وحمدى نفسى لنفسى فى الازل لم يكن بعلة وجد الخالق مشروب بالعلل فانا العلما وما فيستفيح من
الخالق الذى لم يعط الكمال ان يحمد نفسه ليستجلب لها المنافع ويدفع عنها المضار وقيل لما علم سبحانه عجز
عباده عن حمده حمد نفسه بنفسه فى الازل فاستغرق طرق عباده هو محال العجز عن حوله الا ترى سيد المرسلين كيف
اظهر العجز بقوله لا احصى ثنا عليك وانشدوا

اذا نحن اثنينا عليك بصالح ... فانت كما يثنى وفوق الذى يثنى

وقيل حمد نفسه فى الازل لما علم من كثرت نعمه على عباده وعجزهم عن القيام بواجب حمده حمد نفسه عنهم لتكون
النعمة اهنا لديهم حيث سقط عنهم به ثقل المنة السابعة وجمع القرا السبعة بنصب الدال وهذا على اضمار فعل دفع
الدال من الحمد لله وروى عن سفيان بن عيينة وروبة بن العجاج الحمد لله بنصب الدال وهذا على اضمار فعل دفع ويقال
الحمد لله بالرفع مبتدا وخبر وسبيل الخبر ان تعيد مما افادة فى هذا فالجواب ان سيبويه قال اذا قال الرجل الحمد
لله بالرفع ففيه من المعنى مثل ما فى قولك حدث الله حمدا لا ان الذى يرفع الحمد يخبر ان الحمد منه ومن جميع
الخلق لله والذى ينصب الحمد يخبر ان الحمد منه وحده لله وقال غير سيبويه انما ينكم بهذا تعرضا لعفو الله ومغفرته
وتعظيما له وتمجيدا فهو خلاف معنى الخبر وفيه معنى السؤال وفى الحديث من شغل بذكرى عن مسئلتى اعطيته افضل
ما اعطى السائلين وقيل ان مدحه لنفسه وثناوه عليها ليعلم ذلك عباده فالمعنى على هذا قولوا الحمد لله قال الطبرى
الحمد لله ثنا اثنى به على نفسه وفى ضمنه امر عباده ان يثنوا عليه وكانه قال قولوا الحمد لله وعلى هذا يجى قولوا
اياك نعبد وهذا من حذف المعرب ما يدل ظاهر الكلام عليه كما قال الشاعر

واعلم بانى سأكون رمسا ... اذا سار النواعج لا تسير

فقالت القائلون لمن حفرتم ... فقال القائلون لهم وزير

المعنى المحفور له وزير فحذف لدلالة ظاهر الكلام عليه وهذا كثير وروى عن ابن عبلة الحمد لله بضم الدال واللام
على اتباع الثانى الاول ولتجانس النطق بضم الدال والجيم قالوا ضرب التاسقين امك هابل بضم النون لاجل ضم الهمزة وفى قراءة لاهل مكة مردفين
بضم الراء اتباعا للميم كما انشدوا لنعمان بن بشير

وبل امها فى هوا الجو طالبة ... ولا هلك الذى فى الارض مطلوب

الاصل وبل لامها فحذف اللام الاولى واستثقل ضم الهمزة بعد الكسرة فنقلها للام ثم اتبع اللام الميم
وروى عن الحسن بن ابى الحسن ويد بن على الحمد لله بكسر الدال على اتباع الاول الثانى الثامنة قوله تعالى
رب العالمين اى ما لكهم وكل من ملك شيا فهو ربه فالرب المالك وفى الصحاح الرب اسم من اسما الله تعالى ولا
يقال فى غيره الا بالاضافة وقد قالوه فى الجاهلية للملك قال الحارث بن حلزة

وهو الرب والشهيد على ... يوم الحوابين والبلاء بلاء

والرب السيد ومنه قوله تعالى اذكرنى عند ربك وفى الحديث ان تلد الامة ربتها اى سيدتها وقد بيناه فى
كتاب التذكرة والرب المصلح والمدبر والجابر والقايم قال الهروى وغيره يقال لمن قام باصلاح شئ واتمامه
قد ربه يربه فهو رب له ورابن ومنه سمى الربانيون لقيامهم بالكتب وفى الحديث هل لك من نعمة تربها عليه
اى يقوم بصلاحها وتصلحها والرب المعبود ومنه قول الشاعر

ارب يبول الثعلبان برأسه ... لقد هان من بالت عليه الثعالب

ويقال على التكثير رباه وربيه وربته حكاه الكسائى وفى الصحاح ورب فلان ولده يربه ربا وربية وتربية
بمعنى اى رباه والمربوب المربى التاسعة قال بعض العلما ان هذا الاسم هو اسم الله الاعظم لكثرة
دعوة الداعيين به وتمامه ذلك فى القران فى اخر العمران وسورة ابراهيم وغيرهما ولما يشعر به هذا الوصف
من الصلة بين الرب والمربوب مع ما يتضمنه من العطف والرحمة والافتقار فى كل حال واختلف فى اشتقاقه
فقيل انه مشتق من التربية كالله سبحانه مدبر لخلقه ومدبيهم ومنه قوله تعالى وربايبكم اللاتى فى حجوركم فسمى ولد
الزوجة ربيبة لتربية الزوج لها فعلى انه مدبر لخلقه ومربيهم يكون صفة فعل وعلى ان الرب بمعنى المالك
والسيد يكون صفة ذات العاشرة متى ما دخلت الالف واللام على رب اختص الله تعالى به لانهما المعهد
وان حذفتا منه صار مشتركا بين الله وبين عباده يقال الله رب العباد وزيد رب الدار فالله سبحانه رب

الارباب يملك المالك والمملوك وهو خالق ذلك ورازقه وكل رب سواه غير خالق ولا رازق وكل مملوك فمملك بعد
ان لم يكن ومتنزع ذلك من يده وانما يملك شيا دون شئ وصفة الله تعالى مخالفة لهذه المعانى فهذا الفرق
بين صفة الخالق والمخلوقين الحادية عشرة قوله تعالى العالمين اختلف اهل التاويل فى العالمين
اختلافا كثيرا فقال قتادة العالمون جمع عالم وهو كل موجود سوى الله تعالى ولا واحد له من لفظه مثل ارهط ونفر
وقيل هو اهل كل زمان عالم قاله الحسين بن الفضل لقوله تعالى انا قوتن الذكران من العالمين اى من الناس وقال الحجاج
فحذف علامة هذا العالم وقال جرير الخطفى

تنقشعه البرية وهو سمام ... ويضيق العالمون له عيالا

وقال ابن عباس العالمون الجن والانس دليله قوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا ولم يكن نذيرا للبهايم وقال الفراء
وابو عبيدة العالم عبارة عما يعقل وهم اربعة الجن والانس والملايكة والشياطين ولا يقال للبهايم عالم لان هذا
الجمع انما هو جمع ما يعقل خاصة قال الاعشى ما ان سمعت بمثلهم فى العالمين

وقال زيد بن اسلم هم المرتزقون ونحوه قول الكلبى هم وبن الملايكة الروحانيون وهو معنى قول ابن عباس ايضا وقال ابو
روح رب على وجه الارض وقال وهب بن منبه ان لله عز وجل ثمانية عشر الف عالم الدنيا عالم منها وقال المسيب
الحذرى ان لله اربعين الف عالم الدنيا من شرقها الى غربها عالم واحد وقال مقاتل العالمون ثمانون الف عالم
اربعون الف عالم فى البر واربعون الف عالم فى البحر وروى الربيع بن انس عن ابى العالية قال الجن عالم والانس
عالم وسوى ذلك للارض اربع زوايا فى كل زاوية الف امة خلقهم لعبادته قلت والقول
الاول اصح هذه الاقوال لانه شامل لكل مخلوق وموجود ليله قوله تعالى قال فرعون وما رب العالمين قال
رب السموات والارض وما بينهما وهو ما اخوذ من العلم والعلامة لانه يدل على موجده كذا قال الزجاج قال
العالم كل ما خلقه الله فى الدنيا والاخرة وقال الخليل العلم والعلامة والمعلم ما دل على الشئ فالعالم الدال على ان
له خالقا ومدبرا وهذا واضح وقد ذكرنا ان رجلا قال بين يدى الجنيد الحمد لله فقال له اتمها كما قال الله تعالى قل
رب العالمين فقال الرجل ومن العالمين حتى يذكر مع الحق قال قل ايها فان المحدث اذا قرن مع القديم لا يبقى
له اثر الثانية عشرة ... يجوز الرفع والنصب فى رب فالنصب على المدح والرفع على القطع اى هو رب
العالمين الثالثة عشرة قوله تعالى الرحمن الرحيم لانه لما كان اقتفاه برب العالمين تزهيبه قرنه
بالرحمن الرحيم لما تضمنه من الترغيب ليجمع فى صفاته بين الرهبة منه والرغبة اليه فيكونوا بمن على ما منه وامنع
كما قال نبى عبادى انى انا الغفور الرحيم وان عذابى هو العذاب الاليم وقال غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب
ذى الطول وفى صحيح مسلم عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو يعلم المومن ما عند الله من العقوبة
ما طمع بجنته احد وقد تقدم ما فى هذين الاسمين من المعانى فلا معنى لاعادته الرابعة عشرة قوله تعالى
مالك يوم الدين قرا محمد بن السميقع بنصب ملك وفيه اربع لغات مالك وملك ومالك وملك مخففة من ملك
وملّيك قال الشاعر

وايام لنا غر طوال ... عصينا الملك فيها ان ندينا

اخر

فاقنع بما قسم المليك فانما ... قسم الخلايق بيننا علّامها

الخلايق الطبايع التى جبل الانسان عليها وروى عن نافع اتباع الكسرة فى ملك فيقرا ملكى على لغة من يشمع
الحركات وهى لغة للعرب ذكرها الهمذانى وغيره الخامسة عشرة اختلف لعلما ايما ابلغ ملك او مالك
والقرا ان مرويتان عن النبى صلى الله عليه وسلم وابى بكر وغيره ذكرهما الترمذى فقيل ملك تام وابلغ من مالك اذ
كل ملك مالك وليس كل مالك ملكا وكان امر الملك نافذ على المالك فى ملكه حتى لا يتصرف الا عن تدبير الملك
قاله ابو عبيدة والمبرد وقيل مالك ابلغ لانه يكون مالكا للناس وغيرهم فالمالك ابلغ تصرفا واعظم اذ اليه
اجرا قوانين الشرع ثم عنده زيادة التملك وقال ابو على حكى ابو بكر بن السراج عن بعض من اختار القرا ة بملك
انه بحانه قد وصف نفسه بانه مالك كل شئ بقوله رب العالمين فلا فايدة فى قرا ة من قرا مالك لانها
تكرار قال ابو على والحجة فى هذا لان فى التنزيل اشيا على هذه الصورة تقدم العام ثم ذكر الخاص كقوله هو
الله الخالق البارى المصور فالخالق يعم وذكر المصور لما فيه من التنبيه على الصنعة ووجوه الحكمة وكما قال تعالى
وبالاخرة هم يوقنون بعد قوله الذين يومنون بالغيب والغيب يعم الاخرة وغيرها ولكن ذكرها لعظمها
والتنبيه على وجوب اعتقادها والرد على الكفرة الجاحدين لها وكما قال الرحمن الرحيم فذكر الرحمن الذى هو عام
وذكر الرحيم بعده لتخصيص المومنين به فى قوله وكان بالمومنين رحيما وقال ابو حاتم ان مالكا ابلغ فى مدح
الخالق من ملك وملك ابلغ فى مدح المخلوقين من مالك والفرق بينهما ان المالك من المخلوقين قد يكون غير ملك واذا
كان الله تعالى ما لكا كان ملكا واختار هذا القول القاضى ابو بكر بن العربى وذكر ثلاثة اوجه الاول تضيفه
الى الحاضر والعام فتقول مالك الدار والارض والثوب كما تقول مالك الملوك الثانى انه يطلق على مالك القليل
والكثير واذا اقاما متهدين القولين وجدتما احدا والثالث انك تقول مالك الملك ولا تقول ملك الملك

قال ابن الحصار انما كان ذلك لان المراد من مالك الدلالة على الملك بكسر الميم وهو لا يتضمن الملك بضم الميم
وملك يتضمن الامرين جميعا فهو اولى بالمبالغة ويتضمن ايضا الكمال وذلك انما يستحق الملك على مرءوسه وهذا
الفول الله تعالى انما اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم وهذا قال عليه السلام الامامة في قريش
وقريش افضل قبائل العرب والعرب افضل من العجم واشرف ليتضمن الاقتدار والاختيار وذلك امر ضروري
في الملك لم يكن قادرا مختارا نافذ احكامه وامره قهاره عدوه وغلبة غيره وازدرته رعيته ويتضمن البطش
والامر والنهي والوعد والوعيد الاشارة الى قول سليمان ما لي لا اراى الهدهد هذا ما كان من الغائبين لاعذبنه عذابا شديدا
من الامور العجيبة والامور الغريبة والمعاني الشريفة التي لا توجد في الملك **قلت** وقد احتج بعضهم
على ان ما الكافة المبلغ لان فيه زيادة حرف فلما زادته عشر حسنات زيادة على من قرأ ملك **قلت** هذا
فطر الى الصيغة لا الى المعنى وقد فسرت القراءة بملك وفيه من المعنى ما ليس في مالك على ما بينا والله
اعلم **السادسة عشرة** لا يجوز ان يتسمى احد بهذا الاسم ولا يدعى به الا الله تعالى روى البخاري ومسلم
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبض الله الارض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه
ثم يقول انا الملك اين ملوك الارض وعنه ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم ان اخنع اسم عند الله رجل تسمى
ملك الاملاك زاد مسلم لا ملك الا الله قال سفيان مثل شاه شاه وقال احمد بن حنبل سالت اباهم والشيباني
عن اخنع فقالا الوضيع وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اغيظ رجل على الله يوم القيامة واخبثه
رجل تسمى ملك الاملاك ولا ملك الا الله سبحانه قال ابن الحصار وكذلك مالك يوم الدين ومالك الملك لا ينبغي
ان يختلف فان هذا محرم على جميع المخلوقين كتحريم ملك الاملاك سواء وانما الوصف بمالك ومالك وهي
السابعة عشرة يجوز ان يوصف بهما من اضيف بهما هو سبحانه قال الله العظيم ان الله قد بعث لكم طالوت
ملكا وقال صلى الله عليه وسلم ناس من امتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكا على
الاسرة او مثل الملوك على الاسرة **الثامنة عشرة** ان قال قائل كيف قال ملك يوم الدين وهو يوم الدين
لم يوجد بعد فكيف وصف نفسه بملك ما لم يوجد قيل له اعلم ان مالكا اسم فاعل من ملك يملك والاسم
الفاعل في كلام العرب قد يضاف الى ما يوجد وهو بمعنى الفعل المستقبل ويكون ذلك عندهم كلاما سديدا معقولا
صحيحا كقولك هذا ضارب زيد غدا اي سيضرب زيدا وكذلك هذا حاج بيت الله في العام المستقبل فانه وان لم يوجد
في العام المستقبل افلا ترى ان الفعل قد ينسلخ اليه وهو لم يفعله بعد وانما اريد به الاستقبال فكذلك
قوله عز وجل مالك يوم الدين على تاويل الاستقبال اي سيملك يوم الدين اذا احضر وجه ثان ان يكون تاويل
الملك راجعا الى القدرة انه قادر في يوم الدين او على يوم الدين واحد اثنة لان المالك المتحقق هو المتمكن من الشيء
القادر عليه والله عز وجل مالك الاشياء كلها ومصرفها على اراداته لا يمتنع عليه منها شيء والوجه الاول
امس للعربية وانفذ في طريقها قاله ابو القاسم الزجاجي ووجه ثالث فيقال لم خصص يوم الدين وهو مالك يوم
الدين وغيره قيل له لان في الدنيا كانوا منازعين في الملك مثل فرعون ونمرود وغيرهما وفي ذلك اليوم لا ينازعه
احد في ملكه وكلهم خضعوا له كما قال تعالى لمن الملك اليوم فاجاب جميع الخلق لله الواحد القهار فلذلك قال
ملك يوم الدين اي في ذلك لا يكون مالك ولا قاهر ولا مجازي غيره سبحانه لا اله الا هو **التاسعة عشرة** ان
وصف سبحانه بانه ملك كان ذلك من صفات فعله **الموفية**
عشرين اليوم عبارة عن وقت الفجر الى وقت غروب الشمس فاستعير فيما بين مبتدا الفيامة الى وقت
استقرار اهل الدارين فيهما وقد يطلق اليوم على الساعة منه قال الله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم وجمع
يوم ايام واصله ايوام فادغم وربما عبروا عن الشدة باليوم يقال يوم ايوم كما يقال ليلة ليلاء قال الراجز
نعم اخوا الهيجا في اليوم اليمي وهو مقلوب منه اخر الواو واوقدم الميم ثم قلب الواو ياء حيث صارت طرفا كما
قالوا اداوي في جمع دلو **الحادية والعشرون** الدين الجزاء على الاعمال والحساب بها كذلك قال ابن عباس
وابن مسعود وابن جريج وقتادة وغيرهم وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم وبذلك عليه قوله تعالى يومئذ يوفيهم
الله دينهم الحق اي حسابهم وقال الفراء يدانون اي يجزون ومحاسبون وقال لبيد

حصادك يوما ما زرعت وانما ... يدان الفتى يوما كما هو دائن

اخر

اذا ما رمونا رميناهم ... ودنا هم مثل ما يقرضونا

اخر

واعلم يقينا ان ملكك زائل ... واعلم بان كما تدين تدان

وحكى اهل اللغة دنته بفعله دينا بفتح الدال ودينا بكسرها جزيته ومنه الديان في صفة الرب تعالى اي المجازي
وفي الحديث الكيس من دان نفسه اي حاسب وقيل القضاء روى عن ابن عباس ايضا ومنه قول طرفة

لعمرك ما كانت حلومة عبد ... على جدها حدا كما لدينك من مضى

ومعاني هذه الثلاثة متقاربة والدين ايضا الطاعة ومنه قول عمرو بن كلثوم

واياما لنا عرطوال ... عصينا الملك فيما ان قدينا

فعلى هذا هو لفظ مشترك **وفي الثانية والعشرون** قال ثعلب دان الرجل اذا اطاع ودان اذا اعصى ودان اذا اعز
ودان اذا ذل ودان اذا قهر فهو من الاضداد ويطلق الدين على العادة والشان كما قال كديدنك من ام الحويرث قبلها
وقال المثقب

نقول اذا درات لها وضيني ... اهذا دينه ابدا وديني

والدين سيرة الملك قال زهير

لان حللت بجرعى بني اسد ... في دين عمرو وحالت بيننا فدك

اراد في موضع طاعة عمرو والدين لذا عن الحيا في والنشد

يا دين قلبي من سلمى وقد دينا

الثالثة والعشرون قوله تعالى اياك نعبد رجع من الغيبة الى الخطاب على التلوين لان مراوات السورة الى هاهنا خبر
عن الله تعالى وثنا عليه كقوله وسقاهم ربهم شرابا طهورا ثم قال ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا وعكسه حتى
اذا كنتم في الفلك وجرين بهم على ما ياتي وتعبد معناه نطيع والعبادة الطاعة والتذلل وطريق معبد اذا كان مذللا
للسالكين قال الهروي ونطق المكلف به اقرار بالربوبية وتحقيق لعبادة الله تعالى اذ سائر الناس يعبدون
سواه من اصنام وغير ذلك واياك نستعين اي نطلب العون والتاييد والتوفيق قال السلمي في حقايقه سمعت
محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت اباحفص الفرغاني يقول من قر اياك نعبد واياك نستعين فقد برئ من الجبر
والقدر **الرابعة والعشرون** ان قيل لم قدم المفعول على الفعل قيل له قدم اهتماما وشان العرب تقديم الاهم
يذكر ان اعرابيا سب اخر فاعرض المسبوب عنه فقال له السباب اياك عنى فقال له الاخر وعنك اعرض فقدما الاهم
وايضا ليلا يتقدم ذكر العبد والعبادة على المعبود فلا يجوز نعبدك ولا نستعينك ولا نعبد اياك ونستعين اياك
فتقدم الفعل على كناية المفعول وانما يتبع لفظ القرآن وقال العجاج

اياك اعبد فتقبل ملتي ... اغفر خطاياي وكثر ورقي

ويروى وثمر فاما قول الشاعر

اليك حتى بلغت اياكا ... فشاد لا يقاس عليه والورق بكسر الراء من الدراهم
ويفتحها المال وكرر الاسم ليلا يتوهم اياك نعبد ونستعين غيرك **الخامسة والعشرون** الجمهور من القراء
والعلماء على شد التاء من اياك في الموضعين وقرا عمرو بن فايد اياك بكسر الهمزة وتخفيف الياء وذلك انه كره تضعيف
الياء لثقلها وكون الكسرة قبلها وهذه قراءة مرغوب عنها قال المعنى يصير شمسك نعبد وضوءك واياه الشمس
بكسر الهمزة ضوءها وقد تفتح وقال الشاعر

سقته اياه الشمس الا لثاته ... اسف فلم تكدم عليه بانمد

قال اسفطه الهامد مدت ويقال الاياة للشمس كالهالة للقمر وهي الدارة حولها وقرا الفضل الرقاشي اياك
بفتح الهمزة وهي لغة مشهورة وقرا ابو السوار الغنوي هياك في الموضعين وهي لغة قال الشاعر

فهياك والامر الذي ان توسعت ... موارده ضاقت عليك مصادره

السادسة والعشرون واياك نستعين عطف جملة على جملة وقرا يحيى بن وثاب والاعمش نستعين بكسر النون وهي
لغة تميم واسد وقيس وربيعة ليدل على انه من استعان فكسرت النون كما تكسر الف الوصل واصل نستعين نستعون
قلبت حركة الواو الى العين فصارت ياء والمصدر استعانة والاصل استعوان قلبت حركة الواو الى العين فانقلبت
الفا ولا يلتقي ساكنان فحذفت الالف الثانية لانها زايدة وقيل الاولى لان الثانية للمعنى ولزمت الفا عوضا
السابعة والعشرون قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم اهد تاء او غيبة من المرهوب الى الرب والمعنى دلنا على الصراط
المستقيم وارشدنا اليه وانالنا طريق هدايتك الموصلة الى انسك وقربك قال بعض العلماء لجمل الله جل وعز فاتحة
وجملته موضوعا في هذه السورة نصفها فيه مجمع الثنا ونصفها فيه مجمع الحاجات وجعل هذا الدعا الذي في هذه
السورة افضل من الذي تدعوا به لان هذا كلام قد تكلم به رب العالمين فانت تدعوا ببدعا هو كلامه الذي تكلم به
وفي الحديث ليس شيء اكرم على الله من الدعا وقيل المعنى ارشدنا باستعمال السنن في اداء فرايضك وقيل الاصل
فيه الامالة ومنه قوله تعالى انا هدنا اليك اي ملنا وخرج عليه السلام في مرضه ينادي بين العشيين اي يتمايل
ومنه الهدية لانها تمال من ملك الى ملك ومنه الهدى للحيوان الذي يساق الى الحرم فالمعنى مل بقلوبنا الى الحق
وقال الفضيل بن عياض الصراط المستقيم طريق الحج وهذا خاص والعموم اولى قال محمد بن الحنفية في قوله عز وجل
اهدنا الصراط المستقيم قال هو دين الله الذي لا يقبل من العباد غيره وقال عاصم الاحول عن ابي العالية الصراط
المستقيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه من بعده قال عاصم فقلت للحسن ان ابا العالية يقول الصراط
المستقيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه فقال صدق ونصح **الثامنة والعشرون** اصل الصراط
في كلام العرب الطريق قال العامري الطفيل

تنحنحنا ارضهم بالخيل حتى ... تركنا مهم اذ ارس الصراط

وقال الاخر

امير المؤمنين على صراط ... اذا اعوج الموارد مستقيم

وقال الاخر

فصد عن نهج الصراط الواضح ... وحكى الفراء الصراط الطريق بلغة الروم وقال ابن عطية وهذا

ضعيف جدا وقرئ السراط بالسين من الاستراط بمعنى الابتلاع كان الطريق يسترط من يسلكه وقرئ بين الزاي
والصاد وقرئ بزاي خالصة والسين الاصل وحكى سلمة عن الفرا قال الزراط باخلاص الزاي لغة لعذرة وكلب
وبني القين قال وهولا يقولون ازدق وقد قالوا الاسد والازد ولسق به ولصق به والصراط نصب على المفعول
الثاني لان الفعل من الهداية يتعدى الى المفعول الثاني بحرف الجر قال الله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وبغير حرف
كما في هذه الاية المستقيم صفة للصراط وهو الذي لا اعوجاج فيه ولا انحراف ومنه قوله تعالى وان هذا طي مستقيما
فاتبعوه واصله مستقوم نقلت الحركة الى القاف وانقلبت الواو يا لانكسار ما قبلها **التاسعة والعشرون**
صراط الذين انعمت عليهم صراط بدل من الاول بدل الشي من الشي كقولك جاني زيد ابوك ومعناه ادم هدايتنا فان
الانسان قد يهدى على الطريق ثم يقطع به وقيل هو صراط اخر ومعناه العلم بالله جل وعز والفهم عنه قاله جعفر
ابن محمد ولغة القران الذين في الرفع والنصب والجر وهذيل تقول الذون في الرفع ومن العرب من يقول الذون
ومنهم من يقول الذي وسياتي وفي عليهم عشر لغات قرئ بعامتها عليهم بضم الها واسكان الميم وعليهم بكسر
الها واسكان الميم وعليهم بكسر الها والميم والحاق يا بعد الكسرة وعليهم بكسر الها وضم الميم وزيادة واو بعد
الضمة وعليهم بضم الها والميم كليهما وادخال واو بعد الميم وعليهم بضم الها والميم من غير زيادة واو وهذه
الاوجه الستة ماثورة عن الايمة القرا واوجه اربعة منقولة عن العرب غير محكية عن القرا عليهمي بضم الها
وكسر الميم وادخال يا بعد الميم حكاها الاخفش البصري عن العرب وعليهم بضم الها وكسر الميم من غير زيادة ياء
وعليهم بكسر الها وضم الميم من غير الحاق واو وعليهم بكسر الها والميم ولا يا بعد الميم وكلها صواب قاله ابن
الانباري **الموفية ثلاثين** قرا عمر بن الخطاب وابن الزبير رضي الله عنهما صراط من انعمت عليهم واختلف
الناس في المنعم عليهم فقال الجمهور من المفسرين انه اراد صراط النبيين والصديقين والشهدا والصالحين
وافترعوا ذلك من قوله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهدا والصالحين وحسن اولئك رفيقا فالاية تقتضي ان هولا على صراط مستقيم وهو المطلوب في اية الحمد
وجميع ما قيل الى هذا يرجع فلا معنى لتعديد الاقوال والله المستعان **الحادية والثلاثون** في هذه الاية
رد على القدرية والمعتزلة والامامية لانهم يعتقدون ان ارادة الانسان كافية في صدور افعاله منه طاعة
كانت او معصية لان الانسان خالق لافعاله فهو غير مختار في صدورها عنه الى ربه وقد كذبهم الله تعالى في هذه
الاية اذ سالوه الهداية الى الصراط المستقيم فلو كان الامر اليهم والاختيار بيدهم دون ربهم لما سالوه الهداية
ولا كرروا السوال في كل صلاة وكذلك تضرعهم اليه في كل مكروه وهو ما يناقض الهداية حيث قالوا صراط الذين
انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين وكما سالوه ان يهديهم سالوه ان لا يضلهم وكذلك يدعون فيقولون
ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا الاية **الثانية والثلاثون** غير المغضوب عليهم ولا الضالين اختلف
في المغضوب عليهم ولا الضالين من هم فالجمهور المغضوب عليهم اليهود والضالين النصارى وجاء ذلك مفسرا
عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث عدي بن حاتم وقصة اسلامه اخرجه ابو داود الطيالسي في مسنده والترمذي
في جامعه وشهد لهذا التفسير ايضا قوله سبحانه في اليهود وباوا بغضب من الله وقال وغضب عليهم وقال في النصارى
قد ضلوا من قبل وضلوا كثيرا وضلوا عن سوا السبيل وقيل المغضوب عليهم المشركون الضالين المنافقون وقيل المغضوب
عليهم هو من اسقط فرض هذه السورة في الصلاة ولا الضالين عن بركة قراتها حكاه السلمي في حقايقه والماوردي
في تفسيره وليس بشي قال الماوردي وهذا وجه مردود لان ما تعارضت فيه الاخبار وتقابلت فيه الاثار
وانتشر فيه الخلاف لم يجز ان يطلق عليه هذا الحكم وقيل المغضوب عليهم باتباع البدع ولا الضالين
عن سنن الهدى **قلت** وهذا حسن وتفسير النبي صلى الله عليه وسلم اولى واعلى واحسن وعليهم في موضع رفع
لان المعنى غضب عليهم والغضب في اللغة الشدة ورجل غضوب اي شديد الخلق والغضوب الحية الخبيثة
لشدتها والغضبة الدرقة من جلدة لبعير يطوي بعضها على بعض سميت بذلك لشدتها ومعنى الغضب في صفة
الله تعالى ارادة العقوبة فهو صفة ذات وارادة الله تعالى من صفات ذاته او نفس العقوبة ومنه الحديث
ان الصدقة لتطفي غضب الرب فهو صفة فعل **الثالثة والثلاثون** ولا الضالين الضلال في كلام العرب
هو الذهاب عن سنن القصد وطريق الحق ومنه ضل اللبن في الما اي غاب ومنه ايذا ضللنا في الارض اي غبنا
بالموت وصرنا ترابا قال الشاعر • الم تسال تخبرك الديار • عن الحي المضلل اين ساروا •
والضلضلة حجر املس يردده الما في الوادي وكذلك الغضبة صخرة في الجبل مخالفة لونه قال الشاعر
وغضبة في هضبة ما امنعا **الرابعة والثلاثون** قرا عمر بن الخطاب وابي بن كعب غير المغضوب عليهم وغير
الضالين وروي عنهما في الرا النصب والخفض في الحرفين فالخفض على البدل من الذين او من الها والميم في عليهم او
صفة للذين والذين معرفة ولا توصف المعارف بالنكرات ولا النكرات بالمعارف الا ان الذين ليس بمقصود قصدهم
فهو عام فالكلام بمنزلة قولك اني لامر بمثلك فاكرمه او لان غير تعرفت لكونها بين شيين لا وسط بينهما كما تقول

الحي

الحي غير الميت والساكن غير المتحرك والقايم غير القاعد قولان الاول للفارسي والثاني للزمخشري والنصب في الرا على
وجهين على الحال من الذين او من الها والميم في عليهم كانك قلت انعمت عليهم لا مغضوبا عليهم او على الاستثنا كانك
قلت الا المغضوب عليهم ويجوز النصب باعني وحكي عن الخليل **الخامسة والثلاثون** لا في قوله ولا الضالين
اختلف فيها فقيل هي زايدة قاله الطبري ومنه قوله تعالى ما منعك ان لا تسجد وقيل هي تاكيد دخلت
لئلا يتوهم ان الضالين معطوف على الذين حكاه مكي والمهدوي وقال الكوفيون لا بمعنى غير وهي قراة عمر وابي
وقد تقدم **السادسة والثلاثون** الاصل في الضالين الضالين ثم ادغمت اللام في اللام فاجتمع ساكنان
مدة الالف واللام المدغمة وقرا ايوب السختياني ولا الضالين بهمزة غير ممدودة كانه فر من التقا الساكنين
وهي لغة حكى ابو زيد قال سمعت عمرو بن عبيد يقرا فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان فظننته قد لحن
حتى سمعت من العرب دابة وشابة قال ابو الفتح وعلى هذه اللغة كثير • اذا ما العوالي بالغبيط احمارت
نجز تفسير سورة الحمد والحمد لله **تفسير سورة البقرة بحول الله وكرمه لا رب سواه واول**
مبدوء به الكلام في نزولها وفضلها وما جا فيها وهكذا كل سورة ان وجدنا لها ذلك فنقول سورة البقرة مدنية نزلت
في مدد شتى وقيل هي اول سورة نزلت بالمدينة الا قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فانه اخر اية نزلت
من السما ونزلت يوم النحر في حجة الوداع بمنى وايات الربا ايضا من اواخر ما نزل من القران وهذه السورة
فضلها عظيم وثوابها جسيم ويقال لها فسطاط القران قاله خالد بن معدان وذلك لعظمها وبها وكثرة
احكامها ومواعظها وتعلمها عمر رضي الله عنه بفقهها وما تحتوي عليه من اثنتي عشرة سنة وابنه عبد الله في
ثماني سنين كما تقدم قال ابن العربي سمعت بعض اشياخي يقول فيها الف امر والف نهي والف حكم والف خبر وبعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا وهم ذو عدد وقدم عليهم احدثهم سنا لحفظه سورة البقرة وقال له اذهب
فانت اميرهم اخرجه الترمذي عن ابي هريرة وصححه وروى مسلم عن ابي امامة الباهلي قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول اقروا سورة البقرة فان اخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة قال
معاوية بلغني ان البطلة السحرة وروي ايضا عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تجعلوا بيوتكم
مقابر ان الشيطان ينفر من البيت الذي تقرا فيه سورة البقرة وروى الدارمي عن عبد الله قال ما من بيت تقرا
فيه سورة البقرة الا خرج منه الشيطان له ضراط وقال ان لكل شي سناما وان سنام القران سورة البقرة وان لكل
شي لبابا وان لباب القران المفصل قال ابو محمد الدارمي اللباب الخالص وفي صحيح البستي عن سهل بن سعد قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شي سناما وان سنام القران سورة البقرة ومن قراها في بيته ليلا لم
يدخل الشيطان بيته ثلاث ليال ومن قراها نهارا لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة ايام اراد مردة الشياطين
وروى الدارمي في مسنده عن الشعبي قال قال عبد الله من قرا عشر ايات من سورة البقرة لم يدخل ذلك البيت
شيطان تلك الليلة حتى يصبح اربعا من اولها واية الكرسي وايتين بعدها وثلاث خواتيمها اولها لله ما في
السموات وعن الشعبي عنه لم يقربه ولا اهله يومئذ شيطان ولا شي يكرهه ولا يقربن على مجنون الا افاق
وقال المغيرة بن سبيع وكان من اصحاب عبد الله لم ينس القران وقال اسحاق بن عيسى لم ينس ما قد حفظ قال
ابو محمد الدارمي منهم من يقول المغيرة بن سميع وفي كتاب الاستيعاب لابن عبد البر وكان لبيد بن ربيعة بن مالك
ابن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة من شعرا الجاهلية ادرك الاسلام فحسن اسلامه وترك قول
الشعر في الاسلام وساله عمر في خلافته عن شعره واستشهده فقرا سورة البقرة فقال انما سالتك عن شعرك
فقال ما كنت لاقول بيتا من الشعر بعد ان علمني الله البقرة وال عمران فاعجب عمر قوله وكان عطاوه الفين فزاده
خمسماية وقد قال كثير من اهل الاخبار ان لبيد لم يقل شعرا منذ اسلم وقال بعضهم لم يقل في الاسلام الا قوله
• الحمد لله اذ لم ياتني اجلي • حتى اكتسبت من الاسلام سربالا •
قال ابن عبد البر وقد قيل ان هذا البيت لقرادة بن نفاثة السلولي وهو اصح عندي وقال غيره بل البيت
الذي قاله في الاسلام • ما عاتب المرء الكريم كنفسه • والمرء يصلحه القرين الصالح •
وسياتي ما ورد في اية الكرسي وخواتيم البقرة وياتي في اول سورة ال عمران زيادة بيان لفضل هذه السورة ان شا
الله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** الم ذلك الكتاب الاية اختلف اهل التاويل في الحروف التي في اوايل
السورة فقال عامر الشعبي وسفيان الثوري وجماعة من المحدثين هي سر الله في القران ولله في كل كتاب
من كتبه سر فهي من المتشابه الذي انفرد الله تعالى بعلمه ولا يجب ان يتكلم فيها ولكن يومن بها ويمرها كما جات
وروي هذا القول عن ابي بكر الصديق وعلي بن ابي طالب رضي الله عنهما وذكر ابو الليث السمرقندي عن عمر وعثمان وابن
مسعود انهم قالوا الحروف المقطعة من المكتوم الذي لا يفسر وقال ابو حاتم لم نجد الحروف المقطعة في القران
الا في اوايل السور ولا ندري ما اراد جل وعز بها **قلت** ومن هذا المعنى ما ذكره ابو بكر الانباري حدثنا
الحسن بن الحباب نا ابو بكر بن ابي طالب نا ابو المنذر الواسطي عن مالك بن مغول عن سعيد بن مسروق عن الربيع

قول صح

سورة البقرة

بها صح

ابن خيثم قال ان الله تعالى انزل هذا القرآن فاستأثر منه بعلم ما شاء واطلعكم على ما شاء فاما ما استأثر به لنفسه فلستم بنائليه فلا تسألوا عنه واما الذى اطلعكم عليه فهو الذى تسألون عنه وتخبرون به وما كان القرآن تعلمون ولا بكل ما تعلمون تعملون قال ابو بكر فهذا ابو وضح ان حروفا من القرآن ستر استعمانيها عن جميع العالم اختيارا من الله عز وجل واستحفاظا ممن امن بها وآتيه وتسعد ومن كفر وشك ثم وبعد حدثنا يوسف بن يعقوب القاضى نا محمد ابن ابى بكر نا عبد الرحمن بن مهدى عن سفيان عن الاعمش عن عمارة عن حريث بن ظهير عن عبد الله قال ما امر موسى افضل من ايمان بغيب ثم قرأ الذين يؤمنون بالغيب قلت هذا القول يبنى المنشأ به وحكمه وهو الصحيح على ما مانى بيانه فى الكلام ان شاء الله تعالى وقال اجمع من العلماء كبير يحب ان يتكلم فيها وتلتمس الفوائد التى تحتها والمعانى التى تتخرج عليها واختلفوا فى ذلك على اقوال عديدة فروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ايضا ان الحروف المقطعة فى القرآن اسم الله الاعظم الا انا لا نعرف تأليفه منها وقال قطرب والفراء وغيرهما هى اشارة الى حروف الهجاء اعلم الله بها العرب حين تحداهم بالقرآن انه مؤتلف من حروف هى التى منها تأليف كلامهم ليكون تحجيزا لهم عنه ابلغ فى الحجة عليهم اذ لم يخرج عن كلامهم قال قطرب كانوا ينهون عند استماع القرآن فلما سمعوا الم والصاد استنكروا هذا اللفظ فلما انصتوا له صلى الله عليه وسلم اقبل عليهم بالقرآن المؤتلف لبيئته فى اسماعهم واذا انهم ويقيم الحجة عليهم وقال قوم روى ان المشركين لما اعرضوا عن سماع القرآن بمكة وقالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه نزلت ليستغربوها فيفتحوا لها اسماعهم فيسمعوا القرآن بعدها فتجب عليهم الحجة وقال جماعة هى حروف دالة على اسماء اخذت وحذفت بقيتها كقول ابن عباس وغيره الالف من الله واللام من جبريل والميم من محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الالف مفتاح اسم الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد وروى ابو الضحى عن ابن عباس فى قوله الم قال انا الله اعلم الرا انا الله ارى المص انا الله افصل قال الكلبى تودى عن معنى انا واللام تودى عن اسم الله والميم تودى عن معنى علم واختار هذا القول الزجاج وقال اذهب الى ان كل حرف منها يودى عن معنى وقد تكلمت العرب بالحروف المقطعة تنطالها ووضعا بدل الكلمات التى الحروف منها كقوله

فقلت لها قفى فقالت قاف ٭ اراد قالت وقفت وقال زهير

٭ بالخير خيرات وان شرا فا ٭ ولا اريد الشر الا ان يا

اراد وان شرا فشر ولا اريد الا ان يشا وقال الاخر

٭ قالوا جميعا كلهم الا فا ٭ نادوهم الا الجمام الا انا

اراد الا تركبون قال الا فاركبوا وفى الحديث ثم اتاهن على قتل مسلم بشطر كلمة قال شقيق هو ان يقول فى اقتل اق كما قال عليه السلام كفى بالسيف شا معناه شافيا وقال زيد بن اسلم هى اسماء للسور وقال الكلبى هى اقسام اقسم الله بها لشرفها وفضلها وهى من اسمائه عن ابن عباس ايضا وروى بعض اهل هذا القول فقال لا يصح ان يكون قسما لان القسم معقود على حروف مثل ان وقد ولقد وما ولم يوجد هاهنا حرف من هذه الحروف فلا يجوز ان يكون يمينا والجواب ان يقال موضع القسم قوله تعالى لا ريب فيه فلو ان انسانا حلف فقال والله هذا الكتاب لا ريب فيه لكان الكلام سديدا وتكون لا جواب القسم نثبت ان قول الكلبى وما روى عن ابن عباس سديد صحيح فان قيل ما الحكمة فى القسم من الله تعالى وكانا لقوم فى ذلك الزمان على ضربين مصدق ومكذب فالمصدق يعتقد بغير قسم والمكذب لا يصدق مع القسم قيل له القرآن نزل بلغة العرب والعرب اذا اراد بعضهم ان يؤكد كلامه اقسم على كلامه والله تعالى اراد ان يؤكد عليهم الحجة فاقسم ان القرآن من عنده وقال بعضهم الم اى انا الله اعلم قال ابن الانبارى هذا الكتاب هو الم المعنى هذا الكتاب هو الذى سماه الله فى اللوح المحفوظ وقال قتادة فى الم اسم من اسماء القرآن وروى عن محمد بن على الترمذى انه قال ان الله تعالى اودع جميع ما فى تلك السور من الاحكام والفصص فى الحروف التى ذكرها فى اوائل السور ولا يعرف ذلك الا نبى او ولى ثم يتبين ذلك فى جميع السورة ليفقه الناس وقيل يعرف ذلك من الاقوال الآتية والله اعلم ولا وقف على هذه الحروف على السكون لتفصلها مما اذا اخبرت عنها او عطفتها فانك تغير بها واختلف هل لها محل من الاعراب فقيل لا لانها اسماء متمكنة ولا افعال مضارعة وانما هى بمنزلة حروف التهجى فهى محكية هذا مذهب الخليل وسيبويه ومن قال انها اسماء السور فموضعها عنده الرفع على انها عنده خبر ابتداء مضمر اى هذه الم كما تقول هذه سورة البقرة او تكون رفعا على الابتداء والخبر ذلك كما تقول زيد ذلك الرجل وقال ابن كيسان النحوى الم فى موضع نصب كما تقول اقرأ الم او عليك الم وقيل فى موضع خفض بالقسم لقول ابن عباس انها اقسام فمعنى الله بها قوله ذلك الكتاب قيل المعنى هذا الكتاب وذلك قد يستعمل فى الاشارة الى حاضر وان كان موضوعا للاشارة الى غايب كما قال تعالى فى الاخبار عن نفسه جل وعز ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم ومنه قول خفاف بن ورقة

٭ اقول له والرمح يأطر متنه ٭ تأمل خفافا انني انا ذلكا ٭

اى انا هذا فذلك اشارة الى القرآن موضوع موضع هذا الكتاب لا ريب فيه وهذا قول ابى عبيدة وعكرمة ومنه قوله تعالى وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم تلنا يا قوم الله تتلوها عليك بالحق اى هذه

والكتاب اسم للقرآن والتعريف هنا للعهد وذلك الكتاب اشارة الى الغايب والقرآن كالايجيل مع

لكنها لما انفصلت صارت كانها بعدت فقيل تلك وفى البخارى وقال معروف ذلك الكتاب هذا القرآن هدى للمتقين بيان وهداية لقولك لكم حكم الله يحكم بينكم هذا حكم الله قلت وقد جاء هذا بمعنى ذلك ومنه قوله عليه السلام فى حديث ام حرام من كبوس يخ هذا البحر اى ذلك البحر والله اعلم وقيل هو على بابه اشارة الى غايب واختلف فى ذلك الغايب اى الكتاب الذى كتبت على الخلايق بالسعادة والشقاوة والاجل والرزق لا ريب فيه اى لا مبدل له وقيل ذلك الكتاب اى الذى كتبت على نفسى فى الازل ان رحمتى سبقت غضبى وفى صحيح مسلم عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قضى الله الخلق كتب فى كتابه على نفسه فهو موضوع عنده ان رحمتى تغلب غضبى وفى رواية سبقت وقيل ان الله تعالى قد كان وعد نبيه عليه السلام ان ينزل عليه كتابا لا محوة الما فاشار الى ذلك الوعد كما فى صحيح مسلم من حديث عياض بن حمار المجاشعى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله نظر الى اهل الارض فمقتهم عربهم وعجمهم الا بقايا من اهل الكتاب وقال انما بعثتك لابتليك وابتلى بك وانزلت عليك كتابا لا يغسله الماء تقرؤه نايما ويقظان الحديث وقيل الاشارة الى ما قد قرئ على نبيه صلى الله عليه وسلم بمكة انا سنلقى عليك قولا ثقيلا لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مستشرفا الى ما يجاء هذا الوعد من ربه عز وجل قال انزل عليه بالمدينة الم ذلك الكتاب اى ذلك الكتاب الذى وعدتك ان انزله عليك بالمدينة ذلك الكتاب الذى وعدتك انا اوحيه اليك بمكة وقيل ان ذلك اشارة الى ما فى التوراة والانجيل يعنى ان التوراة والانجيل يشهدان بصحته ويستغرق ما فيهما ويزيد عليهما ما ليس فيهما وقيل ان ذلك الكتاب اشارة الى التوراة والانجيل كليهما والمعنى الم ذانك الكتابان او مثل ذينك الكتابين اى هذا القرآن جامع لما فى ذينك الكتابين فعبر ذلك عن الاثنين ليشاهد من القرآن قال الله تبارك وتعالى انا فرضوه لا بكر عوان بين ذلك اى عوان بين تينك الفارض والبكر وسيأتى وقيل ان ذلك اشارة الى اللوح المحفوظ وقال الكسائى ذلك اشارة الى القرآن الذى فى السما لم ينزل بعد وقيل ان الله تعالى قد وعدها ان الكتاب الذى ينزل على محمد صلى الله عليه وسلم كتابا فالاشارة الى ذلك الوعد قال المبرد المعنى هذا القرآن ذلك الكتاب الذى كنتم تستفتحون به على الذين كفروا وقيل الى حروف المعجم فى قول من قال الم الحروف التى تحدينتم بالنظر فيها والكتاب مصدر من كتب يكتب اذا جمع ومنه قيل كتيبة لاجتماعها وتكتبت الخيل صارت كتايب وكتبت البغلة اذا اجمعت بين شفرى رحمها بحلقة او سير قال

٭ لا تأمنن فزاريا خلوت به ٭ على قلوصك واكتبها باسيار ٭

والكتيبة بضم الكاف الخزرة والجمع كتب والكتب الخرز قال ذو الرمة

٭ وقرا عرفية اتاى خوازرها ٭ مشكوكة بينها الكتب ٭

والكتاب هو خط الكاتب حروف المعجم مجموعة او متفرقة وسمى كتابا وان كان مكتوبا كما قال الشاعر

٭ تؤمل رجعة منى وفيها ٭ كتاب مثل ما لصق الغراء ٭

والكتاب الفرض والحكم والقدر قال المجعدى

٭ يا ابنة عمى كتاب الله اخرجنى ٭ وهل امنعك الله ما فعلا ٭

قوله تعالى لا ريب فى عامة وذلك ان يعقب الريب به وفى الريب ثلاث لغات احدها الشك قال عبيد الله ابن الزبعرى

٭ ليس فى الحق يا امية ريب ٭ انما الريب ما يقول الجهول ٭

وثانيتها التهمة قال جميل

٭ بثينة قالت يا جميل اربتنى ٭ فقلت كلانا يا بثين مريب ٭

وثالثتها الحاجة قال

٭ فضينا من تهامة كل ريب ٭ وخيبر ثم اجمعنا السيوفا ٭

فكتاب الله تعالى لا شك فيه ولا ارتياب والمعنى انه فى ذاته حق وانه منزل من عند الله وصفة من صفاته غير مخلوق ولا يحدث وان وقع ريب للكفار وقيل هو خبر ومعناه النهى اى لا ترتابوا وتم الكلام كانه قال ذلك الكتاب حقا وتقول ارابنى هذا الامر اذا دخل عليك شكا وخوفا وارابنى بصارة ارابية فهو مريب وراب امره وريب الدهر صروفه

قوله تعالى فيه هدى للمتقين فيه ست مسايل الاولى قوله تعالى فيه الهاء فيه فى موضع خفض بفى وفيه خمسة اوجه اجودها فيه هدى ويليه فيه هدى بضم الهاء بغير واو وروى قراءة الزهرى وسلام ابن المنذر ويليه فيهى هدى باثبات الياء وروى قراءة ابن كثير ويجوز فيه وهدى بالواو ويجوز فيه هدى مدغما وارتفع هدى على الابتداء والخبر فيه والهدى فى كلام العرب معناه الرشد والبيان اى فيه كشف لاهل المعرفة ورشد وزيادة بيان وهدى هدى بيان وهدى دلالة وهو الذى يفيد عليه الرسل وانباءهم قال الله تعالى ولكل قوم هاد وقال انك لتهدى الى صراط مستقيم فاثبت لهم الهدى الذى معناه الدلالة والدعوى والتنبيه ونفر وهو سبحانه بالهدى الذى معناه التأييد والتوفيق فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم انك لا تهدى من احببت فالهدى على هذا يجئ بمعنى خلق الايمان فى القلب ومنه قوله تعالى اولئك على هدى من ربهم وقوله ويهدى من يشاء والهدى الاهتداء ومعناها راجع الى معنى الارشاد كيف تصرفت قال ابو المعالى وقد نزه الهداية والمراد بها ارشاد المؤمنين الى مسالك الجنان والطرق المفضية اليها من ذلك قوله تعالى فى صفة

المجاهدين فلن يضل اعمالهم سيهديهم ومنه قوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم معناه فاسلكوهم اليها **الثالثة**
الهدى لفظ مونث قال الفرا بعض بني اسد تونث الهدى فتقول هذه هدى حسنة وقال اللحياني هو مذكر ولم يعرب
لانه مقصور والالف لا تتحرك ويتعدى بحرف وبغير حرف وقد مضى في الفاتحة تقول هديته الطريق والى
الطريق والدار والى الدار اي عرفته الاولى لغة اهل الحجاز والثانية حكاها الاخفش وفي التنزيل اهدنا
الصراط المستقيم والحمد لله الذي هدانا لهذا وقيل ان الهدى اسم من اسما النهار لان الناس يهتدون فيه
لمعايشهم وجميع ما ربهم ومنه قول ابن مقبل **الرابعة** قوله تعالى للمتقين خص تعالى المتقين بهدايته وان
كان هدى للخلق اجمعين تشريفا لهم لانهم امنوا وصدقوا بما فيه وروى عن ابي روق انه قال هدى للمتقين
اي كرامة لهم يعني انما اضاف اليهم اجلالا لهم وكرامة لهم وبيانا لفضلهم واصل للمتقين للموتقين
بياين مخففتين حذفت الكسرة من اليا الاولى لثقلها ثم حذفت اليا لالتقا الساكنين وابدلت الواو
يا على اصلهم في اجتماع الواو واليا وادغمت اليا في التا فصار للمتقين **الخامسة** التقوى يقال اصلها
في اللغة قلة الكلام حكاه ابن فارس **قلت** ومنه الحديث التقي ملجم والمتقي فوق المومن والطايع
وهو الذي يتقي بصالح عمله وخالص دعائه عذاب الله تعالى ماخوذ من اتقا المكروه بما تجعله حاجزا
بينك وبينه كما قال النابغة • سقط النصيف ولم ترد اسقاطه • فتناولته واتقتنا باليد •
اخر • والقت قناعا دونه الشمس واتقت • باحسن موصولين كف ومعصم •
وخرج ابو محمد عبد الغني الحافظ من حديث سعيد بن زربي ابو عبيدة عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن
ابن مسعود قال قال يوما لاخيه يا ابن اخي ترى الناس ما اكثرهم قال نعم قال لا خير فيهم الا تايب او تقي ثم قال
يا ابن اخي ترى الناس ما اكثرهم قال نعم قلت بلى قال لا خير فيهم الا عالم او متعلم وقال ابو يزيد البسطامي المتقي من
اذا قال قال لله ومن اذا عمل عمل لله وقال ابو سليمان الداراني المتقون الذين نزع الله عن قلوبهم حب الشهوات
وقيل المتقي الذي اتقى الشرك وبرى من النفاق قال ابن عطية وهذا فاسد لانه قد يكون كذلك وهو فاسق
وسال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ابيا عن التقوى فقال هل اخذت طريقا ذا شوك قال نعم قال فما عملت
فيه قال شمرت وحذرت قال فذاك التقوى واخذ هذا المعنى ابن المعتز فنظمه • خل الذنوب صغيرها •
وكبيرها ذاك التقى • واصنع كماش فوق ارض • الشوك يحذر ما يرى • لا تحقرن صغيرة •
ان الجبال من الحصى **السادسة** التقوى فيها جماع الخير كله وهي وصية الله في الاولين والاخرين
وهي خير ما يستفيده الانسان كما قال ابو الدردا وقد قيل له ان اصحابك يقولون الشعر وانت ما حفظ عنك
عنك شي فقال • يريد المرء ان يعطى مناه • ويابى الله الا ما اراد •
• يقول المرء فايدتي ومالي • وتقوى الله افضل ما استفادا •
وروى ابن ماجة في سننه عن امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول ما استفاد المرء بعد تقوى
الله خير له من زوجة صالحة ان امرها اطاعته وان نظر اليها سرته وان اقسم عليها ابرته وان غاب عنها
نصحته في نفسها وماله والاصل في التقوى وقوى على وزن فعلى فقلبت الواو تا من وقيته اقيه اي
منعته ورجل تقي اي خايف اصله وقي وكذلك تقاة كانت في الاصل وقاة كما قالوا تجاه وتراث والاصل
وجاه ووراث **قوله تعالى** الذين يومنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون فيها ست
وعشرون مسيلة **الاولى** قوله الذين في موضع خفض نعت للمتقين ويجوز الرفع على القطع اي هم الذين
ويجوز النصب على المدح والايمان في اللغة التصديق وفي التنزيل وما انت بمومن لنا اي بمصدق ويتعدى بالبا
واللام كما قال ولا تومنوا الا لمن تبع دينكم فما امن لموسى وروى حجاج بن حجاج الاحول ويلقب بزق العسل قال
سمعت قتادة يقول يا ابن ادم ان كنت لا تريد ان تاتي الخير الا عن نشاط فان نفسك مايلة الى السامة والفترة
والملة ولكن المومن هو المتحامل والمومن هو المتقوي والمومن هو المتشدد وان المومنين هم العجاجون الى
الله الليل والنهار والله ما يزال المومن يقول ربنا ربنا في السر والعلانية حتى استجاب لهم في السر والعلانية
الثانية قوله بالغيب الغيب في كلام العرب كل ما غاب عنك وهو من ذوات اليا يقال منه غابت الشمس
تغيب والغيبة معروفة واغابت المراة فهي مغيبة اذا غاب عنها زوجها ووقعنا في غيبة وغيابة اي هبطة
من الارض والغيابة الاجمة وهي جماع الشجر يغاب فيها ويسمى المطمين من الارض الغيب لانه غاب عن البصر
الثالثة واختلف المفسرون في تاويل الغيب هنا فقالت فرقة الغيب في هذه الاية الله سبحانه
وضعفه ابن العربي وقال اخرون القضا والقدر وقال اخرون القران وما فيه من الغيوب وقال اخرون الغيب
كلما اخبر به الرسول عليه السلام مما لا تهتدي اليه العقول من اشراط الساعة وعذاب القبر والحشر والنشر
والصراط والميزان والجنة والنار قال ابن عطية وهذه الاقوال لا تتعارض بل يقع الغيب على جميعها **قلت**
وهذا هو الايمان الشرعي المشار اليه في حديث جبريل عليه السلام حين قال للنبي صلى الله عليه وسلم فاخبرني

عن

عن الايمان قال ان تومن بالله وملايكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وتومن بالقدر خيره وشره قال صدقت
وذكر الحديث وقال عبد الله بن مسعود ما امن مومن افضل من ايمان بغيب ثم قرا الذين يومنون بالغيب **قلت**
وفي التنزيل وما كنا غايبين وقال الذين يخشون ربهم بالغيب فهو سبحانه غايب عن الابصار غير مرى في هذه الدار
غير غايب بالنظر والاستدلال فهم يومنون ان لهم ربا قادرا يجازي على الاعمال فهم يخشونه في سرايرهم
وخلواتهم التي يغيبون فيها عن الناس لعلمهم باطلاعه عليهم وعلى هذا يتفق الاي ولا تعارض والحمد لله
وقيل بالغيب اي بضمايرهم وقلوبهم بخلاف المنافقين وهذا قول حسن وقال الشاعر •
• وبالغيب امنا وقد كان قومنا • يصلون للاوثان غير محمد •
الرابعة قوله تعالى ويقيمون الصلاة معطوف جملة على جملة واقامة الصلاة اداوها باركانها وسننها
وهياتها في اوقاتها على ما ياتي بيانه يقال قام الشي اي دام وثبت وليس من القيام على الرجل وانما هو
من قولك قام الحق اي ظهر وثبت قال الشاعر • وقامت الحرب بنا على ساق •
وقال اخر • واذا يقال اتيتهم لم يبرحوا • حتى تقيم الخيل سوق طعان •
وقيل يقيمون يديمون واقامة اي ادامه والى هذا المعنى اشار عمر بقوله من حفظها وحافظ عليها حفظ
دينه ومن ضيعها فهو لما سواها اضيع **الخامسة** اقامة الصلاة معروفة وهي سنة عند الجمهور وانه
لا اعادة على تاركها وعند الاوزاعي وعطا ومجاهد وابن ابي ليلى هي واجبة وعلى من تركها الاعادة وبه قال
اهل الظاهر وروى عن مالك واختاره ابن العربي قال لان في حديث الاعرابي واقم فامره بالاقامة
كما امره بالتكبير والاستقبال والوضو قال فاما انتم الان فقد وقعتم على الحديث فقد تعين عليكم ان
تقولوا باحدى روايتي مالك الموافقة للحديث وهو ان الاقامة فرض قال ابن عبد البر قوله صلى الله عليه وسلم
وتحريمها التكبير دليل على انه لم يدخل في الصلاة من لم يحرم فما كان قبل الاحرام فحكمه ان لا تعاد منه الصلاة
الا ان يجمعوا على شي فيسلم للاجماع كالطهارة والقبلة والوقت ونحو ذلك وقال بعض علمائنا من تركها عمدا اعاد
الصلاة وليس ذلك لوجوبها اذ لو كان ذلك لاستوى سهوها وعمدها وانما ذلك للاستخفاف بالسنن والله
اعلم **السادسة** واختلف العلما فيمن سمع الاقامة هل يسرع ام لا فذهب الاكثر الى انه لا يسرع وان خاف
فوت الركعة لقوله عليه السلام اذا اقيمت الصلاة فلا تاتوها تسعون واتوها تمشون عليكم السكينة فما ادركتم
فصلوا وما فاتكم فاتموا رواه ابو هريرة اخرجه مسلم وعنه ايضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
ثوب بالصلاة فلا يسع اليها احدكم ولكن ليمش وعليه السكينة والوقار صل ما ادركت واقض ما سبقك وهذا
نص ومن جهة المعنى انه اذا اسرع انبهر فتشوش عليه دخوله في الصلاة وقراتها وخشوعها وذهب جماعة من
السلف منهم ابن عمر وابن مسعود على اختلاف عنه انه اذا خاف فواتها اسرع وقال اسحاق يسرع اذا خاف
فوات الركعة وروى عن مالك ونحوه وقال لا باس لمن كان على فرس ان يحرك الفرس وتاوله بعضهم على الفرق بين
الماشي والراكب لان الراكب لا يكاد ان ينبهر كما ينبهر الماشي **قلت** واستعمال سنة رسول الله صلى الله
صلى الله عليه وسلم اولى فيمشي كما جا الحديث وعليه السكينة والوقار لانه في صلاة ومحال ان يكون خبره صلى الله
عليه وسلم على خلاف ما اخبر فكما ان الداخل في الصلاة لزم الوقار والسكون كذلك الماشي حتى يحصل له السنة
به فيتحصل له ثوابه ومما يدل على صحة هذا ما ذكرناه من السنة وما خرجه الدارمي في مسنده قال نا محمد بن
يوسف قال نا سفيان عن محمد بن عجلان عن المقبري عن كعب بن عجرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
توضات فعمدت الى المسجد فلا تشبكن بين اصابعك فانك في صلاة فمنع صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث
وهو صحيح مما هو اقل من الاسراع وجعله كالمصلي وهذه السنن تبين معنى قوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله
وانه ليس المراد به الاشتداد على الاقدام وانما عنى العمل والفعل هكذا فسره مالك وهو الصواب في ذلك
والله اعلم **السابعة** واختلف العلما في تاويل قوله عليه السلام ما فاتكم فاتموا وقوله واقض ما سبقك
هل هما بمعنى واحد ام لا فقيل هما بمعنى واحد وان القضا قد يطلق ويراد به التمام قال الله تعالى فاذا قضيت
الصلاة وقال فاذا قضيتم مناسككم وقيل معناهما مختلف وهو الصحيح ويترتب على هذا الخلاف خلاف
فيما يدركه الداخل هل هو اول صلاته او اخرها فذهب الى الاول جماعة من اصحاب مالك منهم ابن القاسم
ولكنه يقضي ما فاته بالحمد وسورة فيكون باتيا في الافعال قاضيا في الاقوال قال ابن عبد البر وهو المشهور من
المذهب وقال ابن خوار بنداد وهو الذي عليه اصحابنا وهو قول الاوزاعي والشافعي ومحمد بن الحسن واحمد بن حنبل
والطبري وداود بن علي وروى اشهب وهو الذي ذكره ابن عبد الحكم عن مالك ورواه عيسى عن ابن القاسم عن مالك
ان ما ادرك فهو اخر صلاته وانه يكون قاضيا في الافعال والاقوال وهو قول الكوفيين قال القاضي ابو محمد عبد
الوهاب وهو مشهور مذهب مالك قال ابن عبد البر من جعل ما ادرك اول صلاته فاظنهم راعوا الاحرام
لانه لا يكون الا في اول الصلاة والتشهد والتسليم لا يكون الا في اخرها فمن هاهنا قالوا ان ما ادرك فهو اول

صلاته مع ما ورد في ذلك من السنة من قوله فاتموا أو التمام هو الاخر فاحتج الاخرون بقوله فاقضوا والذي يقضي هو الفايت الا ان رواية من روى فاتموا اكثر وليس يستقيم على قول من قال ان ما ادرك اول صلاته ويجعله الامام فاله عبد العزيز بن ابي سلمة الماجشون والمزني واسحاق وداود ومن اتبعه يقرأ مع الامام في الجهر وسورة ان ادرك ذلك معه واذا قام للقضا قرأ في الجهر وحدها فهو كما اراد على اصلهم قولهم وفعلهم رضي الله عنهم **الثامنة** الاقامة تمنع من ابتداء صلاة نافلة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقيمت الصلاة فلا صلاة الا المكتوبة خرجه مسلم وغيره فاما اذا شرع في نافلة فلا يقطعها لقوله تعالى ولا تبطلوا اعمالكم وخاصة اذا اصلى ركعة منها وقيل يقطعها لعموم الحديث الى ذلك والله اعلم **التاسعة** واختلفوا لعلما فيمن دخل المسجد ولم يكن ركع ركعتي الفجر ثم اقيمت الصلاة فقال مالك يدخل مع الامام ولا يركعهما وان كان لم يدخل المسجد فان لم يخف فوات ركعة فليركع خارج المسجد ولا يركعهما في شئ من افنية المسجد التي تصلى فيها الجمعة اللاصقة بالمسجد وان خاف ان تفوته الركعة الاولى فليدخل وليصل معه ثم يصليهما اذا طلعت الشمس ان احب ولان يصليهما اذا طلعت الشمس احب الي وافضل من تركهما وقال ابو حنيفة واصحابه ان خشي ان تفوته الركعتان ولا يدرك الامام قبل رفعه من الركوع في الثانية دخل معه وان رجا ان يدرك ركعة صلى ركعتي الفجر خارج المسجد ثم يدخل مع الامام وكذلك قالا الا وزاعي الا انه يجوز ركوعهما في المسجد ما لم يخف فوت الركعة الاخرة وقال الثوري ان خشي فوت ركعة دخل معهم ولم يصلهما والاصل مما وان كان قد دخل المسجد وقال الحسن بن حي ويقال ابن حيان اذا اخذ المقيم في الاقامة فلا تطوع الا ركعتي الفجر وقال الشافعي من دخل المسجد وقد اقيمت الصلاة دخل مع الامام ولم يركعهما لا خارج المسجد ولا في المسجد وكذلك قال الطبري وبه قال احمد بن حنبل وحكي عن مالك وهو الصحيح في ذلك لقوله عليه السلام اذا اقيمت الصلاة فلا صلاة الا المكتوبة وركعتا الفجر اما سنة واما فضيلة واما رغيبة والحجة عند التنازع السنة ومن حجة قول مالك المشهور ورأى حنيفة ما روى عن ابن عمر انه جاء والامام يصلي صلاة الصبح فصلاهما في حجرة حفصة ثم انه صلى مع الامام وحجة الثوري والاوزاعي ما روى عن عبد الله بن مسعود انه دخل المسجد وقد اقيمت الصلاة فصلى الى اسطوانة في المسجد ركعتي الفجر ثم دخل الصلاة بمحضر من حذيفة وابي موسى رضي الله عنهما قالوا واذا جاز ان يشتغل بالنافلة عن المكتوبة خارج المسجد جاز له ذلك في المسجد روى مسلم عن عبد الله بن مالك ابن بحينة قال اقيمت صلاة الصبح فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يصلي والمؤذن يقيم فقال اتصلي الصبح اربعا وهذا انكار منه صلى الله عليه وسلم على الرجل لصلاته ركعتي الفجر في المسجد والامام يصلي ويمكن ان يستدل به ايضا على ان ركعتي الفجر وقعت في تلك الحال صحت لانه عليه السلام لم يقطع عليه صلاته مع تمكنه من ذلك والله اعلم **العاشرة** الصلاة اصلها في اللغة الدعاء خوذة من صلى يصلي اذا دعا ومنه قوله عليه السلام اذا دعي احدكم الى طعام فليجب فان كان مفطرا فليطعم وان كان صايما فليصل اي فليدع وقال بعض العلما المراد بالصلاة المعروفة فيصلي ركعتين وينصرف والاول اشهر وعليه من العلما اكثر ولما ولدت اسما عبد الله ابن الزبير ارسلته الى النبي صلى الله عليه وسلم فاتت اسما ثم مسحه وصلى عليه اي دعا له وقال تعالى وصل عليهم اي ادع لهم وقال الاعشى

تقول بنتي وقد قربت مرتحلا ... يا رب جنب ابي الاوصاب والوجعا

عليك مثل الذي صليت فاغتمضي ... يوما فان لجنب المرء مضطجعا

وقال الاعشى ايضا

وقابلها الريح في دنها ... وصلى على دنها وارتسم

ارتسم الرجل كبر ودعا قاله في الصحاح وقال قوم ماخوذة من الصلاة وهو عرق في وسط الظهر ويفترق عند العجب فيكتنفه ومنه اخذ المصلي في سبق الجيل لانه يأتي في الحلبة وراسه عند صلوي السابق فاشتقت الصلاة منه اما لانها جاءت ثانية للايمان فشبهت بالمصلي من الخيل واما لان الراكع ينثني صلواه والصلا مغرز الذنب عن الفرس والانثنا صلوان والمصلي تالي السابق لان راسه عند صلاه وقال علي رضي الله عنه سبقني رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى ابو بكر وثلث عمر وقيل هي ماخوذة من اللزوم ومنه صلي بالنار اذا لزمها ومنه تصلى نار الحامية قال الحارث بن حلزة

لم اكن من جناتها علم الله ... واني بحرها اليوم صالي

اي ملازم لحرها وكان المعنى على هذا ملازمة العبادة على الحد الذي امر الله تعالى به وقيل هي ماخوذة من صليت العود بالنار اذا قومته ولينته بالصلا والصلا صلا النار بكسر الصاد ممدود فان فتحت الصاد قصرت فقلت صلا النار وكان المصلي يقوم نفسه بالمعاناة فيهما ويلين ويخشع قال الحارثي نجي

فلا تجعل بامرك واستدمه ... فما صلي عصاك كمستديم

فالصلاة الدعا والصلاة الرحمة ومنه اللهم صل على محمد الحديث والصلاة العبادة ومنه قوله تعالى وامر اهلك بالصلاة والصلاة التسبيح ومنه قوله تعالى فلولا انه كان من المسبحين اي من المصلين ومنه سبحة الضحى وقد قيل في تاويل ونسبح بحمدك نصلي والصلاة القراة ومنه قوله تعالى ولا تجهر بصلاتك فمعنى لفظ مشترك والصلاة بيت يصلى فيه قاله ابن فارس وقد قيل ان الصلاة اسم علم وضع لهذه العبادة فان الله تعالى لم يخل زمانا من شرع

ولم يخل شرع من صلاة حكاه ابو نصر القشيري **قلت** فعلى هذا القول لا اشتقاق لها وعلى قول الجمهور وهي الحادية **عشرة** اختلف الاصوليون هل هي منقاة على اصلها اللغوي الوضع الابتدائي وكذلك الايمان والزكاة والصيام والحج والشرع انما تصرف بالشروط والاحكام اوهل تلك الزيادة من الشرع تغييرها موضوعة كالوضع الابتدائي من قبل الشرع هذا اختلافهم والاول اصح لان الشريعة نزلت بلسان عربي مبين ولكن العرف تحكم في الاسما كالدابة وضعت لكل ما يدب ثم خصصها العرف بالبهيمة ذات الاربع فكذلك العرف الشرع تحكم في الاسما والله اعلم **الثانية عشرة** واختلف في المراد بالصلاة هنا فقيل الفرايض وقيل النوافل معا وهو الصحيح لان للمقطع عامة والمنتهي ياتي بهما **الثالثة عشرة** الصلاة سبب للرزق قال الله تعالى وامر اهلك بالصلاة الاية على ما ياتي بيانه في طه ان شا الله تعالى وشفا من وجع البطن وغيره روى ابن ماجة عن ابي هريرة قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يشتكي بطنه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اقم فصل فان في الصلاة شفا في رواية اشتكى بطنه درد يعني تشتكي بطنك بالفارسية وكان عليه السلام اذا حزبه امر فزع الى الصلاة **الرابعة عشرة** الصلاة لا تنعقد الا بشروط وفروض فمن شروطها الطهارة وسيأتي بيان احكامها في سورة النسا والمايدة وستر العورة ياتي في الاعراف القول فيها ان شا الله تعالى واما فروضها فاستقبال القبلة والنية وتكبيرة الاحرام والقيام لها وقراة ام القران والقيام لها والركوع والطمانينة فيه ورفع الراس من الركوع والاعتدال فيه والسجود والطمانينة فيه والسجود الثاني والطمانينة والاصل في هذه الجملة حديث ابي هريرة في الرجل الذي علمه النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة لما اخل بها فقال له اذا قمت الى الصلاة فاسبغ الوضوء ثم استقبل القبلة ثم كبر ثم اقرا ما تيسر معك من القران ثم اركع حتى تطمين راكعا ثم ارفع حتى تعتدل قايما ثم اسجد حتى تطمين ساجدا ثم ارفع حتى تطمين جالسا ثم افعل ذلك في صلاتك كلها خرجه مسلم وغيره وحديث رفاعة بن رافع اخرجه الدارقطني وغيره قال علمنا ونبينا صلى الله عليه وسلم اركان الصلاة وسكت عن الاقامة ورفع اليدين وعن حد القراة وعن تكبير الانتقالات وعن التسبيح في الركوع وعن السجود وعن الجلسة الوسطى وعن التشهد وعن الجلسة الاخرة وعن السلام اما الاقامة وتعيين الفاتحة فقد مضى الكلام فيها واما رفع اليدين فليس هو واجبا عند جماعة العلما واما القهقا لحديث ابي هريرة وحديث رفاعة بن رافع وقال داود وبعض اصحابه بوجوب ذلك عنه تكبيرة الاحرام وقال بعض اصحابه الرفع عند الاحرام وعند الركوع وعند الرفع من الركوع واجبوا ان من لم يرفع بديه فصلاته باطلة وهو قول الحميدي ورواية عن الاوزاعي واحتجوا بقوله عليه السلام صلوا كما رايتموني اصلي اخرجه البخاري فوجب علينا ان نفعل كما رايناه يفعل لانه المبلغ عن الله مراده واما التكبير ما عدا تكبيرة الاحرام فمسنون عند الجمهور للحديث المذكور وكان ابن القاسم صاحب مالك يقول من اسقط من التكبير في الصلاة ثلاثا تكبيرات قوفيها سجد للسهو وقبل السلام فان لم يسجد بطلت صلاته وان نسي تكبيرة واحدة او اثنتين سجد ايضا للسهو فان لم يفعل فلا شئ عليه وروي عنه ان التكبيرة الواحدة سهو على من سمى فيها وعند ابي حنيفة عظم التكبير وحملته عنده فرض وان اليسير منه مما وعنه وقال اصبغ بن الفرج وعبد الله بن عبد الحكم ليس على من لم يكبر في الصلاة من اولها الى اخرها شئ اذا كبر تكبيرة الاحرام فان تركها ساهيا سجد للسهو فان لم يسجد فلا شئ عليه ولا ينبغي لاحد ان يترك التكبير عامدا لانه سنة من سنن الصلاة فان فعل فقد اسي ولا شئ عليه وصلاته ماضية **قلت** هذا هو الصحيح وهو الذي عليه جماعة فقها الامصار من الشافعيين والكوفيين وجماعة اهل الحديث والمالكيين غير ابن القاسم وقد ترجم البخاري رحمه الله باب اتمام التكبير في الركوع والسجود وساق حديث مطرف بن عبد الله قال صليت خلف علي بن ابي طالب انا وعمران بن حصين وكان اذا سجد كبر واذا رفع راسه كبر واذا نهض من الركعتين كبر فلما قضى الصلاة اخذ بيدي عمران بن حصين فقال لقد ذكرني هذا صلاة محمد صلى الله عليه وسلم او قال لقد صلى بنا صلاة محمد صلى الله عليه وسلم وحديث عكرمة قال رايت رجلا عند المقام يكبر في كل خفض ورفع واذا قام واذا قعد فاخبرت ابن عباس فقال اوليس تلك صلاة النبي صلى الله عليه وسلم لا ام لك ذكره البخاري رحمه الله بهذا الباب على ان التكبير لم يكن معمولا به عندهم روى اسحاق التميمي عن يزيد بن ابي مريم عن ابي موسى الاشعري قال صلى بنا علي يوم الجمل صلاة اذكرنا بها صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكبر في كل خفض ورفع وقيام وقعود قال ابو موسى فاما نسيناها واما تركناها عامدا **قلت** الزام اعاده والصلاة فكيف يقال لمن ترك التكبير بطلت صلاته ولو كان ذلك لم يكن فرق بين السنة والفرض والشي اذا لم يجب جمعه وبالله التوفيق **الخامسة عشرة** واما التسبيح في الركوع والسجود فغير واجب عند الجمهور للحديث المذكور وواجبه اسحاق بن راهويه واذا من تركه اعاد الصلاة لقوله عليه السلام اما الركوع فعظموا فيه الرب واما السجود فاجتهدوا في الدعا فقمن ان يستجاب لكم **السادسة عشرة** واما الجلوس والتشهد فاختلفا العلما في ذلك فقال مالك واصحابه الجلوس الاول والتشهد له سنتان واجب جماعة من العلما الجلوس الاول وقالوا هو مخصوص من بين ساير الفروض جاز ان يتوب عنه السجود كالغرايا من المزابنة والقراض من الاجارة ان وكان الوقوف بعد الاحرام لمن وجد الامام قد احرم آكد واحتجوا بانه لو كان سنة ما كان العامد لتركه تبطل صلاته كما لا تبطل بترك سنن الصلاة احتج من لم يوجبه بان قال لو كان من فرايض الصلاة لرجع الناسي عنه اليه حتى ياتي به كما لو ترك سجدة او ركعة وبراعي فيه ما يراعى في الركوع والسجود من الولا والترتيب ثم يسجد للسهو كما يصنع من ترك

ركعة او سجدة واتى بهما وفي حديث عبد الله بن بحينة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام من ركعتين ونسي ان يتشهد
فسبح الناس خلفه كيما يجلس فثبت قائما فقاموا فلما فرغ من صلاته سجد سجدتي السهو قبل التسليم فلو كان الجلوس
فرضا لم يسقطه النسيان والسهو لان الفرايض في الصلاة يستوي في تركها السهو والعمد الا في الماثم واختلفوا
في حكم الجلوس الاخير في الصلاة وما الفرض من ذلك وهي **السابعة عشرة** على خمسة اقوال احدها ان الجلوس فرض
والتشهد فرض والسلام فرض وممن قال ذلك الشافعي واحمد بن حنبل في رواية وحكاه ابو مصعب في مختصره عن مالك
واهل المدينة وبه قال داود قال الشافعي من ترك التشهد الاول والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فلا اعادة
عليه وعليه سجدتا السهو لتركه واذا ترك التشهد الاخير ساهيا او عامدا اعاد واحتجوا بان بيان النبي صلى الله
عليه وسلم في الصلاة فرض لان اصل فرضها مجمل يفتقر الى البيان الا ما خرج بدليل وقد قال صلى الله عليه وسلم صلوا
كما رايتموني اصلي **القول الثاني** ان الجلوس والتشهد والسلام ليس بواجب وانما ذلك كله سنة مسنونة هذا قول
بعض البصريين واليه ذهب ابراهيم بن علية وصرح بقياس الجلسة الاخرة على الاولى وخالف الجمهور وشذ الا انه يرى الاعادة
على من ترك شيا من ذلك كله ومن حجتهم حديث عبد الله بن عمرو بن العاصي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا رفع الامام راسه من
اخر سجدة في صلاته ثم احدث فقد تمت صلاته وهو حديث لا يصح على ما قاله ابو عمر وقد بيناه في كتاب المفتيين
القول الثالث ان الجلوس مقدار التشهد فرض وليس التشهد ولا السلام بواجب فرضا قاله ابو حنيفة
واصحابه وجماعة من الكوفيين واحتجوا بحديث ابن المبارك عن الافريقي عبد الرحمن بن زياد وهو ضعيف وفيه
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا جلس احدكم في اخر صلاته فاحدث قبل ان يسلم فقد تمت صلاته قال ابن العربي
وكان شيخنا فخر الدين ينشدنا في الدرس • ونرى الخروج من الصلاة بضرطة • اين الضراط من السلام عليكم •
قال بعض علمائنا قال ابن العربي وسلك بعض علمائنا من هذه المسئلة فرعين ضعيفين اما احدهما فروى
عبد الملك عن عبد الملك ان من سلم من ركعتين متلاعبا فخرج البيان انه كان على اربع انه يجزيه وهذا
مذهب اهل العراق بعينه واما الثاني فوقع في الكتب المنبوذة ان الامام اذا احدث قبل التشهد متعمدا
وقبل السلام انه يجزي من خلفه وهذا مما لا ينبغي ان يلتفت اليه في الفتوى وان عمرت به المجالس للذكرى
القول الرابع ان الجلوس فرض والسلام فرض وليس التشهد بواجب وممن قال بهذا مالك بن انس واصحابه واحمد
ابن حنبل في رواية واحتجوا بان قالوا ليس شي من الذكر يجب الا تكبيرة الاحرام وقراة ام القران **القول
الخامس** ان التشهد والجلوس واجبان وليس السلام بواجب قاله جماعة منهم اسحاق بن راهويه واحتج
اسحاق بحديث ابن مسعود حين علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم التشهد وقال له اذا فرغت من هذا فقد
تمت صلاتك وقضيت ما عليك قال الدارقطني قوله اذا فرغت من هذا فقد تمت صلاتك ادرجه بعضهم عن
زهير في الحديث ووصله بكلام النبي صلى الله عليه وسلم وفصله شبابة عن زهير وجعله من كلام ابن مسعود
وقوله اشبه بالصواب بقول من ادرجه في حديث النبي صلى الله عليه وسلم وشبابة ثقة وقد تابعه غسان بن الربيع
على ذلك جعل اخر الحديث من كلام ابن مسعود ولم يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم واختلف العلما في السلام فقيل
واجب وقيل ليس بواجب والصحيح وجوبه لحديث عايشة وحديث علي الصحيح خرجه ابو داود والترمذي رواه
سفيان الثوري عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن محمد بن الحنفية عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاح
الصلاة الطهور وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم وهذا الحديث اصل في ايجاب التكبير والتسليم وانه
لا يجزي عنهما غيرهما كما لا يجزي عن الطهارة غيرها باتفاق قال عبد الرحمن بن مهدي لو افتتح رجل صلاته بسبعين
اسما من اسما الله عز وجل ولم يكبر تكبيرة الاحرام لم يجزه وان احدث قبل ان يسلم لم يجزه وهذا تصحيح من عبد
الرحمن بن مهدي لحديث علي وهو امام في علم الحديث ومعرفة صحيحه من سقيمه وحسبك به وقد اختلف العلما
في وجوب التكبير للافتتاح وهي **التاسعة عشرة** فقال ابن شهاب الزهري وسعيد بن المسيب والاوزاعي
عبد الرحمن وطايفة تكبيرة الاحرام ليست بواجبة وقد روي عن مالك في الماموم ما يدل على هذا القول والصحيح
من مذهبه ايجاب تكبيرة الاحرام وانها فرض وركن من اركان الصلاة وهو الصواب وعليه الجمهور وكل من خالف فمحجوج
بالسنة **الموفية عشرين** واختلف العلما في اللفظ الذي يدخل به في الصلاة فقال مالك واصحابه وجمهور
العلما لا يجزي الا التكبير لا يجزي منه تهليل ولا تسبيح ولا تعظيم ولا تحميد هذا قول الحجازيين واكثر العراقيين
ولا يجزي عند مالك الا الله اكبر لا غير ذلك وكذلك قال الشافعي وزاد ويجزي الله الاكبر والله الكبير والحجة
لمالك حديث عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الصلاة بالتكبير والقراة بالحمد لله رب
العالمين وحديث علي وتحريمها التكبير وحديث الاعرابي فكبر وفي سنن ابن ماجة ابو بكر بن ابي شيبة وعلي بن محمد
الطنافسي قالا انا ابو اسامة قال حدثني عبد الحميد بن جعفر قال حدثنا محمد بن عمرو بن عطا قال سمعت ابا
حميد الساعدي يقول قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة استقبل القبلة ورفع يديه وقال
الله اكبر وهذا نص صريح وحديث صحيح في تعيين لفظ التكبير وقال الشاعر •

رايت

• رايت الله اكبر كل شي • محاورة واعظمه جنودا •
ثم انه يتضمن القدم وليس يتضمنه كبير ولا عظيم فكان ابلغ في المعنى والله اعلم وقال ابو حنيفة ان افتتح
بلا اله الا الله يجزيه وان قال اللهم اغفر لي لم يجزه وبه قال محمد بن الحسن وقال ابو يوسف لا يجزيه اذا كان يحسن
التكبير وكان الحسن بن عتيبة يقول اذا ذكر الله مكان التكبير اجزاه قال ابن المنذر ولا اعلمهم يختلفون ان من
احسن القران فهلل وكبر ولم يقرا ان صلاته فاسدة فمن كان هذا مذهبه فاللازم له ان يقول لا يجزيه مكان
التكبير غيره كما لا يجزي مكان القراة غيرها وقال ابو حنيفة يجزيه التكبير بالفارسية وان كان يحسن العربية
قال ابن المنذر لا يجزيه لانه خلاف ما عليه جماعات المسلمين وخلاف ما علمه النبي صلى الله عليه وسلم امته ولا
نعلم احدا وافقه على ما قال **الحادية والعشرون** اتفقت الامة على وجوب النية عند تكبيرة الاحرام الا شي
روي عن بعض اصحابنا ياتي الكلام عليه في اية الطهارة وحقيقتها قصد التقرب الى الامر بفعل ما امره به على
الوجه المطلوب منه قال ابن العربي والاصل في كل نية ان يكون عقدها مع التلبس بالفعل المنوي بها او قبل
ذلك بشرط استصحابها فان تقدمت النية وطرت غفلة فوقع التلبس بالعبادة في تلك الحالة لم يعتد بها
كما لا يعتد بالنية اذا وقعت بعد التلبس بالفعل وقد رخص في تقديمها في الصوم لعظم الحرج في اقترانها
باوله قال ابن العربي وقال لنا ابو الحسن القروي بثغر عسقلان سمعت امام الحرمين يقول يحضر الانسان عند
التلبس بالصلاة النية ويجرد النظر في الصانع وحدث العالم والنبوات حتى ينتهي نظره الى نية الصلاة
قال ولا يحتاج ذلك الى زمان طويل وانما يكون ذلك في اوحى لحظة لان تعليم الجمل يفتقر الى الزمان الطويل
وتذكارها يكون في لحظة ومن تمام النية ان تكون مستصحبة على الصلاة كلها الا ان ذلك لما كان امرا يتعذر
سمح الشرع في عزوب النية في اثنايها سمعت شيخنا ابا بكر الفهري بالمسجد الاقصى يقول قال محمد بن سحنون
رايت ابي سحنونا ربما يكمل الصلاة فيعيدها فقلت له ما هذا فقال عزبت نيتي في اثنايها فلاجل ذلك
اعدتها **قلت** فهذه جملة من احكام الصلاة وساير احكامها ياتي بيانها في مواضعها من هذا الكتاب بحول
الله تعالى فياتي ذكر الركوع وصلاة الجماعة والقبلة والمبادرة الى الاوقات وبعض صلاة الخوف في هذه السورة
وياتي ذكر قصر الصلاة وصلاة الخوف في النسا والاوقات في هود وسبحان والروم وصلاة الليل في المزمل وسجود
التلاوة في الاعراف وسجود الشكر في صاد كل في موضعه ان شا الله تعالى **الثانية والعشرون** قوله تعالى ومما
رزقناهم ينفقون رزقناهم اعطيناهم والرزق عند اهل السنة ما صح الانتفاع به حلالا كان او حراما خلافا
للمعتزلة في قولهم ان الحرام ليس برزق لانه لا يصح تملكه وان الله لا يرزق الحرام وانما يرزق الحلال والرزق لا يكون
الا بمعنى الملك قالوا فلو تشاصى مع اللصوص ولم ياكل شيا الا ما اطعموه اللصوص الى ان بلغ وقوي وصار
لصا ثم لم يزل يتلصص وياكل ما تلصصه الى ان مات فان الله لم يرزقه شيا اذ لم يملكه وانه يموت ولم ياكل
من رزق شيا وهذا فاسد والدليل عليه ان الرزق لو كان بمعنى التمليك لوجب ان لا يكون الطفل مرزوقا ولا
البهايم التي ترتع في الصحرا ولا السخال من البهايم لان لبن امهاتها ملك لصاحبها دون السخال ولما اجتمعت
الامة على ان الطفل والسخال وساير البهايم مرزوقون وان الله تعالى يرزقهم مع كونهم غير مالكين علم ان
الرزق هو الغذا ولان الامة مجمعة على ان العبيد والاما مرزوقون وان الله تعالى يرزقهم مع كونهم غير مالكين
فعلم ان الرزق ما قلناه لا ما قالوه والذي يدل على انه لا رازق سواه قوله الحق هل من خالق غير الله يرزقكم من
السما والارض وقال ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين وقال وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وهذا
قاطع فالله تعالى رازق حقيقة وابن ادم رازق تجوزا لانه يملك ملكا منتزعا كما بيناه في الفاتحة مرزوق حقيقة
كالبهايم التي لا ملك لها الا ان الشي اذا كان ماذونا له في تناوله فهو حلال حكما وما كان منه غير ماذون له في تناوله
فهو حرام حكما وجميع ذلك رزق وقد خرج بعض النبلا من قوله تعالى كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة
ورب غفور قال فذكر المغفرة مشيرا الى ان الرزق قد يكون فيه حرام **الثالثة والعشرون** قوله تعالى ومما
رزقناهم الرزق مصدر رزق يرزق رزقا فالرزق بالفتح المصدر وبالكسر الاسم وجمعه ارزاق والرزق العطا
والرازقية ثياب كتان وارتزق الجند اخذوا ارزاقهم والرزقة المرة الواحدة كذا قال اهل اللغة وقال ابن السكيت
الرزق بلغة ازد شنوءة الشكر وهو قوله عز وجل وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اي شكركم التكذيب وتقول
رزقني اي شكرني **الرابعة والعشرون** قوله تعالى ينفقون ينفقون يخرجون والانفاق اخراج المال من اليد
ومنه نفق المبيع اي خرج من يد البايع الي ونفقت الدابة خرجت روحها ومنه النافقاء لجحر اليربوع الذي
يخرج منه اذا اخذ من جهة اخرى ومنه المنافق لانه يخرج من الايمان او يخرج الايمان من قلبه وينفق السراويل
معروفة وهي مخرج الرجل منهما ونفق الزاد فني وانفقه صاحبه وانفق القوم فني زادهم ومنه قوله تعالى
اذا لامسكتم خشية الانفاق **الخامسة والعشرون** واختلف العلما في المراد بالنفقة هاهنا فقيل الزكاة
المفروضة روي عن ابن عباس لمقارنتها الصلاة وقيل نفقة الرجل على اهله روي عن ابن مسعود لان ذلك افضل

النفقة روى مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دينار انفقته في سبيل الله ودينار انفقته في رقبة ودينار تصدقت به على مسكين ودينار انفقته على اهلك اعظمها اجرا الذي انفقته على اهلك وروى عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله ودينار ينفقه الرجل على دابته في سبيل الله عز وجل ودينار ينفقه على اصحابه في سبيل الله قال ابو قلابة وبدأ بالعيال قال ابو قلابة واي رجل اعظم اجرا من رجل ينفق على عيال صغار ليعفهم او ينفعهم الله به ويغنيهم وقيل المراد صدقة التطوع روى عن الضحاك نظرا الى ان الزكاة له لما تاتي الا بلفظها المختص بها وهو الزكاة فاذا جاءت بلفظ غير الزكاة احتملت الفرض والتطوع فاذا جاءت بلفظ الانفاق لم يكن الا التطوع قال الضحاك كانت النفقة قربانا يتقرب بها الى الله جل وعز وعن علي قدجهدتهم حتى نزلت فرايض الصدقات والتاسعة في براءة وقيل انها نسخت الحقوق الواجبة العارضة في الاموال ما عدا الزكاة لان الله تعالى ما قرنها بالصلاة كان فرضا ولما عدل عن لفظها كان فرضا سواها وقيل هو عام وهو الصحيح لانه خرج مخرج المدح في الانفاق مما رزقوا وذلك لا يكون الا من الحلال اي يوتون ما الزمهم الشرع من زكاة وغيرها مما يعن في بعض الاحوال مع ما ندبهم وقيل الايمان بالغيب حفظ القلب واقام الصلاة حفظ البدن ومما رزقناهم ينفقون حفظ المال وهذا ظاهر وقال بعض المتقدمين في تاويل قوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون اي علمناهم يعلمون حكاه ابو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم القشيري **قوله تعالى** والذين يومنون بما انزل اليك الاية قيل المراد مومنوا اهل الكتاب لعبد الله بن سلام وقيه نزلت وقد تلت الاولى في مومني العرب وقبل الاثنان جميعا في المومنين وعليه فاعراب الذين خفض على العطف ويصح ان يكون رفعا على الاستيناف اي وهم الذين ومن جعلها في صنفين فاعراب الذين رفع بالابتداء وخبره اولئك على هدى ويحتمل الخفض عطفا **قوله تعالى** بما انزل اليك يعني القران وما انزل من قبلك يعني الكتب المخالفة خلاف ما تعلنه اليهود والنصارى حسبما اخبر الله عنهم في قوله واذا قيل لهم امنوا بما انزل الله قالوا نومن بما انزل علينا الاية وقيل لما نزلت هذه الاية الذين يومنون بالغيب قالت اليهود والنصارى نحن امنا بالغيب فما قال ويقيمون قالوا نحن نقيم الصلاة فما قال ومما رزقناهم ينفقون قالوا نحن ننفق ونتصدق فما قال والذين يومنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك فقراوا من ذلك وفي حديث ابي ذر قال قلت يا رسول الله كم كتابا انزل الله قال مائة كتاب واربعة كتب انزل الله على شيث خمسين صحيفة وعلى خنوخ ثلاثين صحيفة وعلى ابراهيم عشر صحائف وانزل على موسى قبل التوراة عشر صحائف وانزل التوراة والانجيل والزبور والحديث اخرجه ابو الحسين الاجري وابو حاتم البستي وهنا **مسئلة** ان قال قائل كيف يمكن الايمان بجميعها مع تناقض احكامها قيل له فيه جوابان احدهما ان الايمان بان جميعها نزل من عند الله وهو قول من اسقط النسخ والثاني ان ما تقدم من الشرايع الثاني انه الايمان بالحالة التي ينسخ منها وهذا قول من اوجب التزام الشرائع المتقدمة على ما ياتي بيانه ان شاء الله تعالى **قوله تعالى** وبالاخرة هم يوقنون اي وبالبعث والنشور هم قائلون والبيقين العلم دون الشك يقال منه يقنت الامر بالكسر يقينا وايقنت واستيقنت وتيقنت كله بمعنى وانا على يقين منه وانما صارت الياء واوا في قولك موقن للضمة قبلها واذا اضفته رددته الى الاصل فقلت مستيقن والتضعيف يرد الاشياء الى اصولها وكذلك الجمع وربما عبروا باليقين عن الظن ومنه قوله اعلم اننا في اليمين اللغو وهو ان يحلف بالله على امر يوقنه ثم يتبين له انه خلاف ذلك فلا شيء عليه وقال الشاعر

- تحسبها سرا ويقن انني ... بها مغتد من واحد لا اغامره
- يقول تشهم لا اسد فاتني ... يظن انني مفته بها منه

واستيقن نفسي فانكها له ولا اقتحم المهالك بمعنى اليقين فورد في التنزيل وهو في الشعر كثير وسياتي والاخرة مشتقة من التاخر لتاخرها عنا وتاخرنا عنها كما ان الدنيا مشتقة من الدنو على ما ياتي **قوله تعالى** اولئك على هدى من ربهم قال النحاس اهل اللغة يجعلون اولاك واولالك وبعضهم يقول اولالك والكاف للمخاطب قال الكسائي من قال اولئك فواحده ذلك ومن قال اولالك فواحده ذاك واولالك مثل اولئك وانشد بن السكيت

- اولالك قومي لم يكونوا اشابة ... وهل يعظ الضليل الا اولالكا

وربما قالوا اولئك في غير العقلاء قال الشاعر

- دعن المنازل بعد منزلة اللوى ... والعيش بعد اولئك الايام

وقال تعالى ان السمع والبصر والفواد كل اولئك كان عنه مسئولا وقال علما وانا في قوله من رحمه رد على الفدرية في قولهم يخلقون ايمانهم وهذا مما يعلم الله عن قولهم ولو كان كما قالوا لقال الله من انفسهم وقد تقدم الكلام فيه وفي الهدى فلا معنى للاعادة لذلك واولئك هم المفلحون هم يجوز ان يكون مبتدا ثانيا وخبره المفلحون والثاني وخبره خبر الاول ويجوز ان تكون هم زايدة بينهما البصريون فاصلة والكوفيون عمادا والمفلحون خبر اولئك والفلاح اصله في اللغة الشق والقطع قال الشاعر

- ان الحديد بالحديد يفلح ... اي يشق ومنه فلاحة الارضين انما هو شقها للحرث قاله ابو عبيد ولذلك سمي الاكار فلاحا ويقال للذي شقت شفته السفلى

افلح وهو بين الفلحة فكان المفلح قد قطع المصاعب حتى نال مطلوبه وهو يشتمل على الفوز والبقاء وهو اصله ايضا في اللغة ومنه قولك لمن امرك امرا استفلحي بامرك معناه فوزي بامرك وقال الشاعر

- لو كان حي مدرك الفلاح ... ادركه ملاعب الرماح

وقال الاضبط بن قريع السعدي في الجاهلية الجهلاء

- لكلهم من الهموم وسعه ... والمسي والصبح لا فلاح معه

يقول ليس مع كر الليل والنهار بقاء وقال الاخر

- نحل بلادا كلها حل قبلنا ... ونرجو فلا حا بعد عاد وحمير

اي البقاء وقال عبيد

- افلح بما شيت فقد يدرك ... بالضعف وقد يخدع الاريب

اي ابق بما شئت من كيس وحمق فقد يرزق الاحمق ويحرم العاقل ومعنى واوليك هم المفلحون اي الفايزون بالجنة والباقون فيها وقال ابن اسحاق المفلحون هم الذين ادركوا ما طلبوا ونجوا من شر ما منه هربوا والمعنى واحد وقد استعمل الفلاح في التسحور ومنه الحديث حتى كاد يفوتنا الفلاح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت وما الفلاح قال السحور اخرجه ابو داود فكان معنى الحديث ان السحور به بقا الصوم فلهذا سماه فلاحا والفلاح بتشديد اللام المكاري في قول القايل

- لها رطل تكيل الزيت فيه ... وفلاح يسوق لها الحمارا

ثم الفلاح في العرف الظفر بالمطلوب والنجاة من المرهوب **مسئلة** ان قال قائل كيف قرا حمزة عليهم واليهم ولديهم ولم يقرا من ربهم ولا فيهم ولا جيتهم فالجواب ان عليهم واليهم ولديهم اليا منقلبة فيه عن الف والاصل عمالاهم ولداهم والاهر فانقرت الفا فلما ضمتها وليس ذلك في فيهم ولا من ربهم ولا جيتهم وواقفه الكسائي في عليهم الذلة واليهم اثنين على ما هو معروف من القراءة عنهما **قوله تعالى** ان الذين كفروا الاية لما ذكر المومنين واحوالهم ذكر الكافرين وسالهم والكفر ضد الايمان وهو المراد في الاية وقد يكون بمعنى جحود النعمة والاحسان ومنه قوله عليه السلام في النسائي حديث الكسوف ورايت النار فلم ار منظرا كاليوم قط اقطع ورايت اكثر اهلها النساء فقيل بم يا رسول الله قال بكفرهن قيل ايكفرن بالله قال يكفرن العشير ويكفرن الاحسان لو احسنت الى احداهن الدهر كله ثم رات منك شيا قالت ما رايت منك خيرا قط اخرجه البخاري وغيره ه واصل الكفر في كلام العرب الستر والتغطية ومنه قول الشاعر

- في ليلة كفر النجوم غمامها

اي ستر ها ومنه سمي الليل كافرا لانه يغطي كل شيء بسواده قال الشاعر

- فمدا كرا تقلا رثيدا بعدما ... الفتده كافر بيمينها في كافر

ذكابضم الذال والمد اسم للشمس ومنه قول الاخر

- فوردت قبل انبلاج الفجر ... وازورد كما من في كفر

اي في ليل والكافر ايضا البحر والنهر العظيم والكافر الزارع والجمع كفار قال الله تعالى اعجب الكفار نباته يعني الزراع لانهم يغطون الحب وربما سمي الكفر كفرا لستر الزراع والكفر من الارض ما بعد عن الناس لا يكاد ينزل ولا يمر به احد ومن جعل تلك المواضع هم اهل الكفور ويقال الكفور الفرى **قوله تعالى** سواء عليهم ءانذرتهم معناه معتدل عندهم الانذار وتركه اي سواء عليهم هذا وجحدا لا يستفهام مزجل للتسوية ومثله قوله تعالى سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين وقال الشاعر

- وليل يقول الناس من ظلمائه ... سواصيحكات العيون وغورها

قوله تعالى انذرتهم الانذار الابلاغ والاعلام ولا يكاد يكون الا في تخويف يتسع زمانه للاحتراز فان لم يتسع زمانه للاحتراز كان اشعارا ولم يكن انذارا قال الشاعر

- انذرت عمرا وهو في مهال ... قبل الصباح فقد عصى عمرو

وتناذر بنو فلان هذا الامر اذا خوفه بعضهم بعضا واختلف العلما في تاويل هذه الاية فقيل هي عامة ومعناها الخصوص فيمن حقت عليه كلمة العذاب وسبق في علم الله انه يموت على كفره اراد الله تعالى ان يعلم ان في الناس من هذه حاله دون ان يعين احدا وقال ابن عباس وسعيد بن جبير والكلبي نزلت في رؤساء اليهود منهم حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف ونظرائهما وقال الربيع ابن انس نزلت فيمن قتل يوم بدر من قادة الاحزاب والاول اصح فان من علم الله احدا فانما مثل بمن كشف الغيب فعلمه على الكفر وقد دخل في ضمن الاية **قوله تعالى** لا يومنون فموضعه رفع خبر ان اي ان الذين كفروا لا يومنون وقيل خبر ان سواء وما بعده يقوم مقام الصلة قال ابن كيسان وقال محمد بن يزيد سواء رفع بالابتداء والانذار هم لم ينذروا هم الخبر والجملة خبر ان قال النحاس اما هم تبالهوا فلم تغن فيهم النذارة شيا واختلف القرا في قراءة الانذرتهم فقرا اهل المدينة وابو عمرو وسعيد بن جبير وعبد الله بن ابي اسحاق الندهم بتحقيق الاولى وتسهيل الثانية واختارها الخليل وسيبويه وهي لغة قريش

- اياطبية الوعساء بين جلاجل ... وبين النقا انت ام ام سالم

هجا انث المذكر واحدة وقال الاخر

- تطاللت فاستشرفته فعرفته ... فقلت له انت زيد الارانب

وروى عن ابن محيصن انه قرا انذرتهم ام لم تنذرهم بهمزة لا الف بعدها فحذف لالتقا الهمزتين او لان ام تدل على الاستفهام
قال الشاعر • تروح من الحي ام تبتكر • وما يضيرك لو تنتظر • اراد اتروح فاكتفى بام من الالف وروى
عن ابي اسحاق انه قرا انذرتهم فحقق الهمزتين وادخل بينهما الفا ليلا يجمع بينهما قال ابو حاتم ويجوز ان تدخل بينهما الفا
وتخفف الثانية وابو عمرو ونافع يفعلان ذلك كثيرا وقرا حمزة وعاصم والكسائي بتحقيق الهمزتين انذرتهم وهو
اختيار ابي عبيد وذلك بعيد عند الخليل وقال سيبويه في النقل ضننوا قال الاخفش ويجوز تخفيف الاولى من الهمزتين
وذلك ردي لانهم انما يحققون بعد الاستثقال وبعد حصول الواحدة قال ابو حاتم ويجوز تخفيف الهمزتين جميعا فهذه
سبع اوجه من القراات ووجه ثامن يجوز في غير القران لانه مخالف للسواد قال الاخفش سعيد بيدل من الهمزة ها يقول
ها انذرتهم كما يقال هياك واياك قال الاخفش في قول الله تعالى ها انتم انما هو اانتم **قوله تعالى** ختم الله
على قلوبهم الاية فيها عشر مسايل **الاولى** ختم الله على قلوبهم الاية بين الله سبحانه في هذه الاية المانع
لهم من الايمان بقوله ختم والختم مصدر ختمت الشي ختما فهو مختوم ومختم شدد للمبالغة ومعناه التغطية على الشي
والاستيثاق منه حتى لا يدخله شي ومنه ختم الكتاب والباب وما يشبه ذلك حتى لا يوصل الى ما فيه ولا يوضع
فيه غير ما فيه وقال اهل المعاني وصف الله تعالى قلوب الكفار بعشرة اوصاف بالختم والطبع والضيق والمرض
والرين والموت والقساوة والانصراف والحمية والانكار فقال في الانكار قلوبهم منكرة وهم مستكبرون وقال في الحمية
اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية وقال في الانصراف ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بانهم قوم لا يفقهون وقال في القساوة
فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله وقال ثم قست قلوبكم من بعد ذلك وقال في الموت او من كان ميتا فاحييناه وقال
انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله وقال في الرين كلا بل ران على قلوبهم وقال في المرض في قلوبهم مرض
وقال في الضيق ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا وقال في الطبع وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون بل
طبع الله عليها بكفرهم وقال في الختم ختم الله على قلوبهم وسياتي بيانها كلها في مواضعها ان شا الله تعالى **الثانية**
الختم يكون محسوسا كما بينا ومعنى كما في هذه الاية فالختم على القلوب عدم الوعي عن الحق سبحانه مفهوم مخاطباته
والفكر في اياته وعلى السمع عدم فهمهم للقران اذا تلي عليهم او دعوا الى وحدانيته وعلى الابصار عدم هدايتها للنظر
في مخلوقاته وعجايب مصنوعاته هذا معنى قول ابن عباس وابن مسعود وقتادة وغيرهم **الثالثة** في هذه الاية
ادل دليل واوضح سبيل على ان الله سبحانه خالق الهدى والضلال والكفر والايمان فاعتبروا ايها السامعون وتعجبوا ايها المتفكرون
من عقول القدرية القايلين بخلق ايمانهم وهداهم فان الختم هو الطبع فمن اين لهم الايمان ولو جهدوا وقد طبع على قلوبهم
وعلى سمعهم وجعل على ابصارهم غشاوة فمتى يهتدون او من يهديهم من بعد الله اذا اضلهم واصمهم واعمى ابصارهم ومن
يضلل الله فما له من هاد وكان فعل الله تعالى ذلك عدلا فيمن اضله وخذله اذ لم يمنعه حقا وجب عليه فتزول صفة
العدل وانما منعهم ما كان له ان يتفضل به عليهم لا ما وجب لهم فان قالوا ان معنى الختم والطبع والغشاوة التسمية
والحكم والاخبار بانهم لا يومنون لا الفعل قلنا هذا فاسد لان حقيقة الختم والطبع انما هو فعل ما يصير به القلب
مطبوعا مختوما ولا يجوز ان يكون حقيقته التسمية والحكم الا ترى انه اذا قيل فلان طبع الكتاب وختمه كان حقيقته
انه فعل ما صار به الكتاب مطبوعا ومختوما لا التسمية والحكم هذا ما لا خلاف فيه بين اهل اللغة ولان الامة مجمعة على
ان الله تعالى قد وصف نفسه بالختم والطبع على قلوب الكافرين مجازاة لكفرهم كما قال بل طبع الله عليها بكفرهم واجمعت
الامة على ان الطبع والختم على قلوبهم من جهة النبي عليه السلام والملايكة والمومنين ممتنع فلو كان الختم والطبع هو التسمية
والحكم لما امتنع من ذلك الانبيا والمومنون لانهم كلهم يسمون الكفار بانهم مطبوع على قلوبهم وانهم مختوم عليها وانهم
ضلال لا يومنون ويحكمون عليهم بذلك فثبت ان الختم والطبع هو معنى غير التسمية والحكم وانما هو معنى يخلقه
الله في القلب يمنع من الايمان به دليله قوله تعالى كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لا يومنون به وقال وجعلنا على قلوبهم
اكنة ان يفقهوه اي لئلا يفقهوه وما كان مثله **الرابعة** قوله على قلوبهم فيه دليل على فضل القلب على جميع الجوارح
والقلب للانسان وغيره وخالص كل شي واشرفه قلبه فالقلب موضع الفكر وهو في الاصل مصدر قلبت الشي اقلبه
قلبا اذا رددته على بدايته وقلبت الانا رددته على وجهه ثم نقل هذا اللفظ فسمي به هذا العضو الذي هو اشرف
الحيوان لسرعة الخواطر اليه ولترددها عليه كما قيل • ما سمي القلب الا من تقلبه • فاحذر على القلب من قلب وتحويل •
ثم لما نقلت العرب هذا المصدر لهذا العضو الشريف التزم تفخيم قافه تفريقا بينه وبين اصله روى ابن ماجة عن
ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مثل القلب مثل ريشة تقلبها الرياح بفلاة ولهذا المعنى كان عليه
الصلاة والسلام يقول اللهم يا مثبت القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك فاذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقوله مع
عظيم قدره وجلال منصبه فنحن اولى بذلك اقتدا به قال الله تعالى واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وسياتي
الخامسة الجوارح وان كانت تابعة للقلب فقد يتاثر القلب وان كان رئيسها وملكها باعمالها للارتباط الذي بين
الظاهر والباطن قال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليصدق وتنكت في قلبه نكتة بيضا وان الرجل ليكذب الكذبة فيسود
قلبه وروى الترمذي وصححه عن ابي هريرة ان الرجل ليصيب الذنب فيسود قلبه فان هو تاب صقل قلبه قال

وهو

وهو الران الذي ذكر الله في قوله كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال مجاهد القلب كالكف يقبض منه بكل ذنب
اصبع ثم يطبع **قلت** وفي قول مجاهد وقوله عليه السلام ان في الجسد مضغة ان صلحت صلح الجسد كله واذا
فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب دليل على ان الختم يكون حقيقيا والله اعلم وقد قيل ان القلب يشبه الصنوبرة
وهو يعضد قول مجاهد فالله اعلم وقد روى مسلم عن حذيفة قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين قد
رايت احدهما وانا انتظر الاخر حدثنا ان الامانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم نزل القران فعلموا من القران وعلموا
من السنة ثم حدثنا عن رفع الامانة قال ينام الرجل النومة فيقبض الامانة من قلبه فيظل اثرها مثل الوكت
ثم ينام النومة فتقبض الامانة من قلبه فيظل اثرها مثل المجل كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبرا
وليس فيه شي ثم اخذ حصاة فدحرجها على رجله فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد احد يودي الامانة حتى يقال
ان في بني فلان رجلا امينا حتى يقال للرجل ما اجلده ما اظرفه ما اعقله وما في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان
ولقد اتى علي زمان وما ابالي ايكم بايعت لين كان مسلما ليردنه علي دينه ولين كان يهوديا او نصرانيا ليردنه علي ساعته
فاما اليوم فما كنت ابايع منكم الا فلانا وفلانا ففي قوله الوكت وهو الاثر اليسير ويقال للبسر اذا وقعت فيه نكتة من
الارطاب قد وكت فهو موكت وقوله المجل وهو ان يكون بين الجلد واللحم ماء وقد فسره النبي صلى الله عليه وسلم بقوله كجمر
دحرجته اي دورته على رجلك فنفط فتراه منتبرا اي مرتفعا ما يدل على ان ذلك كله محسوس في القلب يفعل فيه
وكذلك الختم والطبع والله اعلم وفي حديث حذيفة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تعرض الفتن
على القلوب كالحصير عودا عودا فاي قلب اشربها نكت فيه نكتة سودا واي قلب انكرها نكت فيه نكتة بيضا حتى
تصير على قلبين على ابيض مثل الصفا فلا يضره فتنة ما دامت السموات والارض والاخر اسود مربادا كالكوز
مجخيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا الا ما اشرب من هواه وذكر الحديث مجخيا يعني مايلا **السادسة** القلب
قد يعبر عنه بالفواد والصدر قال الله تعالى كذلك لنثبت به فوادك وقال الم نشرح لك صدرك يعني في الموضعين
قلبك وقد يعبر به عن العقل قال الله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب اي عقل لان القلب محل العقل في
قول الاكثرين والفواد محل القلب والصدر محل الفواد والله اعلم **السابعة** قوله تعالى وعلى سمعهم استدل
من فضل السمع على البصر بتقدمته عليه وقال تعالى قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وقال وجعل لكم
السمع والابصار والافيدة قال والسمع يدرك به من الجهات الستة وفي النور والظلمة ولا يدرك بالبصر الا
من جهة المقابلة وبواسطة من ضيا وشعاع وقال اكثر المتكلمين بتفضيل البصر على السمع لان السمع لا يدرك به
الا الاصوات والكلام والبصر يدرك به الاجسام والالوان والهيات كلها قالوا فلما كانت تعلقاته اكثر كان افضل
واجازوا الادراك بالبصر من الجهات الست **الثامنة** ان قال قايل لم جمع الابصار ووحد السمع قيل له انما وحده
لانه مصدر يقع على القليل والكثير يقال سمعت الشي اسمعه سمعا وسماعا فالسمع مصدر سمعت والسمع
ايضا اسم للجارحة المسموع بها سميت بالمصدر وقيل انه لما اضاف السمع الى الجماعة دل على انه يراد به اسماع
الجماعة كما قال الشاعر • بها جيف الحبرى فاما عظامها • فبيض واما جلدها فصليب •
انما يريد جلودها فوحد لانه قد علم انه لا يكون للجماعة جلد واحد وقال اخر في مثله
• لا ينكر القتل وقد سبينا • في حلقكم عظم وقد شجينا •
يريد في حلوقكم ومثله قول الاخر • كانه وجه تركيين قد غضبا • مستهدف لطعان غير تذنيب •
وانما يريد وجهين فقال وجه تركيين لانه قد علم انه لا يكون للاثنين وجه واحد ومثله كثير جدا وقرى وعلى اسماعهم
ويحتمل ان يكون المعنى وعلى مواضع سمعهم لان السمع لا يختم وانما يختم موضع السمع فحذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه وقد يكون السمع بمعنى الاستماع يقال سمعك حديثي يعجبني اي استماعك الى حديثي يعجبني ومنه قول
ذي الرمة يصف ثورا تسمع الى صوت صايد وكلاب •
• اذا توجس ركزا مقفر ندس • بنباة الصوت ما في سمعه كذب •
اي ما في استماعه كذب اي هو صادق في الاستماع والندس الحاذق والنباة الصوت الخفي وكذلك الركز والسمع
بكسر السين واسكان الميم ذكر الانسان بالجميل يقال ذهب سمعه في الناس اي ذكره والسمع ايضا ولد الذيب من
الضبع والواقف هنا وعلى سمعهم وغشاوة رفع على الابتدا وما قبله خبره والضماير في قلوبهم وما عطف عليه لمن
سبق في علم الله انه لا يومن كفار قريش وقيل من المنافقين وقيل من اليهود وقيل من الجميع وهو اصوب لانه يعم
فالختم على القلوب والاسماع والغشاوة على الابصار والغشا الغطا وهي **التاسعة** ومنه غاشية السرج
وغشيت الشي اغشيه قال النابغة •
• هلا سالت بني ذبيان ما حسبي • اذا الدخان تغشى الاشمط البرما •
وقال اخر • صحبتك اذ عيني عليها غشاوة • فلما انجلت قطعت نفسي الومها •
قال ابن كيسان فان جمعت غشاوة قلت غشا بحذف الها وحكى الفرا غشاوى مثل اداوى وقرى غشاوة بالنصب

على معنى وجعل فيكون من باب قوله اعلفتها تبنا وماء باردا • وقول الاخر • تدعدا زوجل في الوغى متقلدا سيفا ورمحا
المعنى واسقيتها ماء وحاملا رمحا لان الرمح لا يتقلد قال الفارسي ولا يكاد يجيء هذا الا استعمالا في احال سعة
واختيار فقراءة الرفع احسن وتكون الواو عاطفة جملة على جملة على ما قال ولما سمع من الغشاوة فعلا منصرفا
بالواو وقال بعض المفسرين الغشاوة على الاسماع والابصار والوقف على قلوبهم وقال الاخرون الختم في الجميع
والغشاوة هي الختم فالوقف على هذا غشاوة وقرأ الحسن غشاوة بنصب الغين وقرأ ابو حيوة بفتحها وروي عن
عن ابي عمرو غشوة رده الى اصل المصدر قال ابن كيسان ويجوز غشوة وغشوة واجودها غشاوة وكذلك تستعمل العرب
في كل ما كان مشتملا على الشيء نحو عمامة وكنانة وقلادة وعصابة وغيرة لك **العاشرة** قوله تعالى ولهم عذاب
المكذبين بعذاب عظيم بغتة والكراجيستال الضرب بالسوط والحرق بالنار والقطع بالحديد الى غير ذلك مما يولم الانسان
وفي التنزيل وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين وهو مشتق من الحبس والمنع يقال في اللغة اعذبه عن كذا اي
احبسه وامنعه ومنه سمي عذوبة الماء لانه قد اعذب واستعذب بالحبس في الوعاء ليصفو ويفارقه ما خالطه
ومنه قول علي رضي الله عنه اعذبوا اسنانكم عن اللحم فانه اعذر للثة وقد تتبع ستريه فقال
اعذبوا عن ذكر النساء فانه اذكم يكسرهن عن الغزو وكل من منعته شيئا فقد اعذبته وفي المثل لا يجمع لجاما معذبا •
اي ما نعا من ركوب الناس ويقال اعذب اذا امتنع واعذب غيره فهو لازم ومتعد فسمي الحد اعذابا لانه يمنع صاحبه
يحبس ويمنع عنه جميع ما يلايم الجسد من الخير وقال علية اصداد هما **قوله تعالى** ومن الناس من يقول امنا
فيه سبع مسائل **الاولى** روى ابن جريح عن مجاهد قال نزلت اربع ايات من سورة البقرة في المؤمنين واثنتان في
نعت الكافرين وثلاث عشرة اية في المنافقين وروى اسباط عن السدي في قوله ومن الناس قال هم المنافقون
وقال علماء الصوفية الناس اسم جنس والانس لجنس لا يخاطب به الا ولي **الثانية** واختلف النحاة في لفظة
الناس فقيل هو اسم من اسماء الجموع جمع انسان وانسانة على غير اللفظ وتصغيره نويس فالناس من التوس وهو
الحركة يقال الناس بينهم مراد اذا تحرك ومنه حديث ام زرع اناس من حلي اذني وقيل من نسي فاصله ناس نسي قلب
فانقلبت الياء فتحة ما قبلها فانقلبت الفا ثم دخلت الالف واللام فقيل الناس قال ابن عباس سمي ادم عليه
السلام انسانا وقال عليه الصلاة والسلام سمي ادم فنسيت ذريته وفي التنزيل ولقد عهدنا الى ادم من
قبل فنسي وسيأتي فعلى هذا قال ليمرة زايدة قال الشاعر

• لا تنسين تلك العهود فانما • سميت انسانا لانك ناسي •
• فان نسيت عهودا منك سالفة • فاغفر فاول ناس اول الناس •

وقال الاخر

وقيل سمي انسانا لانسه وما القلب لانه يتقلب **الثالثة** لما ذكر جل وتعالى المؤمنين اولا وكذلك بهم لشرفهم
وفضلهم ذكر الكافرين في مقابلتهم اذ الكفر والايمان طرفان ثم ذكر المنافقين بعدهم لخبثهم بالكافرين قبلهم لنفي
الايمان عنهم بقوله الحق وتمامهم بمؤمنين ففي هذا رد على الكرامية حيث قالوا ان الايمان قول باللسان وان
لم يعتقد بالقلب واحتجوا بقوله تعالى فاثابهم الله بما قالوا واولم يقل بما قالوا واضمروا وبقوله عليه السلام
امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم وهذا منهم قصور ردة
وجمود ونزك نظر لما نطق به القرآن والسنة من اتحاد مع القول والاعتقاد وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الايمان معرفة بالقلب وقول باللسان وعمل بالاركان اخرجه ابن ماجة في سننه فما ذهب اليه محمد بن كرام
السجستاني واصحابه هو النفاق وعين الشقاق نعوذ بالله من الخذلان وسوء الاعتقاد **الرابعة** قال
علماؤنا رحمة الله عليهم المومن من يحبه الله ويوالي به ومومن لا يحبه الله ولا يوالي به بل يبغضه ويعاقبه
فكل من علم الله انه يوافي بالايمان فانه يحب له موالاته وكل من علم الله انه يوافي بالكفر فالله مبغضه له •
ساخط عليه معاد له لا لاجل ايمانه ولكن لكفره وضلاله الذي يوافي به والكافر ربما كان كافرا يعاقب لا محالة •
وكافر لا يعاقب فالذي يعاقب هو الذي يوافي بالكفر فالله ساخط عليه معاد له والذي لا يعاقب هو الذي يوافي
بالايمان فالله غير ساخط عليه ولا باغضه بل محب له موال لا لكفر لكن لايمانه الموافي به فلا يجوز ان يطلق
القول وهي **الخامسة** بان المومن يستحق الثواب والكافر يستحق العقاب بل يجب تقييده بالموافاة ولاجل
هذا ما قلنا ان الله راض عن عمر في الوقت الذي كان يعبد الاصنام ومريد لثوابه ودخوله الجنة لا لعبادته الصنم
ولكن لايمانه الموافي به وان الله تعالى ساخط على ابليس في حال عبادته لكفره الموافي به وخالفت القدرية في هذا
فقالت ان الله لم يكن ساخطا على ابليس وقت عبادته ولا راضيا عن عمر وقت عبادته للصنم وهذا فاسد لما
ثبت ان الله سبحانه عالم بما يوافي به ابليس لعنه الله وما يوافي به عمر رضي الله عنه فيما لم يزل فثبت انه
كان ساخطا على ابليس محبا لعمر ويدل عليه اجماع الامة على ان الله سبحانه وتعالى غير محب لمن علم انه من اهل النار
بل هو ساخط عليه وانه محب لمن علم انه من اهل الجنة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما الاعمال
بالخواتيم وهذا قال علماء الصوفية ليبس الايمان ما يتزين به العبد قولا وفعلا لكن الايمان جرى السعادة

في سابق

في سوابق الازل واما ظهوره على الجوارح فربما يكون عارية وربما يكون حقيقة **قلت** هذا كما ثبت في صحيح مسلم
وغيره عن عبد الله بن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان احدكم يجمع خلقه
في بطن امه اربعين يوما ثم يكون في ذلك علقة ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه
الروح ويؤمر باربع كلمات فيكتب رزقه واجله وعمله وشقي او سعيد فوالذي لا اله غيره ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة
حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار
حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها فان قيل وهي **السادسة**
فقد رجح الامام الحافظ ابو محمد عبد الغني بن سعيد المصري من حديث محمد بن سعيد الشامي المصلوب في الزندقة
وهو محمد بن ابي قيس عن سلمان بن موسى وهو الاشدق عن مجاهد بن جبير عن ابن عباس حدثنا ابو زرعة الغفيلي
قال قال لي النبي صلى الله عليه وسلم لاشرين ان اقاتل يا زرعة من لبس لم يتغير طعمه قال قلت كيف يحيى الله الموتى
قال اما مررت بارض لك محدبة ثم مررت بها مخصبة ثم مررت بها محدبة ثم مررت بها مخصبة قلت بلى قال
كذلك النشور قال قلت كيف لي ان اعلم اني مومن قال ليس احد من هذه الامة قال ابن ابي قيس او قال من امتي عمل
حسنة وعلم انها حسنة وان الله جازيه بها خيرا او عمل سيئة وعلم انها سيئة وان الله جازيه بها شرا او يغفرها
لا مومن قلنا وهذا الحديث وان كان سنده ليس بالقوي فان معناه صحيح وليس بمعارض لحديث ابن مسعود فان
ذلك موقوف على الخاتمة كما قال عليه السلام وانما الاعمال بالخواتيم وهذا يؤيد قولنا انه مومن في الحال والله اعلم
السابعة قال علماء اللغة انما سمي المنافق منافقا لاظهاره غير ما يضمر تشبيها باليربوع له جحر يقال له النافقا
واخر يقال له القاصعاء وذلك انه يحرق الارض حتى اذا كاد يبلغ ظاهر الارض رقق التراب فاذا رابه ريب دفع
ذلك التراب برأسه فخرج فظاهر جحره تراب وباطنه حفر وكذلك المنافق ظاهره ايمان وباطنه كفر وقد تقدم
هذا المعنى **قوله تعالى** يخادعون الله والذين امنوا قال علماؤنا معنى يخادعون الله اي يخادعون عنه انفسهم
وعلى ظنهم وقيل قال لعلمهم بعمل المخادع وقيل في الكلام حذف تقديره يخادعون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحق
وغيره وجعل خداعهم لرسوله خداعا له لانه دعاهم برسالته وكذلك اتحاد عوا المومنين فقد خادعهم في مخادعتهم
ما اظهروه من الايمان خلافا لما انطوت عليه من الكفر ليحقنوا دماءهم واموالهم ويتوطنوا انهم قد رجعوا وخدعوا فالله تعالى
جماعة من المنافقين وقال اللغة اصل الخدع في كلام العرب الفساد حكاه ثعلب عن ابن الاعرابي وانشد

• ابيض اللون لذيذ طعمه • طيب الريق اذا الريق خدع •

قلت يخادعون الله على هذا اي يفسدون ايمانهم واعمالهم فيما بينهم وبين الله تعالى بالرياء وكذا جاء مفسرا
عن النبي صلى الله عليه وسلم على ما ياتي وفي التنزيل يراؤون الناس وقيل اصله الاخفاء ومنه مخدع البيت الذي
يحرز فيه الشيء حكاه ابن فارس وغيره وتقول العرب انخدع الضب في جحره **قوله تعالى** وما يخادعون الا
انفسهم نفى وايجاب اي ما يحل عاقبة الخديعة الا بهم ومن كلامهم من خدع من لا يخدع فانما يخدع نفسه وهذا صحيح
لان الخداع انما يكون مع من لا يعرف البواطن واما من عرف البواطن فمن خادعه في الخداع فانما يخدع نفسه ودل هذا على
ان المنافقين لم يعرفوا الله اذ لو عرفوه لعرفوا انه لا يخدع وقد تقدم من قوله عليه السلام انه قال لا تخادع الله فانه
من يخادع الله يخدعه الله ونفسه يخدع لو يشعر قالوا يا رسول الله وكيف يخادع الله قال يعمل بما امرك به ويخلط
به غيره وسيأتي بيان الخديعة من الله تعالى كيف هو عند قوله الله يستهزئ بهم وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو ويخادعون
في الموضعين ليخادعون الباقون وقرأ عاصم وحمزة والكسائي وابن عامر يخدعون الثاني والمصدر خداع بكسر الخاء
وحدها حكى ذلك ابو زيد وقرأ مورق العجلي يخدعون بضم الياء وفتح الخاء وشدال دال على التكثير وقرأ ابو
طالوت عبد السلام بن شداد والجارود بضم الياء واسكان الخاء وفتح الدال على معنى وما يجدعون الا على انفسهم
فحذف حرف الجر كما قال تعالى واختار موسى قومه اي من قومه **قوله تعالى** وما يشعرون اي يفطنون ان وبال
خدعهم راجع عليهم فيظنون انهم قد نجوا بخدعهم وفازوا وانما ذلك في الدنيا وفي الاخرة يقال لهم ارجعوا
وراكم فالتمسوا نورا على ما ياتي قال اهل اللغة شعرت بالشيء فطنت له ومنه الشاعر لعطنه لانه يفطن
لما لا يفطن له غيره من غريب المعاني ولبيت شعري اي ليتني علمت **قوله تعالى** في قلوبهم مرض ابتدا وخبر والمرض
عبارة مستعارة للفساد الذي في عقائدهم وذلك انها ان يكون شكا ونفاقا واما جحدا وتكذيبا والمعنى قلوبهم
مرضى لخلوها عن العصمة والتوفيق والرعاية والتاييد قال ابن فارس اللغوي المرض كل ما خرج به الانسان
عن حد الصحة من علة او نفاق او تقصير في امر والفرا مجموعون على فتح الراء من مرض الا ما روى الاصمعي عن ابي عمرو
انه سكن الراء **قوله تعالى** فزادهم الله مرضا فيه دعاء عليهم وهو فعل ماض ويكون معنى الكلام زادهم الله شكا ونفاقا
جزاء على كفرهم وضعفا عن الانتصار وعجزا عن القدرة كما قال الشاعر

• يا مرسل الريح جنوبا وصبا • اذ غضبت زيد فردها غضبا •

اي لا تهدها على الانتصار فيما غضبت منه وعلى هذا يكون في الاية دليل على جواز الدعاء على المنافقين والطرد

ذلك ج

اهل ج

لهم لانهم شر خلق الله وقيل هو اخبار من الله تعالى عن زيادة مرضهم اى فزادهم الله مرضا الى مرضهم كما قال فى اية
اخرى فزادتهم رجسا الى رجسهم وقال ارباب المعانى فى قلوبهم مرض اى بسكونهم الى الدنيا وحبهم لها وغفلتهم
عن الاخرة واعراضهم عنها وقوله فزادهم الله مرضا اى وكلهم الى انفسهم وجمع عليهم هموم الدنيا فلم يتفرغوا
من ذلك الى اهتمام الدين ولهم عذاب اليم بما يفنى عما يبقى وقال الجنيد علل القلوب من اتباع الهوى كما ان علة
الجوارح من مرض البدن **قوله تعالى** ولهم عذاب اليم فى كلام العرب معناه مولم موجع مثل السميع بمعنى المسمع
قال ذو الرمة يصف ابلا • وترفع من صدور شمردلات • يصك وجوهها وهج اليم •
والم اذا اوجع والايلام الايجاع والالم الوجع وقد الم يالم الما والتالم التوجع ويجمع اليم الاماء والماء
مثل كريم وكرما والام مثل اشراف **قوله تعالى** بما كانوا يكذبون ما مصدرية اى بتكذيبهم الرسل وردهم
على الله جل وعز وتكذيبهم باياته قاله ابو حاتم وقرا عاصم وحمزة والكسائى بالتخفيف ومعناه بكذبهم وقولهم
امنا وليسوا بمومنين **مسئلة** واختلف العلما فى امساك النبى صلى الله عليه وسلم عن قتل المنافقين مع علمه بنفاقهم
على اربعة اقوال **الاول** قال بعض العلما انما لم يقتلهم لانه لم يعلم حالهم احد سواه وقد اتفق العلما على بكرة
ابيهم على ان القاضى لا يقتل بعلمه واختلفوا فى ساير الاحكام قال ابن العربى وهذا منتقض فقد قتل بالمجذر بن
زياد الحرث بن سويد بن الصامت لان المجذر قتل اباه سويدا يوم بعاث فاسلم الحارث فاغفله وقتله فاخبر
به جبريل النبى صلى الله عليه وسلم فقتله لان قتله كان غيلة وقيل الغيلة حد من حدود الله **قلت** وهذه
غفلة من هذا الامام لانه ان ثبت الاجماع المذكور فليس بمنتقض بما ذكر لان الاجماع لا ينعقد ولا يثبت الا بعد
موت النبى صلى الله عليه وسلم وانقطاع الوحى فعلى هذا تكون تلك قضية فى عين بوحى فلا يحتج بها او منسوخة
بالاجماع والله اعلم **القول الثانى** قال اصحاب الشافعى انما لم يقتلهم لان الزنديق هو الذى يسر الكفر
ويظهر الايمان يستتاب ولا يقتل قال ابن العربى وهذا وهم فان النبى صلى الله عليه وسلم لم يستتبهم ولا نقل
ذلك احد ولا يقول احد ان استتابة الزنديق واجبة وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم معرضا عنهم مع علمه بهم
فهذا المتاخر من اصحاب الشافعى الذى قال ان استتابة الزنديق جايزة قال قولا لم يصح لاحد **القول
الثالث** انما لم يقتلهم مصلحة لتاليف القلوب عليه لئلا ينفروا عنه وقد اشار صلى الله عليه وسلم الى هذا
المعنى بقوله لعمر معاذ الله ان يتحدث الناس انى اقتل اصحابى اخرجه البخارى ومسلم وقد كان يعطى للمولفة
قلوبهم مع علمه بسوء اعتقادهم تالفا وهذا هو قول علمائنا وغيرهم قال ابن عطية وهى طريقة اصحاب
مالك رحمه الله فى كف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنافقين نص على هذا محمد بن الجهم والقاضى اسمعيل
والابهرى وابن الماجشون واحتج بقوله تعالى لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض الى قوله وقتلوا
تقتيلا قال قتادة معناه اذا هم اعلنوا النفاق قال مالك رحمه الله النفاق فى عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم هو الزندقة فينا اليوم فيقتل الزنديق اذا شهد عليه بها دون استتابة وهو احد قولى الشافعى
قال مالك وانما كف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنافقين ليس لامته ان الحاكم لا يحكم بعلمه اذ لم
يشهد على المنافقين قال القاضى اسمعيل لم يشهد على عبد الله بن ابى الا زيد بن ارقم وحده ولا على الجلاس
ابن سويد الا عمير بن سعد ربيبه ولو شهد على احد منهم رجلان بكفره ونفاقه لقتل قال الشافعى رحمه الله
محتجا للقول الاخر السنة فيمن شهد عليه بالزندقة فجحد واعلن بالايمان وتبرا من كل دين سوى الاسلام
ان ذلك يمنع من اراقة دمه وبه قال اصحاب الراى واحمد والطبرى وغيرهم قال الشافعى واصحابه
وانما منع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل المنافقين ما كانوا يظهرونه من الاسلام مع العلم بنفاقهم
لان ما يظهرونه يجب ما قبله وقال الطبرى جعل الله تعالى الاحكام بين عباده على الظاهر وتولى الحكم فى سرايرهم
دون احد من خلقه فليس لاحد ان يحكم بخلاف ما ظهر لانه حكم بالظنون ولو كان ذلك لاحد كان اولى الناس به رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقد حكم للمنافقين بحكم المسلمين بما اظهروا ووكل سرايرهم الى الله وقد كذب الله ظاهرهم فى
قوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون قال ابن عطية ينفصل المالكيون عما لزموه من هذه الاية بانها لم تعين
اشخاصهم فيها وانما جا فيها توبيخ لكل مغموض عليه بالنفاق وبقى لكل واحد منهم ان يقول لم ارد بها ولا انا الا مومن
ولو عين احد لما وجب كذبه شيا **قلت** هذا الانفصال فيه نظر فان النبى صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم
او كثيرا منهم باسمايهم واعيانهم باعلام الله تعالى اياه وكان حذيفة يعلم ذلك باخبار النبى صلى الله عليه وسلم
اياه حتى كان عمر رضى الله عنه يقول له يا حذيفة هل انا منهم فيقول له لا **القول الرابع** وهو ان الله تعالى
كان قد حفظ اصحاب نبيه عليه السلام بكونه بينهم ان يفسدهم المنافقون او يفسدوا دينهم فلم يكن
فى تبقيتهم ضرر وليس كذلك اليوم لانا لا نامن الزنادقة ان يفسدوا عامتنا وجهالنا **قوله تعالى**
واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض الاية اذا فى موضع نصب على الظرف والعامل فيها قالوا وهى تؤذن بوقوع الفعل
المنتظر قال الجوهرى اذا اسم يدل على زمان مستقبل ولم تستعمل الا مضافة الى جملة تقول اجيئك اذا احمر البسر

واذا

واذا قدم فلان والذى يدل على انها اسم وقوعها موقع قولك اتيك يوم يقدم فلان فهى ظرف وفيها معنى المجازاة
وجزا الشرط ثلاثة الفعل والفا واذا فالفعل قولك ان تاتنى اتك والفا ان تاتنى فانا احسن اليك واذا كقوله
تعالى وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون ومما جا من المجازاة باذا فى الشعر قول قيس بن الخطيم
• اذا قصرت اسيافنا كان وصلها • خطانا الى اعدائنا فنضارب •
فعطف فنضارب بالجزم على موضع كان لانه مجزوم ولو لم يكن مجزوما لقال فنضارب بالنصب وقد يزاد
على اذا ما تاكيدا فيجزم بها ايضا ومنه قول الفرزدق
• فقام ابو ليلى اليه ابن ظالم • وكان اذا ما يسلك السيف يضرب •
قال سيبويه والجيد ما قال كعب بن زهير
• واذا ما تشا تبعث منها • مغرب الشمس ناشطا مذعورا •
يعنى ان الجيد ان لا يجزم باذا ما كما لم يجزم فى هذا البيت وحكى عن المبرد انها فى قولك فى المفاجاة خرجت
فاذا زيد ظرف مكان لانها تضمنت جثة وهذا مردود لان المعنى خرجت فاذا حضور زيد فانما تضمنت المصدر
كما يقتضيه ساير ظروف الزمان ومنه قولهم اليوم خمر وغدا امر فمعناه وجود خمر ووقوع امر **قوله** قيل
من القول واصله قول نقلت كسرة الواو الى القاف انقلبت الواو يا ويجوز قيل لهم بادغام اللام فى اللام
وجاز الجمع بين ساكنين لان اليا حرف مد ولين قال الاخفش ويجوز قيل بضم القاف واليا وقال الكسائى
ويجوز اشمام القاف الضم ليدل على انه لما لم يسم فاعله وهى لغة قيس وكذلك جى وغيض وحيل وسيق
وكسر الباقون فى الجميع وسى وسيت وكذلك روى هشام عن ابن عباس ورويس عن يعقوب واشم منها
نافع سى وسيت خاصة وزاد ابن ذكوان حيل وسيق وكسر الباقون فى الجميع فاما هذيل وبنو دبير من
اسد وبنى قعقعس فيقولون قول بواو ساكنة **قوله** لا تفسدوا لا نهى والفساد ضد الصلاح وحقيقته
العدول عن الاستقامة الى ضدها فسد الشى يفسد فسادا وفسودا وهو فاسد وفسيد والمعنى فى الاية
لا تفسدوا فى الارض بالكفر وموالاة اهله وتفريق الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران وقيل
كانت الارض قبل ان يبعث النبى صلى الله عليه وسلم فيها الفساد ويفعل فيها بالمعاصى فلما بعث النبى صلى
الله عليه وسلم ارتفع الفساد وصلحت الارض فاذا عملوا بالمعاصى فقد افسدوا فى الارض بعد اصلاحها كما قال
فى اية اخرى ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها **قوله** فى الارض الارض مونثة وهى اسم جنس وكان حق
الواحدة منها ان يقال ارضة ولكنهم لم يقولوا والجمع ارضات لانهم قد يجمعون المونث التى ليست فيها
ها التانيث بالتا كقولهم عرشات ثم قالوا ارضون فجمعوا بالواو والنون والمونث لا يجمع بالواو والنون
الا ان يكون منقوصا كثبة وظبة ولكنهم جعلوا الواو والنون عوضا من حذفهم الالف والتا وتركوا فتحة
الرا على حالها وربما سكنت وقد يجمع على اروض وزعم ابو الخطاب انهم يقولون ارض واراض كما قال اهل
واهال والاراضى ايضا على غير قياس كانهم جمعوا ارضا وكل ما سفل فهو ارض وارض اريضة اى زكية بينة
الاراضة وقد ارضت بالضم اى زكت قال ابو عمرو نزلنا ارضا اريضة اى معجبة للعين ويقال لا ارض لك
كما يقال لا ام لك والارض اسفل قوايم الدابة قال حميد يصف فرسا
• ولم يقلب ارضها البيطار • ولا لحبليه بها حبار •
اى اثر والارض النفضة والرعدة روى حماد بن سلمة عن قتادة عن عبد الله بن الحرث قال زلزلت الارض
بالبصرة فقال ابن عباس والله ما ادرى ازلزلت الارض بى ام بى ارض اى ام بى رعدة قال ذو الرمة يصف
صايدا • اذا توجس ركزا من سنابكها • او كان صاحب ارض او به الموم •
والارض الزكام وقد ارضه الله ايراضا اى ازكمه فهو ماروض وفسيل مستارض وودية مستارضة بكسر
الرا وهو ان يكون له عرق فى الارض فاما اذا نبت على جذع النخل فهو الراكب والاراض بالكسر بساط ضخم
من صوف او وبر ورجل اريض اى متواضع خليق للخير قال الاصمعى يقال اارضهم ان يفعل ذلك اى اخلقهم
وشى عريض اريض اتباع وبعضهم يفرده ويقول جدى اريض اى سمين **قوله** نحن اصل نحن نحن قلبت
حركة الحا على النون واسكنت الحا قاله هشام بن معاوية النحوى وقال الزجاج نحن لجماعة ومن علامة الجماعة
الواو والضمة من جنس الواو فلما اضطروا الى حركة نحن لالتقا الساكنين حركوها بما يكون للجماعة قال
ولهذا ضموا واو الجميع فى قوله عز وجل اولئك الذين اشتروا الضلالة وقال محمد بن يزيد نحن مثل قبل وبعد لانها
متعلقة بالاخبار عن اثنين واكثر فانا للواحد ونحن للتثنية والجمع وقد يخبر به المتكلم عن نفسه فى قوله
نحن قمنا قال الله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم والمونث فى هذا اذا كانت متكلمة بمنزلة المذكر تقول
المراة قمت وذهبت وقمنا وذهبنا وانا فعلت ذاك ونحن فعلنا هذا كلام العرب فاعلم **قوله تعالى**
مصلحون اسم فاعل من اصلح والصلاح ضد الفساد وصلح الشى بضم اللام وفتحها لغتان قاله ابن السكيت

والصلوح بضم الصاد مصدر صلح بضم اللام قال الشاعر

وما بعدت شيم الوالدين صلوح ... وكيف ياطرافي اذا شئتني

وصلاح من اسماء مكة والصلح بكسر الصاد وانما قالوا ذلك على ظنهم كان افسادهم عندهم اصلاح اى يمنعنا ان نتبا للكفار انما نريد بها الاصلاح بينهم وبين المؤمنين قاله ابن عباس وغيره **قوله تعالى** الا انهم هم المفسدون رد اعليهم وتكذيبا لقولهم قال ارباب المعانى من اظهر الدعوى كذب الآخر لان الله عز وجل يقول الا انهم هم المفسدون وهذا اصحيح وكسرت ان لانها مبتداة قاله النحاس وقال علي بن سليمان يجوز فتحها كما اجاز سيبويه حقا انك منطلق بمعنى الا وهم يجوز ان تكون مبتدا والمفسدون خبره والمبتدا وخبره خبران ويجوز ان يكون هم توكيدا للهاء والميم في انهم ويجوز ان تكون فاصلة والكوفيون يقولون عماد او المفسدون خبر ان والتقدير الا انهم هم المفسدون كما تقدم في قوله واولئك هم المفلحون **قوله تعالى** ولكن لا يشعرون قال ابن كيسان يقال ما على من لم يعلم انه مفسد من الذم انما يذم اذا علم انه مفسد ثم افسد على علم قال ففيه جوابان احدهما انهم كانوا يعملون الفساد سرا ويظهرون الصلاح وهم لا يشعرون ان امرهم يظهر عند النبي صلى الله عليه وسلم والوجه الآخر ان يكون فسادهم عندهم صلاحا وهم لا يشعرون ان ذلك فساد وقد عصوا الله ورسوله في تركهم تبيين الحق واتباعه ولكن حرف تاكيد واستدراك ولابد فيه من نفي واثبات ان كان قبله نفي كان بعده ايجاب وان كان قبله ايجاب كان بعده نفي ولا يجوز الاقتصار بعده على اسم واحد اذا تقدم الايجاب ولكنك تذكر جملة مضادة لما قبلها كما في هذه الاية وقولك ما جاني زيد لكن عمرو لم يجئ ولا يجوز جاني زيد لكن عمرو ثم تسكت لانهم قد استغنوا بقل في مثل هذا الموضع عن لكن وانما يجوز ذلك اذا تقدم النفي كقولك ما جاني زيد لكن عمرو **قوله تعالى** واذا قيل لهم يعني المنافقين في قول مقاتل وغيره امنوا كما امن الناس اى صدقوا بمحمد وشرعه كما صدق المهاجرون والمحققون من اصحابه يقرب والف امنوا الف قطع لانك تقول يومن والكاف في موضع نصب لانها نعت لمصدر محذوف اى ايمانا كايمان الناس **قوله تعالى** قالوا انومن كما امن السفهاء يعني اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم عن ابن عباس وهذا القول من المنافقين انما كانوا يقولونه في خفا استهزاء فاطلع الله نبيه والمومنين على ذلك وقرأ ان السفه ورقه الحلوم وفساد البصائر انما هي في حيزهم وصفة لهم واخبر انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون للزين الذي على قلوبهم وروى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس انها نزلت في شان اليهود اى واذا قيل لهم يعني اليهود امنوا كما امن الناس عبد الله بن سلام واصحابه قالوا انومن كما امن السفهاء يعني الجهال والخرقا واصل السفه في كلام العرب الخفة والرقة يقال ثوب سفيه اذا كان رديء النسج خفيفه اوكان باليا رقيقا وسفهت الريح الشجر مالت به قال دو الرمة

تسفين كما اهترت رياح تسفهت ... اعالیها مر الرياح النواسم

وتسفهت الشيء استخفته والسفه ضد الحلم ويقال ان السفه ان يكثر الرجل شرب الماء فلا يروى ويجوز في هجرى السفها الاربعة اوجه اجودها ان تحقق الاولى وتقلب الثانية واوا خالصة وهي قراءة اهل المدينة والمعروف من قراءة ابي عمرو وان شئت خففتها جميعا فجعلت الاولى بين الهمزة والواو وجعلت الثانية واوا خالصة وان شئت خففت الاولى وحققت الثانية وان شئت حققتهما جميعا **قوله تعالى** ولكن لا يعلمون مثل ولكن لا يشعرون وقد تقدم والعلم معرفة المعلوم على ما هو به تقول علمت الشيء اعلمه علما عرفته وعالمت الرجل فعلمته اعلمه بالضم في المستقبل غلبته بالعلم **قوله تعالى** واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا نزلت هذه الاية في ذكر المنافقين اصل لقوا لقيوا انقلبت الضمة الى القاف وحذفت الياء لالتقاء الساكنين وقرا محمد بن السميقع اليماني لاقوا الذين والاصل لاقيوا تحركت الياء وقبلها فتحة انقلبت الفا اجتمع ساكنان الالف والواو فحذفت الالف لالتقاء الساكنين ثم حركت الواو بالضم فان قيل لم ضممت الواو وفي الادراج وحذفت من لقوا فالجواب ان قبل الواو التي في لقوا ضمة فلو حركت الواو بالضم لثقل على اللسان النطق بها فحذفت لثقلها وحركت في لاقوا الان قبلها فتحة **قوله تعالى** واذا خلوا الى ان قيل لم وصلت بالى وعرفها ان نوصل بالباء قيل له خلوا هنا بمعنى ذهبوا وانصرفوا ومنه قول الفرزدق

كيف تراني قالبا مجني ... قد قتل الله زيادا عني

لما انزله منزلة صرف وقال قوم الى بمعنى مع وفيه ضعف وقال قوم الى بمعنى الباء وهذا باطل لان الباء للالصاق وسيبويه وقيل المعنى واذا خلوا من المومنين الى شياطينهم قالوا على بها والشياطين جمع شيطان على التكسير وقد تقدم القول في اشتقاقه ومعناه في الاستعاذة واختلف المفسرون في المراد بالشياطين ههنا فقال ابن عباس والسدي روساء الكفر وقال الكلبي وهم شياطين الجن وقال جمع من المفسرين هم الكهان ولفظ الشيطنة الذي معناه البعد عن الايمان والخير يعم جميع من ذكر والله اعلم **قوله تعالى** انا معكم انما نحن مستهزءون اى مكذبون بما ندعي اليه وقيل ساخرون والهزء السخرية واللعب يقال هزي به واستهزا قال الراجز

اصلح

قد هزيت مني ام طيسلة ... قالت اراه معدما لا مال له

وقيل الاستهزاء الانتقام كما قال الاخر

قد استهزءوا مني بالفي مدجج ... سراتهم وسط الضجاضح جثم

قوله تعالى الله يستهزئ بهم اى ينتقم منهم ويجازيهم ويسخر بهم ويجازيهم على استهزائهم فسمى العقوبة باسم الذنب هذا قول المحققين وهو الصحيح والعرب تستعمل ذلك كثيرا في كلامها من ذلك قول عمرو بن كلثوم

الا لا يجهلن احد علينا ... فنجهل فوق جهل الجاهلينا

فسمى انتصاره جهلا والجهل لا يفتخر به ذو عقل وانما قاله ليزدوج الكلام فيكون ذلك اخف على اللسان من المخالفة بينهما وكانت العرب اذا وضعوا لفظا مازا لفظ جوابا له وجزاء ذكروه بمثل لفظه وان كان مخالفا له في معناه وعلى ذلك جاء القرآن والسنة قال الله عز وجل وجزاء سيئة سيئة مثلها وقال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم والجزاء لا يكون سيئة والقصاص لا يكون اعتداء لانه حق وجب ومثله ومكروا ومكر الله وانهم يكيدون كيدا واكيد كيدا وانما نحن مستهزءون الله يستهزئ بهم وليس منه سبحانه مكر ولا هزء ولا كيدا انما هو جزاء المكر بهم واستهزائهم وجزاء كيدهم وكذلك يخادعون الله وهو خادعهم ويسخرون منهم سخر الله منهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يمل حتى تملوا ولا يسام حتى تسأموا قيل حتى بمعنى الواو اى وتملوا وقيل المعنى وانتم تملون وقيل المعنى لا يقطع عنكم ثواب اعمالكم حتى تقطعوا العمل وقال قوم ان الله تعالى يفعل بهم افعالا هي في تامل البشر هزء وخدع ومكر حسب ما روى ان النار تجمد كاجمد الاهالة فيمشون عليها ويطفو بهم الضحاة فيخسفها بهم وروى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا بهم يعني المنافقين اذا لقوا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قالوا لهم انا على مثل ما انتم عليه من تصديق محمد وذكر اسمائهم وانسابهم في الكتاب فذكرهم وذكر استهزائهم وانهم اذا خلوا الى شياطينهم يعني روسائهم في الكفر على ما تقدم قالوا انا معكم على دينكم انما نحن مستهزءون باصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الله يستهزئ بهم في الاخرة يفتح لهم باب في جهنم من الجنة ثم يقال لهم تعالوا فيقبلون يسبحون في النار والمومنون على الارائك وهي السرر في الحجال ينظرون اليهم فاذا انتهوا الى الباب سد عنهم فيضحك المومنون منهم فذلك قول الله عز وجل الله يستهزئ بهم اى في الاخرة ويضحك المومنون منهم حتى علقت فوهم الابواب فذلك قوله تعالى فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون الى اهل النار هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون وقال قوم الخداع من الله والاستهزاء هو استدراجهم بدرور النعم الدنيا وتاديتها عليهم فالله سبحانه يظهر لهم من الاحسان في الدنيا خلاف ما يغيبه عنهم ويستر من عذاب الاخرة فيظنون انه راض عنهم وهو تعالى قد حتم عذابهم فهذا على ما تامل البشر كانه استهزا ومكر وخدع ودل على هذا التاويل قوله صلى الله عليه وسلم اذا رايتم الله تعالى يعطي العبد ما يحب وهو مقيم على معاصيه فانما ذلك منه استدراج ثم تلا هذه الاية فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وقال بعض العلماء في قوله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون كلما احدثوا ذنبا احدثت لهم نعمة **قوله تعالى** ويمدهم اى يطيل لهم المدة ويمليهم ويملي لهم كما قال انما نملي لهم ليزدادوا اثما واصله الزيادة قال يونس من حبيب يقال مد في الشر وامد في الخير قال الله تعالى وامددناكم باموال وبنين وقال وامددناهم بفاكهة ولحم وحكى عن الاخفش مددت له اذا تركته وامددت اذا اعطيته وعن الفراء واللحياني مددت فيما كانت زيادة من مثله يقال مد النهر وفي التنزيل والبحر يمده من بعده سبعة ابحر وامددت فيما كانت زيادة من غيره كقولك امددت الجيش بمدد وكم بخمسة الاف من الملائكة وامد الجرح ان المدة من غيره اى صارت فيه مدة **قوله تعالى** في طغيانهم كفرهم وضلالهم واصل الطغيان مجاوزة الحد ومنه قوله تعالى انا لما طغى الماء حملناكم وعلا وتجاوز المقدار الذي قدر له الخزان وقوله في فرعون انه طغى اى اشرف في الدعوى حيث قال انا ربكم الاعلى والمعنى في الاية يمدهم بطول العمر حتى يزدادوا في الطغيان فيزيدهم في عذابهم **قوله تعالى** يعمهون يتحيرون وقال مجاهد اى يترددون متحيرين في الكفر وحكى اهل اللغة عمه الرجل يعمه عموها وعمها فهو عمه وعامه اذا حار ويقال رجل عامه وعمه كابر مترددوجمعه عمه وذهبت ابله العمياء اذا المربد ابن ذهبت والعمى في العين والعمه في القلب وفي التنزيل فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور **قوله تعالى** اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى قال سيبويه ضمت الواو وما اشبهها ليفرق بينها وبين الواو الاصلية نحو وان لو استقاموا وقال ابن كيسان الضمة في الواو اخف من غيرها لانها من جنسها وقال الزجاج حركت بالضم كما فعل في نحو وقرا ابن ابي اسحاق ويحيى بن يعمر بكسر الواو وعلى اصل التقاء الساكنين وروى ابو زيد الانصاري عن قعنب ابي السمال العدوي انه قرا بفتح الواو وخفة الفتحة من الشرا والشرا هنا مستعار والمعنى استبدلوا الكفر على الايمان كما قال فاستحبوا العمى على الهدى وعبر عنه بالشرا لان الشرا انما يكون فيما يحبه مشتريه فاما ان يكون معنى شرا المعاوضة فلان المنافقين لم يكونوا مومنين فيبيعوا ايمانهم وقال ابن عباس اخذوا الضلالة وتركوا الهدى ومعناه استبدلوا واختاروا

القوم ح

وان كان ذلك لم يقع فيها وانما وقع الكفر بعد الايمان فهو كقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وما صح

الكفر على الايمان وانما اخرجه بلفظ الشرا توسعا لان الشرا والتجارة راجعان الى الاستبدال والعرف يستعمل ذلك
في كل من استبدل شيا بشي قال ابو ذويب

وان تزعميني كنت اجهل فيكم • فاني شريت الحلم بعدك بالجهل

واصل الضلالة الحيرة ويسمى النسيان ضلالة لما فيه من الحيرة قال عز وجل فعلتها اذا وانا من الضالين
اي الناسين ويسمى الهلاك ضلالة كما قال عز وجل وقالوا ايذا ضللنا في الارض قوله تعالى فما ربحت تجارتهم
اسند تعالى الربح الى التجارة على عادة العرب في قولهم ربح بيعك وخسرت صفقتك وقولهم ليل قايم ونهار
صايم والمعنى ربحت وخسرت في بيعك وقمت في ليلك وصمت في نهارك اي فما ربحوا في تجارتهم وقال الشاعر

نهارك هايم وليلك نايم • كذلك في الدنيا تعيش البهايم

ابن كيسان ويجوز تجارة وتجاير وضلالة وضلايل وما كانوا مهتدين في اشترايهم الضلالة وقيل في سابق
علم الله والاهتدا ضد الرشاد وتقدم قوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فمثل رفع بالابتدا والخبر
في الكاف فهي اسم كما في قول الاعشى

اينتهون ولن ينهى ذوي شطط • كالطعن يذهب فيه الزيت والفتل

وقول امرء القيس • فرحنا بكابن الما يجنب وسطنا • تصوت فيه العين طورا وترتق

اراد مثل الطعن ومثل ابن الما ويجوز ان يكون الخبر محذوفا تقديره مثلهم مستقر كمثل فالكاف على هذا حرف
والمثل والمثل والمثيل واحد ومعناه الشبه والتماثلات المتشابهات هكذا قال اهل العلم قوله الذي
الذي يقع للواحد والجمع قال ابن الشجري هبة الله بن علي ومن العرب من ياتي بالجمع بلفظ الواحد كما قال

ان الذي جانت بفلج دماؤهم • هم القوم يا ام خالد

وقيل في قول الله تعالى والذي جا بالصدق وصدق به اوليك هم المتقون انه بهذه اللغة وكذلك قوله
مثلهم كمثل الذي قيل المعنى كمثل الذي استوقدوا ولذلك قال ذهب الله بنورهم فحمل اول الكلام على الواحد
واخره على الجمع فاما قوله تعالى وخضتم كالذي خاضوا فان الذي ههنا وصف لمصدر محذوف تقديره وخضتم
كالخوض الذي خاضوا وانما وحد الذي واستوقد لان المستوقد كان واحدا من الجماعة تولى الايقاد لهم فلما
ذهب الضوء رجع عليهم جميعا فقال بنورهم واستوقد بمعنى اوقد مثل استجاب بمعنى اجاب فالسين
والتا زايدتان قاله الاخفش ومنه قول الشاعر

وداع دعانا من يجيب الى الندا • فلم يستجبه عند ذاك مجيب

اي يجيبه واختلف النحاة في جواب لما وفي عود الضمير من نورهم فقيل جواب لما محذوف وهو طفيت
والضمير في نورهم على هذا للمنافقين والاخبار بهذا عن حال تكون في الاخرة كما قال فضرب بينهم بسور له
باب وقيل جوابه ذهب والضمير في نورهم عايد على الذي وعلى هذا القول يتم في تمثيل المنافق المستوقد
لان بقا المنافق المستوقد في ظلمات لا يبصر كبقا المنافق في حيرته وتردد والمعنى المراد بالاية ضرب
مثل للمنافقين وذلك ان ما يظهرونه من الايمان الذي يثبت لهم به احكام المسلمين من المناكح والتوارث
والغنايم والامن على انفسهم واولادهم واموالهم بمثابة من اوقد نارا في ليلة مظلمة فاستضا بها وراى
ما ينبغي ان يتقيه وامن منه فاذا طفيت او ذهبت وصل اليه الاذى وبقي متحيرا فكذلك المنافقون
لما امنوا اغتروا بكلمة الاسلام ثم يصيرون بعد الموت الى العذاب الاليم كما اخبر التنزيل ان المنافقين في
الدرك الاسفل ويذهب نورهم ولهذا يقولون انظرونا نقتبس من نوركم وقيل ان اقبال المنافقين
الى المسلمين وكلامهم معهم كالنار وانصرافهم الى مودتهم وارتكاسهم عندهم كذهابها وقيل غير ذلك قوله
نارا النار مونثة وهي من النور وهو الضيا والاشراق وهي من الواو لانك تقول في التصغير نويرة وفي الجمع نور
وانوار ونيران انقلبت الواو يا لكسرة ما قبلها وضات واضات لغتان يقال ضا القمر يضو ضوا واضا
يضي ويكون لازما ومتعديا وقرا محمد بن السميقع ضات بغير الف والعامة بالالف قال الشاعر

اضات لهم احسابهم ووجوههم • دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

ما حوله ما زايدة مؤكدة وقيل مفعولة باضات وحوله ظرف مكان والها في موضع خفض باضافته
اليها وذهب واذهب لغتان من الذهاب وهو زوال الشي وتركهم اي ابقاهم في ظلمات جمع ظلمة وقرا الاعمش
ظلمات باسكان اللام على الاصل ومن قراها بالضم فالفرق بين الاسم والنعت وقرا اشهب العقيلي ظلمات
بفتح اللام قال البصريون ابدل من الضمة فتحة لانها اخف وقال الكسائي ظلمات جمع الجمع جمع ظلم
لا يبصرون فعل مستقبل في موضع الحال كانه قال غير مبصرين فلا يجوز الوقف على هذا على ظلمات قوله تعالى
صم بكم عمي صم اي هم صم فهو خبر ابتدا مضمر وفي قراة عبد الله بن مسعود وحفصة صما بكما عميا فيجوز
النصب على الذم كما قال تعالى ملعونين اينما ثقفوا وكما قال وامراته حمالة الحطب وكما قال الشاعر

سقوني

سقوني الخمر ثم تكنفوني • عداة الله من كذب وزور

فنصب عداة الله على الذم فالوقف على يبصرون على هذا المذهب صواب حسن ويجوز ان ينصب صما بتركهم
كانه قال وتركهم صما بكما عميا فعلى هذا المذهب لا يحسن الوقف على يبصرون والصمم في كلام العرب الانسداد
يقال قناة صما اذا لم تكن مجوفة وصممت القارورة اذا سددتها فالاصم من انسدت خروق مسامعه
والابكم الذي لا ينطق ولا يفهم فاذا فهم فهو الاخرس وقيل الاخرس والابكم واحد يقال رجل ابكم
وبكيم اي اخرس بين الخرس والبكم قال الشاعر

فليت لساني كان نصفين منهما • بكيم ونصف عند مجرى الكواكب

والعمى ذهاب البصر وقد عمي فهو اعمى وقوم عمي واعماه الله وتعامى الرجل اري ذلك من نفسه وعمي عليه
الامر اذا التبس ومنه قوله تعالى فعميت عليهم الانبا يومئذ وليس الغرض مما ذكرناه نفي الادراكات
عن حواسهم جملة وانما الغرض نفيها في جهة ما تقول فلان اصم عن الخنا ولقد احسن الشاعر حيث قال

اصم عما ساءه سميع • وقال اخر • وعورا الكلام صممت عنها • ولو اني اشابها سميع

وقال الدارمي • اعمى اذا ما جارتي خرجت • حتى يواري جارتي الجدر

وقال بعضهم في وصاته لرجل يكثر الدخول على الملوك

ادخل اذا ما دخلت اعمى • واخرج اذا ما خرجت اخرس

وقال قتادة صم عن استماع الحق بكم عن التكلم به عمي عن الابصار له قلت وهذا المعنى هو المراد
في وصف النبي صلى الله عليه وسلم ولاة اخر الزمان في حديث جبريل واذا رايت الحفاة العراة الصم
البكم ملوك الارض فذاك من اشراطها والله اعلم قوله تعالى فهم لا يرجعون اي الى الحق لسابق علم
الله فيهم يقال رجع بنفسه رجوعا ورجعه غيره وهذيل تقول ارجعه غيره وقوله تعالى يرجع بعضهم
الى بعض القول اي يتلاومون فيما بينهم حسب ما بينه التنزيل في سورة سبا قوله تعالى او كصيب
من السما قال الطبري او بمعنى الواو وقاله الفرا

وقد زعمت ليلى باني فاجر • لنفسي تقاها او عليها فجورها

وقال اخر • نال الخلافة او كانت له قدر • كما اتى ربه موسى على قدر

اي وكانت وقيل او للتخيير اي مثلوا هم بهذا او بهذا لا على الاقتصار على احد الامرين والمعنى او كاصحاب صيب
والصيب المطر واشتقاقه من صاب يصوب اذا نزل قال علقمة

فلا تعدلي بيني وبين مغمر • سقتك روايا المزن حيث تصوب

واصله صيوب اجتمعت اليا والواو وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو يا وادغمت كما فعلوا في ميت
وسيد وهين ولين وقال بعض الكوفيين اصله صويب على مثال فعيل قال النحاس لو كان كما قالوا لما جاز ادغامه
كما لا يجوز ادغام طويل وجمع صيب وصيايب والتقدير في العربية مثلهم كمثل الذي استوقد نارا او كصيب قوله
تعالى من السما السما يذكر ويونث وتجمع على اسمية وسماوات وسمي على فعول قال العجاج تلفه الرياح والسمي
والسما كل ما علاك واظلك ومنه قيل لسقف البيت سماه والسما المطر سمي به لنزوله من السما قال حسان بن
ثابت

ديار من بني الحسحاس قفر • تعفيها الروامس والسما

وقال اخر • اذا سقط السما بارض قوم • رعيناه وان كانوا غضابا

ويسمى الطين والكلا ايضا سما يقال ما زلنا نطا السما حتى اتيناكم يريدون الكلا والطين ويقال لظهر الفرس
ايضا سما لعلوه قال الشاعر • واحمر كالديباج اما سماوه • فريا واما ارضه فمحول

والسما ما علا والارض ما سفل على ما تقدم قوله تعالى فيه ظلمات ابتدا وخبر ورعد وبرق معطوف عليه
وقال ظلمات اشارة الى ظلمة الليل وظلمة الدجى وهو الغيم ومن حيث تتراكب وتتزايد جمعت وقد مضى ما فيه
من اللغات فلا معنى للاعادة وكذا كل ما تقدم ان شا الله تعالى واختلف العلما في الرعد ففي الترمذي عن ابن
عباس قال سالت اليهود النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد ما هو قال ملك بين الملايكة بيده مخاريق من نار يسوق
بها الملايكة السحاب حيث شا الله قالوا فما هذه الصوت الذي يسمع قال زجره بالسحاب اذا زجره حتى
ينتهي الى حيث امر الله قالوا صدقت الحديث بطوله وعلى هذا التفسير اكثر العلما فالرعد اسم الصوت
المسموع وقاله علي رضي الله عنه وهو المعلوم في لغة العرب وقد قال لبيد في الجاهلية

فجعني الرعد والصواعق • بالفارس يوم الكريهة النجد

وروي عن ابن عباس انه قال الرعد ريح تختنق بين السحاب فتصوت ذلك الصوت واختلفوا في البرق فروي
عن علي وابن مسعود وابن عباس رضوان الله عليهم البرق مخراق حديد بيد الملك يسوق به السحاب قلت
وهو الظاهر من حديث الترمذي وعن ابن عباس ايضا هو سوط من نور بيد الملك يزجي به السحاب وعنه ايضا

بالجمع صح

البرق ملك يترا اى وقالت الفلاسفة الرعد صوت اصطكاك اجرام السحاب والبرق ما ينقدح من اصطكاكها
وهذا مردود لا يصح به نقل والله اعلم ويقال اصل الرعد من الحركة ومنه الرعديد للجبان وارتعد اضطرب ومنه
الحديث فجئ بهما ترعد فرائصهما الحديث اخرجه ابو داود والبرق اصله من البريق والضوء ومنه البراق دابة يركبها رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسرى به وركبها الانبيا عليهم السلام قبله ورعدت السما من الرعد وبرقت من البرق
ورعدت المراة وبرقت تحسنت وتزينت ورعد الرجل وبرق تهدد واوعد قال احمر

يا خل ما بعدت عليك بلادنا ۞ وطلابنا فابرق بارضك وارعد

وارعد القوم وابرقوا اصابهم رعد وبرق وحكى ابو عبيدة وابو عمرو ارعدت السما وابرقت وارعد الرجل وابرق
اذا تهدد واوعد وانكره الاصمعي واحتج عليه بقول الكميت ۞ ارعد وابرق يا يزيد ۞ فما وعيدك لي بضائر
فقال ليس الكميت بحجة **فائدة** روى ابن عباس قال كنا مع عمر بن الخطاب من المدينة والشام ومعنا كعب الاحبار
قال فاصابتنا ريح واصابنا رعد ومطر شديد وبرد وفرق الناس قال فقال لي كعب انه من قال حين يسمع الرعد
سبحان من يسبح الرعد بحمده والملايكة من خيفته عوفي مما يكون في ذلك السحاب والبرد والصواعق قال فقلتها
انا وكعب فلما اصبحنا واجتمع الناس قلت لعمر يا امير المومنين كانا كنا في غير ما فيه الناس قال وما ذاك قال فحدثته
حديث كعب قال سبحان الله افلا قلتم لنا فنقول كما قلتم في رواية فاذا بردة اصابت انف عمر فاثرت به وستاتي
هذه الرواية في سورة الرعد ان شا الله تعالى وذكر الروايتين احمد بن علي بن ثابت الخطيب في روايات الصحابة عن
التابعين رحمة الله عليهم وعن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا سمع الرعد والصواعق قال اللهم لا تقتلنا
بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك **قوله تعالى** يجعلون اصابعهم في اذانهم جعلهم اصابعهم في اذانهم
لئلا يسمعوا القران فيومنوا به وبمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك عندهم كفر والكفر موت وفي واحد الاصابع خمس لغات
اصبع بكسر الهمزة وفتح البا واصبع بفتح الهمزة وكسر البا ويقال بفتحهما جميعا وبضمهما جميعا وبكسرهما
جميعا وهي مونثة وكذلك الاذن وتخفف وتثقل وتصغر فيقال اذينة ولو سميت بها رجلا ثم صغرته قلت
اذين فلم تونث لزوال التانيث عنه بالنقل الى المذكر فاما قولهم اذينة في الاسم العلم فانما سمي به مصغر والجمع
اذان وتقول اذنته اذا ضربت اذنه ورجل اذن اذا كان يسمع مقال كل احد يستوي فيه الواحد والجمع واذاني
عظيم الاذنين ونعجة اذنا وكبش اذن واذنت النعل وغيرها تاذينا اذا جعلت لها اذنا واذنت الصبي عركت
اذنه **قوله تعالى** من الصواعق اى من اجل الصواعق والصواعق جمع صاعقة قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما
اذا اشتد غضب الرعد الذي هو الملك طار النار من فيه وهي الصواعق وكذا قال الخليل قال هي الواقعة الشديدة
من صوت الرعد يكون معها احيانا قطعة من نار تحرق ما اتت عليه وقال ابو زيد الصاعقة نار تسقط من السما في رعد
شديد وحكى الخليل عن قوم الساعقة بالسين وقال ابو بكر النقاش يقال صاعقة وصعقة وصاقعة بمعنى واحد
وقرا الحسن من الصواقع بتقديم القاف ومنه قول ابي النجم

يحكون بالمصقولة القواطع ۞ تشقق البرق عن الصواقع

قال النحاس وهي لغة تميم وبعض بني ربيعة ويقال صعقتهم السما اذا القت عليهم الصاعقة والصاعقة
ايضا صيحة العذاب قال الله عز وجل فاخذتهم صاعقة العذاب الهون ويقال صعق صعقة وتصعاقا اى
غشي عليه ومنه قوله تعالى وخر موسى صعقا واصعقه غيره قال ابن مقبل

ترى النعرات الزرق تحت لبانه ۞ احاد ومثنى اصعقتها صواهله

وقوله تعالى فصعق من في السموات ومن في الارض اى مات وشبه الله تعالى في هذه الاية احوال المنافقين
بما في الصيب من الظلمات والرعد والبرق والصواعق فالظلمات مثل لما يعتقدونه من الكفر والرعد والبرق مثل
لما يخوفون به وقيل مثل الله تعالى القران بالصيب لما فيه من الاشكال عليهم والعمى هو الظلمات وما فيه من
الوعيد والزجر هو الرعد وما فيه من النور والحجج الباهرة التي تكاد احيانا ان تبهرهم هو البرق والصواعق
مثل لما في القران من الدعا الى القتال في العاجل والوعيد في الاجل وقيل الصواعق تكاليف الشرع الذي يكرهونها
من الجهاد والزكاة وغيرهما **قوله** حذر الموت حذر وحذار بمعنى وقرا بهما قال سيبويه هو منصوب
لانه موقوع له اى مفعول من اجله وحقيقته انه مصدر وانشد سيبويه

واغفر عورا الكريم ادخاره ۞ واعرض عن شتم اللئيم تكرما

وقال الفرا هو منصوب على التمييز والموت ضد الحياة وقد مات يموت ويمات ايضا قال الراجز

بنيتي سيدة البنات ۞ عيشي ولا تامن ان تماتي

فهو ميت وميت وقوم موتى واموات وميتون وميتون والموات بالضم الموت والموات بالفتح ما لا روح فيه
والموات ايضا الارض التي لا مالك لها من الادميين ولا ينتفع بها احد والموتان بالتحريك خلاف الحيوان يقال
اشترى الموتان ولا يشتر الحيوان اى اشتر الارضين والدور ولا تشتر الرقيق والدواب والموتان بالضم

موت

موت يقع في الماشية يقال وقع في المال موتان واماته الله وموته شدد للمبالغة وقال

فعروة مات موتا مستريحا ۞ فها انا ذا اموت كل يوم

واماتت الناقة اذا مات ولدها فهي مميت ومميتة قال ابو عبيد وكذلك المراة وجمعها مماويت وقال ابن
السكيت امات فلان اذا مات له ابن او بنون والمتماوت من صفة الناسك والمراى وموت مايت كقولك
ليل لايل يوخذ من لفظه ما يوكد به والمستميت للامر المسترسل له قال روبة

وزبد البحر له كثيب ۞ والليل فوق الماء مستميت

والمستميت ايضا المستقتل الذي لا يبالي في الحرب من الموت وفي الحديث اى القوم مستميتين وهم الذين
يقاتلون على الموت والموتة بالضم جنس من الجنون والصرع يعتري الانسان فاذا افاق عاد اليه كمال
عقله كالنايم والسكران وموته بضم الميم وهمز الواو اسم ارض قتل بها جعفر بن ابي طالب عليه السلام
قوله تعالى والله محيط بالكافرين ابتدا وخبر اى لا يفوتونه يقال احاط السلطان بفلان اذا اخذه اخذا حاضرا من
كل جهة قال الشاعر ۞ احطنا بهم حتى اذا ما تيقنوا ۞ بما قدروا واما لوا جميعا الى السلم
ومنه قوله تعالى واحيط بثمره واصله محيط نقلت حركة اليا الى الحا فسكنت فالله سبحانه محيط بجميع المخلوقات
اى هي في قبضته وتحت قهره كما قال والارض جميعا قبضته وقيل محيط بالكافرين اى عالم بهم دليله وان الله قد
قد احاط بكل شي علما وقيل مهلكهم وجامعهم دليله قوله تعالى الا ان يحاط بكم اى الا ان تهلكوا جميعا وخص
الكافرين بالذكر لتقدمهم في الاية والله اعلم **قوله تعالى** يكاد البرق يخطف ابصارهم الاية يكاد معناه
يقارب يقال كاد يفعل كذا اى قارب كذا ولم يفعل ويجوز في غير القران يكاد ان يفعل كما قال روبة

قد كاد من طول البلا ان يمصحا ۞ مشتق من المصح وهو الدرس والاجود ان تكون بغير ان لانها لمقارنة
الحال وان تصرف الكلام على الاستقبال وهذا متناف قال الله عز وجل يكاد سنا برقه يذهب بالابصار
ومن كلام العرب يكاد النعام يطير ۞ وكاد العروس يكون امير ۞ لقربهما من تلك الحال وكاد فعل متصرف على
فعل يفعل وقد جا خبره بالاسم وهو قليل قال ۞ وما كدت اآيبا ۞ ويجري مجرى كاد كرب وجعل وقارب
وطفق في كون خبرها بغير ان قال الله عز وجل وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة لانها كلها بمعنى الحال
والمقاربة والحال لا يكون معهما ان فاعلم **قوله تعالى** يخطف ابصارهم الخطف الاخذ بسرعة ومنه سمي
الطير خطافا لسرعته فمن جعل القران مثلا للتخويف فالمعنى ان خوفهم مما ينزل بهم يكاد يذهب ابصارهم
ومن جعله مثلا للبيان الذي في القران فالمعنى انهم جاءهم من البيان ما بهرهم ويخطف ويخطف لغتان قرا بهما
وقد خطفه بالكسر يخطفه خطفا وهي اللغة الجيدة واللغة الاخرى حكاها الاخفش خطف يخطف الجوهري
وهي قليلة ردية لا تكاد تعرف وقد قرا بها يونس في قوله تعالى يكاد البرق يخطف ابصارهم وقال النحاس في
يخطف سبعة اوجه القراة الفصيحة يخطف وقرا علي بن الحسن بن يحيى بن وثاب يخطف بكسر الطا قال سعيد
الاخفش هي لغة وقرا الحسن وقتادة وعاصم الجحدري وابو رجا العطاردي بفتح اليا وكسر الخا والطا وروى
عن الحسن ايضا انه قرا بفتح الخا قال الفرا وقرا بعض اهل المدينة باسكان الخا وتشديد الطا قال الكسائي
والاخفش والفرا يجوز يخطف بكسر اليا والخا والطا فهذه ستة اوجه موافقة للخط والسابعة حكاها عبد
الرازق قال رايت في مصحف ابي بن كعب يتخطف وزعم سيبويه والكسائي ان من قرا يخطف بكسر الخا والطا
فالاصل عنده يختطف ثم ادغم اليا في الطا فالتقا ساكنان فكسرت الخا لالتقا الساكنين قال سيبويه
ومن فتح الخا ابقى حركة اليا عليها وقال الكسائي ومن كسر اليا فلان الالف في اختطف مكسورة فاما حكاه
الفرا عن اهل المدينة من اسكان الخا والادغام فلا يعرف ولا يجوز لانه جمع بين ساكنين قاله النحاس وغيره
قلت عن الحسن ايضا وابي رجا يخطف قال ابن مجاهد واظنه غلطا واستدل على ذلك بان خطف الخطفة
لم يقراه احد بالفتح ابصارهم جمع بصر وهي حاسة الروية والمعنى تكاد حجج القران وبراهينه الساطعة
تبهرهم ومن جعل البرق مثلا للتخويف فالمعنى ان خوفهم انما ينزل بهم يكاد يذهب ابصارهم **قوله تعالى**
كلما اضا لهم مشوا فيه كلما منصوب لانه ظرف واذا كان كلما بمعنى اذا فهي موصولة والعامل فيه مشوا
وهو جوابه ولا يعمل فيه اضا لانه في صلة ما والمفعول في قول المبرد محذوف التقدير كلما اضا لهم البرق
الطريق وقيل يجوز ان يكون فعل وافعل بمعنى كسكت واسكت فيكون اضا وضاء سوا فلا يحتاج الى تقدير
حذف مفعول قال الفرا يقال ضا واضا وقد تقدم والمعنى انهم كلما سمعوا القران وظهرت لهم الحجج انسوا
ومشوا معه فاذا نزل من القران ما يعمون فيه ويضلون به او يكلفونه قاموا اى ثبتوا على نفاقهم عن ابن
عباس وقيل المعنى كلما صلحت احوالهم في زرعهم ومواشيهم وتوالت عليهم النعم قالوا دين محمد دين مبارك
واذا نزلت بهم مصيبة واصابتهم شدة سخطوه وثبتوا على نفاقهم عن ابن مسعود وقتادة قال
النحاس وهذا قول حسن ويدل على صحته ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمان به

وان اصابته فتنة انقلب على وجهه وقال علما الصوفية هذا مثل ضربه الله تعالى لمن لم تصح له احوال الارادة بدا
فارتقى من تلك الاحوال بالدعاوى الى احوال الاكابر كان تضى عليه احوال الارادة لو صححها بملازمة ادابها فلما
مزجها بالدعاوى اذهب الله عنه تلك الانوار وبقى في ظلمات دعاويه لا يبصر عايق الخروج منها وروى عن ابن عباس
ان المراد اليهود لما نصر النبي صلى الله عليه وسلم ببدر طمعوا وقالوا هذا والله النبي الذي بشرنا به موسى لا ترد
له راية فلما نكب باحد ارتدوا وشكوا وهذا ضعيف والاية في المنافقين وهو احد عن ابن عباس والمعنى يتناول
الجميع **قوله تعالى** ولو شا الله لذهب بسمعهم وابصارهم لو حرف تمني وفيه معنى الجزا وجوابه اللام والمعنى
ولو شا الله لاطلع المومنين عليهم فذهب منهم عن الاسلام بالاستيلا عليهم وقتلهم واخراجهم من بينهم
وخص السمع والبصر لتقدم ذكرهما في الاية او لانهما اشرف ما في الانسان وقرى باسماعهم على الجمع وقد تقدم
الكلام في هذا **قوله تعالى** ان الله على كل شي قدير عموم ومعناه عند المتكلمين فيما يجوز وصفه تعالى بالقدرة
عليه واجمعت الامة على تسميته تعالى بالقدير فهو سبحانه قدير قادر مقتدر والقدير ابلغ في الوصف من القادر
قاله الزجاج وقال الهروي والقدير والقادر بمعنى واحد يقال قدرت على الشي اقدر قدرا ومقدرة ومقدرة
ومقدرة وقدرانا اي قدرة والاقتدار على الشي القدرة عليه فالله جل وعز قادر مقتدر قدير على كل ممكن
يقبل الوجود والعدم فيجب على كل مكلف ان يعلم ان للعبد قدرة يكتسب بها ما اقدره الله عليه على مجرى العادة
وانه غير مستبد بقدرته وانما خص هنا تعالى صفته التي هي القدرة بالذكر دون غيرها لانه تقدم ذكر فعل
تضمنه الوعيد والاخافة فكان ذكر القدرة مناسبا لذلك والله اعلم فهذه عشرون اية على عدد الكوفيين
اربع ايات في وصف المومنين ثم يليها اثنان في ذكر الكافرين وبقيتها في المنافقين وقد تقدمت الرواية
فيها عن ابن جريج وقاله مجاهد **قوله تعالى** يايها الناس اعبدوا ربكم قال علقمة ومجاهد كل اية اولها
يايها الناس فانما نزلت بمكة وكل اية اولها يايها الذين امنوا فانما نزلت بالمدينة **قلت** وهذا
يرده ان هذه السورة والنسا مدنيتان وفيهما يايها الناس واما قولهما يايها الذين امنوا فصحيح وقال
عروة بن الزبير ما كان من حد او فريضة فانه نزل بالمدينة وما كان من ذكر الامم والعذاب فانه نزل بمكة وهذا واضح
ويا في قوله يايها حرف ندا اي منادى مفرد مبني على الضم لانه منادى في اللفظ وها للتنبيه الناس مرفوع
صفة لاي عند جماعة النحويين ما عدا المازني فانه اجاز النصب قياسا على جوازه في هذا الرجل وقيل ضمت
اي كما ضم المقصود المفرد وجاوا بها عوضا عن يا اخرى وانما لم ياتوا بيا لئلا ينقطع الكلام فجاوا بها حتى يبقى الكلام
متصلا قال سيبويه كانك كررت يا مرتين وصار الاسم بينهما كما قالوا ها هو ذا وقيل لما تعذر عليهم الجمع بين
حرفي التعريف اتوا في الضرورة بمنادى مجرد عن حرف تعريف واجروا عليه المعرف باللام المقصود بالندا والتزموا
رفعه لانه المقصود بالندا فجعلوا اعرابه بالحركة التي كان يستحقها لو باشرها الندا تنبيها على انه المنادى
فاعلمه واختلف من المراد بالناس هنا على قولين احدهما الكفار الذين لم يعبدوه يدل عليه قوله وان كنتم في ريب
الثاني انه عام في جميع الناس فيكون خطابه للمومنين باستدامة العبادة وللكافرين بابتدايها وهذا احسن
قوله تعالى اعبدوا امر بالعبادة له والعبادة هنا عبارة عن توحيده والتزام شرايع دينه واصل
العبادة الخضوع والتذلل يقال طريق معبدة اذا كانت موطوة بالاقدام قال طرفة
وظيفا وظيفا فوق مور معبد • والعبادة الطاعة والتعبد التنسك وعبدت فلانا اتخذته عبدا
قوله تعالى الذي خلقكم خص تعالى خلقه لهم من بين ساير صفاته اذ كانت العرب مقرة بان الله خلقها
فذكر ذلك حجة عليهم وتقريعا لهم وقيل ليذكرهم بذلك نعمته عليهم وفي اصل الخلق وجهان احدهما التقدير
يقال خلقت الاديم للسقا اذا قدرته قبل القطع قال الشاعر هو زهير
ولانت تفري ما خلقت • وبعض القوم يخلق ثم لا يفري
وقال الحجاج • ما خلقت الا فريت • وما وعدت الا وفيت
الثاني الانشا والاختراع والابداع قال الله تعالى وتخلقون افكا **قوله تعالى** والذين من قبلكم فيقال
اذا ثبت عندهم خلقهم ثبت عندهم خلق غيرهم فالجواب انما يجري الكلام على التنبيه والتذكير ليكون ابلغ
في العظة فذكرهم من قبلهم ليعلموا ان الذي امات من قبلهم وهو خلقهم يميتهم وليفكروا فيمن مضى قبلهم كيف
كانوا وعلى اي الامور مضوا من اهلاك من اهلك وليعلموا انهم يبتلون كما ابتلوا والله اعلم **قوله تعالى**
لعلكم تتقون لعل متصلة باعبدوا لا بخلقكم لان من ذراه الله لجهنم لم يخلقه ليتقي وهذا وما كان مثله
مما ورد في كلام الله تعالى من قوله لعلكم تعقلون لعلكم تشكرون لعلكم تذكرون لعلكم تهتدون فيه ثلاث
تاويلات **الاول** ان لعل على بابها من الترجي والتوقع والترجي والتوقع انما هو في حيز البشر فكانه
قيل لهم افعلوا ذلك على الرجا منكم والطمع ان تعقلوا وان تذكروا وان تتقوا هذا قول سيبويه وروسا اللسان
قال سيبويه في قوله عز وجل اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى قال معناه

اذهبا

اذهبا على طمعكما ورجايكما ان يتذكر او يخشى واختار هذا القول ابو المعالي **الثاني** ان العرب استعملت لعل
مجردة من الشك بمعنى لام كي فالمعنى لتعقلوا ولتذكروا ولتتقوا وعلى ذلك يدل قول الشاعر
وقلتم لنا كفوا الحروب لعلنا • نكف ووثقتم كل موثق
فلما كففنا الحرب كانت عهودكم • كلمع سراب في الملا متالق
المعنى كفوا الحروب لنكف ولو كانت لعل هنا شكا لم يوثقوا لهم كل موثق وهذا القول عن قطرب والطبري
الثالث ان يكون لعل بمعنى التعرض للشي كانه قيل افعلوا ذلك متعرضين لان تعقلوا او لان تذكروا او لان
تتقوا والمعنى في قوله لعلكم تتقون اي لعلكم ان تجعلوا بقبول ما امركم الله به وقاية بينكم وبين النار وهذا
من العرب اتقاه بحقه اذا استقبله به فكانه جعل دفعه حقه اليه وقاية له من المطالبة ومنه قول
علي رضي الله عنه كنا اذا احمر الباس اتقينا بالنبي صلى الله عليه وسلم اي جعلناه وقاية لنا من العدو وقال
عنترة • ولقد كررت المهر يدمي نحره • حتى اتقتني الخيل بابني حذيم
قوله تعالى الذي جعل لكم الارض فراشا فيه ست مسايل **الاولى** قوله تعالى الذي جعل جعل هنا معناه
صير لتعديه الى مفعولين ويأتي بمعنى خلق ومنه قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة وقوله وجعل الظلمات والنور
ويأتي بمعنى سمى ومنه قوله تعالى حم والكتاب المبين انا جعلناه قرانا عربيا وقوله وجعلوا له من عباده جزءا
وجعلوا الملايكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اي سموهم ويأتي بمعنى اخذ كما قال الشاعر
وقد جعلت نفسي تطيب لضغمة • لضغمهماها يقرع العظم نابها
وقد تاتي زايدة كما قال الاخر • وقد جعلت ارى الاثنين اربعة • والاربع اثنين لما هدني الكبر
وقد قيل في قوله وجعل الظلمات والنور انها زايدة وجعل واجعل بمعنى واحد قال الشاعر
ناط امر الضعاف واجعل • الليل كحبل العادية الممدود
فراشا اي وطا تفترشونها وتقرون عليها وما ليس بفراش كالجبال والاوعار والبحار فهي من مصالح ما يفترش
منها لان الجبال والاوتاد كما لم يجعل الارض مهادا والجبال اوتادا والبحار تركب الى ساير منافعها كما قال
والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس **الثانية** قال اصحاب الشافعي لو حلف رجل ان لا يبيت على
فراش او لا يستسرج بسراج فبات على الارض وجلس في الشمس لم يحنث لان اللفظ لا يرجع اليهما عرفا
واما المالكية فبنوه على اصلهم في الايمان انها محمولة على النية او السبب او البساط الذي جرت عليه اليمين
فان عدم ذلك فالعرف **الثالثة** قوله والسما بنا السما للارض كالسقف للبيت ولهذا قال وقوله الحق وجعلنا
السما سقفا محفوظا وكل ما علا فاظل قيل له سما وقد تقدم القول فيه والوقف على بنا احسن منه على تتقون
لان قوله الذي جعل لكم الارض فراشا نعت للرب ويقال بنى فلان بيتا وبنا على اهله بنا فيها اي زفها
والعامة تقول بنى باهله وهو خطا وكان الاصل فيه ان الداخل باهله كان يضرب عليها فيه ليلة دخوله بها
فقيل لكل داخل باهله بان وبنى قصورا شدد للكثرة وابتنى دارا وبنى بمعنى ومنه بنيان الحايط واصله وضع
لبنة على اخرى حتى يثبت واصل الماموة قلبت الواو الفا لتحركها وتحرك ما قبلها فقلبت ماه فالتقى حرفان
خفيفان فابدلت من الها همزة لانها اجلد وهي بالالف اشبه فقلبت الالف الاولى عين الفعل وبعدها الهمزة
التي هي بدل من الها وبعد الهمزة الف بدل من التنوين قال ابو الحسن لا يجوز ان تكتب الا بالفين عند البصريين
وان شيت بثلاث فاذا جمعوا او صغروا ردوا الى الاصل فقالوا مويه وامواه ومياه ايضا مثل جمل واجمال
الرابعة قوله تعالى فاخرج به من الثمرات رزقا لكم الثمرات جمع ثمرة ويقال ثمر مثل شجر ويقال ثمر مثل خشب
ويقال ثمر مثل بدن وثمار مثل اكام جمع ثمر وسياتي لهذا بيان في الانعام ان شا الله وثمار السياط عقد
اطرافها والمعنى في الاية اخرجنا لكم الوانا من الثمرات وانواعا من النبات رزقا طعاما لكم وعلفا لدوابكم
وقد بين هذا قوله تعالى انا صببنا الما صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا
ونخلا وحدايق غلبا وفاكهة وابا متاعا لكم ولانعامكم وقد الكلام في الرزق مستوفى في الحمد لله فان قيل
كيف انطلق اسم الرزق على ما يخرج من الثمرات قبل التملك قيل له لانها معدة لان تملك ويصح بها الانتفاع
فهي رزق **الخامسة** قلت ودلت هذه الاية على ان الله تعالى اغنى الانسان عن كل مخلوق ولهذا قال
عليه السلام مشيرا الى هذا المعنى والله لان ياخذ احدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من ان يسال احدا
اعطاه او منعه اخرجه مسلم ويدخل في معنى الاحتطاب جميع الصنايع وغيرها فمن احوج نفسه الى بشر
مثله بسبب الحرص والامل والرغبة في زخرف الدنيا فقد اخذ بطرف من جعل لله ندا وقال علما الصوفية
اعلم الله عز وجل في هذه الاية سبيل الفقر وهو ان يجعل الارض وطا والسما غطا والما طيبا والكلا طعاما
ولا تعبد احدا في الدنيا من الخلق بسبب الدنيا فان الله عز وجل قد اباح لك ما لا بد لك منه من غير منة
فيه لاحد عليك وقال نوف البكالي رايت علي بن ابي طالب خرج فنظر الى النجوم فقال يا نوف ارا قد انت ام

تعالى صح

مزيد صح

مضى صح

رامق قلت بل رامق يا امير المؤمنين قال طوبى للزاهدين في الدنيا والراغبين اوليك قوم اتخذوا الارض بساطا
وترابها وماها طيبا والقران والدعا دثارا وشعارا فرفضوا الدنيا على منهاج المسيح عليه السلام وذكر باقي الخبر
وسياتي تمامه في هذه السورة عند قوله تعالى اجيب دعوة الداعي اذا دعان ان شا الله **السادسة** قوله تعالى
فلا تجعلوا نهي لله اندادا اي اكفا وامثالا ونظرا واحدها ند وكذلك محمد بن السميقع ندا قال الشاعر

نحمد الله ولا ندله ... عنده الخير وما شا فعل

وقال حسان

اتهجوه ولست له بند ... فشركما لخيركما الفداء

ويقال ند ونديد ونديدة على المبالغة قال لبيد

لكيلا يكون السندري نديدتي ... واجعل اقواما عموما عما عما

وقال ابو عبيدة اندادا اضدادا النحاس اندادا مفعول اول ولله في موضع الثاني الجوهري والند بفتح النون
التل المرتفع في السما والند من الطيب ليس بعربي وند البعير يند وندا وندودا نفر وذهب على وجهه ومنه قراء
بعضهم يوم التناد وندد به اي شهره وسمع به **السابعة** قوله تعالى وانتم تعلمون ابتدا وخبر والجملة في موضع
الحال والخطاب للكفار والمنافقين عن ابن عباس فان قيل كيف وصفهم بالعلم وقد نعتهم بخلاف ذلك من الختم
والطبع والصمم والعمى فالجواب من وجهين احدهما وانتم تعلمون يريد العلم الخاص في ان الله تعالى خلق
وانزل الما وانبت الرزق فيعلمون انه المنعم عليهم دون الانداد الثاني ان يكون المعنى وانتم تعلمون وحدانيته
بالقوة والامكان لو تدبرتم ونظرتم والله اعلم وفي هذا دليل على استعمال حجج العقول وابطال التقليد
وقال ابن فورك يحتمل ان يتناول المؤمنين فالمعنى لا ترتدوا ايها المؤمنون وتجعلوا لله اندادا بعد علمكم
الذي هو نفي الجهل بان الله واحد **قوله تعالى** وان كنتم في ريب اي في شك مما نزلنا يعني القران والمراد المشركين
الذين تحدوا فانهم لما سمعوا القران قالوا ما يشبه هذا كلام الله وانا لفي شك منه فنزلت الاية ووجه
اتصالها بما قبل ان الله سبحانه لما ذكر في الاية الاولى الدلالة على وحدانيته وقدرته ذكر بعدها الدلالة على
نبوة نبيه وان ما جا به ليس مفترا من عنده قوله على عبدنا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والعبد ماخوذ من
التعبد وهو التذلل يسمى المملوك من جنس ما يفعله عبدا لتذلله لمولاه قال طرفة

وحتى تحامتني العشيرة كلها ... وافردت افراد البعير المعبد

اي المذلل قال بعضهم لما كانت العبادة اشرف الخصال والتسمي بها اشرف الخطط سمى نبيه عبدا وانشدوا

يا قوم قلبي عند زهراء ... يعرفه السامع والراء

لا تدعني الا بيا عبدها ... فانه اشرف اسماء

فاتوا الفا جواب الشرط اتوا مقصور لانه من باب المجي قاله ابن كيسان وهو امر معناه التعجيز لانه تعالى
علم عجزهم عنه والسورة واحدة السور وقد تقدم الكلام فيها وفي اعجاز القران فلا معنى للاعادة ومن
في قوله من مثله زائدة كما قال فاتوا بسورة مثله والضمير في مثله عايد على القران عند الجمهور من العلماء
كقتادة ومجاهد وغيرهما وقيل يعود على التوراة والانجيل المعنى فاتوا بسورة من كتاب مثله فانها تصدق
ما فيه وقيل تعود على النبي صلى الله عليه وسلم المعنى من بشر امي مثله لا يكتب ولا يقرا فمن على هذين التاويلين
للتبعيض والوقف على مثله ليس بتام لان وادعوا نسق عليه **قوله تعالى** وادعوا شهداكم معناه
اعوانكم ونصراكم الفراء الهتكم وقال ابن كيسان فان قيل كيف ذكر الشهدا هاهنا وانما يكون الشهدا ليشهدوا
امرا وليخبروا بامر شهدوه وانما قيل لهم فاتوا بسورة من مثله فالجواب ان المعنى استعينوا بمن وجدتموه من
علمايكم واحضروهم ليشهدوا ما ياتون به فيكون الرد على الجميع اوكد في الحجة عليهم **قلت** هذا معنى قول مجاهد
قال مجاهد ومعنى وادعوا شهداكم اي ادعوا اناسا يشهدون لكم اي يشهدون انكم عارضتموه النحاس شهداكم
نصب بالفعل جميع شهيد يقال شاهد وشهيد مثل قادر وقدير وقوله من دون الله اي من غيره ودون نقيض
فوق وهو تقصير عن الغاية ويكون ظرفا والدون الحقير الخسيس قال

اذا ما علا المرء رام العلا ... ويقنع بالدون من كان دونا

ولا يشتق منه فعل وبعضهم يقول منه دان يدون دونا ويقال هذا دون ذاك اي اقرب منه ويقال في الاغراء
بالشي دونكه قال تميم للحجاج اقبرنا صالحا وكان قد صلبه فقال دونكموه **قوله تعالى** ان كنتم صادقين
فيما قلتم من انكم تقدرون على المعارضة لقولهم في اية اخرى لو نشا لقلنا مثل هذا والصدق خلاف الكذب وقد
صدق في الحديث والصدق الصلب من الرماح ويقال صدقوهم القتال والصديق الملازم للصدق ويقال
رجل صدق كما يقال نعم الرجل والصداقة مشتقة من الصدق من النصح والود **قوله تعالى** فان لم تفعلوا
يعني فيما مضى ولن تفعلوا اي تطيقوا ذلك فيما ياتي والوقف على هذا على الصادقين تام وقال جماعة معنى
الاية وادعوا شهداكم من دون الله ان كنتم صادقين ولن تفعلوا فان لم تفعلوا فاتقوا النار فعلى هذا التفسير

قراح

ماح

بلغ مقابلة

لايتم

لا يتم الوقف على صادقين فان قيل كيف دخلت ان على لم ولا يدخل عامل على عامل فالجواب ان ان هاهنا غير عاملة
في اللفظ فدخلت على لم كما تدخل على الماضي لانها لا تعمل في لم كما لا تعمل في الماضي فمعنى ان لم تفعلوا ان تركتم الفعل
ولو له ولن تفعلوا نصب بان ومن العرب من يجزم بها ذكره ابو عبيدة ومنه بيت النابغة

فلن اعرض ابيت اللعن بالصفد

وفي حديث ابن عمر حين ذهب به الى النار في منامه فقيل لي لن ترع هذا على
تلك اللغة وفي قوله ولن تفعلوا اثارة لهممهم وتحريك لنفوسهم ليكون عجزهم بعد ذلك ابدع وهذا من
الغيوب التي اخبر بها القران قبل وقوعها وقال ابن كيسان ولن تفعلوا وتوقيفا لهم على انه الحق وانهم ليسوا
صادقين فيما زعموا من انه كذب وانه مفترى وانه سحر وانه شعر وانه اساطير الاولين وهم يدعون العلم
ولا ياتون بسورة من مثله **وقوله** فاتقوا النار جواب فان لم تفعلوا اي اتقوا النار بتصديق النبي
صلى الله عليه وسلم وطاعة الله تعالى وقد تقدم معنى التقوى فلا معنى لاعادتها ويقال ان لغة تميم واسد فتقوا
النار وحكى تقي يتقي مثل قضى يقضي النار مفعوله التي من نعتها وفيها ثلاث لغات التي واللت بكسر التاء
واللت باسكانها وهي اسم مبهم للمونث وهي معرفة ولا يجوز نزع الالف واللام منها للتنكير ولا يتم الا بصلة
وفي تثنيتها ثلاث لغات ايضا اللتان واللتا بحذف النون واللتان بشد النون وفي جمعها خمس لغات
اللاتي وهي لغة القران واللات بكسر التا بلا يا واللواتي واللوات بلا يا وانشد ابو عبيد

من اللواتي واللتي واللات ... زعمن ان قد كبرت لذاتي

واللواء باسقاط التا هذا ما حكاه الجوهري وزاد ابن الشجري اللاي بالهمز واثبات اليا واللاء بكسر الهمزة
وحذف اليا واللا بحذف الهمزة فان جمعت الجمع قلت في اللاتي اللواتي وفي اللاي اللواي قال الجوهري
وتصغير التي اللتيا بالفتح والتشديد قال الراجز

بعد التي واللتيا والتي ... اذا علتها نفس تردت

وبعض الشعرا ادخل على التي حرف الندا وحروف الندا لا تدخل على ما فيه الالف واللام الا في قولنا يا الله
وحده فكانه شبهها به من حيث كانت الالف واللام غير مفارقتين وقال

من اجلك يا التي تيمت قلبي ... وانت بخيلة بالود عني

ويقال وقع في اللتيا والتي وهما اسمان من اسما الداهية والوقود بالفتح الحطب وبالضم التوقد والناس
عموم ومعناه الخصوص فيمن سبق عليه القضا انه يكون حطبا لها اجارنا الله منها والحجارة هي حجارة الكبريت
الاسود عن ابن عباس والفرا وخصت بذلك لانها تزيد على جميع الاحجار بخمسة انواع من العذاب سرعة الايقاد
نتن الرايحة كثرة الدخان شدة الالتصاق بالابدان قوة حرها اذا حميت وليس في قوله تعالى وقودها
الناس والحجارة دليل على ان ليس فيها غير الناس والحجارة بدليل ما ذكره في غير موضع من كون الجن والشياطين
فيها وقيل المراد بالحجارة الاصنام لقوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم اي حطب جهنم وعليه
فتكون الحجارة والناس وقودا للنار وذكر ذلك تعظيما للنار انها تحرق الحجارة مع احراقها للناس وعلى التاويل
الاول يكونون معذبين بالنار والحجارة وقد جا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كل موذ في النار وفي
تاويله وجهان احدهما ان كل من اذى الناس في الدنيا عذبه الله في الاخرة بالنار الثاني ان كل ما يوذي الناس
في الدنيا من السباع والهوام وغيرها في النار معد لعقوبة اهل النار وذهب بعض اهل التاويل الى ان هذه النار
المخصوصة بالحجارة هي نار الكافرين خاصة والله اعلم روى مسلم عن العباس بن عبد المطلب قال قلت يرسول الله
ان ابا طالب كان يحوطك وينصرك فهل نفعه ذلك قال نعم وجدته في غمرات من النار فاخرجته الى ضحضاح في رواية
ولولا انا لكان في الدرك الاسفل من النار وقودها مبتدا الناس خبره والحجارة عطف عليهم وقرا الحسن ومجاهد
وطلحة بن مصرف وقودها بضم الواو وقرا عبيد بن عمير وقيدها الناس قال الكسائي والاخفش الوقود بفتح الواو
الحطب وبالضم الفعل يقال وقدت النار تقد وقودا بالضم ووقدا وقدة ووقدانا اي توقدت واوقدتها
انا واستوقدتها ايضا والايقاد مثل التوقد والموضع موقد مثال مجلس والنار موقدة والوقد شدة الحر وهي
عشرة ايام او نصف شهر قال النحاس يجب على هذا ان لا يقرا الا وقودها لان المعنى حطبها الا ان
الاخفش قال وحكى ان بعض العرب يجعل الوقود والوقود بمعنى الحطب والمصدر قال النحاس وذهب الى ان الاول اكثر
قال كما ان الوضو الما والوضو المصدر **قوله تعالى** اعدت للكافرين ظاهره ان غير الكافرين لا يدخلها وليس كذلك
بدليل ما ذكره في غير موضع من الوعيد للمذنبين وبالاحاديث الثابتة في الشفاعة على ما ياتي وفيه دليل على ما يقوله
اهل الحق من ان النار موجودة مخلوقة خلافا للمبتدعة في قولهم انها لم تخلق حتى الان وهو القول الذي سقط فيه
القاضي منذر بن سعيد البلوطي الاندلسي روى مسلم عن عبد الله بن مسعود قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذ سمع وجبة فقال النبي صلى الله عليه وسلم تدرون ما هذا قال قلنا الله ورسوله اعلم قال هذا حجر رمي به في النار
منذ سبعين خريفا فهو يهوي في النار الان حين انتهى الى قعرها وروى البخاري عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله

سيبويه م

وقال عكرمة يشبه ثمر الدنيا ما يأتيه في الجنة فيما يرون وليس هذا على وجه الشبه وليس في الدنيا شيء مما في الجنة سوى الأسماء فكانهم تعجبوا الماء والوعد من حسن الثمرة وعظم خلقها وقال قتادة خيارا لا إرذالا غير كقوله تعالى كتابا متشابها ولبيس كثيرا والدنيا التي لا تتشابه لان فيها خيارا وغير خيار ولهم فيها أزواج أبدا وخبر وازواج جمع زوج والمرأة زوج الرجل وزوج المرأة وانشد الفرزدق

وان الذي يسعى ليفسد زوجتي ... كساع الى اسد الشرى يستبيلها

وقال عمار بن ياسر في شأن عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها والله اني لاعلم انها في الدنيا والاخرة ولكن الله ابتلاكم وذكر البخاري واختاره الكسائي مطهرة نعت للازواج ومطهرة في اللغة اجمع من طهارة وابلغ ومعنى هذه الطهارة من الحيض والبصاق وسائر اقذار الادميات ذكر عبد الرزاق قال اخبرنا الثوري عن ابن ابي نجيح عن مجاهد مطهرة قال لا يبلن ولا يتغوطن ولا يدلدن ولا يحضن ولا يمنين ولا يبزقن وقد اثنى الله على هذا كله في وصف اهل الجنة ووصفة الجنة ونعيمها من كتاب التذكرة والحمد لله وهم فيها خالدون هم مبتدا خالدون خبره والظرف ملغى ويجوز في غير القرآن نصب خالدين على الحال والخلود البقاء ومنه حجة الخلد وقد يستعمل مجازا فيما يطول ومنه قولهم في الدعاء خلد الله ملكه اي طوله قال زهير

الا لا ارى على الحوادث باقيا ... ولا خالدا الا الجبال الرواسيا

واما الذي في الاية فهو ابدي حقيقة قوله تعالى ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا قال ابن عباس في رواية الضحاك لما ضرب الله سبحانه هذين المثلين للمنافقين يعني مثلهم كمثل الذي استوقد نارا وقوله او كصيب من السماء قالوا الله اجل واعلم ان يضرب الامثال فانزل هذه الاية وفي رواية عطاء عن ابن عباس قال لما ذكر الله الهة المنافقين للمشركين فقالوا وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه وذكر كيد الالهة فجعله كبيت العنكبوت قالوا ارايت حيث ذكر الله الذباب والعنكبوت فيما انزل من القرآن على محمد اتى شيء يصنع فانزل الله الاية وقال الحسن وقتادة لما ذكر الله الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب للمشركين به المثل ضحكت اليهود وقالوا ما يشبه هذا كلام الله فانزل الله الاية ويستحي اصله يستحيي عينه ولامه حرفا علة اعلت اللام منه بان استثقلت الضمة على الياء فسكنت واسم الفاعل على هذا مستحيي والجمع مستحيون ومستحيين وقرا ابن محيصن يستحي بكسر الحاء وياء واحدة ساكنة وروى عن ابن كثير وهي لغة تميم وبكر بن وايل نقلت فيها حركة الياء الاولى الى الحاء فسكنت ثم استثقلت الضمة على الثانية فسكنت فحذفت احداهما للالتقاء واسم الفاعل مستح وللجمع مستحون وللجمع مستحيون واختلف اهل اللغة في معنى يستحيي في هذه الاية فقيل لا يخشى وحجة الطبري وفي التنزيل وتخشى الناس والله احق ان تخشاه بمعنى يستحيي وقال غيره لا يترك وقيل لا يمتنع واصل الاستحياء الانقباض عن الشيء والامتناع منه خوفا من مواقعة القبيح وهذا محال على الله تعالى وفي صحيح مسلم عن ام سلمة قالت نجاءت ام سليم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان الله لا يستحيي من الحق هل على المرأة من غسل اذا احتلمت فيه ولا يمتنع من ذكره قوله تعالى ان يضرب مثلا يضرب معناه وبين ان مع الفعل في نصب بتقدير حذف من مثلا منصوب بيضرب بعوضة في نصبها اربعة اوجه الاول تكون ما زائدة و بعوضة بدلا من مثلا الثاني تكون ما نكرة في موضع نصب على البدل من قوله مثلا و بعوضة نعتا لها فوصفت ما بالجنس المنكر لانها مبهمة لانها بمعنى قليل قاله الفراء والزجاج وثعلب الثالث نصب على تقدير اسقاط الجار المعنى ان يضرب مثلا ما بين بعوضة حذفت بين واعربت بعوضة باعرابها والفا بمعنى الى اي الهما فوقها وهذا قول الكسائي والفراء ايضا وانشد ابو العباس

يا حسن الناس قرنا الى قدم ... والاحسن محب واصل تصل

اراد ما بين قرن فلما اسقط بين نصب الرابع ان يكون يضرب بمعنى يجعل فيكون بعوضة المفعول الثاني وقرا الضحاك وابراهيم بن ابي عبلة وروبة بن العجاج بعوضة بالرفع وهي لغة تميم قال ابو الفتح وجه ذلك ما اسم بمنزلة الذي و بعوضة رفع على اضمار المبتدا التقدير لا يستحيي ان يضرب الذي هو بعوضة مثلا فحذف العائد على الموصول وهو مبتدا ومثله قراءة بعضهم تماما على الذي احسن اي على الذي هو احسن وحكى سيبويه ما اقام بالذي فايل لك شيا اي هو قايل قال النحاس والحذف في ما اقبح منه في الذي لان الذي انما له وجه واحد والاسم معه اطول ويقال ان معنى ضرب له مثلا مثلا له مثلا وهذه الابنية على ضرب واحد وعلى مثال واحد ونوع واحد والضرب النوع والبعوضة نعولة من بعضت اللحم يقال بضع و بعض بمعنى وقد بعضته تبعيضا اي جزاته فتبعض والبعوض البق الواحدة بعوضة سميت بذلك لصغرها قاله الجوهري وغيره

قوله تعالى فما فوقها قد تقدم ان الفا بمعنى الى ومن جعل ما الاولى صلة زايدة فما الثانية عطف عليها بعوضة ومن جعلها اسما فما الثانية عطف عليها وقال الكسائي وابو عبيدة وغيرهما بمعنى فما فوقها والله اعلم وما بينهما اي الحقير فما فوقها في الصغر قال الكسائي وهذا كقولك في الكلام اشتر لي فرسا فبغل فالبغل اكبر فوق ذلك اي هو اكبر

اعدت م

عليهم احجبت النار والجنة فقالت هذه يدخلني الجبارون والمتكبرون وقالت هذه يدخلني الضعفاء والمساكين فقال الله لهذه انت عذابي اعذب بك من شئت وقال لهذه انت رحمتي ارحم بك من شئت ولكل واحدة منكما ملوها واخرجه مسلم بمعناه ولا يقال اعجبت بمعنى تعجبت للحديث المتقدم حديث ابن مسعود ولان النبي صلى الله عليه وسلم قد ارى ما في صلاة الكسوف ورآها ايضا في اسرايه ودخل الجنة فلا معنى لما خالفه لذلك وبالله التوفيق هـ واعدت يجوز ان يكون ماضيا على معنى متعة واصبر تسعة قد مضى قالوا واجاوكم حصرت صدورهم اي ضاقت صدورهم وقع حصرت قد مضت لان الماضي لا يكون حالا الا مع قد تقدم هذا الاية الوقف على الحجارة ويجوز ان يكون كلاما منقطعا فيه كما قالوا وذلكم ظنكم الذي ظننتم الذي مبتدا وظنكم خبره اردكم وقال السجستاني اعدت للكافرين من صلة التي كما قال يحي ان اعصر خمرا اي العنب والتقوا النار التي للكافرين ابن الانباري وهذا غلط لان التي في سورة البقرة قد وصلت بقوله وقودها الناس فلا يجوز ان توصل بصلة ثانية وقرى الزنجمان ليس لها صلة غير قد وصلت بقوله وقودها الناس واقيم الظاهر مقام المضمر ولو جرى على الكلام لقيل لها وهي مبتدا خبره ايضا والتفسير الاخبار عما يظهر اثره على البشرة وهي ظاهر الجلد لتغيرها باول اخبر يرد عليك امر الغالب ان تستعمل في الشر ويقيد بالخير المبشر به غير مقيد ايضا ولا يستعمل في الا في الخير والكثير الا مقيدا منصوصا على الشر المبشر به قال الله تعالى فبشرهم بعذاب اليم ويقال بشرته وبشرته مخففا ومشددا بطارة بكسر الباء بشر وبشر بكسر الشين وفتح الباء وجه بشير اذا كان حسنا بين البشارة بفتح الباء والمبشر ما يعطاه المبشر وتباشير الشيء اوله الخازنية اجمع العلماء على ان الملك اذا قال من بشرني بعبدي كذا فهو حر فبشره واحد من عبيده فانه يعتق اولهم فان اولهم يكون حرا دون الثاني واختلفوا اذا قال من اخبرني من عبيدي بكذا فهو حر فاخبره جماعة منهم فقال اصحاب الشافعي يعتق الاول كالاول وهذا معلوم عرفا فهو جيد في الاول السبيه وفرق محمد بن الحسن بين قوله اخبرني اول وجه شئ فعلمت اخبرني بكذا او اعلمني بكذا وكذا فهو حر فالاية له فاخبره غلامه له بذلك بكتاب او كلام او رسول فان الغلام يعتق لان هذا خبر وان اخبره بعده الا غلام له عتق لانه قال اي غلام اخبرني فهو حر ولو اخبره كلهم عتقوا وان كان عتق حين حلف بالخبر بكلام مشافهة لم يعتق واحد منهم الا ان يخبره بكلام مشافهة بذلك الخبر او اذا قال اي غلام اخبرني فهذا على الخلاف الذي ذكرناه منهم الثالثة قوله تعالى وعملوا الصالحات رد على من يقول ان الايمان تجرده يقتضي الطاعات لانه لو كان كذلك لما اعاد ها هنا الجنة تنال بالايمان والعمل الصالح وقيل الجنة تنال بالايمان والدرجات تستحق بالاعمال الصالحات والله اعلم ان لهم في موضع نصب بيشر المعنى وبشر الذين لهم اوان لهم فلما اسقط الخافض عمل الفعل وقال الكسائي وجماعة من البصريين ان في موضع خفض ايضا الا ان الجناتي موضع نصب اسم ان وان وما عملت فيه في موضع المفعول الثاني والجنات البساتين وانما سميت بجنات لانها تجن من فيها اي تستره بشجرها ومنه الجن والجنين والجن والجنة وتجري في موضع النعت لجنات وهو مرفوع لانه فعل مستقبل فحذفت الضمة من الياء لثقلها معها من تحتها اي من تحت اشجارها ولم يجر لها ذكر لان الجنات دالة عليها الانهار اي ماء الانهار فنسب الجري الى الانهار توسعا وانما يجري الماء وحده فحذف اختصارا كما قالوا واسال القرية اي اهلها وقال الشاعر

نبئت ان النار بعدك اوقدت ... واستبت بعدك يا كليب المجلس

اراد اهل المجلس فحذف والنهر ماخوذ من انهرت اي وسعت ومنه قول قيس بن الخطيم

ملكت بها كفي فانهرت فتقها ... يرى قايم من دونها ما وراءها

اي وسعتها يصف طعنة ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم ما انهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه معناه ما وسع الذبح حتى جرى كالنهر وجمع النهر نهر والنهار ونهر نهر كثير الما قال ابو ذؤيب

اقامت به فابتنت خيمة ... على نضب وفراث نهر

وروى ان انهار الجنة ليست في اخاديد انما تجري على سطح الجنة منضبطة بالقدرة حيث شاء اهلها والوقف على الانهار حسن وليس بتام لان قوله كلما رزقوا منها من ثمرة من وصف الجنات رزقا مصدر وقد تقدم القول في الرزق ومعنى من قبل يعني في الدنيا وفيه وجهان احدهما انهم قالوا هذا الذي قد عرفنا به في الدنيا الثاني هذا الذي رزقنا في الدنيا لانا لونها يشبه لون ثمار الدنيا فاذا اكلوا وجدوا طعمه غير ذلك وقيل من قبل يعني في الجنة لانهم يرزقون ثم يرزقون فاذا اوتوا بطعام وثمار في اول النهار فاكلوا منها ثم اوتوا بثمار منها في اخر النهار قالوا هذا الذي رزقنا من قبل يعني اطعمنا في اول النهار لان لونه يشبه ذلك فاذا اكلوا منها وجدوا لها طعما غير طعم الاول واوتوا فعلوا من اتت وقراءة الجماعة بضم الثمرة والثاء فالضمير في القراءة وقرا هارون الاعور واتوا بفتح الثمرة والثاء فالضمير في القراءة الاولى لاهل الجنة وفي الثانية للخدام به متشابها حال من الضمير في به اي يشبه بعضه بعضا في المنظر ويختلف في الطعم قاله ابن عباس والحسن ومجاهد وغيرهم

وقال

الجبل قطعا وقطعت الثمر قطوعا وقطعت الطير قطوعا وقطاعا وقطاعا اذا خرجت من بلد الى بلد واصحاب الناس قطعة اذا قلت مياههم ورجل به قطع اى ايمان الخامسة قوله ما امر الله به ان يوصل ما فى موضع نصب بيقطعون وان ان شئت كانت بدلا منها وان شئت من الها فى به وهو احسن ويجوز ان يكون لان لا يوصل اى كراهة ان يوصل واختلف ما الشئ الذى امر بوصله فقيل صلة الارحام وقيل امر ان يوصل القول بالعمل فقطعوا بينهما بان قالوا ولم يعملوا وقيل امر ان يوصل التصديق بجميع انبيائه فقطعوه بتصديق بعضهم وتكذيب بعضهم وقيل الاشارة الى دين الله وعباداته فى الارض واقامة شرايعه وحفظ حدوده فنهى عامة فى كل ما امر الله تعالى به ان يوصل هذا قول الجمهور والرجم جزء من هذا السادسة قوله تعالى ويفسدون فى الارض اى يعبدون غير الله ويجوزون فى الافعال اذ هى بحسب شهواتهم وهذا غاية الفساد اولئك هم الخاسرون ابتدا وخبر وهم زايدة ويجوز ان يكون هم ابتدا ثان الخاسرون خبره والثانى وخبره خبر الاول كما تقدم والخاسر الذى نقص نفسه حظها من الفلاح والفوز والحسران النقصان كان فى ميزان او غيره قال الجريرى

ان سليطا فى الحسار انه ٭ اولاد قوم خلقوا اقنه

يعنى بالحسار ما ينقص من حظوظهم وشرفهم قال الجوهرى وخسرت الشئ بالفتح واخسرته نقصته والحسار والخسارة والخيسرى الضلال والهلاك فقيل للهالك خاسر كانه حسر نفسه واهله يوم القيامة ومنع منزله من الجنة السابعة فى هذه الاية دليل على الوفا بالعهد والتزامه فكل عهد جايز الزمه المرء نفسه فلا يحل له نقضه سوا كان بين مسلم او غيره لزم الله تعالى من نقض عهده وقد قالوا وفوا بالعقود وقال النبى عليه الصلاة والسلام واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سوا فنهاه عن الغدر وذلك لا يكون الا بنقض العهد على ما ياتى بيانه فى موضعه ان شا الله تعالى قوله تعالى كيف تكفرون بالله الاية كيف سؤال عن الحال وما اسم فى موضع نصب بتكفرون وهى مبنية على الفتح وكان سبيلها ان تكون ساكنة لان فيها معنى الاستفهام الذى هو التنبيه فاشبهت الحروف واختير لها الفتح لخفته اى هو لا من يجب ان ينبه منهم حين كفروا وقد ثبتت عليهم الحجة فان قيل كيف يجوز ان يكون هذا الخطاب لاهل الكتاب وهم لم يكفروا بالله فالجواب ما سبق من انهم لم يتبعوا المرسل محمد عليه السلام ولم يصدقوه فيما جاءه فقد اشركوا لانهم لم يقروا بان القرآن من عند الله ومن زعم ان القرآن كلام البشر فقد اشرك بالله وصار ناقضا للعهد وقيل كيف لفظه لفظ استفهام وليس به بل هو تقرير وتوبيخ اى كيف تكفرون بالله ونعمه عليكم وقدرته هذه قالوا اواسطى وتحتم بهذا غاية التوبيخ لان الموات والجماد لا ينازع صانعه فى شئ وانما المنازعة من الحيا كالروحانية وقوله تعالى وكنتم اموتا هذه الواو واو الحال وقد مضمرة قال الزجاج التقدير وقد كنتم ثم حذف قد وقال الفرا اموتا اخير كنتم فاحياكم ثم يميتكم هذا وقف لتام كذا قال ابو حاتم ثم قال يحييكم واختلف اهل التاويل فى تزتيب هاتين الموتتين والمائتين وكم من موتة وحياة للانسان فقال ابن عباس وابن مسعود اى كنتم اموتا معدومين قبل ان تخلقوا فاحياكم اى خلقكم ثم يميتكم عند انقضا اجالكم ثم يحييكم يوم القيامة قال ابن عطية وهذا القول هو المراد بالاية وهو الذى لا محيد للكفار عنه لافرارهم بها واذا اذعنت نفوس الكفار لكونهم اموتا معدومين ثم للاحيا فى الدنيا ثم للاماتة فيها نوى عليهم لزوم الاحيا الاخر وجاحدهم له دعوى لا حجة عليها قال غيره والحياة التى تكون فى القبر على هذا التاويل تكون فى حكم حياة الدنيا وقيل كنتم اموتا فى ظهر ادم ثم اخرجكم من ظهره كالذر ثم يميتكم موت الدنيا ثم يبعثكم وقيل كنتم اموتا اى نطفا فى اصلاب الرجال وارحام النسا ثم تعلقكم من الارحام فاحياكم ثم يميتكم بعد هذه الحياة ثم يحييكم فى القبر للمسالة ثم يميتكم فى القبر ثم يحييكم حياة النشر الى الحشر وهى الحياة التى ليس بعدها موت قلت فعلى هذا التاويل هى ثلاث موتات وثلاث احيات وكونهم موتى فى ظهر ادم واخراجهم من ظهره والشهادة عليهم غير كونهم نطفا فى اصلاب الرجال وارحام النسا فعلى هذا يحيا اربع موتات واربع احيات وقد قيل الله تعالى اوجدهم قبل خلق ادم عليه السلام كالهبا ثم اماتهم فيكون على هذا خمس موتات وخمس احيات وموتة سادسة للعصاة من امة محمد صلى الله عليه وسلم اذا دخلوا النار لحديث ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما اهل النار الذين هم اهلها فانهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن ناس اصابتهم النار بذنوبهم او قال بخطاياهم فاماتهم الله اماتة حتى اذا كانوا فحما اذن فى الشفاعة فجى بهم ضبابير ضبابير فبثوا على انهار الجنة ثم قيل يا اهل الجنة افيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة تكون فى حميل السيل فقال رجل من القوم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان بدى بالبادية اخرجه مسلم قلت قوله اماتهم الله حقيقة فى الموت لانه الكثير بالمصدر وذلك تكرير لما قبله وقيل يجوز ان يكون اماتهم تغييبهم عن الابصار بالتوبيخ ولا يكون ذلك موتا على الحقيقة والاول اصح وقد اجمع النحويون على انه اذا اكدت الفعل بالمصدر لم يكن مجازا وانما هو على الحقيقة ومثله وكلم الله موسى تكليما على ما ياتى بيانه ان شا الله تعالى وقيل المعنى وكنتم امواتا بالخمول فاحياكم بان ذكركم وشرفكم بهذا الدين والنبى الذى جاكم ثم يميتكم فيموت ذكركم ثم يحييكم للبعث قوله تعالى

هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا اى خلقها لكم لتعتبروا فيها وتنتفعوا بها وما فى الارض يتناول الحيوان والجماد والنبات والمعادن وغيرها وهذا يدل على ان الاشيا على الاباحة حتى يرد حظر والحق خلافا لمن قال ان الاصل الحظر والحق واحد الحقوق والحقة بضم الحا الخطم منه يقال هذه حقتى اى حقى قوله تعالى واما الذين كفروا الفا بعد ثم بنى عامر فى اما ايما يقولون من احد ركى اليمين باكراهية المتصرف وعلى هذا يشهد بيت تميم بن ابى مقبل

رات رجلا ايما اذا الشمس عارضت ٭ فيمضى واما بالعشى فيحصر

قوله تعالى فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا اختلف النحويون فى ماذا فقيل هى بمنزلة اسم واحد بمعنى اى شى اراد الله فيكون فى موضع نصب باراد قال ابن كيسان وهو الجيد وقيل ما اسم تام فى موضع رفع بالابتدا وذا بمعنى الذى وهو خبره بتدا وتكون التقدير ما الذى اراده الله بهذا مثلا ومعنى كلامهم هذا الانكار لفظه الاستفهام ومثلا منصوب على القطع التقدير اراد مثلا قاله الفرا وقال ابن كيسان هو منصوب على التمييز الذى وقع موقع الحال قوله تعالى يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا قيل هو من قول الكافرين اى ما مراد الله بهذا المثل الذى يعرف به الناس الى ضلالة والى هدى وقيل بل هو خبر من الله عز وجل وهو اشبه لانهم يقولون بالهدى انه من عنده فالمعنى فيضل الله به كثيرا ويهدى به كثيرا اى يوفق ويخذل وعليه فيكون فيه رد على من تقدم ذكرهم من المعتزلة وغيرهم فى قولهم ان الله لا يخلق الضلال ولا الهدى قالوا ومعنى يضل به كثيرا اى بتسميته اى يسميه ضالا كما يقال فسقت فلانا اى يعتقد فاسقا لان الله تعالى لا يضل احدا هذا ظاهر يفهم فى الاضلال وهو خلاف اقاويل المفسرين وهو غير محتمل فى اللغة لانه يقال اضله اذا وجده ضالا ولكن معناه ما ذكره المفسرون اهل التاويل من الحوالة بخذلانه كما امر الناس بجازاة الكفار ولعنهم وما يصليه الفاسقين الذين سبق فى علمه انه يضلهم ولا يجوز ان ينصبهم على الاستثنا لان الاستثنا لا يكون الا بعد تمام الكلام وقال الزجاج الكناية لا تعود على غير مذكور تقدم ما يحتج به عز وجل لخلق خلقه فتضل من تشا وتهدى من تشا قال فقيل له اخبرنا عن هذا الذى اضل من هذا الذى هدى ولا يحتمل ان يكون الا ما ذكرنا فقال ان الله عز وجل يضل بالمثل الذى يضربه من كان فاسقا ويهدى به من كان مؤمنا قوله تعالى وما يضل به الا الفاسقين الفسق فى اللغة الخروج عن الشى يقال فسقت الرطبة اذا خرجت عن قشرها والفارة من جحرها والفويسقة الفارة وفى الحديث خمس يقتلن فى الحل والحرم الحية والغراب الابقع والفارة والكلب العقور والحديا رونه عايشة عن النبى صلى الله عليه وسلم اخرجه مسلم وفى رواية الحرم مكان الحية فاطلق صلى الله عليه وسلم اسم الفسق على ايذايهن فسقا وفسوقا اى عجرفا ما قوله تعالى فى سورة الكتاب ان شا الله وفسق الرجل يفسق ويفسق بالضم اذا فجر وفسوقا اى عجرفا ما قوله تعالى ففسق عن امر ربه قمعنا وخروج وزعم ابن الاعرابى انه لم يسمع فسق فى كلام الجاهلية ولا فى شعرهم فاسق قال وهذا عجب وهو كلام عرفى حكاه عنه ابن فارس والجوهرى قلت قد ذكر ابو بكر بن الانبارى فى كتاب الزاهد له

ما تعلم على معنى الفسق قول الشاعر ٭ يهوين فى نجد وغورا غائرا ٭ فواسقا عن قصدهن جوايرا

والفاسق الدايم الفسق ويقال فى الملازمة فسق يفسق بالكسر ويفسق بالضم والفسق الخروج عن الاستقامة الشرعى الخروج عن طاعة الله عز وجل فقد يقع على من خرج بكفر وعلى من خرج بعصيان قوله تعالى الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه الى قوله الخاسرون فيه سبع مسايل الاولى قوله تعالى الذين فى موضع نصب نعتا للفاسقين وان شئت بجعلته فى موضع رفع على انه خبر ابتدا محذوف اى هم الذين الثانية قوله تعالى ينقضون النقض افساد ما ابرمته من بنا او حبل او عهد او نحوها والنقاضة ما نقض من حبل الشعر والمناقضة فى القول ان يتكلم بما ينقض معناه والنقيضة فى الطبع ما ينقض به والنقض المنقوض واختلف الناس فى تعيين هذا العهد فقيل هو الذى اخذه الله تعالى على بنى ادم عليه السلام حين استخرجهم من صلبه وقيل هو وصية الله تعالى الى خلقه وامره اياهم بما امرهم به من طاعته ونهيه اياهم عما نهاهم عنه من معصيته فى كتبه على السنة رسله ونقضهم ذلك ترك العمل به وقيل بل نصب الادلة على وحدانيته بالسموات والارض وساير الصنعة هو بمنزلة العهد ونقضهم ترك النظر فى ذلك وقيل هو ما عهده الى من اتى الكتاب ان يبينوا نبوة محمد عليه السلام ولا يكتموا امره فالاية على هذا فى اهل الكتاب قال ابو اسحاق الزجاج عهده عز وجل ما اخذه على النبيين ومن اتبعهم ان لا يكفروا بما ان النبى صلى الله عليه وسلم ولا لبد لك واذ اخذ الله ميثاق النبيين الى واخذتم على ذلكم اصرى اى عهدى قلت وظاهر ما قبل وما بعد يدل على انها فى الكفار فهذه خمسة اقوال والقول الثانى يجمعها الثالثة قوله تعالى من بعد ميثاقه الميثاق العهد الموكد باليمين حفعال من الوثاقة والمعاهدة وهى الشدة فى العقد والربط ونحوه والجمع المواثيق على الاصل ميثاق مواثق صارت الواو ياء لانكسار ما قبلها والمياثيق ايضا وانشد ابن الاعرابى

حمى لا يحل الدهر الا باذننا ٭ ولا نسال الا قوام عهد المياثق

والموثق الميثاق والموثقة المعاهدة ومنه قوله تعالى ميثاقه الذى واثقكم به الرابعة قوله تعالى ويقطعون القطع معروف والمصدر فى الرحم القطيعة يقال قطع رحمه قطيعة فهو اجل قطع وقطعة مثال هزءة وقطعت

ثم اليه ترجعون اى الى عذابه مرجعكم لكفركم وقيل الى الحياة والى المسايلة كما قال كما بدانا اول خلق نعيده فاعادتهم
كابتدايهم فهو رجوع وترجعون قراءة الجماعة ويحيى بن يعمر وابن ابى اسحاق ومجاهد وابن محيصن وسلام بن يعقوب
يفتحون حرف المضارعة ويكسرون الجيم حيث وقع **قوله تعالى** هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا فيه عشر
مسايل **الاولى** خلق معناه اخترع واوجد بعد العدم وقد يقال فى الانسان خلق عند انشايه شيا ومنه قول
الشاعر • من كان يخلق ما يقول • فحيلتى فيه قليله •
وقد تقدم هذا المعنى وقال ابن كيسان خلق لكم اى من اجلكم وقيل المعنى ان جميع ما فى الارض منعم به عليكم فهو
لكم وقيل انه دليل على التوحد والاعتبار **قلت** وهذا هو الصحيح على ما نبينه ويجوز ان يكون عنى به ما هم
اليه محتاجون من جميع الاشيا **الثانية** استدل من قال ان اصل الاشيا التى ينتفع بها الاباحة بهذه الاية وما كان
مثلها كقوله وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض الاية حتى يقوم الدليل على الحظر وعضد هذا بان قال ان الماكل
الشهية خلقت مع امكان لا تخلق فلم تخلق عبثا فلا بد لها من منفعة وتلك المنفعة لا يصح رجوعها الى الله
تعالى لاستغنايه بذاته فهى راجعة الينا ومنفعتنا اما فى نيل لذتها او فى اجتنابها لنختبر بذلك او فى اعتبارنا
بها ولا يحصل شى من تلك الامور الا بذوقها فلزم ان تكون مباحة وهذا فاسد لانا لا نسلم لزوم البعث
من خلقها الا المنفعة بل خلقها كذلك لانه لا يجب عليه اصل المنفعة بل هو الموجب ولا نسلم حصر المنفعة فيما ذكروه
ولا حصول بعض تلك المنافع الا بالذوق بل قد يستدل على الطعوم بامور اخر كما هو معروف عند الطبايعيين ثم
هو معارض بما يخاف ان يكون مسموما مهلكه ومعارضون تشبها اصحاب الحظر وتوقف اخرون وقالوا ما من
فعل لا يدرك منه حسنا ولا قبيحا الا ويمكن ان يكون حسنا فى نفسه ولا معين قبل ورود الشرع فتعين الوقف الى
ورود الشرع وهذه الاقاويل الثلاثة للمعتزلة وقد اطلق الشيخ ابو الحسن واصحابه واكثر المالكية والصيرفى
فى هذه المسيلة القول بالوقف ومعناه عندهم ان لا حكم فيها فى تلك الحال وان للشرع اذا جا ان يحكم بما شا وان
العقل لا يحكم بوجوب ولا غيره وانما حظه تعرف الامور على ما هى عليه قال ابن عطية وحكى ابن فورك عن ابن
الصايغ انه قال لم يخل العقل قط من السمع ولا نازلة الا وفيها سمع اولها تعلق به اولها حال تستصحب
قال فينبغى ان يعتمد على هذا ويغنى عن النظر فى حظر واباحة ووقف **الثالثة** الصحيح فى معنى قوله تعالى
خلق لكم ما فى الارض الاعتبار يدل عليه ما قبله وما بعده من نصب العبر الاحيا والاماتة والخلق والاستواء
الى السما وتسويتها اى الذى قدر على احيايكم وخلقكم وخلق السموات والارض لا تبعد منه القدرة على الاعادة
فان قيل ان معنى لكم الانتفاع اى لتنتفعوا بجميع ذلك قلنا المراد بالانتفاع الاعتبار لما ذكرنا فان قيل واى اعتبار
فى العقارب والحيات قلنا قد يتذكر الانسان ببعض ما يرى من الموذيات ما اعد للكفار فى النار من العقوبات
فيكون سببا للايمان وترك المعاصى وذلك اعظم الاعتبار قال ابن العربى وليس فى الاخبار بهذه القدرة
عن هذه الجملة ما يقتضى حظرا ولا اباحة ولا وقفا وانما جا ذكر هذه الاية فى معرض الدلالة والتنبيه ليستدل
بها على وحدانيته وقال ارباب المعانى فى قوله خلق لكم ما فى الارض جميعا لتتقوا به على طاعته لا لتعرفوه
فى وجوه معصيته وقال ابو عثمان وهب لك الكل وسخره لك لتستدل به على سعة وجوده وتسكن الى
ما ضمن لك من جزيل عطايه فى المعاد ولا تستكثر كثير بره على قليل عملك فقد ابتداك بعظيم النعم قبل العمل
وهو التوحيد **الرابعة** روى زيد بن اسلم عن ابيه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان رجلا اتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فساله ان يعطيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عندى شى ولكن ابتع على فاذا جا شى
قضينا فقال له عمر هذا اعطيت اذا كان عندك فما كلفك الله ما لا تقدر فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم
قول عمر فقال رجل من الانصار يا رسول الله انفق ولا تخف من ذى العرش اقلالا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعرف السرور فى وجهه لقول الانصارى ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك امرت قال علماونا رحمة الله
عليهم فخوف الاقلال من سوء الظن بالله لان الله تعالى خلق الارض بما فيها لولد ادم وقال فى تنزيله
خلق لكم ما فى الارض جميعا وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه فهذه الاشيا كلها مسخرة للادمى
قطعا لعذره وحجة عليه ليكون عبدا كما خلقه عبدا فاذا كان العبد حسن الظن بالله لم يخف الاقلال لانه يخلف
عليه كما قال وما انفقتم من شى فهو يخلفه ان ربى غنى كريم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى
سبقت رحمتى غضبى يا ابن ادم انفق انفق عليك يمين الله ملاى سحا لا يغيضها شى الليل والنهار وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من يوم يصبح العباد فيه الا وملكان ينزلان فيقول احدهما اللهم اعط منفقا
خلفا ويقول الاخر اللهم اعط ممسكا تلفا وكذا فى المسا عند الغروب ينادیان ايضا وهذا كله صحيح رواه الايمة
والحمد لله فمن استنار صدره وعلم غنا ربه وكرمه انفق ولم يخف الاقلال وكذلك من ماتت شهواته عن
الدنيا واجترا باليسير من القوت المقيم لمهجته وانقطعت مشيته لنفسه فهذا يعطى من يسره وعسره
ولا يخاف اقلالا وانما يخاف الاقلال من له مشيا فى الاشيا فاذا اعطى اليوم وله غدا مشية فى شى خاف

ان لا يصيب

ان لا يصيب غدا فيضيق عليه الامر فى نفقته اليوم لمخافة اقلاله روى مسلم عن اسما بنت ابى بكر قالت قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انفحى او انضحى او انفقى ولا تحصى فيحصى عليك ولا توعى فيوعى عليك وروى النسائى
عن عايشة قالت دخل على سايل مرة وعندى رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرت له بشى ثم دعوت به فنظرت
اليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما تريدين ان لا يدخل بيتك شى ولا يخرج الا بعلمك قلت نعم قال مهلا
يا عايشة لا تحصى فيحصى الله عليك **الخامسة** قوله تعالى ثم استوى ثم لترتيب الاخبار لا لترتيب الامر فى نفسه
والاستوا فى اللغة الارتفاع والعلو على الشى قال الله تعالى فاذا استويت انت ومن معك على الفلك وقال
لتستووا على ظهوره وقال الشاعر • فاورثهم ماء بفيفاء قفرة • وقد حلق النجم اليمانى فاستوى •
اى ارتفع وعلا واستوت الشمس على راسى واستوت الطير على قمة راسى بمعنى علا وهذه الاية من المشكلات
والناس فيها وفيما شاكلها على ثلاثة اوجه قال بعضهم نقرؤها ونومن بها ولا نفسرها ذهب كثير من الايمة وهذا
كما روى عن مالك رحمه الله ان رجلا ساله عن قوله تعالى الرحمن على العرش استوى قال مالك الاستوى غير مجهول
والكيف غير معقول والايمان به واجب والسوال عنه بدعة واراك رجل سوا اخرجوه وقال بعضهم نقرؤها
ونفسرها على ما يحتمله ظاهر اللغة وهذا قول المشبهة وقال بعضهم نتاولها ونحيل حملها على ظاهرها وقال الفرا
فى قوله عز وجل ثم استوى الى السما فسواهن قال الاستوا فى كلام العرب على وجهين احدهما ان يستوى
الرجل وينتهى شبابه وقوته او يستوى من اعوجاج فهذان وجهان ووجه ثالث ان تقول كان مقبلا على يشاتمنى
والى سوا على معنى اقبل الى وعلى فهذا معنى قوله ثم استوى الى السما والله اعلم قال وقد قال ابن عباس
ثم استوى صعد وهذا كقولك كان قاعدا فاستوى قايما وكان قايما فاستوى قاعدا وكل ذلك فى كلام العرب جايز
قال البيهقى ابو بكر احمد بن على بن الحسين قوله استوى بمعنى اقبل صحيح لان الاقبال هو القصد الى خلق السما
والقصد هو الارادة وذلك جايز فى صفات الله تعالى ولفظه ثم تعلق بالخلق لا بالارادة واما ما حكى عن
ابن عباس فانما اخذه عن تفسير الكلبى والكلبى ضعيف وقال سفيان بن عيينة وابن كيسان فى قوله ثم استوى
الى السما قصد اليها اى بخلقه واختراعه فهذا قول وقيل على دون تكييف ولا تحديد واختاره الطبرى ويذكر عن ابى
العالية الرياحى فى هذه الاية انه قال استوى بمعنى انه ارتفع قال البيهقى ومراده من ذلك والله اعلم ارتفاع
امره وهو بخار الما الذى وقع منه خلق السما وقيل ان المستوى الدخان قال ابن عطية وهذا يا باه وصف الكلام
وقيل المعنى استولى كما قال الشاعر • قد استوى بشر على العراق • من غير سيف ودم مهراق •
قال ابن عطية وهذا انما يجى فى قوله تعالى الرحمن على العرش استوى **قلت** وقد تقدم من قول الفرا على والى بمعنى وسياتى
لهذا الباب مزيد بيان فى سورة الاعراف ان شا الله تعالى والقاعدة فى هذه الاية ونحوها منع الحركة والنقلة
السادسة يظهر من هذه الاية انه سبحانه خلق الارض قبل السما وكذلك فى حم السجدة وقال فى النازعات
اانتم اشد خلقا ام السما بناها فوصف خلقها ثم قال والارض بعد ذلك دحاها فكان السما على هذا خلقت قبل
الارض وقال تعالى الحمد لله الذى خلق السموات والارض وهذا قول قتادة ان السما خلقت اولا حكاه عنه
الطبرى وقال مجاهد والطبرى وغيره من المفسرين انه تعالى ايبس الما الذى كان عرشه عليه فجعله ارضا وثار منه
دخان فارتفع فجعله سما فصار خلق الارض قبل السما ثم قصد امره الى السما فسواهن سبع سموات ثم دحى الارض
بعد ذلك وكانت اذ خلقها غير مدحوة **قلت** وقول قتادة صحيح ان شا الله وهو ان الله تعالى خلق اولا دخانا
للسما ثم خلق الارض ثم استوى الى السما وهى دخان فسواها ثم دحى الارض بعد ذلك ومما يدل على ان الدخان خلق
اولا قبل الارض ما رواه السدى عن ابى مالك وعن ابى صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمدانى وعن ابن مسعود وعن ناس من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله عز وجل هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا ثم استوى الى السما فسواهن
سبع سموات قال ان الله تبارك وتعالى كان عرشه على الما فلما اراد ان يخلق الخلق اخرج من الما دخانا فارتفع فوق
الما فسما عليه فسماه سما ثم ايبس الما فجعله ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها سبع ارضين فى يومين فى الاحد والاثنين
فجعل الارض على حوت والحوت هو النون الذى ذكر الله تبارك وتعالى فى القران بقوله ن والقلم والحوت فى الما على
صفاة والصفاة على ظهر ملك والملك على الصخرة والصخرة فى الريح وهى الصخرة التى ذكر لقمان ليست فى السما
ولا فى الارض فتحرك الحوت فاضطرب فتزلزلت الارض فارسل عليها الجبال فقرت فالجبال تفخر على الارض وذلك
قوله تعالى وجعل لها رواسى ان تميد بكم وخلق الجبال فيها واقوات اهلها وشجرها وما ينبغى لها فى يومين فى
الثلاثا والاربعا وذلك حين يقول اينكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين وتجعلون له اندادا ذلك
رب العالمين وجعل لها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها يقول اقواتها لاهلها فى اربعة ايام
سوا للسايلين يقول من سال فهكذا الامر ثم استوى الى السما وهى دخان وكان ذلك الدخان من تنفس الما حين تنفس
فجعلها سما واحدة ثم فتقها فجعلها سبع سموات فى يومين فى الخميس والجمعة وانما سمى يوم الجمعة لانه جمع فيه
خلق السموات والارض واوحى فى كل سما امرها قال خلق فى سما خلقها من الملايكة والخلق الذى فيها من البحار وجبال

البرد وما لا يعلم ثم زين السما الدنيا بالكواكب فجعلها زينة وحفظا تحفظ من الشياطين فلما فرغ من خلق ما احب
استوى على العرش قال فذلك حين يقول خلق السموات والارض في ستة ايام يقول كانتا رتقا ففتقناهما وذكر
القصة في خلق ادم عليه السلام على ما ياتي بيانه في هذه السورة ان شا الله تعالى وروى وكيع عن الاعمش عن ابي
ظبيان عن ابن عباس قال ان اول ما خلق الله عز وجل من شي القلم فقال اكتب فقال يا رب وما اكتب قال اكتب القدر
قال فجرى بما هو كاين من ذلك اليوم الى قيام الساعة قال ثم خلق النون فدحى الارض عليها فارتفع بخار الما ففتق
منه السموات واضطرب النون فمادت الارض فاثبتت بالجبال فان الجبال تفخر على الارض الى يوم القيامة ففي هذه
الرواية خلق الارض قبل ارتفاع بخار الما الذي هو الدخان خلاف الرواية الاولى والرواية الاولى عنه وعن غيره
اولى لقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها والله اعلم بما فعل فقد اختلفت فيه الاقاويل وليس للاجتهاد فيه
مدخل وذكر ابو نعيم عن كعب الاحبار ان ابليس تغلغل الى الحوت الذي على ظهره الارض كلها فالقى في قلبه فقال
هل تدري ما على ظهرك يا لوثيا من الامم والشجر والدواب والناس والدواب والجبال لو نفضتهم القيتهم عن ظهرك اجمع
قال فهم لوثيا بفعل ذلك فبعث الله دابة فدخلت في منخره فعج الى الله منها فخرجت قال كعب والذي نفسي بيده
انه لينظر اليها بين يديه وتنظر اليه ان هم بشي من ذلك عادت حيث كانت السابعة اصل خلق الاشيا كلها من الما
لما رواه ابن ماجه في سننه وابو حاتم البستي في صحيح مسنده عن ابي هريرة قال قلت يا رسول الله اذا رايتك طابت
نفسي وقرت عيني انبيني عن كل شي قال كل شي خلق من الما فقلت اخبرني بشي اذا عملت به دخلت الجنة قال اطعم
الطعام وافش السلام وصل الارحام وقم الليل والناس نيام تدخل الجنة بسلام قال ابو حاتم قول ابي هريرة
انبيني عن كل شي اراد به عن كل شي خلق من الما والدليل على صحته هذا جواب المصطفى عليه السلام اياه حيث
قال كل شي خلق من الما وان لم يكن مخلوقا وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس انه كان يحدث ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ان اول شي خلقه الله القلم وامره فكتب كل شي يكون ويروى ذلك ايضا عن عبادة بن الصامت مرفوعا
قال البيهقي وانما اراد والله اعلم اول شي خلقه بعد خلق الما والريح والعرش والقلم وذلك بين في حديث عمران
ابن حصين ثم خلق السموات والارض وذكر عبد الرزاق عن عمر بن حبيب المكي عن حميد بن قيس الاعرج عن طاوس
قال جا رجل الى عبد الله بن عمرو بن العاصي فساله مم خلق الخلق قال من الما والنور والظلمة والريح والتراب قال
الرجل فمم خلق هولا قال لا ادري قال ثم اتى الرجل عبد الله بن الزبير فساله فقال مثل قول عبد الله بن عمرو قال
فاتى الرجل عبد الله بن عباس فساله فقال مم خلق الخلق قال من الما والنور والظلمة والريح والتراب قال الرجل
فمم خلق هولا فتلى عبد الله بن عباس وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه فقال الرجل ما كان لياتي
بهذا الا رجل من اهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم قال البيهقي اراد ان مصدر الجميع منه اي من خلقه وابداعه واختراعه
خلق الما اولا او الما وما شا من خلقه لا عن اصل ولا على مثال سبق ثم جعله اصلا لما خلق بعد فهو المبدع وهو البارى
لا اله غيره ولا خالق سواه سبحانه جل وعز الثامنة قوله تعالى فسواهن سبع سموات ذكر تعالى ان السموات سبع
ولم يات للارض في التنزيل عدد صريح ولا يحتمل التاويل الا قوله تعالى ومن الارض مثلهن وقد اختلف فيه فقيل
ومن الارض مثلهن اي في العدد لان الكيفية والصفة مختلفة بالمشاهدة والاخبار فتعين العدد وقيل ومن
الارض مثلهن اي في غلظهن وما بينهن وقيل هي سبع الا انه لم يفتق بعضها من بعض قاله الداودي والصحيح
الاول وانها سبع كالسموات السبع روى مسلم عن سعيد بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من اخذ شبرا من الارض ظلما طوقه الى سبع ارضين وعن عايشة مثله الا ان فيه من بدل الى ومن حديث ابي
هريرة لا ياخذ احد شبرا من الارض بغير حقه الا طوقه الله الى سبع ارضين وروى النساي عن ابي سعيد الخدري
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال موسى عليه السلام يا رب علمني شيا اذكرك به وادعوك به قال يا موسى
قل لا اله الا الله قال موسى يا رب كل عبادك يقول هذا قال قل لا اله الا الله قال لا اله الا انت انما اريد
شيا تخصني به قال يا موسى لو ان السموات السبع وعامرهن غيري والارضين السبع في كفة ولا اله الا الله
في كفة مالت بهن لا اله الا الله وروى الترمذي عن ابي هريرة قال بينما نبي الله صلى الله عليه وسلم جالس واصحابه
اذ اتى عليهم سحاب فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون ما هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال
هذا الغيان هذه زوايا الارض يسوقها الله الى قوم لا يشكرونه ولا يدعونه ثم قال هل تدرون ما فوقكم قالوا
الله ورسوله اعلم قال فانها الرقيع سقف محفوظ وموج مكفوف ثم قال هل تدرون ما بينكم وبينها قالوا
الله ورسوله اعلم قال بينكم وبينها خمسماية عام ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك قالوا الله ورسوله اعلم
قال سماين بعد ما بينهما خمسماية سنة ثم قال كذلك حتى عد سبع سموات ما بين كل سماين ما بين السما والارض
ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال ان فوق ذلك العرش وبينه وبين السما بعد
ما بين السماين ثم قال هل تدرون ما الذي تحتكم قالوا الله ورسوله اعلم قال انها الارض ثم قال هل تدرون
ما تحت ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال ان تحتها ارضا اخرى بينهما مسيرة خمسماية عام حتى عد سبع ارضين

بين

بين كل ارضين مسيرة خمسماية سنة ثم قال والذي نفس محمد بيده لو انكم دليتم بحبل على الارض السفلى لهبط
على الله ثم قرا هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شي عليم قال ابو عيسى قراة رسول الله صلى الله عليه
وسلم الاية تدل على انه اراد لهبط على علم الله وقدرته وسلطانه في كل مكان وهو على عرشه كما وصف نفسه
في كتابه قال هذا حديث غريب والحسن لم يسمع من ابي هريرة والاثار بان الارضين سبع كثيرة وفيما
ذكرنا كفاية وقد روى ابو الضحى واسمه مسلم عن ابن عباس انه قال الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض
مثلهن قال سبع ارضين في كل ارض نبي كنبيكم وادم كادم ونوح كنوح وابراهيم كابراهيم وعيسى كعيسى قال
البيهقي اسناد هذا عن ابن عباس صحيح وهو شاذ بمرة لا اعلم لابي الضحى عليه دليلا والله اعلم التاسعة
قوله تعالى هو الذي خلق لكم ابتدا وخبر ما في موضع نصب جميعا عند سيبويه نصب على الحال ثم استوى اهل نجد
يميلون ليدلوا على انه من ذوات اليا واهل الحجاز يفخمون سبع منصوب على البدل من الها والنون اي فسوى
سبع سموات كما قال الله جل وعز واختار موسى قومه اي من قومه قاله النحاس وقال الاخفش انتصب على
الحال وهو بكل شي عليم ابتدا وخبر والاصل في هو تحريك الها والاسكان استخفاف والسما تكون واحدة
مونثة مثل عنان وتذكيرها شاذ وتكون جمعا لسماوة في قول الاخفش وسماة في قول الزجاج وجمع الجمع
سموات وسماات فجا سواهن اما على ان السما جمع واما على انها مفرد اسم جنس ومعنى سواهن سوى
سطوحهن بالامتلاس وقيل جعلهن سوا العاشرة قوله تعالى وهو بكل شي عليم اي بما خلق وهو خالق
كل شي فوجب ان يكون عالما بكل شي وقد قال الا يعلم من خلق فهو العالم والعليم بجميع المعلومات بعلم
قديم ازلي واحد قايم بذاته ووافقنا المعتزلة على العالمية دون العلمية وقالت الجهمية عالم بعلم قايم
لا في محل تعالى الله عن قول اهل الزيغ والضلال والرد على هولا في كتب الديانات وقد وصف نفسه
سبحانه بالعلم فقال انزله بعلمه والملايكة يشهدون وقال فاعلموا انما انزل بعلم الله وقال فلنقصن
عليهم بعلم وقال وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه وقال وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وسندل
على ثبوت علمه وساير صفاته في هذه السورة عند قوله يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ان شا
الله تعالى وقرا الكسائي وقالون عن نافع باسكان الها من هو وهي اذا كان قبلها فا او واو او لام او ثم وكذلك
فعل ابو عمرو الا مع ثم وزاد ابو عون عن الحلواني عن قالون اسكان الها من ان يمل هو الباقون بالتحريك
قوله تعالى واذ قال ربك للملايكة اني جاعل في الارض خليفة فيه سبع عشرة مسيلة الاولى واذ قال ربك
للملايكة اذ واذا حرفا توقيت فاذ للماضي واذا للمستقبل وقد توضع احداهما موضع الاخرى وقال المبرد
اذا جا اذ مع مستقبل كان معناه ماضيا نحو قوله واذ يمكر بك واذ تقول للذي انعم الله عليه معناه اذ مكروا
واذ قلت واذا جا اذا مع الماضي كان معناه مستقبلا كقوله فاذا جات الطامة واذا جات الصاخة
واذا جا نصر الله اي يجي وقال معمر بن المثنى ابو عبيدة اذ زايدة والتقدير وقال ربك واستشهد بقول
الاسود بن يعفر • فاذ وذلك لا مهاة لذكره • والدهر يعقب صالحا بفساد •
وانكر هذا القول الزجاج والنحاس وجميع المفسرين قال النحاس وهذا خطا لان اذ اسم وهي ظرف زمان
ليس مما تراد وقال الزجاج هذا اجترام من ابي عبيدة ذكر الله عز وجل خلق الناس وغيرهم فالتقدير وابتدا
خلقكم اذ قال فكان هذا من المحذوف الذي دل عليه الكلام كما قال
• فان المنية من يخشها • فسوف تصادفه اينما •
يريد اينما ذهب ويحتمل ان تكون متعلقة بفعل مقدر تقديره واذكر اذ قال وقيل هو مردود الى قوله تعالى
اعبدوا ربكم الذي خلقكم فالمعنى الذي خلقكم اذ قال ربك للملايكة وقول الله تعالى وخطابه للملايكة متقرر
قديم في الازل بشرط وجودهم وفهمهم وهكذا الباب كله في اوامر الله تعالى ونواهيه ومخاطباته وهذا
مذهب الشيخ ابو الحسن الاشعري وهو الذي ارتضاه ابو المعالي وقد اتينا عليه في كتاب الاسنا في شرح اسما
الله الحسنى وصفاته العلى والرب المالك والسيد والمصلح والجابر وقد تقدم بيانه الثانية قوله تعالى
للملايكة الملايكة واحدها ملك قال ابن كيسان وغيره وزن ملك فعل من الملك وقال ابو عبيدة مفعل
من لاك اذا ارسل والالوكة والمالكة والمالكة الرياسة قال لبيد
• وغلام ارسلته امه • بالوك فبذلنا ما سال •
وقال اخر • ابلغ النعمان عني مالكا • انه قد طال حبسي وانتظاري •
ويقال الكني اي ارسلني فاصله على هذا ميلك الهمزة فا الفعل لكنهم قلبوها الى عينه فقالوا مليك ثم
سهلوه فقالوا ملك وقيل اصله مليك من ملك يملك نحو شميل من شمل فالهمزة زايدة عن ابن كيسان ايضا
وقد ياتي في الشعر على الاصل قال الشاعر
• فلست لانسي ولكن لمليك • تنزل من جو السما يصوب •

هو م

وقالا الضمير من ثميمل لا يتفقان في المآل عند الجهاد والحاق الملائكة تأكيد لتناول الجمع ومثله الصلاة دمة
والصلاة دم الخيل الشداد واحدها صلادمة وقيل هو للمبالغة كعلامة ونسابة وقال الزجاج المعنى خاطب
الله الملائكة لا للمشورة فلكن لا مشخراج ما بينهم من رؤية الحركات والعبادة والتسبيح والتقديس بتردد
الى قيامهم الخ الغرض حجل اسجد والادم الثالثة قول تعالى اني جاعل في الارض خليفة جاعل هنا بمعنى خالق وذكر
الطبري عن ابي روق ويقضي ذلك لعديدها الى مفعولين واحد وقد تقدم والارض قيل الخاصة مكة وروى ابن سابط
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال دحيت الارض من مكة ولذلك سميت ام القرى قال وقيل روح ومفوض وصالح وشعيب
بين زمزم والركن والمقام وخليفة تكون بمعنى فاعل اي يخلف من كان قبله من الملائكة في الارض ومن كان يخلفه
من غير الملائكة على ما روى ويجوز ان يكون خليفة بمعنى مفعولا اي مخلوف كما يقال الخليفة ذبيحة بمعنى مفعولة ه
والخلف بالتحريك من الصالحين وبتسكينها من الطالحين هذا هو المعروف وسيأتي له مزيد بيان في الاعراف
ان الله اختار خليفة بالقاف الجماعة الازيد بن علي فانه قرأ خليفة بالفاء والمعنى بالخليفة هنا في قول ابن مسعود
وابن عباس وجميع اهل التناول لادم عليه السلام وهو خليفة الله في امضاء احكامه وانما سمي رسول الارض
كما في حديث ابي ذر قلت يا رسول الله انبيا كان مرسلا قال نعم الحديث وتقال لمن كان رسولا ولم يكن في الارض احد
فيقال كان رسولا الى ولده وكانوا اربعين ولدا في عشرين بطنا في كل بطن ذكر وانثى وتوالدوا حتى كثروا كما قال
الله تعالى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء وانما امره لانه اول رسول الى الارض
وحكم الخنزير وعاش بضع مائة وثلاثين سنة هكذا ذكر اهل التوراة وروى عن وهب بن منبه انه عاش الف سنة
الرابعة هذه الآية اصل في نصب امام وخليفة يسمع له ويطاع لتجتمع به الكلمة وتنفذ به احكام الخليفة
ولا خلاف في وجوب ذلك بين الامة ولا بين الائمة الا ما روى عن الاصم حيث كان عن الشريعة اصم وكذلك
كل من قال بقوله واتبعه على رأيه ومذهبه قالوا انها غير واجبة في الدين بل يسوغ في ذلك وان الامة متى اقاموا
حجهم وجهادهم وتناصفوا فيما بينهم وعدلوا الحق من انفسهم وتسنموا العدائم والقوى والصدقات على اهلها ه
واقاموا الحدود على من وجبت عليه اجزاهم ذلك ولا يجب عليهم ان ينصبوا اماما يتولى ذلك وكيلنا قول الله تعالى
اني جاعل في الارض خليفة وقوله يا داود انا جعلناك خليفة في الارض قالوا وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات
ليستخلفنهم في الارض اي يجعل منهم خلفا الى غير ذلك من الاي واجمعت الصحابة على تقديم الصديق بعد
اختلاف وقع بين المهاجرين والانصار في سقيفة بني ساعدة في التعيين حتى قالت الانصار منا امير ومنكم امير
فدفعهم ابو بكر وعمر والمهاجرون عن ذلك وقالوا لهم ان العرب لا تدين الا لهذا الحي من قريش وروا لهم الخبر
في ذلك فرجعوا واطاعوا لقريش فلو كان فرض الامامة غير واجب الا في قريش ولا في غيرهم لما ساغت هذه
المناظرة والمحاورة عليها ولقال قائل انها ليست بواجبة لا في قريش ولا في غيرهم فما لنا نزاعكم وجه ولا فائدة
في امر ليس بواجب شم ان الصديق رضي الله عنه لما حضرته الوفاة عهد الى عمر في الامامة ولم يقل له احد هذا امر
غير واجب علينا ولا عليك فدل على وجوبها والحاركن من اركان الدين الذي به قوام المسلمين والحمد لله رب العالمين
وقالت الرافضة يجب نصبه عقلا وان السمع انما ورد على جهة التاكيد لمقتضية العقل فامامة الامام
فان ذلك مدرك من جهة السمع دون العقل وهذا فاسد لان السمع العقل لا يوجب ولا يحظر ولا يقبح ولا يحسن
واذا كان كذلك ثبت انها واجبة من جهة العقل وهذا واضح فان قيل وهي الخامسة اذا
سلم ان طريق وجوب الامامة السمع فخبرونا هل يجب من جهة السمع بالنص على الامام من جهة الرسول صلى الله عليه
وسلم ام من جهة اختيار اهل الحل والعقد له امر كما خصائص الامة فيه ودعا به مع ذلك الى نفسه كما فعل فالجواب
ان يقال اختلف الناس في هذا الباب فذهبت الامامية وغيرها الى ان الطريق الذي يعرف به الامام هو النص
من الرسول عليه السلام ولا مدخل للاختيار فيه وعندنا النظر طريق الى معرفة الامام واجماع اهل الاجتهاد طريق
ايضا اليه وهو الذين قالوا لا طريق اليه الا النص بنوه على اصلهم ان القياس والرأي والاجتهاد باطل لا يعرف به
شيء اصلا واسقطوا القياس اصلا وفرعا ثم اختلفوا على ثلاث فرق فرقة تدعي النص على ابي بكر وفرقة تدعي النص
على العباس وفرقة تدعي النص على علي بن ابي طالب رضي الله عنه والدليل على فقد النص وعدمه على اماميه
هو انه صلى الله عليه وسلم لو فرض على الامة طاعة امام بعينه بحيث لا يجوز العدول عنه الى غيره لعلم ذلك ضرورة
تكليف الامة باشرها طاعة الله في غير معين ولا سبيل لهم الى العلم بذلك التكليف واذا وجب العلم به لم
يخل ذلك العلم من ان يكون طريقه ادلة العقول او الخبر وليس في العقل ما يدل على ثبوت الامامة لشخص معين ه
وكذلك ليس في الخبر ما يوجب العلم بثبوت امام معين لان ذلك الخبر اما ان يكون تواترا او احادا وجب العلم ضرورة
او استدلالا او يكون من اخبار الاحاد ولا يجوز ان يكون طريقهم التواتر الموجب للعلم ضرورة او دلالة اذ لو كان كذلك
لكان كل مكلف يجد من نفسه العلم بوجوب الطاعة لذلك المعين وان ذلك من دين الله عليه كما ان كل مكلف يعلم
من دين الله الواجب عليه خمس صلوات وصوم رمضان وحج البيت ونحوها ولا احد يعلم ذلك من نفسه ضرورة

فبطل

فبطل هذه الدعوى وبطل ان يكون معلوما باخبار الاحاد لاستحالة وقوع العلم به وايضا فانه لو وجب المصير الى نقل
النص على الامام بما ذكره لوجب النقل على ابي بكر والعباس لان كلا منهما ينقلون النص جليا في امامته واذا
بطل اثبات الثلاثة بالنص في وقت واحد علم بما بقي بيانه كذلك لو احد اذ ليس احد الفرق اولى بالنص من الاخر واذا
بطل ثبوت النص لعدم الطريق الموصل اليه ثبت الاختيار والاجتهاد فان الصحابة مستقلون عادلون والتواتر
او العلم الضروري بالنص فيه بقاء بلوا على الفور ونقيض عوامهم في النص على ابي بكر وباخباره في ذلك كثرة يفوم
بها من جملتها مقام النص الصريح لاشتراك الجميع في نفي النص وهم الخلق الكثير والجم الغفير
والعلم الضروري لا يجتمع على نفيه من يخطر عن معشار اعداد مخالفي الامامية ولو جاز ردا الضروري في مثل هذا لجاز ان يكذب
طايفة بغداد والبصرة الاقصى وغيرها السادسة في رد الاحاديث التي احتج بها الامامية في النص على علي رضي
الله عنه وان الامة كفرت بهذا النص وارتدت خالفت امر الرسول عناد امنها قوله عليه السلام من كنت
مولاه فعلي مولاه اللهم والمن والاه وعاد من عاداه قالوا والمولى في اللغة بمعنى اولى فلما قال فعلي مولاه بمالتغيب
علم ان المراد بقوله مولى انه احق واولى فوجب ان يكون اراد بذلك الامامة وانه مفترض الطاعة وقوله لعلي انت
مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي قالوا ومنزلة هارون معروفة وهو انه كان مشاركا له في النبوة
ولم يكن ذلك لعلي وكان خلافه ولم يكن ذلك لعلي وكان خليفة فعلم ان المراد به الخلافة الى غير ذلك مما احتجوا به
على ما يأتي ذكره في هذا الكتاب ان شاء الله تعالى والجواب عن الحديث الاول انه ليس بمتواتر وقد اختلف في
صحته وقد طعن فيه ابو داود السجستاني وابو حاتم الرازي واستدلا على بطلانه بان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لجمينة ومزينة وغفار واسلم مولى دون الناس كلهم ليس لهم مولى دون الله ورسوله قالوا فلو كان قد قال
من كنت مولاه فعلي مولاه لكان احد الخبرين كذبا جواب قال وهو ان الخبر وان كان صحيحا رواه ثقة عن ثقة
فليس فيه ما يدل على امامته وانما يدل على فضيلته وذلك ان المولى بمعنى الولي فيكون معنى الخبر من كنت وليه
فعلي وليه قال الله تعالى قال الله هو مولاه اي وليه فكان المقصود من الخبر ان يعلم الناس ان ظاهر علي
كباطنه وذلك فضيلة عظيمة لعلي جواب ثالث وهو ان هذا الخبر ورد على سبب وذلك ان اسامة وعليا
اختصما فقال علي لاسامة انت مولاي فقال بل انت مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر
للنبي صلى الله عليه وسلم فقال من كنت مولاه فعلي مولاه وجواب رابع وهو ان عليا عليه السلام لما قال للنبي
صلى الله عليه وسلم في قصة الافك في عايشة رضي الله عنها انساسواها كثير شوذلك عليها فوجدا هل
النفاق مجالا قطعوا عليه واظهروا البراءة منه فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا المقال رد القولهم وتكذيبا فيما اقدموا
عليه من البراءة منه والطعن فيه وهذا مما روى عن جماعة من الصحابة انهم قالوا ما كنا نعرف المنافقين على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ببغضهم لعلي عليه السلام واما الحديث الثاني فلا خلاف ان النبي صلى الله عليه وسلم
لم يرد بمنزلة هارون من موسى الخلافة بعده ولا خلاف ان هارون مات قبل موسى عليها السلام على ما يأتي
من بيان وفاته كما في سورة المائدة وما كان خليفة بعده وانما كان خليفة يوشع بن نون فلو اراد يقوله انت
مني بمنزلة هارون من موسى الخلافة لقال انت مني بمنزلة يوشع من موسى فلما لم يقل هذا دل على انه لم يرد
هذا وانما اراد اني استخلفتك على اهلي في حياتي وغيبوبتي عن اهلي كما كان هارون خليفة موسى على قومه
لما خرج الى المناجاة ربه وقد قيل ان هذا الحديث خرج على سبب وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج الى غزاة
تبوك استخلف عليا عليه السلام في المدينة على اهله وقومه فارجف اهل النفاق وقالوا انما خلفه بغضا وقلى
له فخرج على فلحق بالنبي صلى الله عليه وسلم وقال له ان المنافقين قالوا كذا وكذا فقال كذبوا بل خلفتك
كما خلف موسى هارون وقال اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى واذا ثبت انه اراد الاستخلاف
على عمهم فقد شارك عليا في هذه الفضيلة غيره لان النبي صلى الله عليه وسلم استخلف في كل غزاة غزاها رجلا من
اصحابه منهم ابن ام مكتوم ومحمد بن مسلمة وغيرهما من اصحابه على ان مدار هذا الحديث على سعد بن ابي وقاص وهو
خبر واحد وروى في مقابلته لابي بكر وعمر ما هو اولى منه روى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما انفذ معاذ بن جبل
الى اليمن قيل له لا تنفذ ابا بكر وعمر فقال لا تمهما لا اغنى عنهما ان منزلتهما من الراس بمنزلة السمع والبصر
وقال مما وزيراي في اهل الارض وروى عنه عليه السلام انه قال ابو بكر وعمر بمنزلة هارون من موسى وهذا
الخبر ورد ابتدا وخبر على ورد على سبب فوجب ان يكون ابو بكر اولى منه بالامامة والله اعلم السابعة
واختلف فيما يكون به الامام امام وذلك ثلاث طرق احدها النص وقد تقدم الخلاف فيه وقال
به ايضا الحنابلة وجماعة من اصحاب الحديث والحسن البصري وبكر بن اخت عبد الواحد واصحابه وطايفة
من الخوارج وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم نص على ابي بكر بالاشارة وابو بكر على عمر فاذا ثبت النص المستفاد على واحد
معين كما فعل الصديق او على جماعة كما فعل عمر وهو الطريق الثاني ويكون التخيير اليهم في تعيين واحد منهم
كما فعل الصحابة رضي الله عنهم الطريق الثالث اهل الحل والعقد وذلك ان الجماعة في مصر من امصار المسلمين

اذا مات امامهم ولم يكن لهم امام ولا استخلف فاقام اهل ذلك المصر الذي هو حضرة الامام وموضعه اماما
لانفسهم اجتمعوا عليه ورضوه فان كل من خلفهم وامامهم من المسلمين في الافاق يلزمهم الدخول في طاعة ذلك
الامام اذا لم يكن معلنا بالفسق والفساد لانها دعوة تجب اجابتها ولا يسع احدا التخلف عنها لما في اقامة امامين
من اختلاف الكلمة وفساد ذات البين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث لا يغل عليهن قلب مومن اخلاص
العمل لله ولزوم الجماعة ومناصحة ولاة الامر فان دعوة المسلمين من ورايهم محيطة الثامنة فان عقدها
واحد من اهل الحل والعقد فذلك ثابت ويلزم الغير فعله خلافا لبعض الناس حيث قال لا ينعقد الا بجماعة
من اهل الحل والعقد ودليلنا ان عمر رضي الله عنه عقد البيعة لابي بكر ولم ينكر احد من الصحابة ذلك
ولانه عقد فوجب ان لا يفتقر الى عدد يعقدونه كساير العقود قال الامام ابو المعالي من انعقدت
له الامامة بعقد واحد فقد لزمت ولا يجوز خلعه من غير حدث وتغير امر قال وهذا مجمع عليه التاسعة
فان تغلب من له اهلية الامامة واخذها بالقهر والغلبة فقد قيل ان ذلك يكون طريقا رابعا وقد سيل سهل
ابن عبد الله التستري ما يجب علينا لمن غلب على بلادنا وهو امام قال تجيبه وتودي اليه ما يطالبك من حقه
وتنكر فعاله ولا تنفر منه واذا ايتمنك على سر من امر الدين لم تفشه وقال ابن خويز منداد ولو وثب
على الامر من يصلح له من غير مشورة ولا اختبار وبايع له الناس تمت له البيعة العاشرة واختلف في الشهادة
على عقد الامامة فقال بعض اصحابنا انه لا يفتقر الى الشهود لان الشهادة لا تثبت الا بسمع قاطع
وليس هاهنا سمع قاطع يدل على اثبات الشهادة ومنهم من قال يفتقر الى شهود فمن قال بهذا احتج بان قال
لو لم تعقد فيه الشهادة ادى الى ان يدعي كل مدع انه عقد له سرا ويودي الى الهرج والفتنة فوجب ان تكون
الشهادة معتبرة ويكفي فيها شاهدان خلافا للجبائي حيث قال باعتبار اربعة شهود وعاقد ومعقود له لان
عمر حيث جعلها شورى في ستة دل على ذلك ودليلنا انه لا خلاف بيننا وبينه ان شهادة الاثنين معتبرة
وما زاد مختلف فيه ولم يدل عليه الدليل فيجب ان لا يعتبر الحادية عشرة في شرايط الامام وهي احد عشر
الاول ان يكون من صميم قريش لقوله صلى الله عليه وسلم الايمة من قريش وقد اختلف في هذا الثاني ان يكون
ممن يصلح ان يكون قاضيا من قضاة المسلمين مجتهدا لا يحتاج الى غيره في الاستفتا في الحوادث وهذا
متفق عليه الثالث ان يكون ذا خبرة وراي حصيف بامر الحرب وتدبير الجيوش وسد الثغور وحماية
البيضة وردع الامة والانتقام من الظالم والاخذ للمظلوم الرابع ان يكون ممن لا يلحقه رقة في اقامة
الحدود ولا فزع من ضرب الرقاب ولا قطع الابشار والدليل على هذا كله اجماع الصحابة رضي الله عنهم لانه
لا خلاف بينهم انه لا بد من ان يكون ذلك كله مجتمع فيه ولانه هو الذي يولي القضاة والحكام وله ان يباشر
الفصل والحكم ويتفحص امور خلفائه وقضاته ولن يصلح لذلك كله الا من كان عالما بذلك كله قيما به الخامس
ان يكون حرا ولا خفا في اشتراط حرية الامام واسلامه وهو السادس السابع ان يكون ذكرا سليم الاعضاء
وهو الثامن واجمعوا على ان المراة لا يجوز ان تكون اماما وان اختلفوا في جواز كونها قاضية فيما تجوز
شهادتها فيه التاسع والعاشر ان يكون بالغا عاقلا ولا خلاف في ذلك الحادي عشر ان يكون عدلا لانه
لا خلاف بين الامة انه لا يجوز ان يعقد الامامة لفاسق ويجب ان يكون من افضلهم في العلم لقوله
عليه السلام ايمتكم شفعاوكم فانظروا بمن تستشفعون وفي التنزيل في وصف طالوت ان الله اصطفاه
عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم فبدا بالعلم ثم ذكر ما يدل على القوة وسلامة الاعضا وقوله اصطفاه
معناه اختاره وهذا يدل على شرط النسب وليس من شرطه ان يكون معصوما من الزلل والخطايا ولا عالما
بالغيب ولا افرس الامة ولا اشجعهم ولا ان يكون من بني هاشم فقط دون غيرهم من قريش فان الاجماع قد
انعقد على امامة ابي بكر وعمر وعثمان وليسوا من بني هاشم الثانية عشرة يجوز نصب المفضول مع وجود
الافضل خوف الفتنة وان لا يستقيم امر الامة وذلك ان الامام انما نصب لدفع العدو وحماية البيضة
وسد الخلل واستخراج الحقوق واقامة الحدود وجباية الاموال لبيت المال وقسمتها على اهلها فاذا خيف
باقامة الافضل الهرج والفساد وتعطيل الامور التي لاجلها ينصب الامام كان ذلك عذرا ظاهرا في العدول
عن الفاضل الى المفضول ويدل على ذلك ايضا علم عمر وساير الامة وقت الشورى بان الستة فيهم فاضل
ومفضول وقد اجاز العقد لكل واحد منهم اذا ادى المصلحة الى ذلك واجتمعت كلمتهم عليه من غير انكار
احد عليه الثالثة عشرة الامام اذا نصب ثم فسق بعد انبرام العقد فقال الجمهور انه تنفسخ امامته
ويخلع بالفسق الظاهر المعلوم لانه قد ثبت ان الامام انما يقام لاقامة الحدود واستيفا الحقوق وحفظ
اموال الايتام والمجانين والنظر في امورهم الى غير ذلك مما تقدم ذكره وما فيه من الفسق يقعده عن القيام
بهذه الامور والنهوض فيها فلو جوزنا ان يكون فاسقا ادى الى ابطال ما اقيم لاجله الا ترى في الابتداء
انما لم يجز ان يعقد للفاسق لاجل انه يودي الى ابطال ما اقيم له وكذلك هذا مثله وقال اخرون لا ينخلع

الا بالكفر

الا بالكفر او بترك اقامة الصلاة او بترك الدعا اليها او شي من الشريعة لقوله عليه السلام في حديث عبادة وان
تنازع الامر اهله الا ان تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان وفي حديث ابن مالك لا ما اقاموا فيكم الصلاة
الحديث اخرجه مسلم وعن ام سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انه يستعمل عليكم امرا فتعرفون وتنكرون
فمن كره فقد برى ومن انكر فقد سلم ولكن من رضي وتابع قالوا يا رسول الله الا نقاتلهم قال لا ما صلوا
اي من كره بقلبه وانكر بقلبه اخرجه ايضا مسلم الرابعة عشرة ويجب عليه ان يخلع نفسه اذا وجد في نفسه
نقصا يوثر في الامامة فاما اذا لم يجد نقصا فهل له ان يعزل نفسه ويعقد لغيره اختلف الناس فيه
فمنهم من قال ليس له ان يفعل ذلك وان فعل لم تنخلع امامته ومنهم من قال له ان يفعل ذلك والدليل
على ان الامام اذا عزل نفسه انعزل قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه اقيلوني اقيلوني وقول الصحابة
لا نقيلك ولا نستقيلك قدمك رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا فمن ذا يوخرك رضيك رسول الله
لديننا فلا نرضاك فلو لم يكن له ان يفعل ذلك لانكرت الصحابة ذلك عليه ولقالت له ليس لك ان تقول هذا وليس
لك ان تفعله فلما اقرته الصحابة على ذلك علم ان للامام ان يفعل ذلك ولان الامام ناظر للغير فيجب ان يكون
حكمه حكم الوكيل اذا عزل نفسه فان الامام هو وكيل الامة ونايب عنها ولما اتفق على ان الوكيل والحاكم وجميع
من ناب عن غيره في شي له ان يعزل نفسه كذلك الامام يجب ان يكون مثله والله اعلم الخامسة عشرة
اذا انعقدت الامامة باتفاق اهل الحل والعقد او بواحد على ما تقدم وجب على الناس كافة مبايعته على السمع
والطاعة واقامة كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومن تابى عن البيعة لعذر عذر ومن تابى
لغير عذر جبر وقهر لئلا تفترق كلمة المسلمين واذا بويع لخليفتين فاقتلوا الاخر منهما رواه ابو سعيد
الخدري اخرجه مسلم وفي حديث عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سمعه من يقوله ومن بايع
اماما فاعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليعطه ان استطاع فان جا اخر ينازعه فاضربوا عنق الاخر رواه
مسلم ايضا ومن حديث عريجة فاضربوه بالسيف كاينا من كان وهذا ادل دليل على منع اقامة امامين
ولان ذلك يودي الى النفاق والمخالفة والشقاق وحدوث الفتن وزوال النعم لكن ان تباعدت الاقطار
وتباينت كالاندلس وخراسان جاز ذلك على ما ياتي بيانه ان شا الله تعالى السادسة عشرة لو خرج
خارجي على امام معروف العدالة وجب على الناس جهاده فان كان الامام فاسقا والخارجي مظهر للعدل لم ينبغ
للناس ان يسرعوا الى نصرة الخارجي حتى يتبين امره فيما يظهر من العدل وتتفق كلمة الجماعة على خلع الاول
وذلك ان كل من طلب هذا الامر اظهر من نفسه الصلاح حتى اذا تمكن رجع الى عادته من خلاف ما ظهر السابعة
عشرة فاما اقامة امامين او ثلاثة في عصر واحد وبلد واحد فلا يجوز اجماعا لما ذكرناه والموفق الا له قال
الامام ابو المعالي ذهب اصحابنا الى منع عقد الامامة لشخصين في طرفي العالم ثم قالوا لو اتفق عقد
الامامة لشخصين نزل ذلك منزلة تزويج وليين امراة واحدة من زوجين من غير ان يشعر احدهما بعقد
الاخر قال والذي عندي فيه ان عقد الامامة لشخصين في صقع واحد متضايق الخطط والمخاليف غير
جايز وقد حصل الاجماع عليه فاما اذا بعد المدى وتخلل بين الامامين شسوع النوى فللاحتمال في ذلك
مجال وهو خارج عن القواعد وكان الاستاذ ابو اسحاق يجوز ذلك في اقليمين متباعدين غاية التباعد
لئلا تتعطل حقوق الناس واحكامهم وذهبت الكرامية الى جواز نصب امامين من غير تفصيل ويلزمهم
اجازة ذلك في بلد واحد وصاروا الى ان عليا ومعاوية كانا امامين قالوا واذا كانا اثنين في بلدين او
او ناحيتين كان كل واحد منهما اقوم بما في يديه واضبط لما يليه ولانه لما جازت بعثة نبيين في عصر واحد
ولم يود ذلك الى ابطال النبوة كانت الامامة اولى ولا يودي ذلك الى ابطال الامامة ان ذلك جايز لولا
منع الشرع منه لقوله فاقتلوا الاخر منهما ولان الامة مجمعة عليه واما معاوية فلم يدع الامامة
لنفسه وانما ادعى ولاية الشام بتولية من قبله من الايمة ومما يدل على هذا اجماع الامة في عصرهما على
ان الامام احدهما ولا قال احدهما اني امام ومخالفي امام فان قالوا العقل لا يحيل ذلك وليس في السمع
ما يمنع منه قلنا اقوى السمع الاجماع قوله تعالى قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها قد علمنا قطعا ان الملايكة
لا تعلم الا ما اعلمت ولا تسبق بالقول وذلك عام في جميع الملايكة لان قوله لا يسبقونه بالقول خرج على جهة
المدح لهم فكيف قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها فقيل المعنى انهم لما سمعوا لفظ خليفة فهموا ان في بني ادم
من يفسد اذ الخليفة المقصود منه الاصلاح وترك الفساد لكن عمموا الحكم على الجميع بالمعصية فبين
الرب تعالى ان فيهم من يفسد ومن لا يفسد فقال تطييبا لقلوبهم اني اعلم وحقق ذلك بان علم ادم الاسما
وكشف لهم عن مكنون علمه وقيل ان الملايكة قد رات وعلمت ما كان من افساد الجن وسفكهم الدما وذلك
لان الارض كان فيها الجن قبل خلق ادم فافسدوا وسفكوا الدما فبعث الله تعالى اليهم ابليس في جند من
الملايكة فقتلهم والحقهم بالبحار وروس الجبال فمن حينيذ دخلته العزة فجا قولهم اتجعل فيها على جهة

الحاكم صح

والجواب صح

الاستفهام المحض هل هذا الخليفة على طريقة من تقدم من الجن ام لا قاله احمد بن يحيى ثعلب وقال ابن زيد وغيره ان الله تعالى
اعلمهم ان الخليفة سيكون من ذريته قوم يفسدون في الارض ويسفكون الدما فقالوا لذلك هذه المقالة اما على
طريق التعجب من استخلاف الله من يعصيه او من عصيان الله من يستخلفه في ارضه وينعم عليه بذلك واما على
طريق الاستعظام والاكبار للفصلين جميعا الاستخلاف والعصيان وقال قتادة كان الله اعلمهم انه اذا جعل
في الارض خليفة اهو الذي اعلمهم ام غيره وهذا قول حسن رواه عبد الرزاق قال اخبرنا معمر عن قتادة في قوله اتجعل
فيها من يفسد فيها قال كان الله اعلمهم انه اذا كان في الارض خلق افسدوا فيها وسفكوا الدما فلذلك قالوا
اتجعل فيها من يفسد فيها وفي الكلام حذف على مذهبه والمعنى اني جاعل في الارض خليفة يفعل كذا ويفعل
كذا فقالوا اتجعل فيها الذي اعلمتناه ام غيره والقول الاول ايضا حسن جدا لان فيه استخراج العلم واستنباطه
من مقتضى الالفاظ وذلك لا يكون الا من العلما وما بين القولين حسن فتامله وقد قيل ان سؤاله تعالى للملايكة
بقوله كيف تركتم عبادي على ما ثبت في صحيح مسلم وغيره انما هو على جهة التوبيخ لمن قال اتجعل فيها واظهار لما
سبق في معلومه اذ قال لهم اني اعلم ما لا تعلمون • قوله من يفسد فيها من في موضع نصب على المفعول بتجعل
والمفعول الثاني يقوم مقامه فيها يفسد على اللفظ ويجوز في غير القران يفسدون على المعنى وفي التنزيل ومنهم
من يستمع اليك على اللفظ ومنهم من يستمعون على المعنى ويسفك عطف عليه ويجوز فيه الوجهان وروى اسيد
عن الاعرج انه قرا ويسفك الدما بالنصب بجعله جواب الاستفهام بالواو كما قال الشاعر •

• الم يك جاركم ويكون بيني • وبينكم المودة والاخاء •

والسفك الصب سفكت الدما اسفكه سفكا صببته وكذلك الدمع حكاه ابن فارس والجوهري والسفاك
السفاح وهو القادر على الكلام قال المهدوي ولا يستعمل السفك الا في الدم وقد يستعمل في نثر الكلام يقال
سفك الكلام اذا نثره وواحد الدما دم محذوف اللام قيل اصله دمي وقيل دمي ولا يكون اسم على حرفين الا
وقد حذف منه والمحذوف منه يا وقد نطق به على الاصل قال الشاعر •

• فلو انا على حجر ذبحنا • جرى الدميان بالخبر اليقين •

قوله تعالى ونحن نسبح بحمدك اي ننزهك عما لا يليق بصفاتك والتسبيح في كلامهم التنزيه من السو على وجه
التعظيم ومنه قول اعشى بن ثعلبة • اقول لما جاني فخره • سبحان من علقمة الفاخر •
اي براة من علقمة وروى طلحة بن عبيد الله قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير سبحان الله
فقال هو تنزيه الله عز وجل عن كل سو وهو مشتق من السبح وهو الجري والذهاب قال الله تعالى ان لك
في النهار سبحا طويلا فالمسبح جار في تنزيه الله تعالى وتبريته من السو وقد تقدم الكلام في نحن ولا يجوز
ادغام النون في النون لئلا يلتقي ساكنان مسئلة واختلف اهل التاويل في تسبيح الملايكة فقال ابن مسعود
وابن عباس تسبيحهم صلاتهم ومنه قوله تعالى فلولا انه كان من المسبحين اي من المصلين وقيل تسبيحهم رفع الصوت
بالذكر قاله المفضل واستشهد بقول جرير •

• قبح الاله وجوه تغلب كلما • سبح الحجيج وكبروا اهلالا •

وقال قتادة تسبيحهم سبحان الله على عرفة في اللغة وهو الصحيح لما روى ابو ذر ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم سيل اي الكلام افضل قال ما اصطفى الله لملايكته سبحان الله وبحمده اخرجه مسلم وعن عبد الرحمن بن قرط
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به سمع تسبيحا في السموات العلى سبحان العلي الاعلى سبحانه وتعالى
ذكره البيهقي قوله تعالى ونقدس لك اي نعظمك ونمجدك ونطهر ذكرك عما لا يليق بك مما نسبك اليه الملحدون
قاله مجاهد وابو صالح وغيرهما وقال الضحاك وغيره المعنى نطهر انفسنا لك ابتغا مرضاتك وقال قوم منهم
قتادة نقدس لك نصلي والتقديس الصلاة قال ابن عطية وهذا ضعيف قلت بل معناه صحيح فان الصلاة
تشتمل على التعظيم والتقديس والتسبيح وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه وسجوده سبوح
قدوس رب الملايكة والروح روته عايشة اخرجه مسلم وبنا قدس كيف ما تصرف فان معناه التطهير ومنه
قوله تعالى ادخلوا الارض المقدسة اي المطهرة وقال الملك القدوس اي الطاهر ومثله بالوادي المقدس طوى
وبيت المقدس سمي به لانه المكان الذي يتقدس فيه من الذنوب اي يتطهر ومنه قيل للسطل قدس اي يتوضا
منه ويتطهر ومنه القادوس وفي الحديث لا قدست امة لا يوخذ من ضعيفها لقويها يريد لا طهرها الله
اخرجه ابن ماجة في سننه فالقدس الطهر من غير خلاف وقال الشاعر •

• فادركنه ياخذن بالساق والنسا • كما شرق الولدان ثوب المقدس •

اي المطهر فالصلاة طهرة للعبد من الذنوب والمصلي يدخلها على اكمل الاحوال لكونها افضل الاعمال والله اعلم
قوله تعالى اني اعلم ما لا تعلمون اعلم فيه تاويلان قيل انه فعل مستقبل وقيل انه اسم بمعنى فاعل كما يقال
الله اكبر بمعنى كبير وكما قال • لعمرك ما ادري واني لاوجل • على اينا تعدو المنية اول •

فعلى

فعلى انه فعل تكون في موضع نصب بيعلم ويجوز ادغام الميم في الميم فان جعلته بمعنى عالم تكون ما في موضع خفض
بالاضافة قال ابن عطية ولا يصح فيه الصرف باجماع النحاة وانما الخلاف في افعل اذا سمي به وكان نكرة فسيبويه
والخليل لا يصرفانه والاخفش يصرفه قال المهدوي يجوز ان يقدر التنوين في اعلم اذا قدرته بمعنى عالم وتنصب
ما به فيكون مثل حجاج بيت الله قال الجوهري وبشوة حجاج بيت الله بالاضافة اذا كن قد حججن وان لم يكن
حججن قلت حجاج بيت الله فتنصب البيت لانك تريد التنوين في حجاج قوله ما لا تعلمون اختلف علما
التاويل في المراد بقوله تعالى ما لا تعلمون فقال ابن عباس كان ابليس لعنه الله قد اعجب ودخله الكبر
لما جعله خازن السما وشرفه فاعتقد ان ذلك لمزيد له فاستخف الكفر والمعصية في جانب ادم عليه السلام
وقالت الملايكة ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك وهي لا تعلم ان في نفس ابليس خلاف ذلك فقال تعالى
اني اعلم ما لا تعلمون وقال قتادة لما قالت الملايكة اتجعل فيها وقد علم الله ان فيمن يستخلف في الارض
انبيا وفضلا واهل طاعة قال لهم اني اعلم ما لا تعلمون قلت ويحتمل ان يكون المعنى اني اعلم ما لا تعلمون
ما كان وما يكون ومما هو كاين فهو عام قوله تعالى وعلم ادم الاسما كلها الى قوله صادقين فيه سبع مسايل
الاولى قوله تعالى وعلم ادم الاسما كلها علم معناه عرف وتعليمه هنا الهام علمه ضرورة ويحتمل ان يكون بواسطة
ملك وهو جبريل عليه السلام على ما ياتي وقرى وعلم غير مسمى الفاعل والاول اظهر على ما ياتي قال علما الصوفية
علمها بتعليم الحق اياه وحفظها بحفظه عليه ونسي ما عهد اليه لانه وكله فيه الى نفسه فقال ولقد عهدنا الى
ادم من قبل فنسي ولم نجد له عزما وقال ابن عطا لو لم يكشف لادم علم تلك الاسما لكان اعجز من الملايكة
في الاخبار عنها وهذا واضح وادم عليه السلام يكنى ابا البشر وقيل ابا محمد كنى بمحمد خاتم الانبيا صلوات الله
عليهم قاله السهيلي وقيل كنيته في الجنة ابو محمد وفي الارض ابو البشر واصله بهمزتين لانه افعل الا انهم
لينوا الثانية فاذا احتجت الى تحريكها جعلتها واوا فقلت اوادم في الجمع لانه ليس لها اصل في الياء
معروف فجعلت الغالب عليها الواو عن الاخفش الثانية واختلف في اشتقاقه فقيل مشتق من ادمة
الارض واديمها وهو وجهها فسمي بما خلق منه قاله ابن عباس وقيل انه مشتق من الادمة وهي السمرة
واختلفوا في الادمة فزعم الضحاك انها السمرة وزعم النضر انها البياض وان ادم عليه السلام كان ابيض
ماخوذ من قولهم ناقة ادماء اذا كانت بيضا على هذا الاشتقاق جمعه ادم واوادم كحمر واحامر ولا ينصرف
بوجه وعلى انه مشتق من الادمة جمعه ادمون ويلزم قايلوا هذه المقالة صرفه قلت الصحيح انه
مشتق من اديم الارض قال سعيد بن جبير انما سمي ادم لانه خلق من اديم الارض وانما سمي انسانا لانه
نسي ذكره ابن سعد في الطبقات وروى السدي عن ابي مالك وعن ابي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني
عن ابن مسعود في قصة خلق ادم عليه السلام فبعث الله جبريل عليه السلام الى الارض لياتيه بطين منها
فقالت الارض اعوذ بالله منك ان تنقص مني او تشينني فرجع فلم ياخذ وقال رب انها عاذت بك
فاعذتها فبعث ميكاييل فعاذت منه فاعاذها فرجع فقال كما قال جبريل فبعث ملك الموت فعاذت منه
فقال وانا اعوذ بالله ان ارجع ولم انفذ امره فاخذ من وجه الارض وخلط ولم ياخذ من مكان واحد
واخذ من تربة حمرا وبيضا وسودا فلذلك خرج بنو ادم مختلفين ولذلك سمي ادم لانه اخذ من اديم الارض
فصعد به فقال الله تعالى له اما رحمت الارض حين تضرعت اليك فقال رايت امرك اوجب من قولها
فقال انت تصلح لقبض ارواح ولده قبل التراب حتى صار طينا لازبا اللازب هو الذي يلتزق بعضه
ببعض ثم ترك حتى انتن فذلك حيث يقول من حما مسنون قال منتن ثم قال للملايكة اني خالق بشرا
من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فخلقه الله بيده لكي لا يتكبر ابليس
عنه يقول اتتكبر عما عملت بيدي ولم اتكبر انا عنه فخلقه بشرا فكان جسدا من طين اربعين سنة من
مقدار يوم الجمعة فمرت به الملايكة ففزعوا منه لما راوه وكان اشدهم فزعا منه ابليس فكان يمر به
فيضربه فيصوت الجسد كما يصوت الفخار يكون له صلصلة فذلك حين يقول من صلصال كالفخار
ويقول لامر ما خلقت ودخل من فمه وخرج من دبره فقال للملايكة لا ترهبوا من هذا فانه اجوف
ولين سلطت عليه لاهلكنه ويقال انه كان اذا مر عليه مع الملايكة يقول ارايتم هذا الذي لم تروا
من الخلايق يشبهه ان فضل عليكم وامرتم بطاعته ما انتم فاعلون قالوا نطيع امر ربنا فاسر ابليس
في نفسه لين فضل علي فلا اطيعه ولين فضلت عليه لاهلكنه فلما بلغ الحين الذي اريد ان ينفخ فيه
الروح قال للملايكة اذا نفخت فيه من روحي فاسجدوا له فلما نفخ فيه الروح فدخل الروح في راسه
عطس فقالت له الملايكة قل الحمد لله فقال الله فقال الله له رحمك ربك فلما دخل الروح في عينيه نظر
الى ثمار الجنة فلما دخل في جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل ان تبلغ الروح رجليه عجلان الى ثمار الجنة فذلك
حين يقول خلق الانسان من عجل فسجد الملايكة كلهم اجمعون الا ابليس ابى ان يكون مع الساجدين

هو

الحمد مع

وذكر القصة وروى الترمذي عن ابي موسى الاشعري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل خلق
ادم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو ادم على قدر الارض فجاء منهم الاحمر والابيض والاسود وبين ذلك والسهل
والحزن والخبيث والطيب قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح • اديم جمع ادم قال الشاعر •
• الناس اخيار وشتى في الشيم • وكلهم يجمعهم وجه الادم •
فادم مشتق من الادیم والادم لا من الادمة والله اعلم ويحتمل ان يكون منهما جميعا وسياتي لهذا مزيد بيان
في خلق ادم في الانعام وغيرها ان شاء الله تعالى وادم لا ينصرف قال ابو جعفر النحاس لادم لا ينصرف في المعرفة باجماع
النحويين لانه على افعل وهو معرفة ولا يمتنع شيء من الصرف عند البصريين الا لعلتين فان نكرته ولم يكن نعتا
لم يصرفه الخليل وسيبويه وصرفه الاخفش سعيد لانه انما منعه من الصرف لانه كان نعتا وهو على وزن الفعل
فاذ المم يكن نعتا صرف قال ابو اسحاق الزجاج القول قول سيبويه لا يفرق بين النعت وغيره لانه هو الذي يعينه
الثالثة قوله تعالى الاسماء كلها الاسماء هنا بمعنى العبارات فان الاسم قد يطلق ويراد به المسمى كقولك
زيد قايم والاسد شجاع ويراد به التسمية ذاتها كقولك اسد ثلاثة احرف ففي الاول يقال الاسم هو المسمى
بمعنى يراد به المسمى وفي الثاني لا يراد به المسمى وقد يجري اسم في اللغة مجرى ذات العبارة وهم الاكثر من
استعمالها ومنه قوله تعالى وعلم ادم الاسماء كلها على انهم المسميات وبلات ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم ان لله
تسعة وتسعين اسما ويجري مجرى الذات يقال ذات ونفس وعين واسم بمعنى وعلى هذا حمل اكثر اهل العلم قوله
تعالى سبح اسم ربك الاعلى تبارك اسم ربك ما تعبدون من دونه الا اسما سميتموها واختلف اهل التاويل
في معنى الاسماء التي علمها ادم عليه السلام فقال ابن عباس وعكرمة وقتادة ومجاهد وابن جبير علمه اسما
جميع الاشيا كلها جليلها وحقيرها روى عاصم بن كليب عن سعد مولى الحسن بن علي قال كنت جالسا عند ابن عباس
فذكروا اسم الانية واسم المشط فالا ابن عباس وعلم ادم الاسماء كلها قلت وقد روى هذا المعنى مرفوعا
على ما ياتي وهو الذي يقتضيه لفظ كلها اذ هو اسم موضوع للاحاطة والعموم وفي البخاري من حديث انس
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ويجتمع المومنون يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا الى ربنا فاتى ادم فيقولون انت ابو الناس خلقك الله بيده واسجد لك ملايكته وعلمك اسماء كل شيء الحديث قال ابن خواز منداد
فيقولون انت ابو الناس خلقك الله بيده واسجد لك ملايكته وعلمك اسماء كل شيء ونقصيلا وكذلك
في هذه الاية دليل على ان اللغة ماخوذة توقيفا وان الله تعالى علمها ادم عليه السلام جملة وتفصيلا وكذلك
قال ابن عباس علمه اسماء كل شيء حتى الجفنة والمحلب وروى شيبان عن قتادة قال علم ادم من الاسماء اسماء خلقه
فالا ابن عباس علمه اسماء كل شيء حتى الفسوة والنخسة وروى ابو جنيسة عن شيء الى جنبه قال النحاس وهذا احسن ما روى في هذا
ما لم يعلم الملايكة وسمى كل شيء باسمه وانحى منفعة كل شيء لذلك وقال الطبري علمه اسما الملايكة وذريته
والمعنى علمه اسما الاجناس وعرفه منافعها هذا كذا ويصلح لكذا وقال الطبري عن خيثم اسما الملايكة خاصة ه
واختار هذا ورجحه بقوله ثم عرضهم وقال ابن زيد علمه اسماء ذريته كلهم الربيع بن خيثم اسما الملايكة خاصة ه
القتبي اسما ما خلق في الارض وقيل اسما الاجناس والانواع قلت القول الاول اصح لما ذكرناه ولما نبينه انفا
ان شاء الله تعالى الرابعة واختلف لم قال ثم عرضهم ولم يقل عرضها وقوله انبيوني باسماء هولا وتقول العرب
الاشخاص فقال ابن مسعود وغيره عرض الاشخاص لقوله تعالى عرضهم وقوله انبيوني باسماء هولا وتقول العرب
عرضت الشيء فاعرض اي اظهرته فظهر ومنه عرضت النبي للبيع وفي الحديث انه عرضهم امثال الذر وقال ابن عباس
وغيره عرض الاسماء وفي حرف ابن مسعود عرضهن فاعاد على الاسماء دون الاشخاص لان الهاء والنون اخص بالمونث
وفي حرف ابي عرضها مجاهد اصحاب الاسماء فمن قال في الاسماء انها التسميات فاستقام على قراءة ابي عرضها وتقول
في قراءة من قراء عرضهم ان لفظ الاسماء يدل على اشخاص فلذلك ساغ ان يقول الاسماء عرضهم وقال في هولا المراد
بالاشارة الى اشخاص الاسماء لكن وان كانت غايبة فقد حضرها هو منها بسبب وذلك اسماوها قال ابن عطية
والذي يظهر ان الله تعالى علم ادم الاسماء وعرضهن عليه مع ذلك الاجناس اشخاصا ثم عرض تلك على الملايكة ه
وسالهم عن تسميتها التي قد تعلمها ثم ان ادم قال لهم هذا اسمه كذا وهذا اسمه كذا وقال الماوردي فكان
الاصح بوجه العرض الى المسميين ثم في زمن عرضهم فوكان احدهما انه عرضهم بعدان خلقهم الثاني انه صورهم
لقلوب الملايكة ثم عرضهم الخامسة واختلف في اول من تكلم باللسان العربي فروى عن كعب الاحبار ان اول
من وضع الكتاب العربي والسرياني والكتب كلها وتكلم بالالسنة كلها ادم عليه السلام وقاله غير كعب الاحبار
فان قيل قد روى عن كعب الاحبار ومن وجه حسن فان من تكلم بالعربية جبريل عليه السلام وهو الذي القاها على
لسان نوح عليه السلام والقاها نوح على لسان ابنه سام رواه ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن كعب وروى
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اول من فتق لسانه بالعربية المبينة اسمعيل وهو ابن عشر سنين وقد روى
ايضا ان اول من تكلم بالعربية يعرب بن قحطان وقد روى غير ذلك قلت الصحيح ان اول من تكلم باللغات
كلها من البشر ادم عليه السلام والقران يشهد له قال الله تعالى وعلم ادم الاسماء كلها واللغات كلها اسماء فهي ه
داخلة تحته وبهذا جاءت السنة قال صلى الله عليه وسلم وعلم ادم الاسماء كلها حتى الفصيعة والفصيعة وما ذكره

يحتمل ان يكون المراد به اول من تكلم بالعربية من ولد ابراهيم عليه السلام اسمعيل عليه السلام وكذلك ان صح ما سواه
فانه يكون محمولا على ان المذكور اول من تكلم من قبيلته بالعربية بدليل ما ذكرناه والله اعلم وكذلك جبريل
اول من تكلم بها من الملايكة والقاها على نوح بعد ان علمها الله ادم او جبريل على ما تقدم والله اعلم
قوله هولا لفظ مبني على الكسر ولغة تميم وبعض قيس واسد فيه القصر قال الاعشى •
• هولا ثم هولا كلا • اعطيت نعلا محذورة بمثال •
ومن العرب من يقول هولا فيحذف الالف والهمزة السادسة قوله تعالى ان كنتم صادقين شرط وجوابه
محذوف تقديره ان كنتم صادقين ان بني ادم يفسدون في الارض فانبوني قاله المبرد ومعنى صادقين
عالمين وكذلك لم يسبق للملايكة الاجتهاد وقالوا سبحانك حكاه النقاش قال ولو لم يشترط عليهم الا الصدق
في الانبا لجاز لهم الاجتهاد كما جاز لذي اماته الله ماية عام حين قال له كم لبثت فلم يشترط عليه الاصابة فقال
ولم يصب فلم يعنف وهذا بين لا خفاء به وحكى الطبري وابو عبيد ان بعض المفسرين قال معنى ان كنتم اذ كنتم
وقال لا هذا خطا وانبوني معناه اخبروني السابعة قال بعض العلما يخرج من هذا الامر بالانبا تكليف
ما لا يطاق لانه علم انهم لا يعلمون وقال المحققون مزايا هل التاويل ليس هذا على جهة التكليف وانما هو على جهة
التقرير والتوقيف وسياتي القول في تكليف ما لا يطاق هل وقع التكليف به او لا في اخر السورة ان شاء الله
تعالى قوله تعالى قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى سبحانك اي تنزيها
لك عن ان يعلم الغيب احد سواك وهذا جوابهم عن قوله انبيوني فاجابوا انهم لا يعلمون الا ما اعلمهم به ولم يتعاطوا
ما لا علم لهم به كما يفعله الجهال منا وما في ما علمتنا بمعنى الذي اي الا الذي علمتنا ويجوز ان تكون مصدرية بمعنى
الا تعليمك ايانا الثانية الواجب على من سيل عن علم ان يقول ان لم يعلم الله اعلم ولا ادري افتدا بالملايكة ه
والانبيا والفضلا من العلما لكن قد اخبر الصادق ان بموت العلما يقبض العلم فيبقى ناس جهال يستفتون فيفتون
برايهم فيضلون ويضلون واما ما ورد من الاخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه والتابعين بعدهم في معنى
الاية فروى البستي في المسند الصحيح له عن ابن عمر ان رجلا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي البقاع شر
قال لا ادري حتى اسال جبريل فسال جبريل فقال لا ادري حتى اسال ميكاييل فجا فقال خير البقاع المساجد
وشرها الاسواق وقال الصديق للهدة ارجع حتى اسال الناس وكان على يقول واابرد ها على الكبد ثلاث
مرات قالوا وما ذاك يا امير المومنين قال ان يسال الرجل عما لا يعلم فيقول لا علم الله وسال ابن عمر رجل عن مسيلة
فقال لا علم لي بها فلما ادبر الرجل قال ابن عمر بئس ما قال ابن عمر يسال عما لا يعلم فقال لا علم لي به ذكره الدارمي في
مسنده وفي صحيح مسلم عن ابي عقيل يحيى بن المتوكل صاحب بهية قال كنت جالسا عند القاسم بن عبيد الله
ويحيى بن سعيد فقال يحيى للقاسم يا ابا محمد انه قبيح على مثلك عظيم ان تسال عن شيء من امر هذا الدين
فلا يوجد عندك منه علم ولا فرج او علم ولا مخرج فقال له القاسم وغمز ك قال لا انك ابن امامي هدى
ابن ابي بكر وعمر قال يقول القاسم اقبح من ذلك عند من فضل عن الله ان اقول بغير علم او اخذ من غير ثقة فسكت
فما اجابه وقال مالك بن انس سمعت هرمز يقول ينبغي للعالم ان يورث جلساوه من بعده لا ادري حتى يكون
اصلا في ايديهم فاذا سيل احدهم عما لا يدري قال لا ادري وذكر لهيثم بن جميل قال شهدت مالك بن انس
وسيل عن ثمانية واربعين مسيلة فقال في ثنتين وثلاثين منها لا ادري قلت ومثله كثير عن الصحابة
والتابعين وفقها المسلمين وانما يحمل على ترك ذلك الرياسة وعدم الانصاف في العلم قال ابن عبد البر من
بركة العلم واداب الانصاف فيه ومن لم ينصف لم يفهم ولم يفهم روى يونس بن عبد الاعلى قال سمعت
ابن وهب يقول سمعت مالك بن انس يقول ما في زماننا شيء اقل من الانصاف قلت هذا في زمن مالك
فكيف في زماننا اليوم الذي عم فيه الفساد وكثر فيه الطعام وطلب فيه العلم للرياسة لا للدراية بل
للظهور في الدنيا وغلبة الافران بالمراء والجدال الذي يقسي القلب ويورث الضغن وذلك مما يحمل على
عدم التقوى وترك الخوف من الله تعالى اين هذا مما روى عن عمر رضي الله عنه وقد قال لو انزيد واني من يهود النساء
على اربعين اوقية ولو كانت بنت ذي العصبة يعني يزيد بن الحصين الحارثي عمر زاد القبت زيادته في بيت
المال فقامت امراة من صوب النساء طويلة فيها فطس فقالت ما ذاك لك قال ولم قالت لان الله عز وجل
يقول واتيتم احداهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيا فقال عمر امراة اصابت ورجل اخطا وروى وكيع
عن ابي معشر عن محمد بن كعب القرظي قال سال رجل عليا رضي الله عنه عن مسيلة فقال فيها فقال الرجل ليس
كذلك يا امير المومنين ولكن كذا وكذا فقال على اصبت واخطات وفوق كل ذي علم عليم وذكر ابو محمد قاسم
ابن اصبغ قال لما رحلت الى المشرق نزلت الفير وان فاخذت على بكر بن حماد حديث مسدد ثم رحلت الى بغداد
ولقيت الناس فلما انصرفت عدت اليه لتمام حديث مسدد فقرات عليه فيه يوما حديث النبي صلى الله عليه وسلم
انه قدم عليه قوم من مضر من مجتابي النمار فقال انما هو من مجتابي النمار فقلت انما هو مجتابي النمار هكذا قراته

على كل من قرأته عليه بالاندلس والعراق فقال لي بدخولك العراق تعارضنا وتفخر علينا او نحو هذا ثم قال لي قم بنا الى ذلك الشيخ لشيخ كان في المسجد فان له بمثل هذا علما ففهمنا اليه فسألناه عن ذلك فقال انما هو بحتالي النمار كما قلنا وهم قوم كانوا يلبسون الثياب متشققة حيوبهم امامهم والنمار جمع نمرة فقال بكر بن حماد واخذ بانفه رغم انفي للحق رغم انفي للحق وانصرف وقال يزيد بن الوليد بن عبد المطلب فاحسن

اذا ما تحدثت في مجلس ... تناهى حديثي الى ما علمت
ولم اغد علمي الى غيره ... وكان اذا ما تناهى سكت

الثالثة قوله سبحانه سبحان منصوب على المصدر عند الخليل وسيبويه يودي عن معنى نسبحك تسبيحا وقال الكسائي هو منصوب على انه نداء مضاف والعليم فعيل للمبالغة والتكثير في المعلومات في حق الله تعالى والحكيم معناه الحاكم وبينهما مزية للمبالغة وقيل معناه المحكم ويجي الحاكم على هذا من صفات الفعل صرف من مفعل الى فعيل كما صرف من مسمع الى سميع ومؤلم الى اليم قال ابن الانباري وقال قوم الحكيم المانع من الفساد ومنه سميت حكمة اللجام لانها تمنع الفرس من الجري والذهاب في غير قصد قال جرير

ابني حنيفة احكموا سفهاكم ... اني اخاف عليكم ان اغضبا

اي امنعكم من الفساد وقال زهير

القائد الخيل منكوبا دوابرها ... قد احكمت حكمات القد والابقا

الغد الجلد والابقى القتب والعرب تقول احكم اليتيم عن كذا وكذا يريدون امنعه والسورة المحكمة الممنوعة من التغيير وكل التبديل وان يلحق بها ما يخرج عنها ويراد عليها ما ليس منها والحكمة من هذا لانها تمنع صاحبها من الجهل ويقال احكم الشيء اذا اتقنه ومنعه من الخروج عما يريد فهو محكم وحكيم على التكثير

قوله تعالى قال يا ادم انبئهم باسمائهم فيه خمس مسائل الاولى قوله تعالى انبئهم بانهم امره ان يعلمهم باسمائهم بعد ان عرضهم على الملائكة ليعلموا انه اعلم بما سألهم عنه تنبيها على فضله وعلو شانه فكان افضل منهم بان قدمه عليهم واسجد هم له وجعلهم تلامذته وامرهم بان يتعلموا منه فخصائص له رتبة الجلالة والعظمة بان حصل مسجودا له محتصا بالعلم الثانية في هذه الاية دليل على فضل العلم واهله وفي الحديث ان الملائكة لتضع اجنحتها رضا لطالب العلم اي تخضع وتتواضع وانما يفعلون ذلك لاهل العلم خاصة من بين سائر بني آدم لان الله تعالى الزمهم ذلك في آدم عليه السلام فتابعت بذلك الادب فكلما ظهر لها عالم في بشر خضعت له وتواضعت وتذللت اعظاما للعلم واهله ورضى منهم بالطلب له والتشغل به هذا في الطلاب منهم فكيف بالاحبار فيهم والربانيين منهم جعلنا الله منهم وفيهم انه ذو فضل عظيم الثالثة اختلف العلماء من هذا الباب ايها افضل الملائكة او بنو آدم على قولين فذهب قوم الى ان الرسل من البشر افضل من الرسل من الملائكة والاولياء من البشر افضل من الاولياء من الملائكة وذهب اخرون الى ان الملا الاعلى افضل احتج من فضل الملائكة بانهم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وقوله لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون وقوله قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول اني ملك وفي البخاري يقول الله عز وجل من ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منه وهذا نص احتج من فضل بني آدم بقوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية بالهمز من برأ الله الخلق وبقوله عليه السلام وان الملائكة لتضع اجنحتها رضى لطالب العلم الحديث اخرجه ابو داود وبما جاء في احاديث من ان الله تعالى يباهي باهل عرفات الملائكة ولا يباهي الا بالافضل والله اعلم وقال بعض العلماء ولا طريق الى القطع بان الانبياء افضل من الملائكة ولا القطع بان الملائكة خير منهم لان طريق ذلك خبر الله تعالى وخبر رسوله او اجماع الامة وليس ههنا شيء من ذلك خلافا للقدرية والقاضي ابي بكر رحمة الله حيث قالوا الملائكة افضل قال واما من قال من اصحابنا والشيعة ان الانبياء افضل لان الله تعالى امر الملائكة بالسجود لادم فيقال لهم المسجود له لا يكون افضل من الساجد الا ترى ان الكعبة مسجود لها والانبياء والخلق يسجدون نحوها ثم ان الانبياء خير من الكعبة باتفاق الامة ولا خلاف ان المسجود لا يكون الا لله تعالى لان المسجود عبادة والعبادة لا تكون الا لله تعالى فاذا كان كذلك فكون المسجود اليه جهة لا يدل على ان تلك الجهة خير من الساجد لما بينا وهذا واضح وسيأتي له مزيد بيان في الاية بعد هذا

الرابعة قوله تعالى اني اعلم غيب السموات والارض دليل على ان احدا لا يعلم من الغيب الا ما اعلمه الله كالانبياء او من اعلم من اعلمه الله تعالى فالمنجمون والكهان وغيرهم كذبة وسيأتي بيان هذا في الانعام ان شاء الله تعالى عند قوله وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو الخامسة قوله تعالى واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون قال ابن عباس ومجاهد وابن مسعود وسعيد بن جبير المراد ما كتمه ابليس في نفسه من الكبر والمعصية قال ابن عطية وجايز ان يكتمون للجماعة والكاتم واحد في هذا القول على تجوز العرب وانشدوا

كما يقال

كما يقال للقوم قد جنى سفيه منهم انتم فعلتم كذا اي منكم فاعله وهذا مع قصد تعنيف ومنه قوله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون وانما اداه منهم عيينة وقيل الاقرع وقالت طايفة الابدال والملتمس من ذلك على معنى العموم في معرفة اسرارهم وطوياتهم اجمع وقال محمد بن ميمون كنا عند الحسن فسأله الحسن بن يزيد ما الذي كانت الملايكة قال ان الله عز وجل لما خلق ادم رات الملايكة خلقا عجيبا لا كانهم وخلهم من ذلك شيء قال فشر انبل بعضهم على بعض واستروا ذلك بينهم ما يهمكم من هذا المخلوق ان الله لم يخلق خلقا الا كنا اكرم عليه منه وما في قوله ما تبدون يجوز ان ينتصب باعلم على انه فعل ويجوز ان يكون بمعنى عالم وتنتصبي به ما فيكون مع ما في تاويل مجاز بيت الله وقد تقدم قوله تعالى واذ قلنا للملايكة اسجدوا لادم الى قوله الكافرين فيه عشر مسائل الاولى قوله تعالى واذ قلنا اي واذكروا وما قول ابي عبيدة ان اذ زايدة فليس بجايز لان اذ ظرف وقد تقدم وقال قلنا ولم يقل قلنا لان الجبار العظيم يخبر عن نفسه بفعل الجماعة تفخيما واشارة بذكره والملايكة جمع ملك وقد تقدم وتقدم القول ايضا في ادم واشتقاقه فلا معنى لاعادته وروى عن ابي جعفر بن الفعقاع انه ضم تا التابوت من الملايكة اتباعا لضمة الجيم في اسجدوا نظيرة للدبة الثانية قوله تعالى اسجدوا السجود معناه في كلام العرب التذلل والخضوع قال الشاعر

ترى الاكم فيها سجدا للمحاجر ... ترى الاكم فيها لصقا كالمحاجر

المحاجر الاعين لصقا جعلها سجدا للمحاجر لقهر الحوافر اياها وانها لا تمتنع عليها او عين ساجدة اي قانعة عن النظر وغايته وضع الوجه بالارض قال ابن فارس سجد اذا طامن وكل ما سجد فقد ذل والاسجاد ادامة النظر قال ابو عمرو اسجد اذا طاطا راسه قال

فضول ازمتها اسجدي ... سجود النصارى لاربابها

قال ابو عبيدة وانشدني اعرابي من بني اسد

فقلت له اسجد لليلى فاسجدا ... يعني البعير اذا طاطا راسه

ورد امر الاسجاد دراهم كانت عليها صور كانها يسجد ولها قال

ترى في لجاها كالدراهم الاسجادا

الثالثة استدل بامر الله تعالى الملايكة بالسجود لادم وبنبيه بقوله تعالى اسجدوا لادم قالوا وذلك يدل على انه كان افضل منهم والجواب ان معنى اسجدوا لادم اسجدوا الى ادم وهو كقوله تعالى اقم الصلاة لدلوك الشمس اي عند دلوك الشمس وكقولهم رمى فصعد فيه من روحي فصعدوا له ساجدين اي فصعدوا الي عند اتمامه خلقه وهو امرهم اياه ساجدين وقد بينا ان المسجود له لا يكون افضل من الساجد بدليل القبلة فان قيل اذا لم يكن افضل منهم لما امروا بالسجود له معاتبة لهم على قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها لما قال لهم اني جاعل في الارض خليفة وكان علم منهم انه ان خاطبهم انهم قايلون هذا فقال لهم اني خالق بشرا من طين وجاعله خليفة فاذا نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين والمعنى ليكون ذلك عقوبة لكم في ذلك الوقت على ما انتم قايلون لي الان فان قيل فقد استدل ابن عباس على فضل البشر باي الله تعالى اقسم بحياة رسوله صلى الله عليه وسلم وقال لعمرك وامنه من العذاب بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقال للملايكة ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم فبين له انها لم يقسم بحياة الملايكة كما لم يقسم بحياة نفسه سبحانه فلم يقل لعمري وافسم بالسماء والارض ولم يرد على انها ارفع قدرا من العرش والجنان السبع وافسم بالتين والزيتون وانما قوله سبحانه ومن يقل منهم اني اله من دونه فهو نظير قوله لنبيه عليه السلام لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين فليس فيه اذا دلالة والله اعلم

الرابعة واختلف الناس في كيفية سجود الملايكة لادم بعد اتفاقهم على انه لم يكن سجود عبادة فقال الجمهور كان هذا امرا للملايكة بوضع الجباه على الارض لادم كالسجود المعتاد في الصلاة لانه الظاهر من السجود في العرف والشرع وعلى هذا قيل كان ذلك السجود تكريما لادم واظهارا لفضله وطاعة لله تعالى وكان ادم كالقبلة لنا ومعنى لادم الى ادم كما يقال صل للقبلة اي الى القبلة وقال قوم لم يكن هذا السجود المعتاد اليوم الذي هو وضع الجبهة على الارض ولكنه مبقى على اصل اللغة فهو من الذلل والانقياد اي خضعوا لادم وافردوا له بالفضل فسجدوا اي امتثلوا امر ربهم الخامسة واختلف ايضا هل كان ذلك السجود خاصا لادم عليه السلام فلا يجوز السجود لغيره من جميع العالم الا لله تعالى او كان جايزا بعده الى زمان يعقوب عليه السلام لقوله تعالى ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا فكان اخر ما بيح من السجود للمخلوقين والذي عليه الاكثر انه كان مباحا الى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وان اصحابه قالوا له حين سجدت له النسوة والجمل بخ اولى ان يسجد لك من البشر والجمل الشارد فقال لهم لئن سجد احد لاحد لامرت القالمين روى ابن ماجة في سننه والبستي في صحيحه عن ابي واقد لما قدم معاذ بن جبل من الشام سجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ففال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا فقال يا رسول الله قدمت الشام فرايتهم يسجدون لبطارقتهم واساقفتهم فاردت ان افعل ذلك بك قال فلا تفعل فاني لو امرت شيا ان يسجد لشيء لامرت المراة ان تسجد لزوجها لعظم حق

قال م

ربها حتى تودى حق زوجها حتى لو سالها نفسها وهى على قتب لم تمنعه لفظ البستى ومعنى القتب ان العرب يعز
عندهم وجود كرسى للولادة فيحملون نساءهم على القتب عند الولادة وفى بعض طرق معاذ ونهى عن السجود للبشر وامر
بالمصافحة **قلت** وهذا السجود المنهى عنه قد اتخذه جهال المتصوفة فى سماعهم وعند دخولهم على مشايخهم
واستغفارهم فيرى الواحد منهم اذا اخذه الحال بزعمه يسجد للاقدام بجهله سوا كان للقبلة او غيرها جهالة
منه ضل سعيهم وخاب املهم **السادسة** الا ابليس نصب على الاستثنا المتصل لانه كان من الملايكة على قول
الجمهور ابن عباس وابن مسعود وابن جريج وابن المسيب وقتادة وغيرهم وهو اختيار الشيخ ابى الحسن ورجحه الطبرى
وهو ظاهر الاية قال ابن عباس وكان اسمه عزازيل وكان من اشراف الملايكة وكان من اولى الاجنحة الاربعة ثم ابليس
بعد روى سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس قال كان ابليس من الملايكة فلما عصى الله غضب عليه فلعنه فصار
شيطانا وحكى الماوردى عن قتادة انه كان من افضل صنف من الملايكة يقال لهم الجنة وقال سعيد بن جبير ان الجن
سبط من الملايكة خلقوا من نار وابليس منهم وخلق معاشر الملايكة من نور وقال ابن زيد والحسن وقتادة
ايضا ابليس ابو الجن كما ادم ابو البشر ولم يكن ملكا وروى نحوه عن ابن عباس وقال اسمه الحارث وقال شهر
ابن حوشب وبعض الاصوليين كان من الجن الذين كانوا فى الارض وقاتلتهم الملايكة فسبوه صغيرا وتعبد
مع الملايكة وخوطب وحكاه الطبرى عن ابن مسعود والاستثنا على هذا منقطع مثل قوله تعالى ما لهم به من
علم الا اتباع الظن وقوله الا ما ذكيتم فى احد القولين وقال الشاعر

ليس عليك جوع ولا عطش • الا الرقاد والرقاد ممنوع

واحتج بعض اصحاب هذا القول بان الله جل وعز وصف الملايكة فقال لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون
ما يومرون وقوله تعالى الا ابليس كان من الجن والجن غير الملايكة اجاب اهل المقالة الاولى بانه لا يمتنع ان يخرج
ابليس من جملة الملايكة لما سبق فى علم الله بشقايه عدلا منه لا يسال عما يفعل وليس فى خلقه من نار ولا فى
تركيب الشهوة حين غضب عليه ما يدفع انه من الملايكة وقول من قال انه كان من جن الارض فسبى روى فى مقابلته
ان ابليس هو الذى قاتل الجن فى الارض مع جند من الملايكة حكاه المهدوى وغيره وحكى الثعلبى عن ابن عباس
ان ابليس كان من حى من احيا الملايكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم وخلقت الملايكة من نور وكان اسمه
بالسريانية عزازيل وبالعربية الحارث وكان من خزان الجنة وكان رئيس ملايكة السما الدنيا وكان له سلطانها
وسلطان الارض وكان من اشد الملايكة اجتهادا واكثرهم علما وكان يسوس ما بين السما والارض فراى لنفسه
بذلك شرفا وعظمة فذلك الذى دعاه الى الكفر فعصى فمسخه الله شيطانا رجيما فاذا كانت خطية الرجل فى كبر
فلا ترجه وان كانت خطيته فى معصية فارجه وكانت خطية ادم عليه السلام معصية وخطية ابليس
كبرا والملايكة قد تسمى جنا لاستتارها وفى التنزيل وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وقال الشاعر فى ذكر سليمان
عليه السلام • وسخر من جن الملايك تسعة • قياما لديه يعملون بلا اجر •
وايضا لما كان من خزان الجنة نسب اليهما فاشتق اسمه من اسمها والله اعلم وابليس وزنه افعيل مشتق من
الابلاس وهو الياس من رحمة الله ولم ينصرف لانه معرفة ولا نظير له فى الاسما فشبه بالاعجمية قاله ابو عبيدة
وغيره وقيل هو اعجمى لا اشتقاق له فلم ينصرف للعجمة والتعريف قاله الزجاج وغيره **السابعة** قوله تعالى ابى
معناه امتنع من فعل ما امر به ومنه الحديث الصحيح عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم اذا قرا ابن ادم
السجدة اعتزل الشيطان يبكى يقول يا ويله وفى رواية يا ويلتى امر ابن ادم بالسجود فسجد فله الجنة وامرت
بالسجود فابيت فلى النار خرجه مسلم يقال ابى يابى اباء وهو حرف نادر جا على فعل يفعل ليس فيه حرف من حروف
الحلق وقد قيل ان الالف مضارعة لحروف الحلق قال الزجاج سمعت اسمعيل بن اسحاق القاضى يقول القول
عندى ان الالف مضارعة لحروف الحلق قال النحاس ولا اعلم ان ابا اسحاق روى عن اسمعيل نحوا غير هذا الحرف
الثامنة قوله تعالى واستكبر الاستكبار الاستعظام فكانه كره السجود فى حقه واستعظمه فى حق ادم فكان
تركه السجود لادم تسفيها لامر الله وحكمته وعن هذا الكبر عبر عليه السلام بقوله لا يدخل الجنة من فى قلبه
مثقال حبة من خردل من كبر فى رواية قال رجل ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة قال ان الله جميل
يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس خرجه مسلم ومعنى بطر الحق تسفيهه وابطاله وغمط الناس الاحتقار
لهم والازرا بهم ويروى غمص بالصاد المهملة والمعنى واحد يقال غمصه يغمصه غمصا واغتمصه اى استصغره
ولم يره شيا وغمص فلان النعمة اذا لم يشكرها وغمصت عليه قولا قاله اى عتبته عليه وقد صرح اللعين
بهذا المعنى فقال انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين اسجد لمن خلقت طينا لم اكن لاسجد لبشر خلقته
من صلصال من حما مسنون فكفره الله بذلك فكل من سفه شيا من اوامر الله تعالى او امر رسوله عليه السلام
كان حكمه حكمه وهذا مما لا خلاف فيه وروى ابن القاسم عن مالك انه قال بلغنى ان اول معصية كانت الحسد والكبر
حسد ابليس ادم وشح ادم فى اكله من شجرة وقال قتادة حسد ابليس ادم على ما اعطاه الله من الكرامة فقال

فقدم

بلغ مقابلة

انا نارى

انا نارى وهذا طينى فكان بدو الذنوب الكبر ثم الحرص حتى اكل ادم من الشجرة ثم الحسد اذ حسد ابن ادم اخاه
التاسعة قوله تعالى وكان من الكافرين قيل كان هنا بمعنى صار ومنه قوله تعالى فكان من المغرقين وقال الشاعر

بتيهاء قفر والمطى كانها • قطا الحزن قد كانت فراخا بيوضها •

اى صارت قال ابن فورك كان هنا بمعنى صار خطا ترده الاصول وقال جمهور المتاولين المعنى اى كان فى علم
الله تعالى انه سيكفر لان الكافر حقيقة والمومن حقيقة هو الذى قد علم الله منه الموافاة **قلت** وهذا
صحيح لقوله صلى الله عليه وسلم فى صحيح البخارى وانما الاعمال بالخواتيم وقيل ان ابليس عبد الله تعالى ثمانين
الف سنة واعطى الرياسة والخزانة فى الجنة على الاستدراج كما اعطى المنافقون شهادة ان لا اله الا الله على
اطراف السنتهم وكما اعطى بلعام الاسم الاعظم على طرف لسانه فكان فى رياسته والكبر فى نفسه متمكن قال ابن
عباس كان يرى لنفسه ان له فضيلة على الملايكة بما عنده فلذلك قال انا خير منه ولذلك قال الله عز وجل
ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى استكبرت ام كنت من العالين اى استكبرت ولا كبر لك ولم اتكبر انا حين
خلقته بيدى والكبر لى فلذلك قال وكان من الكافرين وكان اصل خلقته من نار العزة ولذلك حلف بالعزة فقال
فبعزتك لاغوينهم اجمعين فالعزة اورثته الكبر حتى راى الفضل له على ادم عليه السلام وعن ابى صالح قال خلقت
الملايكة من نور العزة وخلقت ابليس من نار العزة **العاشرة** قال علماونا رحمة الله عليهم من اظهر الله تعالى
على يديه ممن ليس بنبى كرامات وخوارق للعادات فليس ذلك دالا على ولايته خلافا لبعض الصوفية والرافضة
حيث قالوا ان ذلك يدل على انه ولى اذ لو لم يكن وليا ما اظهر الله على يديه ما اظهر ودليلنا ان العلم بان الواحد منا
ولى لله تعالى لا يصح الا بعد العلم بانه يموت مومنا واذا لم يعلم انه يموت مومنا لم يمكنا ان نقطع على انه ولى لله تعالى
لان الولى لله تعالى من علم الله تعالى انه لا يوافى الا بالايمان ولما اتفقا على انا لا يمكننا ان نقطع على ان ذلك الرجل
لا يوافى بالايمان ولا الرجل نفسه يقطع على انه لا يوافى بالايمان علم ان ذلك ليس يدل على ولايته لله قالوا ولا يمنع
ان يطلع الله تعالى بعض اوليايه على حسن عاقبته وخاتمة علمه وغيره معه قاله الشيخ ابو الحسن الاشعرى وغيره
وذهب الطبرى الى ان الله تعالى اراد بقصة ابليس تقريع اشباهه من بنى ادم وهم اليهود الذين كفروا بمحمد عليه السلام
مع علمهم بنبوته ومع قدم نعم الله عليهم وعلى اسلافهم **الحادية عشرة** واختلف هل كان قبل ابليس كافر
ام لا فقيل لا وان ابليس اول من كفر وقيل كان قبله قوم كفار هم الجن الذين كانوا فى الارض واختلف هل كفر ابليس جهلا او عنادا
على قولين بين اهل السنة ولا خلاف انه كان عالما بالله تعالى قبل كفره فمن قال انه كفر جهلا قال انه سلب العلم عند كفره ومن
قال انه كفر عنادا قال كفر ومعه علمه قال ابن عطية والكفر مع بقا العلم مستبعد الا انه عندى جايز لا يستحيل مع خذل
الله لمن يشا **قوله تعالى** وقلنا يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة الى قوله من الظالمين فيه اثنتا عشرة مسئلة
الاولى قوله تعالى وقلنا يا ادم اسكن لا خلاف ان الله تعالى اخرج ابليس عند كفره وابعده عن الجنة وبعد اخراجه قال
لادم اسكن اى لازم الاقامة واتخذها مسكنا وهو محل السكون وسكن اليه يسكن سكونا والسكن النار قال الشاعر
قد قومت بسكن وادهان • والسكن كل ما يسكن اليه والسكين معروفة سمى به لانه يسكن حركة المذبوح ومنه المسكين
لقلة تصرفه وحركته وسكان السفينة عربى لانه يسكنها عن الاضطراب **الثانية** فى قوله تعالى اسكن تنبيه
على الخروج لان السكنى لا تكون ملكا ولهذا قال بعض العارفين السكنى تكون الى مدة ثم تنقطع فدخولهما فى الجنة كان
دخول سكنى لا دخول ثواب **قلت** واذا كان هذا فيكون فيه دلالة على ما يقوله الجمهور من العلما ان من اسكن رجلا مسكنا
له انه لا يملكه بالسكنى وان له ان يخرجه منه اذا انقضت مدة الاسكان وكان الشعبى يقول اذا قال الرجل دارى لك
سكنى حتى تموت فهى له حياته وموته واذا قال دارى هذه اسكنها حتى تموت فانها ترجع الى صاحبها اذا مات ونحو
من السكنى العمرى الا ان الخلاف فى العمرى اقوى منه فى السكنى وسياتى الكلام فى العمرى فى هود ان شا الله تعالى قال الحربى
سمعت ابن الاعرابى يقول لم يختلف العلما فى ان هذه الاشيا على ملك اربابها ومنافعها لمن جعلت له العمرى والرقبى
والاقفار والاخبال والمنحة والعرية والسكنى والاطراف وهذا حجة مالك واصحابه فى انه لا يملك شى من العطايا
الا المنافع دون الرقاب وهو قول الليث بن سعد والقاسم بن محمد ويزيد بن قسيط العمرى هو اسكانك الرجل فى دارك
مدة عمرك او عمره ومثله الرقبى وهو ان يقول ان مت قبلى رجعت الى وان مت قبلك فهى لك وهى من المراقبة والمراقبة
ان يرقب كل واحد منهما موت صاحبه وكذلك فى اجازتها ومنعها فاجازها ابو يوسف والشافعى وكانها وصية
عندهم ومنعها مالك والكوفيون لان كل واحد منهم يقصد الى عوض لا يدرى هل يحصل له ويتمنى كل واحد منهم موت صاحبه
وفى الباب حديثان ايضا بالاجازة والمنع ذكرهما ابن ماجة فى سننه الاول رواه جابر بن عبد الله قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم العمرى جايزة لمن اعمرها الرقبى جايزة لمن ارقبها ففى هذا الحديث التسوية بين العمرى والرقبى فى الحكم الثانى
رواه ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا رقبى فمن ارقب شيا فهو له حياته ومماته قال والرقبى ان يقول
هى للاخر منى ومنك موتا فقوله لا رقبى نفى يدل على المنع وقوله من ارقب شيا فهو له يدل على الجواز واخرجهما ايضا
النساى وذكر عن ابن عباس قال العمرى والرقبى سوا وقال ابن المنذر ثبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

العمرى جايزة لمن اعمرها والرقبى جايزة لمن ارقبها فقد صح الحديث ابن المنذر وهو حجة لمن قال بان العمرى والرقبى سواء وروى عن على وبه قال الثورى واحمد وانها لا ترجع الى الاول ابدا وبه قال اسحاق وقال طاوس من ارقب شيا فهو سبيل الميراث والافقار ماخوذ من فقار الظهر افقرتك ناقتى اعرتك فقارها لتركبها وافقرك الصيد اذا امكنك من فقاره حتى ترميه ومثله الاخبال يقال اخبلت فلانا اذا اعرته ناقة يركبها او فرسا يغزو عليه قال زهير

هنالك ان يستخبلوا المال يخبلوا • وان يسالوا يعطوا وان ييسروا يغلوا

والمنحة العطية والمنحة منحة اللبن والمنيحة الناقة او الشاة يعطيها الرجل اخر يحتلبها ثم يردها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العارية مؤداة والمنحة مردودة والدين مقضى والزعيم غارم رواه ابو امامة اخرجه الترمذى والدارقطنى وغيرهم وهو صحيح والاطراق اعارة الفحل استطرق فلان فلانا فحله اذا طلبه ليضرب فى ابله فاطرقه اياه ويقال اطرقنى فحلك اى اعرنى فحلك ليضرب فى ابلى وطرق الفحل الناقة يطرق طروقا اى قعا عليها وطروقة الفحل انثاه يقال ناقة طروقة الفحل للتى بلغت ان يضربها الفحل **الثالثة** قوله تعالى انت وزوجك انت تاكيد للمضمر الذى فى الفعل ومثله اذهب انت وربك ولا يجوز اسكن وزوجك ولا اذهب وربك الا فى ضرورة الشعر كما قال

قلت اذ اقبلت وزهر تهادى • كنعاج الملا تعسفن رملا

فزهر معطوف على المضمر فى اقبلت ولم يؤكد ذلك المضمر ويجوز فى غير القران على بعد قم وزيد **الرابعة** قوله تعالى وزوجك لغة القران زوج بغير هاء وقد تقدم القول فيه وقد جا فى صحيح مسلم زوجة حدثنا عبد الله ابن مسلمة بن قعنب قال حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت البنانى عن انس ان النبى صلى الله عليه وسلم كان مع احدى نسايه فمر به رجل فدعاه فجا فقال يا فلان هذه زوجتى فلانة فقال يا رسول الله من كنت اظن به فلم اكن اظن بك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجرى من الانسان مجرى الدم وزوج ادم عليه السلام هى حوا عليها السلام وهو اول من سماها بذلك حين خلقت من ضلعه من غير ان يحس ادم عليه السلام بذلك ولو الم بذلك لم يعطف رجل على امراته فلما انتبه قيل له من هذه قال امراة قيل وما اسمها قال حوا قيل ولم سميت امراة قال لانها من المرء اخذت قيل ولم سميت حوا قال لانها خلقت من حى روى ان الملايكة سالته عن ذلك لتجرب علمه وانهم قالوا له اتحبها يا ادم قال نعم قالوا لحوا اتحبينه يا حوا قالت لا وفى قلبها اضعاف ما فى قلبه من حبه قالوا فلو صدقت امراة فى حبها لزوجها لصدقت حوا وقال ابن مسعود وابن عباس لما اسكن ادم الجنة مشى فيها مستوحشا فلما نام خلقت حوا من ضلعه القصيرى من شقه الايسر ليسكن اليها ويانس بها فلما انتبه راها فقال من انت قالت امراة خلقت من ضلعك لتسكن الى وهو معنى قوله تعالى هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها قال العلما ولهذا كانت المراة عوجا لانها خلقت من اعوج وهو الضلع وفى صحيح مسلم عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المراة خلقت من ضلع فى رواية وان اعوج شى فى الضلع اعلاه لن يستقيم لك على طريقة واحدة فان استمتعت بها استمتعت وفيها عوج وان ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها وقال الشاعر

هى الضلع العوجا لست تقيمها • الا ان تقويم الضلوع انكسارها

اتجمع ضعفا واقتدارا على الفتى • اليس عجيبا ضعفها واقتدارها

ومن هذا الباب استدل العلما على ميراث الخنثى المشكل اذا استوت فيه علامات النسا والرجال من اللحية والثدى والمبال بنقص الاعضا فان نقصت اضلاعه عن اضلاع المراة اعطى نصيب رجل روى ذلك عن على رضى الله عنه لخلق حوا من احد اضلاعه وسياتى فى المواريث بيان هذا ان شا الله تعالى **الخامسة** قوله تعالى الجنة الجنة البستان وقد تقدم القول فيها ولا التفات لما ذهبت اليه المعتزلة والقدرية من انه لم يكن فى جنة الخلد وانما كان فى جنة بارض عدن واستدلوا على بدعتهم بانها لو كانت جنة الخلد لما وصل اليها ابليس فان الله تعالى يقول لا لغو فيها ولا تاثيم وقال لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا وقال لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما الا قيلا سلاما سلاما وانه لا يخرج منها اهلها لقوله تعالى وما هم منها بمخرجين وايضا فان جنة الخلد هى دار القدس قدست عن الخطايا والمعاصى تطهيرا لها وقد لغا فيها ابليس وكذب واخرج منها ادم وحوا بمعصيتهما قالوا وكيف يجوز على ادم مع مكانه من الله تعالى وكمال عقله ان يطلب شجرة الخلد وهو فى دار الخلد والملك الذى لا يبلى فالجواب ان الله تعالى عرف الجنة بالالف واللام ومن قال اسال الله الجنة لم يفهم منه فى تعارف الخلق الا طلب جنة الخلد ولا يستحيل فى العقل دخول ابليس الجنة لتغرير ادم وقد لقى موسى ادم عليهما السلام فقال له موسى انت اشقيت ذريتك واخرجتهم من الجنة فادخل الالف واللام ليدل على انها جنة الخلد المعروفة فلم ينكر ذلك ادم ولو كانت غيرها لرد على موسى فلما سكت ادم على ما قرره موسى صح ان الدار التى اخرجهم الله عز وجل منها بخلاف الدار التى اخرجوا اليها واما ما احتجوا به من الاى فذلك انما جعله الله فيها بعد دخول اهلها فيها يوم القيامة ولا يمتنع ان تكون دار خلد لمن اراد الله تخليده فيها وقد يخرج منها من قضى عليه بالفنا وقد اجمع اهل التاويل على ان الملايكة يدخلون الجنة على اهل الجنة ويخرجون منها وقد كان مفاتيحها بيد ابليس ثم انتزعت

منه

منه بعد المعصية وقد دخلها النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرا ثم خرج منها واخبر بما فيها وانها هى جنة الخلد حقا واما قولهم ان الجنة دار القدس وقد طهرها الله تعالى من الخطايا فجهل منهم وذلك ان الله تعالى امر بنى اسرايل ان يدخلوا الارض المقدسة وهى الشام واجمع اهل الشرايع على ان الله تعالى قدسها وقد شوهد فيها المعاصى والكفر والكذب ولم يكن تقديسها مما يمنع فيها المعاصى فكذلك دار القدس قال ابو الحسن بن بطال وقد حكى بعض المشايخ ان اهل السنة مجمعون على ان جنة الخلد هى التى اهبط منها ادم عليه السلام فلا معنى لقول من خالفهم وقولهم كيف يجوز على ادم فى كمال عقله ان يطلب شجرة الخلد وهو فى دار الخلد فيعكس عليهم ويقال كيف يجوز على ادم فى كمال عقله ان يطلب شجرة الخلد فى دار الفنا هذا ما لا يجوز على من له ادنى مسكة من عقل فكيف بادم الذى هو ارجح الخلق عقلا على ما قال ابو امامة على ما ياتى **السادسة** قوله تعالى وكلا منها رغدا حيث شيتما قراه الجمهور رغدا بفتح الغين وقرا النخعى وابن وثاب بسكونها والرغد العيش الدار الهنى الذى لا عنا فيه قال

بينما المرء تراه ناعما • يامن الاحداث فى عيش رغد

ويقال رغد عيشهم ورغد بضم الغين وكسرها وارغد القوم اخصبوا وصاروا فى رغد من العيش وهو منصوب على الصفة لمصدر محذوف وحيث وحيث وحيث وحوث وحوث وحاث كلها لغات ذكرها النحاس وغيره **السابعة** قوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة اى لا تقرباها بالاكل لان الاباحة فيه وقعت قال ابن العربى سمعت الشاشى فى مجلس النظر يقول اذا قيل لا تقرب بفتح الرا كان معناه لا تلبس بالفعل واذا كان بضم الرا كان معناه لا تدن منه وفى الصحاح قرب الشى بالضم يقرب قربا اى دنا وقربته بالكسر اقربه قربانا اى دنوت منه وقربت اقرب قرابة مثل كتبت اكتب كتابة اذا سرت الى الما وبينك وبينه ليلة والاسم القرب قال الاصمعى قلت لاعرابى ما القرب قال سير الليل لورد الغد وقال ابن عطية قال بعض الحذاق ان الله تعالى لما اراد النهى عن اكل الشجرة نهى عنه بلفظ يقتضى الاكل وما يدعو اليه وهو القرب قال ابن عطية وهذا مثال بين فى سد الذرايع وقال بعض ارباب المعانى قوله ولا تقربا اشعار بالوقوع فى الخطية والخروج من الجنة وان سكناه فيها لا يدوم لان المخلد لا يحظر عليه شى ولا يومر ولا ينهى والدليل على هذا قوله تعالى انى جاعل فى الارض خليفة فدل على خروجه منها **الثامنة** قوله تعالى هذه الشجرة الاسم المبهم ينعت بما فيه الالف واللام لا غير كقولك مررت بهذا الرجل وبهذه المراة وهذه الشجرة وقرا ابن محيصن هذى الشجرة باليا وهو الاصل لان الها فى هذه بدل من يا ولذلك انكسر ما قبلها وليس فى الكلام ها تانيث قبلها كسرة سواها وذلك لان اصلها اليا والشجرة والشجرة والشيرة ثلاث لغات وقرى الشجرة بكسر الشين والشجر والشجرة ما كان على ساق من نبات الارض وارض شجيرة وشجرا اى كثيرة الاشجار وواد شجير ولا يقال واد شجر وواحد الشجرا شجرة ولم يات من الجمع على هذا المثال الا احرف يسيرة شجرة وشجرا وقصبة وقصبا وطرفة وطرفا وحلفة وحلفا وكان الاصمعى يقول فى واحد الحلفا حلفة بكسر اللام مخالفة لاخواتها وقال سيبويه الشجرا واحد وجمع وكذلك القصبا والطرفا والحلفا والمشجر موضع الاشجار وارض مشجرة وهذه الارض اشجر من هذه اى اكثر شجرا قاله الجوهرى **التاسعة** واختلف اهل التاويل فى تعيين هذه الشجرة التى نهى عنها فاكل منها فقال ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبير وجعدة بن هبيرة هى الكرم ولذلك حرمت علينا الخمر وقال ابن عباس ايضا وابو مالك وقتادة هى السنبلة والحبة منها ككلى البقر احلى من العسل والين من الزبد قاله وهب بن منبه ولما تاب الله على ادم جعلها غذا لبنيه وقال ابن جريج عن بعض الصحابة هى شجرة التين وكذا روى سعيد عن قتادة ولذلك تعبر فى الرويا بالندامة لاكلها من اجل ندم ادم عليه السلام على اكلها ذكره السهيلى قال ابن عطية وليس فى شى من هذا التعيين ما يعضده خبر وانما الصواب ان يعتقد ان الله تعالى نهى ادم عن شجرة فخالف هو اليها وعصى بالاكل منها وقال القشيرى ابو نصر وكان الامام والدى رحمه الله يقول يعلم على الجملة انها كانت شجرة المحنة **العاشرة** واختلفوا كيف اكل منها مع الوعيد المقترن بالقرب وهو قوله فتكونا من الظالمين فقال قوم اكلا من غير التى اشير اليها فلم يتاولا النهى واقعا على جميع جنسها كان ابليس غره بالظاهر قال ابن العربى وهى اول معصية عصى الله بها على هذا القول قال وفيه دليل على ان من حلف ان لا ياكل من هذا الخبز فاكل من جنسه حنث وتحقيق المذاهب فيه ان اكثر العلما قالوا لا حنث فيه وقال مالك واصحابه ان اقتضى بساط اليمين تعيين المشار اليه لم يحنث باكل جنسه وان اقتضى بساط اليمين او سببها او نيتها الجنس حمل عليه وحنث باكل غيره وعليه حملت قصة ادم عليه السلام فانه نهى عن شجرة عينت له واريد به جنسها فحمل القول على اللفظ دون المعنى وقد اختلف علماونا فى فرع من هذا وهو انه اذا حلف ان لا ياكل الحنطة فاكل خبزا منها على قولين قال فى الكتاب يحنث لانها هكذا توكل وقال ابن المواز لا شى عليه لانه لم ياكل حنطة انما اكل خبزا فراعى الاسم والصفة ولو قال فى يمينه لا اكل من هذه الحنطة يحنث باكل الخبز المعمول منها وفيما اشترى بثمنها من طعام وفيما انبتت خلافا وقال اخرون تاولا النهى على الندب قال ابن العربى وهذا وان كانت مسالة من اصول الفقه فقد سقط ذلك هاهنا لقوله فتكونا من الظالمين فقرن النهى بالوعيد وكذلك قوله سبحانه فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى وقال

هذه ح

ابن المسيب انما اكل ادم بعد ان سقته حوا الخمر فسكر فكان في غير عقله وكذلك قال يزيد بن قسيط وكانا يحلفان
بالله انه ما اكل من هذه الشجرة وهو يعقل قال ابن العربي وهذا فاسد نقلا وعقلا اما النقل فلم يصح بحال وقد
وصف الله خمر الجنة فقال لا فيها غول واما العقل فلان الانبيا بعد النبوة معصومون عما يودي الى الاخلال
بالفرايض واقتحام الجرايم قلت قد استنبط بعض العلما نبوة ادم عليه السلام قبل اسكانه الجنة
من قوله تعالى فلما انباهم باسمايهم فامره الله تعالى ان ينبي الملايكة بما ليس عندهم من علم الله جل وعز وقيل
اكلها ناسيا ومن الممكن انهما نسيا الوعيد قلت وهو الصحيح لاخبار الله تعالى في كتابه حتما وجزما
فقال ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي ولم نجد له عزما لكن لما كانت الانبيا عليهم السلام يلزمهم من التحفظ
والتيقظ لكثرة معارفهم وعلو منازلهم ما لا يلزم غيرهم كان تشاغلهم عن تذكر النهي تضييعا صار به عاصيا اي
مخالفا قال ابو امامة لو ان احلام بني ادم منذ خلق الله الخلق الى يوم القيامة وضعت في كفة ميزان ووضع حلم
ادم في كفة اخرى لرجحهم وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما قلت قول ابي امامة هذا عموم في جميع بني
ادم وقد يحتمل ان يخص من ذلك نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فانه كان اوفر الناس حلما وعقلا وقد يحتمل ان يكون
المعنى لو ان احلام بني ادم من غير الانبيا والله اعلم قلت والقول الاول احسن ايضا فظنا ان المراد العين
وكان المراد الجنس كقول النبي صلى الله عليه وسلم حين اخذ ذهبا وحريرا هذان حرامان على ذكور امتي وقال في خبر اخر
هذان مهلكان امتي وانما اراد الجنس لا العين الحادية عشرة يقال ان اول من اكل من الشجرة حوا باغوا ابليس
اياها على ما ياتي بيانه وان اول كلامه كان معها لانها وسواس المخدة وهي اول فتنة دخلت على الرجال من النسا
فقال ما منعكما هذه الشجرة الا انها شجرة الخلد لانه علم منهما انهما كانا يحبان الخلد فاتاهما من حيث احبا
حبك الشي يعمي ويصم فلما قالت حوا لادم انكر عليها وذكر العهد فالح على حوا والحت حوا على ادم الى ان قالت انا اكل قبلك
حتى ان اصابني شي سلمت انت فاكلت فلم يضرها فاتت ادم فقالت كل فاني قد اكلت فلم يضرني فاكل فبدت لهما
سواتهما وحصلا في حكم الذنب لقول الله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة فجمعهما في النهي فلذلك لم ينزل بهما العقوبة
حتى وجد المنهي عنه منهما جميعا وخفيت على ادم هذه المسيلة ولهذا قال بعض العلما ان من قال لزوجتيه او امتيه
ان دخلتما الدار فانتما طالقتان او حرتان ان الطلاق والعتق لا يقع بدخول احداهما وقد اختلفت علماونا في ذلك
ذلك على ثلاثة اقوال قال ابن القاسم لا تطلقان ولا تعتقان الا باجتماعهما في الدخول حملا على هذا الاصل واخذا
بمقتضى مطلق اللفظ وقاله سحنون وقال ابن القاسم مرة اخرى تطلقان وتعتقان جميعا بوجود الدخول
من احدهما لان بعض الحنث حنث كما لو حلف ان لا ياكل هذين الرغيفين فانه يحنث باكل احدهما بل باكل لقمة منهما
وقال اشهب تعتق وتطلق التي دخلت وحدها لان دخول كل واحدة منهما شرط في طلاقها او عتاقها قال ابن العربي
وهذا بعيد لان بعض الشرط لا يكون شرطا اجماعا قلت الصحيح الاول وان النهي اذا كان معلقا على فعلين لا يتحقق
المخالفة الا بهما لان قول الله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة نهي لهما فتكونا من الظالمين جوابه فلا يكونا من الظالمين
حتى يفعلا فلما اكلت لم يصبهما شي لان المنهي عنه ما وجد كلاما وخفي هذا المعنى على ادم فطمع ونسي هذا الحكم
وهو معنى قوله تعالى ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي ولم نجد له عزما وقيل نسي قوله ان هذا عدو لك ولزوجك فلا
يخرجنكما من الجنة فتشقى والله اعلم الثانية عشرة واختلف العلما من هذا الباب هل وقع من الانبيا صلوات
الله عليهم اجمعين صغاير من الذنوب يؤاخذون بها ويعاقبون عليها ام لا بعد اتفاقهم على انهم معصومون من الكباير
ومن كل رذيلة فيها شين ونقص اجماعا عند القاضي ابي بكر وعند الاستاذ ابي بكر ان ذلك مقتضى دليل المعجزة
وعند المعتزلة ان ذلك مقتضى دليل العقل على اصولهم فقال الطبري وغيره من الفقها والمتكلمين والمحدثين يقع
الصغاير منهم خلافا للرافضة حيث قالوا انهم معصومون من جميع ذلك واحتجوا بما وقع من ذلك في التنزيل
وثبت في تفضلهم من ذلك في الحديث وهذا ظاهر لا خفا به وقال جمهور من الفقها من اصحاب مالك وابي حنيفة
والشافعي انهم معصومون من الصغاير كلها كعصمتهم من الكباير اجمعها لانا امرنا باتباعهم في افعالهم واثارهم
وسيرهم امرا مطلقا من غير التزام قرينة فلو جوزنا عليهم الصغاير لم يمكن الاقتدا بهم اذ ليس كل فعل من افعالهم
يتميز مقصده من القربة والاباحة والحظر او المعصية ولا يصح ان يومر المرء بامتثال امر لعله معصية
لا سيما على من يرى تقديم الفعل على القول اذا تعارضا من الاصوليين قال الاستاذ ابو اسحاق الاسفرايني
واختلفوا في الصغاير والذي عليه الاكثر ان ذلك غير جايز عليهم وصار بعضهم الى تجويزها ولا اصل لهذه المقالة
وقال بعض المتاخرين ممن ذهب الى القول الاول الذي ينبغي ان يقال ان الله تعالى قد اخبر بوقوع ذنوب من بعضهم
ونسبها اليهم وعاتبهم عليها واخبروا بها عن نفوسهم وتنصلوا منها واشفقوا منها وتابوا وكل ذلك ورد في
مواضع كثيرة لا يقبل التاويل جملتها وان قبل ذلك احادها وكل ذلك مما لا يزري بمناصبهم وانما تلك الامور
التي وقعت منهم على جهة الندور وعلى جهة الخطا والنسيان او تاويل دعا الى ذلك فهي الى غيرهم حسنات وفي
حقهم سيات الى مناصبهم وعلو اقدارهم اذ قد يؤاخذ الوزير بما يثاب عليه السايس فاشفقوا من ذلك

في موقف

في موقف القيامة مع علمهم بالامن والامان والسلامة قال وهذا هو الحق ولقد احسن الجنيد حيث قال حسنات
الابرار سيات المقربين فهم صلوات الله وسلامه عليهم وان كان قد شهدت النصوص بوقوع ذنوب منهم فلم
يخل ذلك بمناصبهم ولا قدح في رتبهم بل قد تلافاهم واجتباهم وهداهم ومدحهم وزكاهم واختارهم واصطفاهم
صلوات الله عليهم وسلامه الثالثة عشرة قوله تعالى فتكونا من الظالمين الظلم اصله وضع الشي في غير موضعه
والارض المظلومة التي لم تحفر قط ثم حفرت قال النابغة

وقفت فيها اصيلا لا اسايلها ... عيت جوابا وما بالربع من احد
الا الاواري لايا ما ابينها ... والنوى كالحوض بالمظلومة الجلد

ويسمى ذلك التراب الظليم قال الشاعر

فاصبح في غبرا بعد اشاحة ... على العيش مردود عليها ظليمها

واذا نحر البعير من غير دا به فقد ظلم ومنه ظلامون للجزور ويقال سقانا ظليمة طيبة اذا سقاهم اللبن
قبل ادراكه وقد ظلم وطبه اذا سقي منه قبل ان يروب ويخرج زبده واللبن مظلوم وظليم قال الشاعر

وقايلة ظلمت لكم سقاي ... وهل يخفى على العكر الظليم

ورجل ظليم شديد الظلم والظلم الشرك قال الله تعالى ان الشرك لظلم عظيم وكلا منهما رغدا حذفت النون من
كلا لانه امر وحذفت الهمزة لكثرة الاستعمال وحذفها شاذ قال سيبويه من العرب من يقول اوكل فيتم
يقال منه اكلت الطعام اكلا وماكلا والاكلة بالفتح المرة الواحدة حتى تشبع والاكلة بالضم اللقمة
تقول اكلت اكلة واحدة وهي القرصة ايضا وهذا الشي اكلة لك اي طعمة لك والاكل ايضا ما اكل ويقال فلان
ذو اكل اذا كان ذا حظ من الدنيا ورزق واسع رغدا نعت لمصدر محذوف اي اكلا رغدا قال ابن كيسان ويجوز
ان يكون مصدرا في موضع الحال وقال مجاهد رغدا لا حساب عليهم والرغد في اللغة الكثير الذي لا يغشك
ويقال ارغد القوم اذا وقعوا في خصب وسعة وقد تقدم هذا المعنى وحيث مبنية على الضم لانها خالفت اخواتها
الظروف في انها لا تضاف فاشبهت قبل وبعد اذا افردتا فضمت قال الكسائي لغة قيس وكنانة الضم ولغة
تميم الفتح قال الكسائي وبنو اسد يخفضونها في موضع الخفض وينصبونها في موضع النصب قال الله تعالى
سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وتضم وتفتح ولا تقربا هذه الشجرة الها من هذه بدل من يا الاصل لان
الاصل هذي قال النحاس ولا اعلم في العربية ها تانيث مكسور ما قبلها الا ها هذه ومن العرب من يقول هاتا
هند ومنهم من يقول هاتي هند وحكى سيبويه هذه هند باسكان الها وحكى الكسائي عن العرب ولا تقربا هذي الشجرة
وعن شبل بن عباد قال ابن كثير وابن محيصن لا يثبتان الها في هذه في جميع القران وقراة الجماعة رغدا بفتح الغين
وروي عن ابن وثاب والنخعي انهما سكنا الغين وحكى سلمة عن الفرا قال يقال هذه فعلت وهذي فعلت باثبات
ها بعد الذال وهذ فعلت بكسر الذال من غير الحاق يا ولا ها وها تا فعلت قال هشام ويقال تا فعلت وانشد

خليلي لولا ساكن الدار لم اقم ... بتا الدار الا عابر ابن سبيل

قال ابن الانباري وتا باسقاط ها بمنزلة ذي باسقاط ها من هذي وبمنزلة ذه باسقاط ها من هذه وقد
قال الفرا من قال هذ لا يسقط ها لان الاسم لا يكون على ذاك واحدة فتكونا عطف على تقربا فلذلك حذفت النون
وزعم الجرمي ان الفا هي الناصبة وكلاهما جايز قوله تعالى فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه فيه
عشر مسايل الاولى قوله تعالى فازلهما الشيطان عنها قرا الجماعة فازلهما بغير الف من الزلة وهي الخطية اي استزلهما
واوقعهما فيها وقرا حمزة فازالهما بالف من التنحية اي نحاهما يقال ازلته فزال قال ابن كيسان فازالهما من الزوال
اي صرفهما عما كانا عليه من الطاعة الى المعصية قلت وعلى هذا تكون القراتان بمعنى الا ان قراة الجماعة امكن في
المعنى يقال منه ازللته فزل ودل على هذا قوله تعالى انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا وقوله فوسوس
لهما الشيطان والوسوسة انما هي ادخالهما في الزلل بالمعصية وليس للشيطان قدرة على زوال احد من مكان الى مكان
انما قدرته ادخاله في الزلل فيكون ذلك سببا الى زواله من مكان الى مكان بذنبه وقد قيل ان معنى ازلهما من زل عن
المكان اذا تنحى فيكون في المعنى كقراة حمزة من الزوال قال امرؤ القيس

يزل الغلام الخف عن صهواته ... ويلوي باثواب العنيف المثقل

وقال ايضا كميت

يزل اللبد عن حال متنه ... كما زلت الصفواء بالمتنزل

الثانية قوله تعالى فاخرجهما مما كانا فيه اذا جعل ازال من زال عن المكان فقوله فاخرجهما تاكيد وبيان للزوال
اذ قد يمكن ان يزولا عن مكان كانا فيه الى مكان اخر من الجنة وليس كذلك وانما كان اخراجهما من الجنة الى الارض
لانهما خلق منها وليكون ادم خليفة في الارض ولم يقصد ابليس لعنه الله اخراجه منها وانما قصد اسقاطه
من مرتبته وابعاده كما ابعد هو فلم يبلغ مقصوده ولا ادرك مراده بل ازداد سخنة عين وغيظ نفس وخيبة
ظن قال الله عز وجل ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى فصار عليه السلام خليفة الله في ارضه بعد ان كان جارا

له في داره فكم بين الخليفة والجار صلى الله عليه وسلم ونسب ذلك الى ابليس لانه كان بسببه واغوايه ولا خلاف
بين اهل التاويل ان ابليس كان متولي اغوا ادم واختلف في الكيفية فقال ابن مسعود وابن عباس وجمهور العلما
اغواهما مشافهة ودليل ذلك قوله تعالى وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين والمقاسمة ظاهرها المشافهة وقال
بعضهم وذكره عبد الرزاق عن وهب بن منبه دخل الجنة في فم الحية وهي ذات اربع كالبختية من احسن دابة خلقها الله
بعد ان عرض نفسه على كثير من الحيوان فلم يدخله الا الحية فلما دخلت به الجنة خرج من جوفها ابليس فاخذ من الشجرة
التي نهى الله ادم وزوجه عنها فجا بها الى حوا فقال انظري الى هذه الشجرة ما اطيب ريحها واطيب طعمها واحسن لونها
فلم يزل يغويها حتى اخذتها حوا فاكلتها ثم اغوى ادم وقالت له حوا كل فاني قد اكلت فلم يضرني فاكل منها فبدت
لهما سوآتهما وحصلا في حكم الذنب فدخل ادم في جوف الشجرة فناداه ربه اين انت فقال انا هذا يا رب قال الا تخرج
قال استحي منك يا رب قال اهبط الى الارض التي خلقت منها ولعنت الحية وردت قوائمها في جوفها وجعلت العداوة
بينها وبين بني ادم ولذلك امرنا بقتلها على ما ياتي بيانه وقيل لحوا كما ادميت الشجرة فكذلك يصيبك الدم
كل شهر وتحملين وتضعين كرها تشرفين به على الموت مرارا قال وزاد الطبري والنقاش وتكوني سفيهة وقد
كنت حليمة وقالت طايفة ان ابليس لم يدخل الجنة الى ادم بعد ما اخرج منها وانما اغوى بشيطانه وسلطانه
ووساوسه التي اعطاه الله تعالى كما قال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم والله اعلم
وسياتي في الاعراف انه لما اكل بقي عريانا وطلب ما يستتر به فتباعدت عنه الاشجار وبكتوه بالمعصية
فرحمته شجرة التين فاخذ من ورقه فاستتر به فبلي بالعري دون الشجر والله اعلم وقيل ان الحكمة في اخراج
ادم من الجنة عمارة الارض **الثالثة** يذكر ان الحية كانت خادم ادم عليه السلام في الجنة فخانته بان مكنت
عدو الله من نفسها وظهرت العداوة له هناك فلما اهبطوا تاكدت العداوة وجعل رزقها التراب وقيل
لها انت عدو بني ادم وهم اعداوك وحيث لقيك منهم احد شدخ راسك روى ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال خمس يقتلهن المحرم فذكر الحية فيهن وروي ان ابليس قال لها ادخليني الجنة وانت في ذمتي فكان ابن عباس
يقول احقروا ذمة ابليس وروت ساكنة بنت الجعد عن سري بنت نبهان الغنوية قالت سمعت رسول الله
الله صلى الله عليه وسلم يقول اقتلوا الحيات صغيرها وكبيرها واسودها وابيضها فان من قتلها كانت له فدا من النار
ومن قتلته كان شهيدا قال علماونا وانما كانت له فدا من النار لمشاركتها ابليس واعانته على ضرر ادم وولده
فلذلك كان من قتل حية فكانما قتل كافرا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمع كافر وقاتله في النار
ابدا اخرجه مسلم وغيره **الرابعة** روى ابن جريج عن عمرو بن دينار عن ابي عبيدة بن عبد الله بن مسعود قال
كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بمنى فمرت حية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلوها فسبقتنا الى جحر فدخلته
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هاتوا بسعفة ونار فاضرموها عليه نارا قال علماونا وهذا الحديث يخص
نهيه عليه السلام عن المثلة وعن ان يعذب احد بعذاب الله تعالى قالوا فلم يبق لهذا العدو حرمة حيث
فاته حتى اوصل اليه الهلاك من حيث قدر فان قيل فقد روي عن ابراهيم النخعي انه كره ان تحرق العقرب
بالنار وقال هو مثلة قيل له يحتمل ان يكون لم يبلغه هذا الاثر عن النبي صلى الله عليه وسلم وعمل على الاثر الذي
جا ان لا يعذبوا بعذاب الله فكان على هذا سبيل العمل عنده فان قيل فقد روى مسلم عن عبد الله بن مسعود قال
كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غار وقد انزلت عليه والمرسلات عرفا فنحن ناخذها من فيه رطبة اذ خرجت
علينا حية فقال اقتلوها فابتدرناها لنقتلها فسبقتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاها الله
شركم كما وقاكم شرها فلم يضرم نارا ولا احتال في قتلها قيل له يحتمل ان يكون لم يجد نارا فتركه او لم يكن
الجحر بهيئة ينتفع بالنار هناك مع ضرر الدخان وعدم وصوله الى الحيوان والله اعلم وقوله وقاها الله شركم
اي قتلكم اياها كما وقاكم شرها اي لسعها **الخامسة** الامر بقتل الحيات من باب الارشاد الى دفع المضرة
المخوفة من الحيات فما كان منها متحقق الضرر وجبت المبادرة الى قتله لقوله اقتلوا الحيات واقتلوا ذا الطفيتين
والابتر فانهما يخطفان البصر ويسقطان الحبل خصهما بالذكر مع انهما دخلا في العموم ونبه على ذلك بسبب
عظم ضررهما وما لم يتحقق ضرره فما كان منها في غير البيوت قتل ايضا لظاهر الامر العام ولان نوع الحيات
غالبة الضرر فيستصحب ذلك فيه ولانه كله مروع بصورته وبما في النفوس من النفرة منه ولذلك قال
صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الشجاعة ولو على قتل حية فشجع على قتلها وقال فيما خرجه ابو داود من
حديث عبد الله بن مسعود مرفوعا اقتلوا الحيات فمن خاف ثارهن فليس مني **السادسة** ما كان من الحيات
في البيوت فلا يقتل حتى يوذن ثلاثة ايام لقوله عليه السلام ان بالمدينة جنا قد اسلموا فاذا رايتم منها
شيا فاذنوه ثلاثة ايام وقد حمل بعض العلما هذا الحديث على المدينة وحدها لاسلام الجن بها قالوا ولا نعلم
هل اسلم من جن غير المدينة احد ام لا قاله ابن نافع وقال مالك ينهى عن قتل حيات البيوت في جميع البلاد
وهو الصحيح لان الله عز وجل قال واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران الاية وفي صحيح مسلم عن

وغيرهم

عبد الله

عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اتاني داعي الجن فذهبت معهم وقرات عليهم القران وفيه
وسالوه الزاد وكانوا من جن الجزيرة الحديث وسياتي بكماله في سورة الجن ان شا الله تعالى واذا ثبت هذا
فلا يقتل منها شي حتى يخرج عليه وينذر على ما ياتي بيانه ان شا الله تعالى **السابعة** روى الايمة عن ابي
السايب مولى هشام بن زهرة انه دخل على ابي سعيد الخدري في بيته قال فوجدته يصلي فجلست انتظر حتى
يقضي صلاته فسمعت تحريكا في عراجين ناحية البيت فالتفت فاذا حية فوثبت لاقتلها فاشار
الي ان اجلس فجلست فلما انصرف اشار الى بيت في الدار فقال اترى هذا البيت فقلت نعم فقال كان فيه فتى منا
حديث عهد بعرس قال فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الخندق فكان ذلك الفتى يستاذن رسول
الله صلى الله عليه وسلم بانصاف النهار فيرجع الى اهله فاستاذنه يوما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
خذ عليك سلاحك فاني اخشى عليك قريظة فاخذ الرجل سلاحه ثم رجع فاذا امراته بين البابين قايمة
فاهوى اليها الرمح ليطعنها واصابته غيرة فقالت له اكفف عليك رمحك وادخل البيت حتى تنظر ما الذي
اخرجني فدخل فاذا بحية عظيمة منطوقة على الفراش فاهوى اليها بالرمح فانتظمها به ثم خرج فاركزه في
الدار فاضطربت عليه فما يدري ايهما كان اسرع موتا الحية ام الفتى قال فجينا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فذكرنا ذلك له وقلنا ادع الله يحييه فقال استغفروا لاخيكم ثم قال ان بالمدينة جنا قد اسلموا فاذنوه
ثلاثة ايام فان بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فانما هو شيطان وفي طريق اخرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان لهذه البيوت عوامر فاذا رايتم شيا منها فحرجوا عليه ثلاثا فان ذهب والا فاقتلوه فانه كافر وقال لهم
اذهبوا فادفنوا صاحبكم قال علماونا رحمة الله عليهم لا يفهم من هذا الحديث ان الجان الذي قتله الفتى كان
مسلما وان الجن قتلته قصاصا لانه لو سلم ان القصاص مشروع بيننا وبين الجن لكن انما يكون في العمد المحض
وهذا الفتى لم يقصد ولم يتعمد قتل نفس مسلمة اذ لم يكن عنده علم من ذلك وانما قصد الى قتل ما سوغ له
قتل نوعه شرعا فهذا قتل خطا ولا قصاص فيه فالاولى ان يقال ان كفار الجن او فسقتهم قتلوا الفتى بصاحبهم
عدوا وانتقاما وقد قتلت سعد بن عبادة رضي الله عنه وذلك انه وجد ميتا في مغتسله وقد اخضر جسده
ولم يشعروا بموته حتى سمعوا قايلا يقول ولا يرون احدا • قد قتلنا سيد الخزرج سعد بن عباده •
ورميناه بسهم فلم يخط فواده • وانما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان بالمدينة جنا قد اسلموا ليبين طريقا
يحصل به التحرز من قتل المسلم منهم ويتسلط به على قتل الكافر منهم روي من وجوه ان عايشة زوج النبي
صلى الله عليه وسلم قتلت جنا فاريت في المنام ان قايلا يقول لها قد قتلت مسلما فقالت لو كان مسلما لم يدخل
على ازواج النبي صلى الله عليه وسلم قال ما دخل عليك الا وعليك ثيابك فاصبحت فامرت باثني عشر الف درهم
فجعلت في سبيل الله في رواية ما دخل عليك الا وانت مستترة فصدقت واعتقت رقابا وقال الربيع بن
بدر الجان من الحيات التي نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتلها هي التي تمشي ولا تلتوي وعن علقمة نحوه •
الثامنة في صفة الانذار قال مالك احب الي ان ينذروا ثلاثة ايام وقال عيسى بن دينار وان ظهر في اليوم
مرارا ولا يقتصر على انذاره ثلاث مرار في يوم واحد حتى يكون في ثلاثة ايام وقيل يكفي ثلاث مرار لقوله
عليه السلام فليوذنه ثلاثا وقوله حرجوا عليه ثلاثا ولان ثلاثا للعدد المونث فظهر ان المراد ثلاث مرات
وقول مالك اولى لقوله عليه السلام ثلاثة ايام وهو نص صريح مقيد لتلك المطلقات ويحمل ثلاثا على ارادة
ليالي الايام فغلب الليلة على عادة العرب في باب التاريخ فانما تغلب فيها التانيث قال مالك ويكفي في
في الانذار ان يقول احرج عليك بالله واليوم الاخر ان لا تبدوا لنا ولا توذونا وذكر ثابت البناني عن عبد
الرحمن بن ابي ليلى انه ذكر عنده حيات البيوت فقال اذا رايتم منها شيا في مساكنكم فقولوا انشدكم
بالعهد الذي اخذ عليكم نوح عليه السلام وانشدكم بالعهد الذي اخذ عليكم سليمان عليه السلام فاذا رايتم
منهن شيا بعد فاقتلوه **قلت** وهذا يدل بظاهره انه يكفي في الاذن مرة واحدة والحديث يرده
يرده والله اعلم وقد حكى ابن حبيب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه يقول انشدكن بالعهد الذي اخذ عليكن
سليمان ان توذونا وان تظهرن علينا **التاسعة** روى جبير بن نفير عن ابي ثعلبة الخشني واسمه جرثوم
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجن على ثلاثة اثلاث فثلث لهم اجنحة يطيرون في الهوا وثلث
حيات وكلاب وثلث يحلون ويظعنون وروى ابو الدردا واسمه عويمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
خلق الجن ثلاثة اثلاث فثلث كلاب وحيات وخشاش الارض وثلث ريح هفافة وثلث كبني ادم لهم
الثواب وعليهم العقاب وخلق الله الانس ثلاثة اثلاث فثلث لهم قلوب لا يفقهون بها واعين لا يبصرون
بها واذان لا يسمعون بها ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا وثلث اجسادهم كاجساد بني ادم وقلوبهم
قلوب الشياطين وثلث في ظل الله يوم لا ظل الا ظله **العاشرة** ما كان من الحيوان اصله الاذاية فانه يقتل
ابتدا لاجل اذايته من غير خلاف كالحية والعقرب والفار والوزغ وشبهه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

هذا م

خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم وذكر الحديث فالحية ابدت جوهرها الخبيث حيث خانت ادم بان ادخلت
ابليس الجنة بين فكيها ولو كانت تبرزه ما تركه رضوان تدخل به وقال لها ابليس انت في ذمتي فامر النبي صلى
الله عليه وسلم بقتلها فقال اقتلوها وان كنتم في الصلاة يعني الحية والعقرب والوزغة نفخت على نار ابراهيم
عليه السلام من بين ساير الدواب فلعنت وهذا من نوع ما يروى في الحية وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال من قتل وزغة فكانما قتل كافرا وفي حديث مسلم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قتل وزغا في اول
ضربة كتبت له ماية حسنة وفي الثانية دون ذلك وفي الثالثة دون ذلك وفي رواية انه قال في اول ضربة
سبعين حسنة والفارة ابدت جوهرها بان عمدت الى حبال سفينة نوح عليه السلام فقطعتها وروى عبد الرحمن
ابن ابي نعيم عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقتل المحرم الحية والعقرب والحداة والسبع
العادي والكلب العقور والفويسقة واستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اخذت فتيلة لتحرق البيت
فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتلها والغراب ابدى جوهره حيث بعثه نبي الله نوح عليه السلام من السفينة
ليأتيه بخبر الارض فترك امره واقبل على جيفة هذا كله في معنى الحية فلذلك ذكرناه وسياتي لهذا الباب
مزيد بيان في التعليل في المايدة وغيرها ان شا الله تعالى **قوله تعالى** وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو
فيه تسع مسايل **الاولى** قوله تعالى وقلنا اهبطوا حذفت الالف من اهبطوا في اللفظ لانها الف وحذفت الالف
من قلنا في اللفظ لسكونها وسكون الها بعدها وروى محمد بن مصفى عن ابي حيوة ضم البا في اهبطوا وهي لغة
يقويها انه غير متعد والاكثر في غير المتعدي ان ياتي على يفعل والخطاب لادم وحوا والحية والشيطان في قول
ابن عباس وقال الحسن ادم وحوا والوسوسة وقال مجاهد والحسن ايضا بنو ادم وبنو ابليس والهبوط النزول
من فوق الى اسفل فاهبط ادم بسرنديب من الهند بجبل يقال له بود ومعه ريح الجنة فعلق بشجرها واوديتها
فامتلا ما هنالك طيبا فمن ثم يوتى بالطيب من ريح ادم عليه السلام وكان السحاب يمسح راسه فاصلع
فاورث ولده الصلع وفي البخاري عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خلق الله ادم وطوله ستون
ذراعا الحديث واخرجه مسلم وسياتي واهبطت حوا بجدة وابليس بالايلة والحية ببيسان وقيل بسجستان
وسجستان اكبر بلاد الله حيات ولولا العربد ما ياكلها ويفنى كثيرا منها لاخليت سجستان من اجل الحيات
ذكره ابو الحسن المسعودي **الثانية** قوله تعالى بعضكم لبعض عدو بعضكم مبتدا عدو خبره والجملة في موضع
نصب على الحال والتقدير وهذه حالكم وحذفت الواو من وبعضكم لان في الكلام عايدا كما يقال رايتك السما
تمطر عليك والعدو خلاف الصديق وهو من عدا اذا ظلم وذيب عدو ان يعدو على الناس والعدوان الظلم الصراح
وقيل هو ماخوذ من المجاوزة من قولك لا يعدوك هذا الامر اي لا يتجاوزك وعداه اذا جاوزه فسمي عدوا لمجاوزة
الحد في مكروه صاحبه ومنه العدو بالقدم لمجاوزة المشي والمعنيان متقاربان فان من ظلم فقد تجاوز **قلت**
وقد حمل بعض العلما قوله تعالى بعضكم لبعض عدو على الانسان نفسه وفيه بعد وان كان صحيحا معنى يدل عليه
قوله عليه السلام ان العبد اذا اصبح تقول جوارحه للسانه اتق الله فينا فانك ان استقمت استقمنا وان اعوججت
اعوججنا فان قيل كيف قال عدو ولم يقل اعدا فعنه جوابان احدهما ان بعضا وكلا يخبر عنهما بالواحد على اللفظ
وعلى المعنى وذلك في القران قال الله تعالى وكل اتيه يوم القيامة وقال وكل اتوه داخرين على المعنى والجواب
الاخر ان عدوا يفرد في موضع الجمع قال الله عز وجل وهم لكم عدو بيس للظالمين بدلا بمعنى اعدا وقال يحسبون كل
صيحة عليهم هم العدو وقال ابن فارس العدو اسم جامع للواحد والاثنين والثلاثة والتانيث وقد يجمع
الثالثة لم يكن اخراج الله تعالى ادم من الجنة واهباطه عقوبة له لانه اهبطه بعد ان تاب عليه وقبل
توبته وانما اهبطه اما تاديبا واما تغليظا للمحنة والصحيح في اهباطه وسكناه في الارض ما قد ظهر من
الحكمة الازلية في ذلك وهو نشر نسله فيها ليكلفهم ويمتحنهم ويرتب على ذلك ثوابهم وعقابهم الاخروي
اذ الجنة والنار ليست بدار تكليف فكانت تلك الاكلة بسبب اهباطه من الجنة ولله ان يفعل ما يشا وقد قال
اني جاعل في الارض خليفة وهذه منقبة عظيمة وفضيلة كريمة شريفة وقد تقدمت الاشارة اليها مع
انه خلق من الارض وانما قلنا انه اهبطه بعد ان تاب عليه لقوله ثانية قلنا اهبطوا وسياتي **الرابعة**
قوله تعالى ولكم في الارض مستقر ابتدا وخبر اي موضع استقرار قاله ابو العالية وابن زيد وقال السدي مستقر
يعني القبور **الخامسة** قوله تعالى ومتاع المتاع ما يستمتع به من اكل ولبس وحياة وحديث وانس وغير ذلك
ومنه سميت متعة النكاح لانها تنتفع به وانشد سليمان بن عبد الملك حين وقف على قبر ابنه ايوب اثر دفنه

وقفت على قبر غريب بقفرة ۞ متاع قليل من حبيب مفارق

السادسة قوله تعالى الى حين اختلف المتاولون في الحين على اقوال فقالت فرقة الى الموت وهذا قول من يقول المستقر
هو المقام في الدنيا وقيل الى قيام الساعة وهذا قول من يقول المستقر هو في القبور وقال الربيع الى حين الى اجل والحين
الوقت البعيد فحين تبعيد من قولك الان قال خويلد

كابي

كابي الرماد عظيم القدر جفنته ۞ حين الشتا كحوض المنهل اللفف

لفف الحوض لففا اي تهور من اسفله واتسع وربما ادخلوا عليه التا وقال ابو وجزة

العاطفون تحين ما من عاطف ۞ والطاعمون زمان ابن المطعم

والحين ايضا المدة ومنه قوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر والحين الساعة قال الله تعالى او تقول
حين ترى العذاب قال ابن عرفة الحين القطعة من الدهر كالساعة فما فوقها وقوله فذرهم في غمرتهم حتى حين
اي حين تفنى اجالهم وقوله تعالى توتي اكلها كل حين اي كل سنة وقيل بل كل ستة اشهر وقيل بل غدوة وعشية قال
الازهري الحين اسم كالوقت يصلح لجميع الازمان كلها طالت ام قصرت والمعنى انه ينتفع بها في كل وقت ولا ينقطع
نفعها البتة قال والحين يوم القيامة والحين الغدوة والعشية قال الله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين
تصبحون ويقال عاملته محاينة من الحين واحنيت بالمكان اذا اقمت به حينا وحان حين كذا اي قرب قال بثينة

وان سلوي عن جميل لساعة ۞ من الدهر ما حانت ولا حان حينها

السابعة لما اختلف اهل اللسان في الحين اختلف فيه ايضا علماونا وغيرهم فقال الفرا الحين حينان حين لا يوقف
على حده والحين الذي ذكره الله جل ثناوه توتي اكلها كل حين باذن ربها ستة اشهر قال ابن العربي الحين المجهول لا يتعلق
به حكم والحين المعلوم هو الذي تتعلق به الاحكام ويرتبط به التكليف واكثر المعلوم سنة ومالك يرى في الاحكام
والايمان اعم الاسما والازمنة والشافعي يرى الاقل وابو حنيفة توسط فقال ستة اشهر ولا معنى لقوله لان المقدرات
عنده لا تثبت قياسا وليس فيه نص عن صاحب الشريعة وانما المعول على المعنى بعد معرفة مقتضى اللفظ لغة فمن نذر ان
يصلي حينا فيحمل على ركعة عند الشافعي لانه اقل النفل قياسا على ركعة الوتر وقال مالك واصحابه اقل النافلة ركعتان
فيتقدر الزمان بتقدير الفعل وذكر ابن خوازمنداد في احكامه ان من حلف ان لا يكلم فلانا حينا او لا يفعل كذا حينا
ان الحين سنة قال واتفقوا في الاحكام ان من حلف ان لا يكلم فلانا حينا او لا يفعل كذا حينا ان الزيادة على سنة لم تدخل
في يمينه **قلت** هذا الاتفاق انما هو في المذهب قال مالك من حلف ان لا يفعل شيا الى حين او زمان او دهر فذلك كله
سنة وقال عنه ابن وهب انه شك في الدهر ان يكون سنة وحكى ابن المنذر عن يعقوب وابن الحسن ان الدهر ستة اشهر
وعن ابن عباس واصحاب الراي وعكرمة وسعيد بن جبير وعامر الشعبي وعبيدة في قوله تعالى توتي اكلها كل حين باذن
ربها انه ستة اشهر وقال الاوزاعي وابو عبيد الحين ستة اشهر وليس عند الشافعي في الحين وقت معلوم ولا للحين غاية
قد يكون الحين عنده مدة الدنيا وقال لا تحنثه ابدا والورع ان يقتضيه قبل انقضا يوم وقال ابو ثور وغيره الحين والزمان
على ما تحتمله اللغة يقال قد جيت من حين ولعله لم يجي من نصف يوم قال الكيا الطبري الشافعي وبالجملة الحين له
مصارف ولم ير الشافعي تعيين محمل من هذه المحامل لانه مجمل لم يوضع في اللغة لمعنى معين وقال بعض العلما في قوله
تعالى الى حين فايدة بشارة لادم عليه السلام ليعلم انه غير باق فيها ومنتقل الى الجنة التي وعد بالرجوع اليها وهي لغير
ادم دالة على المعاد فحسب والله اعلم **قوله تعالى** فتلقى ادم من ربه كلمات فيه ثمان مسايل **الاولى** قوله تعالى فتلقى
ادم من ربه كلمات تلقى قيل معناه فهم وفطن وقيل قبل واخذ وكان عليه السلام يتلقى الوحي اي يستقبله وياخذه
ويتلقنه تقول خرجنا نتلقى الحجيج اي نستقبلهم وقيل معنى تلقى تلقن وهذا في المعنى صحيح ولكن لا يجوز ان يكون التلقي
من التلقن في الاصل لان احد الطرفين انما يقلب يا اذا تجانسا مثل تظني من تظين ويقضي من تقضض ومثله تسريت
من تسررت وامليت من امللت وشبه ذلك ولهذا لا يقال تقبى من تقبل ولا تلقى من تلقن فاعلم وحكى مكي الهمها فانتفع
بها وقال الحسن قبولها تعلمه لها وعلمه بها **الثانية** واختلف اهل التاويل في الكلمات فقال ابن عباس والحسن
وسعيد بن جبير والضحاك ومجاهد هي قوله ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وعن مجاهد ايضا
سبحانك اللهم لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انك انت الغفور الرحيم وقالت طايفة راى مكتوبا على ساق العرش
محمد رسول الله فتشفع بذلك فهي الكلمات وقالت طايفة المراد بالكلمات البكا والحيا والدعا وقيل الندم والاستغفار
والحبس قال ابن عطية وهذا يقتضي ان ادم عليه السلام لم يقل شيا الا الاستغفار المعهود وسيل بعض السلف عما ينبغي
ان يقوله المذنب فقال يقول ما قاله ابواه ربنا ظلمنا انفسنا الاية وقال موسى رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي وقال
يونس لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وعن ابن عباس ووهب بن منبه ان الكلمات سبحانك اللهم وبحمدك
لا اله الا انت عملت سوا وظلمت نفسي فاغفر لي انك خير الغافرين سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت عملت سوا
وظلمت نفسي فتب علي انك انت التواب الرحيم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك عملت سوا وظلمت نفسي فارحمني انك
انت الغفور الرحيم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك عملت سوا وظلمت نفسي فارحمني انك ارحم الراحمين وقيل الكلمات
قوله حين عطس الحمد لله والكلمات جمع كلمة والكلمة تقع على القليل وعلى الكثير وقد تقدم **الثالثة** قوله تعالى
فتاب عليه اي قبل توبته او وفقه للتوبة وكان ذلك في يوم عاشورا في يوم جمعة على ما ياتي بيانه ان شا الله تعالى
وتاب العبد رجع الى طاعة ربه وعبد تواب كثير الرجوع الى الطاعة واصل التوبة الرجوع يقال تاب وثاب واب واناب
رجع **الرابعة** ان قيل لم قال عليه ولم يقل عليهما وحوا مشاركة له في الذنب باجماع وقد قال لا تقربا هذه الشجرة

وقالا ربنا ظلمنا انفسنا فالجواب لادم عليه السلام لما خوطب فاول القصة بقوله اسكن خصة بالذكر في التلفي
فلذلك كملت القصة بذكره وحده وايضا فلان الملاحرمة مستورة فاراد الله ستر فعلها ولذلك لم يذكر هنا في
المعصية وعصى ادم ربه فغوى وايضا لما كانت المرأة تابعة للرجل في غالب الامر لم تذكر كما لم يذكر فتى موسى مع
موسى في قوله لفتاه اتنا غداءنا وقيل لانه ذكر التوبة عليها اذ امرها ستوائ الحالة الحسن وقيل انه مثل
قوله تعالى واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها اي للتجارة لانها كانت مقصود القوم فاعاد الضمير عليها وكم
يقل اليهما والمعنى متقارب وقال الشاعر

رماني بامر كنت منه ووالدي ... بريا ومن فوق الطوى رماني

وفي التنزيل والله ورسوله احق ان يرضوه فحذف ايجازا واختصارا الخامسة قوله هو التواب الرحيم وصف
نفسه سبحانه بانه التواب وذكر في القرآن مرفوعا ومنكرا واسما وفعلا وقد يطلق على العبد ايضا توأب قال
الله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين قال ابن العربي ولعلماءنا في وصف الرب سبحانه بانه تواب
ثلاثة اقوال احدها انه تجوز في حق الرب سبحانه فيد عابه كما في الكتاب والسنة ولا بد وقال احزون هو
وصف حقيقي له سبحانه وتوبة الله تعالى على العبد رجوعه من حال المعصية الى حال الطاعة وقال احزون توبة
الله على العبد قبوله توبته وذلك يحتمل ان يرجع الى قوله سبحانه فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه
والرجوع في قلب المسئ واجراء الطاعات على جوارحه الظاهرة السادسة لا يجوز ان يقال في حق الله تاب اسم
فاعل من تاب يتوب لانه ليس لنا ان نطلق عليه من الاسماء والصفات الا ما اطلقه هو على نفسه او نبيه عليه
السلام او جماعة المسلمين وان كان في اللغة محتملا لجايز اهذا الصحيح في هذا الباب على ما بيناه في الكتاب الاسنى
في شرح اسماء الله الحسنى قال الله تعالى لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار وقال وهو الذي يقبل التوبة عن
عباده وانما قيل له عز وجل توأب لما لغة الفعل وكثرة قبوله توبة عباده لكثرة من يتوب اليه السابعة اعلم
انه ليس لاحد قدرة على خلق التوبة لان الله سبحانه هو المنفرد بخلق الاعمال خلافا للمعتزلة ومن قال بقولهم
وكذلك ليس لاحد ان يقبل توبة من اشرك على نفسه ولا ان يعفو عنه قال علماؤنا وقد كفرت اليهود والنصارى
بهذا الاصل العظيم في الدين اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله جل وعز وجعلوا لهم اذ نب ان يأتي
الخبر او الراهب فيعطيه شيأ ويحط عنه ذنوبه افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين الثامنة قرأ الزهري
فتلقى آدم من ربه كلمات والباقون برفع آدم ونصب كلمات والقراءتان ترجع الى معنى لان احد الكلمات
فقد تلقته وقيل لما كانت الكلمات على المتقدمة لآدم بتوفيق الله تعالى له لقوله اياها وتأييه بها كانت
الكلمات فاعلة وكان الاصل على هذه القراءة فتلقت آدم من ربه لكن لما بعد ما بين المونث وفعله حسن حذف
علامة التانيث وهذا اصل يجري في كل القرآن والكلام اذا جا فعل المونث بغير علامة ومنه قولهم حضر القاضي
اليوم امرأة وقيل ان الكلمات لما لم يكن تانيثه حقيقيا حمل على معنى الكلم فذكر وقرأ الاعمش آدم من ربه مرغما
وقرأ ابن مقسم من ابي عمرو بخلف عنه ذنوبه افترا على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين التاسعة قرأ الزهري
عمرو وعيسى وطلحة فيما حكى ابو حاتم عنهم وقيل لا يجوز لان بينهما واوا في اللفظ لا في الخط قال النحاس اجاز سيبويه
ان تحذف هذه الواو والنشد ... له زجل كانه صوت حاد ... اذا طلب الوسيقة او زمير

فعلى هذا يجوز الادغام وهو رفع بالابتدا الثواب خبره والجملة خبران ويجوز ان يكون هو توكيدا لها ويجوز ان
يكون فاصلة على ما تقدم وقال سعيد بن جبير لما اهبط آدم الى الارض لم يكن فيها شئ غير البر في البر
والحوت في البحر فكان يأوي الى الحوت فيبيت عنده فلما رأى البشر آدم قال يا حوت لقد اهبط اليوم الى الارض
شئ يمشي على رجليه ويبطش بيديه فقال الحوت لان كنت صادقا فما تالي ميتة مني فما في البحر ولا في البر منه مخلص
قوله تعالى قلنا اهبطوا كرر الامر على جهة التغليظ وتاكيده كما تقول لرجل قم قم وقيل كرر الامر لما علق بكل امر
غير حكم الآخر فخلق بالاول العداوة وبالثاني اتيان الهدى وقيل الهبوط الاول من الجنة الى السما والثاني من السماء
الى الارض وعلى هذا يكون فيه دليل على ان الجنة في السما التاسعة كما دل عليه حديث الاسرا على ما تاتي جميعا فمضى على
الحال وقال وهب بن منبه لما هبط آدم عليه السلام الى الارض قال ابليس لجنوده هذا عدو لكم فاحذروه فاجتمعوا
وولوا امرهم الى الكلب وقالوا انت انجعنا وجعلوه رئيسا فما زال يدنو من آدم متخيرا في ذلك فجاء جبريل عليه السلام
وقال له امسح يدك على راس الكلب فامسه آدم فبقي معه ومع اولاده وقال الترمذي الحكيم نحو ان آدم عليه
السلام لما هبط الى الارض جا ابليس الى الشياطين فاشلا يمهم الى آدم ليوذوه وكان اشدهم عليه الكلب فامنه فواده
وروى في الخبر ان جبريل عليه السلام امره ان يضع يده على راسه فوضعها فاطمان البه والفه فصار ممن يحرسه
ويحرس ولده وبموت فواده يفزع من الادميين فلو رمى بمدر لولها رقائم يعود الفاطمة ففيه شعبة من
ابليس وفيه شعبة من مسحة آدم عليه السلام فهو يشعبة ابليس ينبح ويهر ويعدو على الادمي ومسحة
آدم مات فواده حتى ذل وانقاد والف به وبولده يحرسهم ولهشته على كل احد الى موت فواده وكذلك

منها حكام

هنا

شبه

شبه الله سبحانه العلما الذين وبالكلب على ما ياتي بيانه في الاعراف ان شا الله تعالى وقرات عليه تلك العصا التي
جعلها الله اية لموسى وكان يطرد بها النساع عن نفسه قوله تعالى فاما ياتينكم مني هدى اختلف في معنى
قوله هدى فقيل كتاب الله قاله السدي وقيل التوفيق للهداية وقالت فرقة الهدى الرسل وهي الحادم
من الملايكة والى تبيه من البشر هو كما جا في حديث الجدر وحجه الاجري وفي قوله مني اشارة الى ان
افعال العباد خلق الله تعالى خلافا للقدرية وغيرهم كما تقدم وقرا الجحدري هدى وهي لغة هذيل يقولون
هدى وعصى ومحيى والنشد الضبوط لابي ذويب يرثي بنيه

سبقوا هوي واعنقوا لهواهم ... فتخرموا ولكل جنب مصرع

قال النحاس وعلة هذه اللغة عند الخليل وسيبويه ان سبيل يا الاضافة ان يكسر ما قبلها فلما لم يجز ان يجتمع
الالف ابدلت يا وادغمت واما في قوله لما زايدة على ان التي للشرط وجواب الشرط القايم الشرط الثاني في قوله
من تبع هداي ومن في موضع رفع بالابتدا وتبع في موضع جزم بالشرط فلا خوف جوابه قال سيبويه الشرط الثاني
وجوابه هما جواب الاول وقال الكسائي فلا خوف عليهم جواب الشرطين جميعا قوله تعالى فلا خوف عليهم ولا هم
يحزنون الخوف هو الذعر ولا يكون الا في المستقبل وخاف وفني فلان فخفته اي كنت اشد خوفا منه والتخوف
المتنقص ومنه قوله تعالى او ياخذهم على تخوف وقرا الزهري والحسن وعيسى بن عمر وابن ابي اسحاق ويعقوب
فلا خوف بفتح الفا على التبرية والاختيار عند الخويين الرفع والتنوين على الابتدا لان الثاني معرفة
لا يكون فيه الا الرفع لان لا لا تعمل في معرفة فاختاروا في الاول الرفع ايضا ليكون الكلام من وجه واحد ويجوز
ان تكون لا التي للتبرية فلا خوف بمعنى ليس والحزن والحزن ضد السرور ولا يكون الا على ماض وحزن الرجل بالكسر
فهو حزين وحزين واحزنه غيره وحزنه ايضا مثل اسكله وسكله ومحزون بني عليه قال اليزيدي يحزنه لغة
قريش واحزنه لغة تميم وقد قرئ بهما واحتزن وتحزن بمعنى والمعنى في الاية فلا خوف عليهم فيما بين ايديهم
من الاخرة ولا هم يحزنون على ما فاتهم من الدنيا وقيل ليس فيه دليل على نفي هول يوم القيامة وخوفها على
المطيعين بما وصفه الله تعالى ورسوله من شدايد القيامة لان يخففه عن المطيعين واذا صاروا الى رحمته
فكانهم لم يخافوا والله اعلم قوله تعالى والذين كفروا اي اشركوا كقوله وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار
الصحبة الاقتران بالشي في حالة ما في زمان ما فان كانت الملازمة والمخالطة فهي كمال الصحبة وهكذا صحبة
اهل النار لها وهذا القول يبقي الخلاف في تسمية الصحابة رضي الله عنهم اذ مرانهم مستحقة على ما بينه
في براة ان شا الله تعالى وبا في الغاظ الاية تقدم معناها قوله تعالى يا بني اسرايل ندا مضاف علامة النصب
فيه الياء وحذفت منه النون للاضافة الواحد ابن والاصل فيه بنئ وقيل بنو فمن قال المحذوف منه واو
احتج بقولهم البنوة وهذا لاحجة لانهم قد قالوا الفتوة واصله الياء وقال الزجاج المحذوف عندي منه يا
كانه من بنيت الاخشر اختار ان يكون المحذوف منه الواو لان حذفها اكثر لثقلها ويقال ابن بين البنوة
والتصغير بني قال الفرا يقال يا بني ويا بنئ لغتان مثل يا ابت ويا ابت وفرى بهما وهو مشتق من البناء
وهو وضع الشي على المشي قال ابن فرج للاب وهو موضوع عليه واسرايل هو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم
عليهم السلام قال ابو الفرج الجوزي وليس في الانبيا من نزله اسمان غير الانبيا محمد صلى الله عليه وسلم
قال له اسما كثيرة ذكره في كتاب فهوم الاثار له قلت وقد قيل في المسيح انه اسم علم لعيسى عليه السلام
غير مشتق وقد سماه الله تعالى روحا وكلمة وكانوا يسمونه ايبل الا بيلين ذكره الجوهري في الصحاح وذكر
البيهقي في دلايل النبوة عن الخليل بن احمد خمسة من الانبيا ذوا سميين اسمين محمد واحمد نبينا صلى الله عليه وسلم
وعيسى والمسيح واسرايل ويعقوب ويونس وذو النون والياسع وذو الكفل صلى الله عليهم وكم قلت
وقد ذكرنا ان لعيسى اربعة اسما واما نبينا صلى الله عليه وسلم فله اسما كثيرة بيانها في مواضعها واسرايل هو اسم عجمي
ولذلك لم ينصرف وهو في موضع خفض بالاضافة وفيه سبع لغات اسرايل وهي لغة القراء واسرايل بمدة مهموزة
مختلسة حكاها شنبوذ عن ورش واسرايل بمدة بعد الياء من غير همز وهي قراءة الاعمش وعيسى بن عمر وقرا الحسن
والزهري بغير همز ولا مد واسراء ل بغير يا بهمزة مكسورة واسراء ل بهمزة مفتوحة وتميم يقولون اسرايين
بالنون ومعنى اسرايل عبد الله قال ابن عباس اسر بالعبرانية هو عبد وايل هو الله وقيل اسر هو صفوة الله
وايل هو الله وقيل اسر من الشد فكان اسرايل الذي شد ده الله وانقرض خلقه ذكره للهروي وقال السهيلي سمي
اسرايل لانه اسرى ذات ليلة حين هاجر الى الله فسمي اسرايل اي سري الى الله ونحو هذا فيكون بعض الاسم عبرانيا
وبعضه موافقا للعربي والله اعلم قوله تعالى اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم الذكر اسم مشترك فالذكر بالقلب
ضد النسيان والذكر باللسان ضد الانصات وذكرت الشي بلساني وقلبي ذكرا واجعله منك على ذكر بضم الذال
اي لا تنسه قال الكسائي ما كان بالضمير منه وهو مضموم الذال وما كانا بالمسان فهو مكسور الذال وقال غيره هما
لغتان يقال ذكر وذكر ومعناهما واحد والذكر بفتح الذال الخلاف في الانثى والذكر ايضا الشرف ومنه قوله تعالى

فيه م

وانه لذكر لك قال ابن الانباري والمعنى في الاية اذكروا اشكر نعمتي تحذف الشكر اكتفا بذكر النعمة وقيل انه اراد الذكر
بالقلب وهو المطلوب اى لا تغفلوا عن نعمتي التي انعمت عليكم ولا تناسوا وهو حسن والنعمة هنا اسم جنس فهي
مفردة بمعنى الجمع قال الله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها اى نعمه ومن نعمه عليهم ان نجاهم من ال فرعون
وجعل منهم انبيا وانزل عليهم الكتب والمن والسلوى وفجر لهم من الحجر الما الى ما استودعهم من التوراة التي فيها صفة
محمد صلى الله عليه وسلم ونعته ورسالته والنعم على الاباء نعم على الابنا لانهم يشرفون بشرف ابايهم **تنبيه**
قال ارباب المعاني ربط سبحانه وتعالى بني اسرايل بذكر النعمة واسقطه عن امة محمد صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى ذكره
فقال اذكروني اذكركم ليكون نظر الامم من النعمة الى المنعم ونظر امة محمد صلى الله عليه وسلم من المنعم الى النعمة **قوله تعالى**
واوفوا بعهدي اوف بعهدكم امر وجوابه وقرا الزهري اوف بفتح الواو وشد الفا للتكثير واختلف في هذا العهد
ما هو فقال الحسن عهده قوله خذوا ما اتيناكم بقوة وقوله ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرايل وبعثنا منهم اثني
عشر نقيبا وقيل هو قوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه وقال الزجاج
اوفوا بعهدي الذي عهدت اليكم في التوراة من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم اوف بعهدكم بما ضمنت لكم على ذلك ان
اوفيتم به فلكم الجنة وقيل اوفوا بعهدي في ادا الفرايض على السنة والاخلاص اوف بقبولها منكم ومجازاتكم عليها
وقال بعضهم اوفوا بعهدي في العبادات اوف بعهدكم اى اوصلكم الى منازل الرعايات وقيل اوفوا بعهدي في حفظ
اداب الظواهر اوف بعهدكم بتزيين سرايركم وقيل هو عام في جميع اوامره ونواهيه ووصاياه فيدخل في ذلك
ذكر محمد عليه السلام الذي في التوراة وغيره هذا قول الجمهور من العلما وهو الصحيح وعهده سبحانه هو ان يدخلهم الجنة
قلت وما طلب من هولا من الوفا بالعهد هو مطلوب منا قال الله تعالى اوفوا بالعقود اوفوا بعهد الله وهو
كثير ووفاوهم بعهد الله امارة لوفا الله لهم لا علة له بل ذلك تفضل منه عليهم **قوله تعالى** واياي فارهبون
اى خافون والرهب والرهب والرهبة الخوف ويتضمن الامر به معنى التهديد وسقطت اليا بعد النون لانها
راس اية وقرا ابن ابي اسحاق فارهبوني باليا وكذا فاتقوني على الاصل واياي منصوب باضمار فعل وكذا الاختيار
في الامر والنهي والاستفهام التقدير واياي ارهبوا فارهبون ويجوز في الكلام وانا فارهبون على الابتدا والخبر
ويكون فارهبون الخبر على تقدير الحذف فكان المعنى وانا ربكم فارهبون **قوله تعالى** وامنوا بما انزلت اى صدقوا
يعني بالقران مصدقا حال من الضمير في انزلت التقدير بما انزلته مصدقا والعامل فيه انزلت ويجوز ان يكون
حالا من ما والعامل فيه امنوا التقدير امنوا بالقران مصدقا ويجوز ان تكون مصدرية التقدير امنوا بانزالي
لما معكم يعني من التوراة **قوله تعالى** ولا تكونوا اول كافر به الضمير في به قيل هو عايد على محمد صلى الله عليه وسلم قاله
وقال ابن جريج هو عايد على القران اذ تضمنه قوله بما انزلت وقيل على التوراة اذ تضمنها قوله لما معكم فان قيل كيف قال
كافر ولم يقل كافرين فقيل التقدير ولا تكونوا اول فريق كافر به وزعم الاخفش والفرا انه محمول على معنى الفعل لان
المعنى اول من كفر به وحكى سيبويه هو اظرف الفتيان واجمله وكان ظاهر الكلام هو اظرف فتى واجمله وقال اول وقد كان
كفر قبلهم كفار قريش وانما معناه من اهل الكتاب اذ هم منظور اليهم في مثل هذا لانهم حجة مظنون بهم علم واول
عند سيبويه نصب على خبر كان وهو مما لم ينطق منه بفعل وهو على افعل عينه وفاوه واو وانما لم ينطق منه بفعل
لئلا يعتل من جهتين العين والفا وهذا مذهب البصريين وقال الكوفيون هو من وال اذا نجا فاصله اوال
ثم خففت الهمزة وابدلت واوا وادغمت فقيل اول كما تخفف همزة خطية خطية قال الجوهري والجمع اوايل والاوالي
ايضا على القلب وقال قوم اصله ووءل على فوعل فقلبت الواو الاولى همزة وانما لم يجمع على واول لاستثقالهم
اجتماع الواوين بينهما الف الجمع وقيل هو افعل من ال يول فاصله ااول قلبت فجا افعل مقلوب من افعل فسهل
وابدل وادغم **مسئلة** لا حجة في هذه الاية لمن يمنع القول بدليل الخطاب وهم الكوفيون ومن وافقهم
لان المقصود من الكلام النهي عن الكفر اولا واخرا وخص الاول بالذكر لان التقدم فيه اغلظ فكان حكم المذكور
والمسكوت عنه واحدا وهذا واضح **قوله تعالى** ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا فيه اربع مسايل **الاولى** قوله
تعالى ولا تشتروا معطوف على قوله ولا تكونوا نهاهم عن ان يكونوا اول من كفر وان لا ياخذوا على ايات الله ثمنا
اى على تغيير صفة محمد صلى الله عليه وسلم رشا وكان الاحبار يفعلون ذلك فنهوا عنه قاله قوم من اهل التاويل منهم
الحسن وغيره وقيل كانت لهم ماكل ياكلونها على العلم كالراتب فنهوا عن ذلك وقيل ان الاحبار كانوا يعلمون دينهم بالاجرة
فنهوا عن ذلك وفي كتبهم يا ابن ادم علم مجانا كما علمت مجانا اى باطلا بغير اجرة قاله ابو العالية وقيل المعنى ولا تشتروا
باوامري ونواهي واياتي ثمنا قليلا يعني الدنيا ومدتها والعيش الذي هو نزر لا خطر له فسمي ما اعتاضوه عن
ذلك ثمنا لانهم جعلوه عوضا فانطلق عليه اسم الثمن وان لم يكن ثمنا وقد تقدم هذا المعنى وقال الشاعر

• ان كنت حاولت دنيا او ظفرت به • فما اصبت بترك الحج من ثمن •

قلت وهذه الاية وان كانت خاصا ببني اسرايل فهي تتناول من فعل فعلهم فمن اخذ رشوة على تغيير حق وابطاله
او امتنع من تعليم ما وجب عليه او ادا ما علمه وقد تعين عليه حتى ياخذ عليه اجرا فقد دخل في مقتضى الاية والله

ابو العالية

اعلم

اعلم وقد روى ابو داود عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه الا
ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة يعني ريحها **الثانية** وقد اختلف العلما في اخذ الاجرة
على تعليم القران والعلم لهذه الاية وما كان في معناها فمنع ذلك الزهري واصحاب الراي وقالوا لا يجوز اخذ الاجرة
على تعليم القران لان تعليمه واجب من الواجبات التي يحتاج فيها الى نية التقرب والاخلاص فلا يوخذ عليها اجرة
كالصلاة والصيام وقد قال تعالى ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا وروى ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
معلمو صبيانكم شراركم اقلهم رحمة باليتيم واغلظهم على المسكين وروى ابو هريرة قال قلت يا رسول الله ما تقول
في المعلمين قال درهمهم حرام وثوبهم سحت وكلامهم ريا وروى عبادة بن الصامت قال علمت ناسا من اهل
الصفة القران والكتابة فاهدى الي رجل منهم قوسا فقلت ليست بمال وارمي عنها في سبيل الله فسالت
عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان سرك ان تطوق بها طوقا من نار فاقبلها واجاز اخذ الاجرة على تعليم
القران مالك والشافعي واحمد وابو ثور واكثر العلما لقوله عليه السلام في حديث ابن عباس حديث الرقية
ان احق ما اخذتم عليه اجرا كتاب الله اخرجه البخاري وهو نص يرفع الخلاف فينبغي ان يعول عليه واما ما احتج به
المخالف من القياس على الصلاة والصيام ففاسد لانه في مقابلة النص ثم ان بينهما فرقانا وهو ان الصلاة
والصيام عبادات مختصة بالفاعل وتعليم القران عبادة متعدية لغير المعلم فتجوز الاجرة على محاولته النقل
كتعليم كتابة القران قال ابن المنذر وابو حنيفة يكره تعليم القران باجرة ويجوز ان يستاجر الرجل يكتب له لوحا
او شعرا او غنا معلوما باجر معلوم فيجوز الاجارة فيما هو معصية ويبطلها فيما هو طاعة واما الجواب
عن الاية فالمراد بها بنو اسرايل وشرع من قبلنا هل هو شرع لنا فيه خلاف وهو لا يقول به جواب ثان وهو
ان تكون الاية فيمن تعين عليه التعليم فابى حتى ياخذ عليه اجرا فاما اذا لم يتعين فيجوز له اخذ الاجرة
بدليل السنة في ذلك وقد تعين عليه الا انه ليس عنده ما ينفقه على نفسه ولا على عياله فلا يجب عليه التعليم وله ان
يقبل على صنعته وحرفته ويجب على الامام ان تعين لاقامة الدين اعانته والا فعلى المسلمين لان الصديق رضي الله عنه
لما ولي الخلافة وعين لها لم يكن عنده ما يقيم به اهله فاخذ ثيابا وخرج الى السوق فقيل له في ذلك فقال ومن اين
انفق على عيالي فردوه وفرضوا له كفايته واما الاحاديث فليس شي منها يقوم على ساق ولا يصح شي منها عند اهل
العلم بالنقل اما حديث ابن عباس فرواه سعيد طريف عن عكرمة وسعيد متروك واما حديث ابي هريرة فرواه علي بن
عاصم عن حماد بن سلمة عن ابي جرهم مجهول لا يعرف ولم يرو حماد ابن سلمة عن احد يقال له ابو جرهم وانما رواه عن ابي
المهزم وهو متروك الحديث ايضا وهو حديث لا اصل له واما حديث عبادة بن الصامت فرواه ابو داود من حديث
المغيرة بن زياد الموصلي عن عبادة بن نسي عن الاسود بن ثعلبة عنه وابو المغيرة معروف بحمل العلم ولكنه له مناكير
هذا منها قاله ابو عمر ثم قال واما حديث القوس فمعروف عند اهل العلم لانه روي عن عبادة من وجهين وروي
عن ابي بن كعب من حديث موسى بن علي عن ابيه عن ابي وهو منقطع وليس في الباب حديث يجب العمل به من جهة
النقل وحديث عبادة وابي يحتمل التاويل لانه جايز ان يكون علمه لله ثم اخذ عليه اجرا وروي عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال خير الناس وخير من يمشي على جديد الارض المعلمون كلما خلق الدين جددوه اعطوهم ولا تستاجروهم
فتحرجوهم فان المعلم اذا قال للصبي قل بسم الله الرحمن الرحيم فقال الصبي بسم الله الرحمن الرحيم كتب الله براءة
للصبي وبراءة للمعلم وبراءة لابويه من النار **الثالثة** واختلف العلما في حكم المصلي باجرة فروى اشهب عن مالك
انه سيل عن الصلاة خلف من يستاجر في رمضان يقوم للناس فقال ارجو ان لا يكون به باس وهو اشد كراهة
له في الفريضة وقال الشافعي واصحابه وابو ثور لا باس بذلك ولا بالصلاة خلفه وقال الاوزاعي لا صلاة له
وكرهه ابو حنيفة واصحابه على ما تقدم قال ابن عبد البر وهذه المسئلة معلقة من التي قبلها واصلهما واحد **قلت**
ويابى لها اصل اخر من الكتاب في براءة ان شاء الله تعالى وكره ابن القاسم اخذ الاجر على تعليم الشعر والنحو وقال
ابن حبيب لا باس بالاجارة على تعليم الشعر والرسايل وايام العرب ويكره من الشعر ما فيه الخمر والخنا والهجا قال
ابو الحسن اللخمي ويلزم على قوله ان يجيز الاجارة على كتبه ويجيز بيع كتبه واما الغنا والنوح فممنوع على كل حال
الرابعة روى الدارمي ابو محمد في مسنده اخبرنا يعقوب بن ابراهيم قال حدثنا محمد بن عمرو بن الكميت قال حدثنا
علي بن وهب الهمداني قال انا الضحاك بن موسى قال مر سليمان بن عبد الملك بالمدينة وهو يريد مكة فاقام بها
اياما فقال هل بالمدينة احد ادرك احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا له ابو حازم فارسل اليه فلما دخل
عليه قال له يا ابا حازم ما هذا الجفا قال ابو حازم يا امير المومنين واي جفا رايت مني قال اتاني وجوه اهل المدينة
ولم تاتني قال يا امير المومنين اعيذك بالله ان تقول ما لم يكن ما عرفتني قبل هذا اليوم ولا انا رايتك قال
فالتفت الى محمد بن شهاب الزهري فقال اصاب الشيخ واخطات فقال سليمان يا ابا حازم ما لنا نكره الموت فقال
لانكم اخربتم الاخرة وعمرتم الدنيا فكرهتم ان تنتقلوا من العمران الى الخراب قال اصبت يا ابا حازم فكيف القدوم
غدا على الله تعالى قال اما المحسن فكالغايب يقدم على اهله واما المسي فكالابق يقدم على مولاه فبكى سليمان وقال

ليت شعرى ما لنا عند الله تعالى قال اعرض عملك على كتاب الله قال واى مكان اجده قال ان الابرار لفى نعيم وان الفجار
لفى جحيم قال سليمان فاين رحمة الله يا ابا حازم قال ابو حازم قريب من المحسنين قال له سليمان يا ابا حازم فاى
عباد الله اكرم قال اولوا المروة والنهى قال له سليمان فاى الاعمال افضل قال ابو حازم اداء الفرايض مع اجتناب
المحارم قال سليمان فاى الدعا اسمع قال دعا المحسن اليه للمحسن قال فاى الصدقة افضل قال للسايل البايس
وجهد المقل ليس فيها من ولا اذى قال فاى القول اعدل قال قول الحق عند من تخافه او ترجوه قال فاى المومنين
اكيس قال رجل عمل بطاعة الله ودل الناس عليها قال فاى المومنين احمق قال رجل خط فى هوى اخيه وهو ظالم
فباع اخرته بدنيا غيره قال سليمان اصبت فما تقول فيما نحن فيه قال يا امير المومنين او تعفينى قال له
سليمان لا ولكن نصيحة تلقيها الى قال يا امير المومنين ان اباك قهروا الناس بالسيف واخذوا هذا الملك
عنوة على غير مشورة من المسلمين ولا رضاهم حتى قتلوا منهم مقتلة عظيمة فلو ارتحلوا عنها فلو شعرت ما قالوا
وما قيل لهم فقال رجل من جلسايه بيس ما قلت يا ابا حازم قال ابو حازم كذبت ان الله اخذ ميثاق العلما ليبيننه
للناس ولا يكتمونه قال سليمان فكيف لنا ان نصلح قال تدعون الصلف وتمسكون بالمروة وتقسمون بالسوية
قال له سليمان كيف لنا بالماخذ به قال ابو حازم تاخذه من حله وتضعه فى اهله قال له سليمان هل لك يا ابا
حازم ان تصحبنا وتصيب منا ونصيب منك قال اعوذ بالله قال له سليمان ولم ذاك قال اخشى ان اركن اليكم
شيا قليلا فيذيقنى الله ضعف الحياة وضعف الممات قال له سليمان ارفع لنا الى قال ابو حازم فما لى اليك
حاجة غيرها قال فادع لى قال ابو حازم اللهم ان كان سليمان وليك فيسره لخير الدنيا والاخرة وان كان عدوك
فخذ بناصيته الى ما تحب وترضى قال سليمان قط قال ابو حازم قد اوجزت واكثرت ان كنت من اهله وان لم
تكن من اهله فما ينبغى ان ارمى عن قوس ليس لها وتر قال له سليمان اوصنى قال سأوصيك واوجز عظم ربك ونزهه
ان يراك حيث نهاك او يفقدك من حيث امرك فلما خرج من عنده بعث اليه بماية دينار وكتب ان انفقها ولك
عندى مثلها كثير قال فردها عليه وكتب اليه يا امير المومنين اعيذك بالله ان يكون سوالك اياى هزلا او ردى عليك
بذلا اما ارضاها لك فكيف لنفسى ان موسى بن عمران لما ورد ماء مدين وجد عليه رعا يسقون ووجد من دونهم جاريتين
تذودان فسال لهما فقالتا لا نسقى حتى يصدر الرعا وابونا شيخ كبير فسقا لهما فلما تولى الى الظل قال رب انى لما
انزلت الى من خير فقير وذلك انه كان جايعا خايفا لا يامن فسال ربه ولم يسال الناس فلم يفطن الرعا وفطنت
الجاريتان فلما رجعتا الى ابيهما اخبرتاه بالقصة وبقوله فقال ابوهما وهو شعيب عليه السلام هذا رجل جايع قال
لاحداهما اذهبى فادعيه فلما اتته عظمته وغطت وجهها وقالت ان ابى يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا فشق
على موسى حين ذكرت اجر ما سقيت لنا ولم يجد بدا من ان يتبعها انه كان بين الجبال جايعا مستوحشا فلما تبعها هبت
الريح فجعلت تصفق ثيابها على ظهرها فتصف له عجيزتها وكانت ذات عجز وجعل موسى يعرض مرة ويغض
اخرى فلما عيل صبره ناداها يا امة الله كونى خلفى وارينى السمت بقولك فلما دخل على شعيب اذا هو بالعشاء مهيا
فقال له شعيب اجلس يا شاب فتعش فقال له موسى عليه السلام اعوذ بالله فقال له شعيب لم اما انت جايع
قال بلى ولكنى اخاف ان يكون هذا عوضا لما سقيت لهما وانا من اهل بيت لا نبيع شيا من ديننا بملء الارض ذهبا
فقال له شعيب لا يا شاب ولكنها عادتى وعادة ابائى نقرى الضيف ونطعم الطعام فجلس موسى فاكل فان كانت
هذه الماية دينار عوضا لما حدثت فالميتة والدم ولحم الخنزير فى حال الاضطرار احل من هذه وان كان لحق لى فى بيت
المال فلى فيها نظرا فان ساويت بيننا والا فليس لى فيها حاجة **قلت** هكذا يكون الاقتدا بالكتاب والانبيا انظروا
الى هذا الامام الفاضل والحبر العالم كيف لم ياخذ على علمه عوضا ولا على وصيته بدلا ولا على نصيحته صفدا بل بين
الحق وصدع ولم يلحقه فى ذلك خوف ولا فزع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمنعن احدكم هيبة احد ان يقول
او يقوم بالحق حيث كان وفى التنزيل يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لايم **قوله تعالى** واياى فاتقون
قد تقدم معنى التقوى وقرى فاتقونى بالياء وقد تقدم وقال سهل بن عبد الله قوله واياى فاتقون قال موضع
علمى السابق فيكم واياى فارهبون قال موضع المكر والاستدراج لقول الله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون
وقوله لا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون فما استثنى نبيا ولا صديقا **قوله تعالى** ولا تلبسوا الحق بالباطل قال
اللبس الخلط لبست عليه الامر البسه اذا مزجت بينه بمشكله وحقه بباطله قال الله تعالى وللبسنا عليهم
ما كانوا يلبسون وفى الامر لبسة اى ليس بواضح ومن هذا المعنى قول على رضى الله عنه للحارث بن حوط
يا حارانه ملبس عليك ان الحق لا يعرف بالرجال اعرف الحق تعرف اهله وقالت الخنسا

ترى الجليس يقول الحق تحسبه ⁂ رشدا وهيهات فانظر ما به التبسا
صدق مقالته واحذر عداوته ⁂ والبس عليه بشك مثل ما لبسا

وقال العجاج

لما لبست الحق بالتجنى ⁂ غنين واستبدلن زيدا منى

روى سعيد عن قتادة فى قوله ولا تلبسوا الحق بالباطل يقول لا تلبسوا اليهودية والنصرانية بالاسلام وقد

علمتم ان دين الله الذى لا يقبل غيره ولا يجزى الا به الاسلام وان اليهودية والنصرانية بدعة وليست من الله
والظاهر من قول عنترة ⁂ وكتيبة لبستها بكتيبة ⁂ انه من هذا المعنى ويحتمل ان يكون من اللباس وقد قيل هذا
فى معنى الاية اى لا تغطوا ومنه لبس الثوب يقال لبست الثوب البسه ولباس الرجل زوجته وزوجها لباسها
وقال الاخطل

ولقد لبست لهذا الامر اعصره ⁂ حتى تجلل راسى الشيب فاشتعلا

واللبوس كل ما يلبس من ثياب ودرع قال الله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم ولابست فلانا حتى عرفت باطنه وفى
فلان ملبس اى مستمتع قال الشاعر

الا ان بعد العدم للمرء قنوة ⁂ وبعد المشيب طول عمر وملبسا

ولبس الهودج والكعبة ما عليهما من لباس بكسر اللام قوله بالباطل الباطل فى كلام العرب خلاف الحق ومعناه
الزايل قال لبيد ⁂ الا كل شىء ما خلا الله باطل ⁂ وبطل الشىء يبطل بطولا وبطلا وبطلانا وابطله غيره
ويقال ذهب دمه بطلا اى هدرا والباطل الشيطان والبطل الشجاع سمى بذلك لانه يبطل شجاعة صاحبه قال
النابغة

لهم لواء بايدى ماجد بطل ⁂ لا يقطع الخرق الا طرفه سام

والمراة بطلة وقد بطل الرجل بالضم يبطل بطولة وبطالة اى صار شجاعا وبطل الاجير بالفتح بطالة اى تعطل
فهو بطال واختلف اهل التاويل فى المراد بقوله الحق بالباطل فروى عن ابن عباس وغيره لا تخلطوا ما عندكم من الحق
فى الكتاب بالباطل وهو التغيير والتبديل وقال ابو العالية قالت اليهود محمد مبعوث ولكن الى غيرنا فاقرارهم
ببعثه حق وجحدهم انه بعث اليهم باطل وقال ابن زيد المراد بالحق التوراة والباطل ما بدلوا فيها من ذكر محمد عليه
السلام وغيره وقال مجاهد لا تخلطوا اليهودية والنصرانية بالاسلام وقاله قتادة وقد تقدم **قلت**
وقول ابن عباس اصوب لانه عام فيدخل فيه جميع الاقوال والله المستعان **قوله تعالى** وتكتموا الحق يجوز ان
يكون معطوفا على تلبسوا فيكون مجزوما ويجوز ان يكون منصوبا باضمار ان التقدير لا يكون منكم لبس الحق
وكتمانه اى وان تكتموه قال ابن عباس يعنى كتمانهم امر النبى صلى الله عليه وسلم وهم يعرفونه وقال محمد بن
سيرين نزل عصابة من ولد هارون يثرب لما اصاب بنى اسرايل ما اصابهم من ظهور العدو عليهم والذلة وتلك
العصابة هم حملة التوراة يومئذ فاقاموا بيثرب يرجون ان يخرج محمد صلى الله عليه وسلم بين ظهرانيهم
وهم مومنون مصدقون بنبوته فمضى اوليك الاباء وهم مومنون وخلف الابناء وابناء الابناء فادركوا محمدا
صلى الله عليه وسلم فكفروا به وهم يعرفونه وهو معنى قوله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به **قوله تعالى** وانتم تعلمون
جملة فى موضع الحال اى ان محمدا عليه السلام حق فكفرهم كان كفر عناد ولم يشهد تعالى لهم بعلم وانما نهاهم عما علموا
ودل هذا على تغليظ الذنب على من واقعه على علم وانه اعصى من الجاهل وسياتى بيان هذا عند قوله تعالى اتامرون
الناس بالبر الاية **قوله تعالى** واقيموا الصلاة فيه اربع وثلاثون مسيلة **الاولى** قوله تعالى واقيموا الصلاة
امر معناه الوجوب ولا خلاف فيه وقد تقدم القول فى معنى اقامة الصلاة واشتقاقها وفى جملة من احكامها
والحمد لله **الثانية** قوله واتوا الزكاة امر ايضا يقتضى الوجوب والايتا الاعطا اتيته اعطيته قال الله تعالى
لين اتانا من فضله لنصدقن واتيته بالقصر من غير مد جيته فاذا كان المجى بمعنى الاستقبال مد ومنه الحديث
ولا ناتين رسول الله صلى الله عليه وسلم فلاخبرنه وسياتى **الثالثة** الزكاة ماخوذة من زكا الشىء اذا نما وزاد يقال
زكا الزرع والمال يزكو اذا كثر وزاد ورجل زكى اى زايد الخير وسمى الاخراج من المال زكاة وهو نقص منه من حيث
ينمو بالبركة او بالاجر الذى يثاب به المزكى ويقال زرع زاك بين الزكاء وزكات الناقة بولدها تزكو به
اذا رمت به بين رجليها وزكا الفرد اذا صار زوجا بزيادة الزايد عليه حتى صار شفعا قال الشاعر

كانوا خسا وزكا ما دون اربعة ⁂ لم يخلقوا وجدود الناس تعتلج

فخسا الفرد وزكا الزوج وقيل اصلها الثنا الجميل ومنه زكا القاضى الشاهد فكان من يخرج الزكاة يحصل
لنفسه الثنا الجميل وقيل الزكاة ماخوذة من التطهير كما يقال زكا فلان اى طهر من دنس الجرحة او الاغفال
فكان الخارج من المال يطهره من تبعة الحق الذى جعل الله فيه للمساكين الا ترى ان النبى صلى الله عليه وسلم سمى
ما يخرج من الزكاة اوساخ الناس وقد قال الله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها **الرابعة**
واختلف فى المراد بالزكاة هنا فقيل الزكاة المفروضة لمقارنتها بالصلاة وقيل صدقة الفطر قاله مالك فى
سماع ابن القاسم **قلت** فعلى الاول وهو قول اكثر العلما فالزكاة فى الكتاب مجملة بينها النبى صلى الله عليه وسلم
فروى الايمة عن ابى سعيد الخدرى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ليس فى حب ولا تمر صدقة حتى يبلغ خمسة
اوسق ولا فيما دون خمس ذود صدقة ولا فيما دون خمس اواق صدقة وقال البخارى خمس اواق من الورق وروى
البخارى عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال فيما سقت السما والعيون او كان عثريا العشر وما سقى بالنضح
نصف العشر وسياتى بيان هذا فى الانعام ان شا الله تعالى وياتى فى براة زكاة العين والماشية وبيان المال
الذى لا يوخذ منه زكاة عند قوله خذ من اموالهم صدقة واما زكاة الفطر فليس لها فى الكتاب نص عليها

الا ما تاوله مالك ههنا وقوله تعالى قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى والمفسرون يذكرون الكلام عليها
في سورة الاعلى وراجع الكلام عليها في هذه السورة عند كلامنا على الصيام لان رسول الله صلى الله
عليه وسلم فرض زكاة الفطر من رمضان الحديث وسياتي فاضافها الى رمضان **الخامسة** قوله تعالى واركعوا الركوع
في اللغة الانحناء بالشخص وكل منحن راكع قال لبيد

• اخبر اخبار القرون التي مضت • ادب كانى كلما قمت راكع •

قال ابن دريد الركعة الهوة في الارض لغة يمانية وقيل الانحناء يعم الركوع والسجود ويستعمل ايضا في الانحطاط
في المنزلة قال الشاعر • ولا انقاد الضعيف عند ان • تركع يوما والدهر قد رفعه •

السادسة واختلف الناس في تخصيص الركوع بالذكر فقال قوم جعل الركوع لما كان من اركان الصلاة
عبارة عن الصلاة **قلت** وهذا ليس مختصا بالركوع وحده فقد جعل الشرع القراءة في الصلاة والسجود
عبارة عن الركعة بكمالها فقال وقرآن الفجر اى صلاة الفجر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ادرك سجدة
من الصلاة فقد ادرك الصلاة واهل الحجاز يطلقون على الركعة سجدة وقيل انما خص الركوع بالذكر لان بني
اسرائيل لم يكن في صلاتهم ركوع وقيل لانه كان اثقل على القوم في الجاهلية حتى لقد قال بعض مسلم للنبي
صلى الله عليه وسلم على ان لا اخر الا قائما فما رؤى راكعا فلما تمكن الاسلام من قلبه اطمانت بذلك
نفسه وامتثل ما امر به من الركوع **السابعة** الركوع الشرعي ان ينحني الرجل صلبه ويمد ظهره وعنقه
ويفتح اصابع يديه ويقبض على ركبتيه ثم يطمئن راكعا يقول سبحان ربي العظيم ثلاثا وذلك ادناه روى
مسلم عن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين
وكان اذ ركع لم يشخص راسه ولم يصوبه ولكن بين ذلك وروى البخاري عن ابي حميد قال رايت رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا كبر جعل يديه حذو منكبيه واذا ركع امكن يديه من ركبتيه ثم هصر ظهره الحديث
الثامنة الركوع فرض فرانا وسنة وكذلك السجود لقوله تعالى في اخر الحج اركعوا واسجدوا وزادت السنة
الطمانينة فيهما والفصل بينهما وقد تقدم القول في ذلك وبينا صفة الركوع افقا واما السجود فقد
جاء مبينا من حديث ابي حميد الساعدي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا سجد مكن جبهته وانفه الارض ونحى يديه
عن جنبيه ووضع كفيه حذو منكبيه خرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وروى مسلم عن انس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتدلوا في السجود ولا يبسط احدكم ذراعيه انبساط الكلب وعن البراء قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سجدت فضع كفيك وارفع مرفقيك وعن ميمونة زوج النبي صلى الله
عليه وسلم قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سجد خوى بيديه نعني جنح حتى يرى وضح ابطيه من
ورايه واذا قعد اطمان على فخذه اليسرى **التاسعة** واختلف العلماء فيمن وضع جبهته في السجود دون انفه
او انفه دون جبهته فقال مالك يسجد على جبهته وانفه وبه قال الثوري واحمد وهو قول النخعي قال احمد
لا يجزيه السجود على احدهما دون الاخر وبه قال ابو حنيفة وابن ابي شيبة قال اسحاق ان سجد على احدهما دون الاخر
صلاته فاسدة وقاله الاوزاعي وسعيد بن عبد العزيز وروى عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعكرمة ومعبد
الرحمن بن ابي ليلى كلهم امر بالسجود وقالت طايفة يجزي ان يسجد على جبهته دون انفه هذا قول عطا وطاوس
وعكرمة وابن سيرين والحسن البصري وبه قال الشافعي وابو ثور ويعقوب ومحمد قال ابن المنذر وقال قايل
ان وضع جبهته ولم يضع انفه او وضع انفه ولم يضع جبهته فقد اساء وصلاته هذا قول النخعي قال
ابن المنذر ولا اعلم احدا سبقه الى هذا القول ولا تابعه عليه **قلت** الصحيح في السجود وضع الجبهة
والانف لحديث ابي حميد وقد تقدم وروى البخاري عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اسجد
على سبعة اعظم على الجبهة واشار بيده الى انفه واليدين والركبتين واطراف القدمين ولا يكفت الثياب ولا الشعر
وهذا كله بيان لمجمل الصلاة فتعين القول به والله اعلم وروى عن مالك انه يجزيه ان يسجد على جبهته دون
انفه كقول عطا والشافعي والمختار عند ما قوله الاول ولا يجزي عند مالك اذا هو يسجد على جبهته **العاشرة**
ويكره السجود على كور العمامة وان كان طاقة او طاقتين مثل الشياب التي تستر الركب والقدمين فلا باس
والافضل مباشرة الارض وما يسجد عليه فان كان هناك ما يوذيه ازاله فيلوح حوله في الصلاة فان لم
يفعل فليمسحه مسحة واحدة روى مسلم عن معيقيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في الرجل يسوي التراب
حيث قال ان كنت فاعلا فواحدة وروى عن انس بن مالك قال كنا نصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في شدة الحر فاذا لم يستطع احدنا ان يمكن جبهته من الارض بسط ثوبه فسجد عليه **الحادية عشرة**
لما قال الله تعالى واركعوا واسجدوا قال بعض علمائنا وغيرهم يكفي منهما ما يسمى ركوعا وسجودا وكذلك من
الفيام ولم يشترطوا الطمانينة في ذلك فاحذ واياقل الاسم في ذلك وكانهم لم يسمعوا الاحاديث الثابتة
في نقا الصلاة قال ابن عبد البر ولا يجزي ركوع ولا سجود ولا وقوف بعد الركوع ولا جلوس بين السجدتين

حتى

حتى يعتدل راكعا وواقفا وساجدا وجالسا وهو الصحيح في الاثر وعليه جمهور العلماء واهل النظر وفي رواية ابن وهب وابن
مصعب عن مالك وقال القاضي ابو بكر بن العربي وقد تكاثرت الرواية عن ابن القاسم وغيره بوجوب الفصل وسقوط الطمانينة
وهو وهم عظيم لان النبي صلى الله عليه وسلم فعلها وامر بها وعلمها فان كان لا بن القاسم عذر وان كان لم يطلع عليها فما
لكم اثنة وقد انتهى العلم اليكم وقامت الحجة به عليكم وروى النسائي والدارقطني وعلي بن عبد العزيز عن رفاعة
ابن رافع قال كنت جالسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءه رجل فدخل المسجد فصلى فلما قضى الصلاة
جاء فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارجع فصل فانك لم تصل
وجعل الرجل يصلي وجعلنا نرمق صلاته لا ندري ما يعيب منها فلما جاء فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى القوم
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم وعليك ارجع فصل فانك لم تصل قالها هم فلا ندري امره بذلك مرتين
او ثلاثا فقال له الرجل ما الوت فلا ادري ما عبت علي من صلاتي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
لا يتم صلاة احدكم حتى يسبغ الوضوء كما امره الله فيغسل وجهه ويديه الى المرفقين ويمسح براسه ورجليه
الى الكعبين ثم يكبر الله تعالى ويثني عليه ثم يقرا ام القران وما اذن له فيه ويتيسر ثم يكبر فيركع فيضع كفيه
على ركبتيه حتى تطمين مفاصله وتسترخي ثم يقول سمع الله لمن حمده ويستوي قايما حتى يقيم صلبه وياخذ
كل عظم ماخذه ثم يكبر فيسجد فيمكن وجهه قال هما ورما قال جبهته من الارض حتى تطمين مفاصله
وتسترخي ثم يكبر فيستوي قاعدا على مقعده ويقيم صلبه فوصف الصلاة هكذا اربع ركعات حتى فرغ
ثم قال لا يتم صلاة احدكم حتى يفعل ذلك ومثله حديث ابي هريرة خرجه مسلم وقد تقدم **قلت**
هذا بيان الصلاة المجملة في الكتاب بتعليم النبي صلى الله عليه وسلم وتبليغه اياها جميع الامة فمن لم يقف عند
هذا البيان واخل بما فرض عليه الرحمن ولم يمتثل ما بلغه عن نبيه عليه السلام كان من جملة من دخل في قوله تعالى
فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات على ما ياتي بيانه هنا ان شاء الله تعالى روى البخاري
عن زيد بن وهب قال راى حذيفة رجلا لا يتم الركوع والسجود فقال ما صليت ولو مت مت على غير الفطرة التي
فطر الله عليها محمدا صلى الله عليه وسلم **الثانية عشرة** قوله تعالى مع الراكعين مع تقتضي المعية والجمعية ولهذا
قال جماعة من اهل التاويل بالقران لان الامر بالصلاة اولا لم يقتض شهود الجماعة فامرهم بقوله مع بشهود
الجماعة وقد اختلف العلماء في شهود الجماعة على قولين فالذي عليه الجمهور ان ذلك من السنن المؤكدة ويجب على
من اراد من التخلف عنها من غير عذر العقوبة وقد اوجبها بعض اهل العلم وفرضا على الكفاية قال ابن عبد البر
وهذا قول صحيح لاجماعهم على انه لا يجوز ان يجتمع على تعطيل المساجد كلها من الجماعات فاذا قامت الجماعة في المسجد
فصلاة المنفرد في بيته جايزة لقوله عليه السلام صلاة الجماعة افضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة
اخرجه مسلم من حديث ابن عمر وروى عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلاة الجماعة افضل من
صلاة احدكم وحده بخمسة وعشرين جزا وقال داود الصلاة في الجماعة فرض على كل احد في خاصته كالجمعة واحتج
بقوله عليه السلام لا صلاة لجار المسجد الا في المسجد خرجه ابو داود وصححه ابو محمد عبد الحق وهو قول
عطا بن ابي رباح واحمد بن حنبل وابي ثور وغيرهم وقال الشافعي لا ارخص لمن قدر على الجماعة في ترك اتيانها
الا من عذر كحاه ابن المنذر وروى مسلم عن ابي هريرة قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل اعمى فقال يا رسول الله
انه ليس لي قايد يقودني الى المسجد فسال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يرخص له فيصلي في بيته فرخص له
فلما ولى دعاه فقال تسمع النداء بالصلاة قال نعم قال فاجب وقال ابو داود وفي هذا الحديث لا جدلك رخصة
خرجه من حديث ابن ام مكتوم وذكر انه هو كان السايل وروى عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من سمع النداء فلم يمنعه من اتباعه عذر قالوا وما العذر قال خوف او مرض لم يقبل منه الصلاة التي صلى قال
ابو محمد عبد الحق هذا يرويه مغرا العبدي والصحيح موقوف على ابن عباس من سمع النداء فلم ياته صلاة له
على ان قاسم بن اصبغ ذكر في كتابه فقال حدثنا اسمعيل بن اسحاق القاضي حدثنا سليمان بن حرب نا
شعبة عن حبيب بن ابي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سمع النداء
فلم يجب فلا صلاة له الا من عذر وحسبك بهذا الاسناد صحة ومغرا العبدي روى عنه ابو اسحاق وقال
ابن مسعود ولقد راينا وما يتخلف عنها الا منافق معلوم النفاق وقال عليه السلام بيننا وبين المنافقين
شهود العتمة والصبح لا يستطيعونها قال ابن المنذر وقد روينا عن غير واحد من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
انهم قالوا من سمع النداء فلم يجب من غير عذر فلا صلاة له منهم ابن مسعود وابو موسى الاشعري وروى
ابو داود عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد هممت ان امر فتيتي فيجمعوا حزما من
حطب ثم اتي قوما يصلون في بيوتهم ليست لهم علة فاحرق عليهم هذا مما احتج به من اوجب الصلاة
في الجماعة فرضا وهي ظاهرة في الوجوب وحملها الجمهور على تاكيد امر شهود الصلوات في الجماعة بدليل حديث
ابن عمر وابي هريرة وحملوا قول الصحابة وما جا في الحديث من انه لا صلاة له على الكمال والفضل وكذلك

فلاح

تامة ح

قوله عليه السلام لابن ام مكتوم فاجب على الندب وقوله عليه السلام لقد هممت لا يدل على الوجوب الحتم لانه هم ولم
يفعل وانما تخرجه مخرج التهديد والوعيد للمنافقين الذين كانوا يتخلفون عن الجماعة والجمعة يبين هذا المعنى ما
رواه مسلم عن عبد الله قال من سره ان يلقى الله غدا مسلما فليحافظ على هذه الصلوات حيث ينادى فان الله
شرع لنبينا صلى الله عليه وسلم سنن الهدى وانهن من سنن الهدى ولو انكم صليتم في بيوتكم كما يصلى هذا المتخلف
في بيته لتركتم سنة نبيكم صلى الله عليه وسلم ولو تركتم سنة نبيكم صلى الله عليه وسلم لضللتم وما من رجل
يتطهر فيحسن الطهور ثم يعمد الى مسجد في هذه المساجد الا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة ويرفعه بها
درجة ويحط عنه بها سيئة ولقد رايتنا وما يتخلف عنها الا منافق معلوم النفاق ولقد كان الرجل يؤتى به
يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف فبين رضي الله عنه في حديثه ان الاجتماع سنة من سنن الهدى وتركه
ضلال ولهذا قال القاضي ابو الفضل عياض اختلف في التمالي على ترك ظاهر السنن هل يقاتل عليها ام لا
والصحيح قتالهم لان في التمالي عليها اماتتها **قلت** فعلى هذا اذا اقيمت السنة وظهرت جازت صلاة
المنفرد وصحت روى مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الرجل في جماعة تزيد
على صلاته في بيته وصلاته في سوقه بضعا وعشرين درجة وذلك ان احدهم اذا توضا فاحسن الوضوء
ثم اتى المسجد لا ينهزه الا الصلاة لا يريد الا الصلاة فلم يخط خطوة الا رفع له بها درجة وحط عنه بها
خطيئة حتى يدخل المسجد فاذا دخل في المسجد كان في الصلاة ما كانت الصلاة هي تحبسه والملائكة يصلون
على احدكم ما دام في مجلسه الذي صلى فيه يقولون اللهم ارحمه اللهم اغفر له اللهم تب عليه ما لم يؤذ ما لم يحدث
فيه قيل لابي هريرة ما يحدث قال يفسو ويضرط **الثالثة عشرة** واختلف العلماء في هذا الفضل المضاف
للجماعة هل لاجل الجماعة فقط حيث كانت او انما يكون ذلك الفضل للجماعة التي تكون في المسجد لما يلايم ذلك
من افعال تختص بالمساجد كما جاء في الحديث قولان والاول اظهر لان الجماعة هو الوصف الذي علق عليه الحكم والله اعلم
وما كان من اكثار الخطا الى المساجد وقصد الاتيان اليها والمكث فيها فذلك زيادة ثواب خارج عن فضل
الجماعة والله اعلم **الرابعة عشرة** واختلفوا ايضا هل يفضل جماعة جماعة بالكثرة وفضيلة الامام
فقال مالك لا وقال ابن حبيب نعم لان النبي صلى الله عليه وسلم قال صلاة الرجل مع الرجل ازكى من صلاته وحده
وصلاته مع الرجلين ازكى من صلاته مع الرجل وما كثر فهو احب الى الله رواه ابن ابي بن كعب اخرجه ابو
داود وفي اسناده لين **الخامسة عشرة** واختلفوا ايضا فيمن صلى في جماعة هل يعيد صلاته تلك في جماعة
اخرى فقال مالك وابو حنيفة والشافعي واصحابهم انما يعيد الصلاة في جماعة مع الامام من صلى وحده في بيته
واهله او في غير بيته واما من صلى في جماعة وان قلت فانه لا يعيد في جماعة اكثر منها ولا اقل وقال احمد بن حنبل
واسحاق بن راهويه وداود بن علي جائز لمن صلى في جماعة ووجد جماعة اخرى في تلك الصلاة ان يعيدها معهم
ان شاء لانها نافلة وسنة وروى ذلك عن حذيفة بن اليمان وابي موسى الاشعري وانس بن مالك وصلة بن
زفر والشعبي والنخعي وبه قال حماد بن زيد وسليمان احتج مالك بقوله صلى الله عليه وسلم لا تصلى صلاة في يوم
مرتين ومنهم من يقول لا تصلوا رواه سليمان بن بشار عن ابن عمر واتفق احمد واسحاق على ان معنى هذا الحديث
ان يصلي الانسان الفريضة ثم يقوم فيصليها ثانية ينوي بها الفرض مرة اخرى فاما اذا صلاها مع الامام
على انها سنة وتطوع فليس باعادة الصلاة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للذين امرهم باعادة الصلاة
في جماعة انها لكم نافلة من حديث ابي ذر وغيره **السادسة عشرة** روى مسلم عن ابي مسعود عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال يؤم القوم اقرؤهم لكتاب الله فان كانوا في القراءة سواء فاعلمهم بالسنة فان كانوا في السنة سواء فاقدمهم
هجرة فان كانوا في الهجرة سواء فاقدمهم سلما ولا يؤمن الرجل الرجل في سلطانه ولا يقعد في بيته على تكرمته
الا باذنه وفي رواية سنا مكان سلما واخرجه ابو داود وقال قال شعبة فقلت لاسمعيل ما تكرمته قال
فراشه واخرجه الترمذي وقال حديث ابي مسعود حديث حسن صحيح والعمل عليه عند اهل العلم قالوا
احق الناس بالامامة اقرؤهم لكتاب الله واعلمهم بالسنة وقالوا صاحب المنزل احق بالامامة وقال
بعضهم اذا اذن صاحب المنزل لغيره فلا باس ان يصلي به وكرهه بعضهم وقالوا السنة ان يصلي صاحب
البيت قال ابن المنذر روينا عن الاشعث بن قيس انه قدم غلاما وقال انما اقدم القران وممن قال يؤم القوم
اقرؤهم ابن سيرين والثوري واسحاق واصحاب الراي قال ابن المنذر بهذا نقول لانه موافق للسنة
وقال مالك يتقدم القوم اعلمهم اذا كانت حاله حسنة وان للمسن حقا وقال الاوزاعي يؤمهم افقههم
وكذلك قال الشافعي وابو ثور اذا كان يقرا القران وذلك لان الفقيه اعرف بما ينوبه من الحوادث في الصلاة
وتاولوا الحديث بان الاقرا من الصحابة كان الافقه لانهم كانوا يتفقهون في القران وكان من عرفهم الغالب
تسميتهم الفقها بالقرا واستدلوا بتقديم النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه ابا بكر لفضله وعمله
وقال اسحاق انما قدمه النبي صلى الله عليه وسلم ليدل انه الخليفة بعده ذكره ابو عمر في التمهيد وروى ابو بكر

البزار

البزار باسناد حسن عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سافرتم فليؤمكم اقرؤكم وان كان
اصغركم واذا امكم فهو اميركم قال لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم الا من رواية ابي هريرة بهذا الاسناد **قلت**
امامة الصغير جائزة اذا كان قارئا ثبت في صحيح البخاري عن عمرو بن سلمة قال كنا بماء ممر الناس وكان يمر
بنا الركبان فنسالهم ما للناس ما للناس ما هذا الرجل فيقولون يزعم ان الله ارسله اوحى اليه كذا فكنت احفظ
ذلك الكلام فكانما يغرا في صدري وكانت العرب تلوم باسلامها فيقولون اتركوه وقومه فانه ان ظهر عليهم
فهو نبي صادق فلما كانت وقعة بادر كل قوم باسلامهم وبدر ابي قومي باسلامهم فلما قدم قال جئتكم والله من عند
نبي الله حقا قال صلوا صلاة كذا في حين كذا وصلاة كذا في حين كذا فاذا حضرت الصلاة فليؤذن احدكم
وليؤمكم اكثركم قرانا فنظروا فلم يكن احد اكثر مني قرانا لما كنت القى من الركبان فقدموني بين ايديهم وانا
ابن ست سنين او سبع سنين وكانت علي بردة اذا سجدت تقلصت عني فقالت امراة الا تغطوا عنا است
قاريكم فاشتروا فقطعوا لي قميصا فما فرحت بشيء فرحي بذلك القميص وممن اجاز امامة الصبي غير البالغ
الحسن البصري واسحاق بن راهويه واختاره ابن المنذر اذا عقل الصلاة وقام بها لدخوله في جملة قوله صلى
الله عليه وسلم يؤم القوم اقرؤهم ولم يستثن ولحديث عمرو بن سلمة وقال الشافعي في احد قوليه يؤم في
ساير الصلوات ولا يؤم في يوم الجمعة وقد كان قبل يقول ومن اجزات امامته في المكتوبة اجزات امامته
في الاعياد غير اني اكره فيهما امامة غير الوالي وقال الاوزاعي لا يؤم الغلام في الصلاة المكتوبة حتى يحتلم الا
ان يكون قوم ليس معهم من القران شيء فانه يؤمهم الغلام المراهق وقال الزهري ان اضطروا اليه امهم ومنع
ذلك جملة مالك والثوري واصحاب الراي **السابعة عشرة** الايتمام بكل امام بالغ مسلم حر على استقامة جائز
من غير خلاف اذا كان يعلم حدود الصلاة ولم يكن يلحن في ام القران لحنا يختل به المعنى مثل ان يكسر الكاف في اياك
او يضم التاء في انعمت ومنهم من راعى تفريق الظاء من الضاد وان من لم يفرق بينهما لا تصح امامته لان معناهما
يختلف ومنهم من رخص في ذلك كله اذا كان جاهلا بالقراءة وام مثله ولا يجوز الايتمام بامراة ولا خنثى مشكل
ولا كافر ولا مجنون ولا امي ولا يكون واحد من هؤلاء اماما بحال من الاحوال عند اكثر العلماء على ما ياتي ذكره الا الامي لمثله
قال علماؤنا لا تصح امامة الامي الذي لا يحسن القراءة مع حضور القارئ له ولا لغيره وكذلك قال الشافعي فان
ام اميا مثله صحت صلاتهم عندنا وعند الشافعي وقال ابو حنيفة اذا صلى الامي بقوم يقرؤون وبقوم اميين
فصلاتهم كلهم فاسدة وخالفه ابو يوسف فقال صلاة الامام ومن لا يقرا تامة وقالت فرقة صلاتهم كلهم
جائزة لان كلا مؤدي فرضه وتلك مثل المتيمم يصلي بالمتطهرين بالماء والمصلي قاعدا يصلي قاعدا بقوم قيام
صلاتهم مجزية في قول من خالفنا لان كلا مؤدي فرض نفسه **قلت** وقد يحتج لهذا القول بقوله عليه السلام
الا ينظر المصلي كيف يصلي فانما يصلي لنفسه اخرجه مسلم وان صلاة الماموم ليست مرتبطة بصلاة الامام
والله اعلم وكان عطاء بن ابي رباح يقول اذا كانت امراة تقرا كبر هو وتقرا هي فاذا فرغت من القراءة كبر وركع وسجد
وهي خلفه تصلي وروى هذا المعنى عن قتادة **الثامنة عشرة** ولا باس بامامة الاعمى والاعرج والاشل
والاقطع والخصي والعبد اذا كان كل واحد منهم عالما بالصلاة وقال ابن وهب لا ارى ان يؤم الاقطع والاشل
لانه منتقص عن درجة الكمال وكرهت امامته لاجل النقص وخالفه جمهور اصحابه وهو الصحيح لانه عضو
لا يمنع فقده من فرض من فروض الصلاة فجازت الامامة الراتبة مع فقده كالعين وقد روى انس ان النبي صلى
الله عليه وسلم امر ابن ام مكتوم يؤم الناس وهو اعمى وكذا الاعرج والاقطع والاشل والخصي قياسا ونظرا والله
اعلم وقد روي عن انس بن مالك انه قال في الاعمى وما حاجتهم اليه وكان ابن عباس وعتبان بن مالك يؤمان
وكلاهما اعمى وعليه عامة العلماء **التاسعة عشرة** واختلفوا في امامة ولد الزنا فقال مالك اكره ان يكون
اماما راتبا وكره ذلك عمر بن عبد العزيز وكان عطاء بن ابي رباح يقول له ان يؤم اذا كان مرضيا وهو قول
الحسن البصري والزهري والنخعي وسفيان الثوري والاوزاعي واحمد واسحاق وتجزي الصلاة خلفه عند اصحاب
الراي وغيره احب اليهم وقال الشافعي اكره ان ينصب اماما راتبا من لا يعرف ابوه ومن صلى خلفه اجزاه وقال
عيسى بن دينار لا اقول بقول مالك في امامة ابن الزنا وليس عليه من ذنب ابويه شيء ونحوه قال ابن عبد الحكم
اذا كان في نفسه اهلا للامامة قال ابن المنذر يؤم لدخوله في جملة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤم القوم
اقرؤهم وقال ابو عمر ليس في شيء من الاثار الواردة في شرط الامامة ما يدل على مراعاة النسب وانما فيها الدلالة
على الفقه والقراءة والصلاح في الدين **الموفية عشرين** واما العبد فروى البخاري عن ابن عمر قال لما قدم
المهاجرون الاولون العصبة موضعا بقبا قبل مقدم النبي صلى الله عليه وسلم كان يؤمهم سالم مولى ابي حذيفة
وكان اكثرهم قرانا وعنه قال كان سالم مولى ابي حذيفة يؤم المهاجرين الاولين واصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
في مسجد قبا فيهم ابو بكر وعمر وزيد وعامر بن ربيعة وكانت عائشة يؤمها عبدها ذكوان من المصحف قال ابن
المنذر وام ابو سعيد مولى ابي اسيد وهو عبد نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم حذيفة

الفتح م

من الحي م

وابو مسعود ورخص فى امامة العبد النخعى والشعبى والحسن البصرى والحكم والثورى والشافعى واحمد واسحاق واصحاب
الراى وكره ذلك ابو مجلز وقال مالك لا يؤمهم الا ان يكون العبد قارئا ومن منعه من الاحرار لا يقرون الا ان
يكون فى عيد او جمعة فان العبد لا يؤمهم فيهما ويجزى عند الاوزاعى ان صلوا وراءه قالوا فالمدبر والعبد داخل فى جملة
قول النبى صلى الله عليه وسلم يؤم القوم افرؤهم **الحادية والعشرون** واما المراة فروى البخارى عن ابى بكرة قال لما بلغ
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل فارس قد ملكوا ابنة كسرى قال لن يفلح قوم ولوا امرهم امراة وذكر ابو داود
عن عبد الرحمن بن خلاد عن ام ورقة بنت عبد الله قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها فى بيتها قال
وجعل لها مؤذنا يؤذن لها وامرها ان تؤم اهل دارها قال عبد الرحمن فانا رايت مؤذنها شيخا كبيرا قال
ابن المنذر والشافعى يوجب الاعادة على من صلى من الرجال خلف المراة وقال ابو ثور لا اعادة عليهم وهذا قياس
قول المزنى **قلت** وقال علماؤنا لا تصح امامتها للرجال ولا للنساء وروى ابن ابى يمن جواز امامتها للنساء
واما الخنثى المشكل فقال الشافعى لا يؤم الرجال ويؤم النساء وقال مالك لا يكون اماما بحال وهو قول اكثر الفقهاء
الثانية والعشرون الكافر المخالف للشرع كاليهودى والنصرانى يؤم المسلمين وهم لا يعلمون بكفره وكان
الشافعى واحمد يقولان لا يجزيهم ويعيدون وقاله مالك واصحابه لانه ليس من اهل القربة وقال الاوزاعى
يعاقب وقال ابو ثور والمزنى لا اعادة على من صلى خلفه ولا يكون بصلاته مسلما عند الشافعى وابى ثور وقال
احمد يجبر على الاسلام **الثالثة والعشرون** واما اهل البدع من اهل الاهواء كالمعتزلة والجهمية وغيرهم
فذكر البخارى عن الحسن صل وعليه بدعته وقال احمد لا يصلى خلف احد من اهل الاهواء اذا كان داعية الى هواه
وقال مالك ويصلى خلف ائمة الجور ولا يصلى خلف اهل البدع من القدرية وغيرهم قال ابن المنذر وكل من خرجت
بدعته الى الكفر لم تجز الصلاة خلفه ومن لم يكن كذلك فالصلاة خلفه جائزة ولا يجوز تقديم من هذه صفته
الرابعة والعشرون واما الفاسق بجوارحه كالزانى وشارب الخمر ونحو ذلك فاختلف المذهب فيه فقال
ابن حبيب من صلى وراء من شرب الخمر فانه يعيد ابدا الا ان يكون الوالى الذى تودى اليه الطاعة فلا اعادة على من صلى
خلفه الا ان يكون حينئذ سكران قاله من لقيت من اصحاب مالك وروى من حديث جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال على المنبر لا تؤمن امراة رجلا ولا يؤمن اعرابى مهاجرا ولا يؤمن فاجر برا الا ان يكون خاف سلطانا
قال ابو محمد عبد الحق هذا يروى عن يزيد بن خمير عن سعيد بن المسيب والاكثر يضعف على بن زيد وروى
الدار قطنى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شركم ان تزكوا صلاتكم فقدموا اخياركم وفى
اسناده ابو الوليد خالد بن اسمعيل المخزومى وهو ضعيف قاله الدار قطنى وقال فيه احمد بن عدى كان يضع
الحديث على ثقات المسلمين وحديثه هذا يرويه عن ابن جريج عن عطاء عن ابى هريرة وذكر الدار قطنى عن بكار بن
سليمان عن عمر بن محمد بن واسع عن سعيد بن جبير عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوا ائمتكم
خياركم فانهم وفدفيما بينهم وبين الله قال الدار قطنى عمر هذا هو مندى عمر بن يزيد قاضى المدائن وسلام بن
سليمان ايضا مدنى ليس بالقوى قاله عبد الحق **الخامسة والعشرون** روى الائمة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال انما جعل الامام ليؤتم به فلا تختلفوا عليه فاذا كبر فكبروا واذا ركع فاركعوا واذا قال
سمع الله لمن حمده فقولوا اللهم ربنا ولك الحمد واذا سجد فاسجدوا واذا صلى جالسا فصلوا جلوسا اجمعون وقد
اختلف العلماء فيمن ركع او خفض قبل الامام عامدا على قولين احدهما ان صلاته فاسدة ان فعل ذلك فيها كلها او فى
اكثرها وهو قول اهل الظاهر وروى عن ابن عمر ذكر سنيد قال حدثنا ابن علية عن ايوب عن ابى قلابة عن الجارود
الانصارى قال صليت الى جنب ابن عمر فجعلت ارفع قبل الامام واضع قبله فلما سلم الامام اخذ ابن عمر بيدى
فلوانى وجدت حبى فقلت مالك قال ما ذاك قلت فلان بن فلان قال انت من اهل بيت صدق فما يمنعك ان تصلى
قلت وما رايتنى فى جانبك قال قد رايتك ترفع قبل الامام وتضع قبله وانه لا صلاة لمن خالف الامام وقال الحسن
ابن حى فيمن ركع او سجد قبل الامام ثم رفع من ركوعه وسجوده قبل ان يركع الامام او يسجد لم يعتد بذلك
ولم يجزه وقال اكثر الفقهاء من فعل ذلك فقد اساء ولم تفسد صلاته لان الاصل فى صلاة الجماعة والائتمام
فيها بالائمة سنة حسنة ممن خالفها بعذر اذى فرض صلاته بطهارتها وركوعها وسجودها وفرائضها فليس
عليه اعادة تلك السنة لانه لو شاء ان يتفرد فصلى قبل امامه تلك الصلاة اجزأته عنه وليس
ما فعل فى تركه الجماعة قالوا ومن دخل فى صلاة الامام فركع بركوعه وسجد بسجوده ولم يكن وركعة والامام
فى اخرى فقد افتدى وان كان يرفع قبله ويخفض قبله لانه يركع بركوعه ويسجد بسجوده يسجد ويرفع وهو
فى ذلك تبع له الا انه مسىء فى فعله ذلك لخلافه سنة المامور المجتمع عليها **قلت** وحكاه ابن عبد البر
عن الجمهور وبنى على ان صلاة المامور عندهم غير مرتبطة بصلاة الامام لان الاتباع الحسى والشرعى مفقود
وليس الامر هكذا عند اكثرهم والصحيح فى الاثر والنظر القول الاول فان الامام انما جعل ليؤتم به ويقتدى
به بافعاله ومنه قوله تعالى انى جاعلك للناس اماما اى ياتمون بك على ما يانى بيانه هذا حقيقة الامام لغة

وشرعا

وشرعا من خالف امامه لم يتبعه ثم ان النبى صلى الله عليه وسلم بين فقال اذا كبر فكبروا الحديث فانى بالفاء التى توجب التعقيب
وهو المبين عن الله مراده ثم اوعد على من رفع او ركع قبل وعيدا شديدا فقال اما يخشى الذى يرفع راسه قبل الامام
ان يحول الله راسه راس حمار او صورته صورة حمار اخرجه الموطا والبخارى وابو داود وغيرهم وقال ابو هريرة انما ناصيته
بيد شيطان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل عمل ليس عليه امرنا فهو رد يعنى مردود افمن تعمد خلاف امامه عالما
بانه مامور باتباعه ممنى عن مخالفته فقد استخف بصلاته وخالف ما امر به فواجب ان لا تجزى عنه صلاته تلك
والله اعلم **السادسة والعشرون** فان رفع راسه ساهيا قبل الامام فقال مالك رحمه الله السنة فيمن سها
ففعل ذلك فى ركوع او سجود ان يرجع راكعا او ساجدا ولا ينتظر الامام وذلك خطا من فعله لان النبى صلى الله عليه
وسلم قال انما جعل الامام ليؤتم به فلا تختلفوا عليه قال ابن عبد البر ظاهر قوله مالك هذا لا يوجب الاعادة على من
فعله عامدا لقوله وذلك خطا من فعله لان الساهى لا اثم عنه موضوع **السابعة والعشرون** وهذا الخلاف انما
هو فيما عدى تكبيرة الاحرام والسلام اما السلام فقد تقدم القول فيه واما تكبيرة الاحرام فالجمهور على ان
تكبير الموموم لا يكون الا بعد تكبير الامام لما روى عن الشافعى فى احد قوليه انه ان كبر قبل امامه تكبيرة الاحرام
اجزات عنه لحديث ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جا الى الصلاة فلما كبر انصرف واوما اليهم اى كما انتم
ثم خرج مسرعا ورأسه يقطر فصلى بهم فلما انصرف قال انى كنت جنبا فنسيت ان اغتسل ومن حديث انس فكبر وكبرنا
معه وسيالى بيان هذا عند قوله تعالى ولا جنبا فى النساء ان شا الله تعالى **الثامنة والعشرون** روى مسلم عن ابى
مسعود قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح مناكبنا فى الصلاة ويقول استووا ولا تختلفوا فتختلف
قلوبكم وليلنى منكم اولوا الاحلام والنهى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم قال ابو مسعود فانتم اليوم اشد اختلافا
زاد من حديث عبد الله واياكم وهيشات الاسواق قوله استووا امر بتسوية الصفوف وخاصة الصف الاول
وهو الذى يلى الامام على ما ياتى بيانه فى سورة الحجر ان شا الله تعالى وهناك ياتى الكلام على معنى هذا الحديث
بحول الله تعالى **التاسعة والعشرون** واختلف العلما فى كيفية الجلوس فى الصلاة لاختلاف الاثار فى ذلك فقال
مالك واصحابه يفضى المصلى باليته الى الارض وينصب رجله اليمنى ويثنى رجله اليسرى لما رواه فى موطاه عن يحيى
ابن سعيد ان القاسم بن محمد راى رجلا من الجلوس فى التشهد فنصب رجله اليمنى وثنى رجله اليسرى وجلس على وركه
الايسر ولم يجلس على قدميه ثم قال راى هذا عبد الله بن عمر وحدثنى ان اباه كان يفعل ذلك **قلت** وهذا
المعنى قد جا فى صحيح مسلم عن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الصلاة بالتكبير والقراة
بالحمد لله رب العالمين وكان اذا ركع لم يشخص راسه ولم يصوبه ولكن بين ذلك وكان اذا رفع راسه من الركوع لم يسجد
حتى يستوى قايما وكان اذا رفع راسه من السجدة لم يسجد حتى يستوى قاعدا وكان يفرش رجله اليسرى ويضع
يفترش رجله اليسرى وينصب رجله اليمنى وكان ينهى عن عقبة الشيطان وينهى ان يفترش الرجل ذراعيه افتراش
السبع وكان يختم الصلاة بالتسليم **قلت** وهذا الحديث قال ابن عمر انما سنة الصلاة ان تنصب رجلك اليمنى وتثنى
اليسرى وقال الثورى وابو حنيفة واصحابه والحسن بن صالح بن حى ينصب اليمنى ويقعد على اليسرى لحديث وايل بن حجر
وكذلك قال الشافعى واحمد واسحاق فى الجلسة الوسطى وقالوا فى الاخرة من الظهر والعصر والمغرب والعشا
كقولهما لذلك لحديث ابى حميد الساعدى رواه البخارى قال رايت النبى صلى الله عليه وسلم اذا كبر جعل يديه حذو
منكبيه واذا ركع امكن يديه من ركبتيه ثم هصر ظهره فاذا رفع استوى حتى يعود كل فقار مكانه فاذا سجد وضع
يديه غير مفترش ولا قابضهما واستقبل باطراف اصابع رجليه القبلة واذا جلس فى الركعتين جلس على
رجله اليمنى ونصب الاخرى واذا جلس فى الركعة الاخرة قدم رجله اليسرى ونصب اليمنى وقعد على مقعدته وقال
الطبرى ان فعل هذا فحسن وان فعل هذا فحسن كل ذلك قد ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم **الموفية ثلاثين**
مالك عن مسلم بن ابى مريم عن على بن عبد الرحمن المعاوى انه قال راى عبد الله بن عمرو انا اعبث بالحصبا فى الصلاة فلما انصرف
نهانى وقال اصنع كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع قلت وكيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع قال
كان اذا جلس فى الصلاة وضع كفه اليمنى على فخذه اليمنى وقبض اصابعه كلها واشار باصبعه التى تلى الابهام
ووضع كفه اليسرى على فخذه اليسرى وقال هكذا كان يفعل قال ابن عبد البر وما وصفه ابن عمر من وضع كفه اليمنى على
فخذه اليمنى وقبض اصابعه تلك كلها الا السبابة منها فانه يشير بها ووضع كفه اليسرى على فخذه اليسرى مفتوحة مفرجة
الاصابع كل ذلك سنة فى الجلوس فى الصلاة مجتمع عليها لا خلاف علمته بين العلما فيها وحسبك بهذا الا انهم اختلفوا
فى تحريك اصبعه السبابة فمنهم من راى تحريكها ومنهم من لم ير وكل ذلك مروى فى الاثار الصحاح المسندة عن النبى صلى الله
عليه وسلم وجميعه مباح والحمد لله وروى سفيان بن عيينة هذا الحديث عن مسلم بن ابى مريم بمعنى ما رواه مالك وزاد فيه قال
سفيان وكان يحيى بن سعيد حدثنا عن مسلم ثم لقيته فسمعته منه وزاد فى فيه قال رمى بمدية الشيطان لا يشهوا احدكم
ما امر ثير باصبعه ويقول هكذا **قلت** روى ابو داود فى حديث ابن الزبير انه عليه السلام يشير باصبعه اذا دعا
ولا يحركها وال هذا ذهب بعض العراقيين فمنع من تحريكها وبعض علمائنا يراه ان مد بها اشارة الى دوام التوحيد وذهب

أكثر العلماء من أصحاب مالك وغيرهم الى تحريمها الا انهم اختلفوا في الموالاة بالتحريك على قولين يأولون الاه بان قال
ان ذلك يذكر بموالاة الحضور في الصلاة وبانها مقمعة ومدفعة للشيطان على ما روى سفيان ومن لم يوال راى تحريمها
عند التلفظ بكلمتي الشهادة وتاول في الحركة كانها نطق بتلك الجارحة بالتوحيد والله اعلم **الحادية والثلاثون**
واختلفوا في جلوس المراة في الصلاة فقال مالك هي كالرجل ولا مخالفه فيها بعد الاحرام الا في الدباس والجمهر
وقال الثوري تسدل المراة رجليها من جانب واحد وروى عن ابراهيم النخعي وقال ابو حنيفة واصحابه تجلس المراة
كايسر ما يكون لها وهو قول الشعبي تقعد كيف تيسر لها وقال الشافعي تجلس استر ما يكون **الثانية والثلاثون**
روى مسلم عن طاوس قال قلنا لابن عباس في الاقعاء على القدمين فقال هي السنة فقلنا له انا لنراه جفاء بالرجل
فقال ابن عباس هي سنة نبيك صلى الله عليه وسلم وقد اختلف العلماء في صفة الاقعاء ما هو فقال ابو عبيد الاقعاء
جلوس الرجل على اليتيه ناصبا فخذيه مثل اقعاء الكلب والسبع قال ابن عبد البر وهذا اقعاء مجتمع عليه لا يختلف العلماء
فيه وهذا تفسير اهل اللغة وطايفة من اهل الفقه وقال ابو عبيد واما اهل الحديث فانهم يجعلون الاقعاء
ان يجعل اليتيه على عقبيه بين السجدتين وقال القاضي عياض وما اشبه عندي في تاويل الاقعاء الذي قال
فيه ابن عباس انه من السنة الذي فسره به الفقهاء من وضع الاليتين على العقبين بين السجدتين وكذا جاء
مفسرا عن ابن عباس من السنة ان لا يمس عقبك اليتيك رواه ابراهيم بن ميسرة عن طاوس عنه ذكره ابو عمر
قال القاضي وقد روى عن جماعة من السلف والصحابة انهم كانوا يفعلونه ولم يقل بذلك عامة فقهاء
الامصار وسموه اقعاء ذكره عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن ابيه انه راى ابن عمر وابن عباس وابن الزبير
يقعدون بين السجدتين **الثالثة والثلاثون** لم يختلف من قال من العلماء بوجوب التسليم وبعدم وجوبه ان
الثانية ليست بفرض لما روى عن الحسن بن حي انه اوجب التسليمتين معا قال ابو جعفر الطحاوي لم نجد عن احد
من اهل العلم الذين هبوا الى التسليمتين ان الثانية من فرايضها غيره وقال ابن عبد البر من حجة الحسن بن
صالح في ايجابه التسليمتين جميعا وقوله ان من احدث بعد الاولى وقبل الثانية فسدت صلاته قوله صلى الله عليه وسلم
تحليلها التسليم وكان يسلم عن يمينه وعن يساره ومن حجة من اوجب التسليمة الواحدة دون الثانية قوله
صلى الله عليه وسلم تحليلها التسليم قالوا والواحدة يقع عليها اسم تسليم **قلت** هذه المسالة مبنية
على الاخذ بالاقل الاسم او باخره ولما كان الدخول في الصلاة بتكبيرة واحد باجماع فكذلك الخروج منها بتسليم
واحد الا انه تواترت السنة الثابتة من حديث ابن مسعود وهو اكثرها تواترا ومن حديث وايل بن حجر الحضرمي
وحديث عمار وحديث البراء بن عازب وحديث ابن عمر وحديث سعد بن ابي وقاص ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
يسلم تسليمتين وروى ابن جريج وسليمان بن بلال وعبد العزيز بن محمد الدراوردي كلهم عن عمرو بن يحيى المازني
عن محمد بن يحيى بن حبان عن عمه واسع بن حبان قال قلت لابن عمر حدثني عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
كيف كانت فذكر التكبير كلما رفع راسه وكلما خفضه وذكر السلام عليكم ورحمة الله عن يمينه السلام عليكم ورحمة
الله عن يساره قال ابن عبد البر وهذا اسناد مدني صحيح والعمل المشهور بالمدينة التسليمة الواحدة وهو
عمل قد توارثه اهل المدينة كابرا عن كابر ومثله يصح فيه الاحتجاج بالعمل في كل بلد لانه لا يخفى لوقوعه في كل
يوم مرارا وكذلك العمل بالكوفة وغيرها مستفيض عندهم بالتسليمتين متوارث عندهم ايضا وكلا ما جرى هذا
المجرى فهو اختلاف في المباح كالاذان وكذلك لا يروى عن عالم بالحجاز ولا بالعراق ولا بالشام ولا مصر انكار التسليمة
الواحدة ولا انكار التسليمتين بل ذلك عندهم معروف وحديث التسليمة الواحدة رواه سعد بن ابي وقاص وعن
عايشة وانس الا انها معلولة لا يصححها اهل العلم بالحديث **الرابعة والثلاثون** روى الدارقطني عن ابن مسعود
انه قال من السنة ان يخفي التشهد وامثال مالك تشهد عمر بن الخطاب وهو التحيات لله الزاكيات لله الطيبات الصلوات
لله السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين اشهد ان لا اله الا الله واشهد
ان محمدا عبده ورسوله واختار الشافعي واصحابه والليث بن سعد تشهد ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن فكان يقول التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله السلام عليك ايها
النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله واختار
الثوري والكوفيون واكثر اهل الحديث تشهد ابن مسعود الذي رواه مسلم ايضا قال كنا نقول في الصلاة خلف
رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام على الله السلام على فلان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ان الله
هو السلام فاذا قعد احدكم في الصلاة فليقل التحيات والصلوات والطيبات السلام عليك ايها النبي ورحمة الله
وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فانه اذا قالها اصاب كل عبد صالح في السماء والارض اشهد ان لا اله
الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله ثم يتخير من المسالة ما شاء وبه قال احمد واسحاق وداود وكان احمد بن حنبل
يذهب الى تشهد ابن مسعود وروى عن ابي موسى الاشعري مرفوعا وموقوفا نحو تشهد ابن مسعود وهذا كله اختلاف
ليس شيء منه على الوجوب والحمد لله فهذه جملة من احكام الامام والمامور تضمنها قوله جل وعز واركعوا مع الراكعين

التسليمة ع

ثم بين كيف التسليم ح

الله ع

في مباح ح

وسيأتي

وسيأتي القول في القيام في الصلاة عند قوله وقوموا لله قانتين وجاء في هذا حكم الامام المريض وغيره من احكام
الصلاة ويأتي في العمل حكم صلاة المريض غير الامام ويأتي في النساء في صلاة الخوف حكم المفترض خلف المتنفل ويأتي
في سورة مريم حكم الامام يصلي ارفع من المامومين او غير ذلك من الاوقات والاذان والمساجد وهذا كله بيان لقوله
تعالى واقيموا الصلاة وقد تقدم في اول السورة جملة من احكامها والحمد لله على ذلك **قوله تعالى** اتامرون الناس بالبر
الاية فيه تسع مسايل **الاولى** قوله تعالى اتامرون الناس بالبر هذا استفهام معناه التوبيخ والمراد في قول اهل
التاويل علماء اليهود قال ابن عباس كان يهود المدينة يقولون لارحامهم لصهره وكذا غرابته ولمن بينه وبينه رضاع من
المسلمين اثبت على الذي انت عليه وما ياتمرك به هذا الرجل يريدون محمدا صلى الله عليه وسلم فان امره حق فكانوا يامرون
الناس بذلك ولا يفعلونه وعن ابن عباس ايضا كانوا لاحبارهم يقولون مقالتهم واتباعهم باتباع التوراة وكانوا يخالفونها
في مجرى صفة محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن جريج كان الاحبار يحضون على طاعة الله وكانوا هم يواقعون المعاصي
وقالت فرقة كانوا يحضون على الصدقة ويبخلون والمعنى متقارب وقد تضمن هذا ان على العالم ان يتقدم الناس بجميل المكاني وان ينتهي عن طواهر رسومها **الثانية** في شدة عذاب من هذه صفته روى حماد بن سلمة
عن علي بن زيد عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسري بي مررت على ناس تقرض شفاههم بمقاريض
من نار فقلت يا جبريل من هؤلاء الخطباء من امتك يامرون الناس بالبر وينسون انفسهم وهم يتلون الكتاب
افلا يعقلون وروى ابو امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذين يامرون الناس بالبر وينسون انفسهم
يجرون قصبهم في نار جهنم فيقال لهم مم اتتم فيقولون نحن الذين كنا نامر الناس بالخير وننسى انفسنا **قلت** وهذا
الحديث وان كان فيه ليث لان في سنده الخصيب بن جحدر وكان الامام احمد يستضعفه وكذلك ابن معين يرويه عن علي بن
عن ابي امامة صدي بن عجلان الباهلي ابو امامة هو قيما حكى يحيى بن معين حمزة والقرشي مولى خالد بن عبد الله من
اسيد وقيل مولى باهلة وقيل مولى عبد الرحمن الحضرمي كان يختلف الى الشام في تجارته قال يحيى بن معين هو صالح الحديث
فقد رواه مسلم في صحيحه بمعناه عن سالمة بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى يوم القيامة
بالرجل فيلقى في النار فتندلق اقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيجتمع اليه اهل النار فيقولون يا فلان
مالك الم تكن تامر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول بلى قد كنت امر بالمعروف ولا اتيه وانهى عن المنكر واتيه الفصب بضم القاف
المعاء جمعه اقصاب والاقتاب الامعاء واحدها قتب ومعنى فتندلق تخرج بسرعة وروينا فتسلق كذلك فتندلق
قلت فقد دل الحديث الصحيح والفاظ الاية على ان عقوبة من كان عالما بالمعروف وبالمنكر وتوجوب القيام بوظيفة
كل واحد منهما اشد ممن لم يعلمه وانما ذلك لانه كالمستهين بحرمات الله ومستخف لاحكامه وهو ممن لم ينتفع بعلمه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه اخرجه ابن ماجة في سننه
الثالثة اعلم وفقك الله تعالى ان التوبيخ في الاية بسبب ترك فعل البر لا بسبب الامر بالبر ولهذا ذم الله تعالى في
كتابه قوما كانوا يامرون باعمال البر ولا يعملون لهذا ذمهم الله توبيخا يتلى على طول الدهر الى يوم القيامة فقال
اتامرون الناس بالبر الاية وقال منصور بن الفقيه فاحسن

ان قوما يامرونا بالذي لا يفعلونا ... لجديرون وان هم لم يكونوا يصرعونا
وقال ابو العتاهية وصفت التقى حتى كانك ذو تقى ... وريح الخطايا من ثيابك تستطيع
وقال ابو الاسود الديلي لا تنه عن خلق وتاتي مثله ... عار عليك اذا فعلت عظيم
ابدا بنفسك فانهها عن غيها ... فاذا انتهت عنه فانت حليم
فهناك تقبل ان وعظت وتهتدي ... بالقول منك ويقبل التعليم

وقال ابو عمر وبن مطر حضرت مجلس ابي عثمان الحيري الزاهد فخرج وقعد على موضعه الذي كان يقعد عليه للتذكير فسكت
حتى طال سكوته فقال له رجل كان يعرف بابي العباس ترى ان تقول في سكوتك شيئا فانشا يقول

وغير تقي يامر الناس بالتقى ... طبيب يداوي والطبيب مريض

قال فارتفعت الاصوات بالبكاء والضجيج **الرابعة** قال ابراهيم النخعي اني لاكره القصص لثلاث ايات قوله
اتامرون الناس بالبر الاية وقوله لم تقولون ما لا تفعلون وقوله وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه وقال
سلم بن عمرو

ما اقبح الترهيد من واعظ ... يزهد الناس ولا يزهد
لو كان في ترهيده صادقا ... اضحى وامسى بيته المسجد
ان رفض الناس فما باله ... يستمع الناس ويستزيد
الرزق مقسوم على من ترى ... يسعى له الابيض والاسود

وقال الحسن المطرف بن عبد الله عظ اصحابك فقال اني اخاف ان اقول ما لا افعل قال يرحمك الله وابنا يفعل ما يقول
وبود الشيطان انه قد ظفر بهذا فلم يامر احد بمعروف ولم ينه عن منكر وقال مالك بن ربيعة بن ابي عبد الرحمن
سمعت سعيد بن جبير يقول لو كان المرء لا يامر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء ما امر احد بمعروف ولا نهى

عن منكر قال مالك وصدق من ذا الذي ليس فيه شيء **الخامسة** قوله تعالى بالبر البر هنا الطاعة والعمل الصالح
والبر الصدق والبر ولد الثعلب والبر سوق الغنم ومنه قولهم لا يعرف هرا من بر اي لا يعرف دعا الغنم من سوقها
فهو مشترك وقال الشاعر • لا هم رب ان بكوا دونكا • يبرك الناس ويفجرونكا •
اراد بقوله يبرك الناس ان يطيعونك ويقال ان البر الفؤاد في قوله اكون مكان البر منه ودونه واجعل مالي
دونه واوامره والبر بضم البا معروف وبفتحها الاجلال والتعظيم ومنه ولد بر وبار اي يعظم والديه ويكرمهما
السادسة قوله تعالى وتنسون انفسكم اي تتركون والنسيان بكسر النون يكون بمعنى الترك وهو المراد
هنا وفي قوله تعالى نسوا الله فنسيهم وقوله فلما نسوا ما ذكروا به وقوله ولا تنسوا الفضل بينكم ويكون خلاف الذكر
والحفظ ومنه الحديث نسي آدم فنسيت ذريته وسياتي يقال رجل نسيان بفتح النون كثير النسيان للشيء وقد
نسيت الشيء نسيانا ولا يقل نسيانا بالتحريك لان النسيان انما هو تثنية نسا العرق وانفس جمع نفس جمع قلة
والنفس الروح يقال خرجت نفسه قال ابو خراش •
• نجا سالم والنفس منه بشدقه • ولم ينج الا جفن سيف ومئزرا •
اي بجفن سيف ومئزر ومن الدليل على ان النفس الروح قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها يريد الارواح في قول
جماعة من اهل التاويل على ما ياتي وذلك بين في قول بلال للنبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابن شهاب اخذ بنفسي
يرسول الله الذي اخذ بنفسك وقوله عليه السلام في حديث زيد بن اسلم ان الله قبض ارواحنا ولو شاء لردها
الينا في حين غير هذا رواهما مالك وهو اولى ما يقال به والنفس ايضا الدم يقال سالت نفسه قال الشاعر
• تسيل على حد السيوف نفوسنا • وليست على حد الضبات تسيل •
وقال ابراهيم النخعي ما ليس بنفس سائلة فانه لا ينجس الماء اذا مات فيه والنفس ايضا الجسد قال الشاعر
• نبئت ان بني سحيم ادخلوا • ابياتهم تامور نفس المنذر •
والتامور ايضا الدم **السابعة** قوله تعالى وانتم تتلون الكتاب توبيخ عظيم لمن فهم ويتلون يقرون
الكتاب التوراة وكذا من فعل فعلهم كان مثلهم واصل التلاوة الاتباع ولذلك تستعمل في القراءة لانه يتبع
بعض الكلام ببعض في حروفه حتى ياتي على نسقه يقال تلوته اذا تبعته تلوا وتلوت القران تلاوة وتلوت
الرجل تلوا اذا خذلته والتلية والتلاوة بضم التا البقية يقال بقيت من حقي تلاوة وتلية اي بقيت
واتليت ابقيت وتتليت حقي اذا تتبعته حتى تستوفيه وقال ابو زيد تلي الرجل اذا كان باخر رمق **الثامنة**
قوله تعالى افلا تعقلون اي افلا تمنعون انفسكم من موافقة هذا الحال المردية لكم والعقل المنع ومنه عقال
البعير لانه يمنعه عن الحركة ومنه العقل للدية لانها تمنع ولي المقتول عن قتل الجاني ومنه اعتقال البطن
واللسان ومنه يقال للحصن معقل والعقل نقيض الجهل والعقل ثوب احمر تتخذه نسا العرب تغشى به الهوادج
قال علقمة • عقلا ورقما تكاد الطير تخطفه • كانه من ذوي الاحراق مذموم •
ويقال هما ضربان من البرود قال ابن فارس والعقل من شيات الثياب ما كان نقشه طولا وما كان نقشه مستديرا
فهو الرقم وقال الزجاج العاقل من عمل بما اوجب الله عليه فمن لم يعمل فهو جاهل **التاسعة** اتفق اهل الحق
على ان العقل كائن موجود ليس بقديم ولا معدوم لانه لو كان معدوما لما اختص بالاتصاف به بعض الذوات
دون بعض واذا ثبت وجوده فيستحيل القول بقدمه اذ الدليل قد قام على ان لا قديم الا الله تعالى على ما ياتي
بيانه في هذه السورة وغيرها ان شا الله تعالى وقد صارت الفلاسفة الى ان العقل قديم ثم منهم من صار
الى انه جوهر لطيف في البدن يثبت شعاعه منه بمنزلة السراج في البيت يفصل به بين حقائق المعلومات
ومنهم من قال انه جوهر بسيط اي غير مركب ثم اختلفوا في محله فقالت طائفة منهم محله الدماغ لان الدماغ محله الحس
وقالت طائفة اخرى محله القلب لان القلب معدن الحياة ومادة الحواس وهذا القول في العقل بانه جوهر فاسد
من حيث ان الجواهر متماثلة فلو كان جوهر عقلا لكان كل جوهر عقلا وقيل ان العقل هو المدرك للاشيا على ما هي
من حقائق المعاني وهذا القول وان كان اقرب مما قبله فيبعد عن الصواب من جهة ان الادراك من صفات الحي والعقل
عرض يستحيل ذلك منه كما يستحيل ان يكون ملتذا ومشتهيا وقال الشيخ ابو الحسن الاشعري والاستاذ ابو اسحاق
الاسفرايني وغيرهما من المحققين العقل هو العلم بدليل انه لا يقال عقلت وما علمت او علمت وما عقلت
وقال القاضي ابو بكر العقل علوم ضرورية بوجوب الواجبات وجواز الجائزات واستحالات المستحيلات وهو
اختيار ابي المعالي في الارشاد واختار في البرهان انه صفة يتاتى بها درك العلوم واعترض على مذهب القاضي
واستدل على فساد مذهبه وحكى في البرهان عن المحاسبي انه قال العقل غريزة وحكى الاستاذ ابو بكر عن الشافعي
وابي عبد الله بن مجاهد انهما قالا العقل آلة التمييز وحكى عن ابي العباس القلانسي انه قال العقل قوة التمييز
وحكى عن المحاسبي انه قال العقل انوار وبصائر ثم رتب هذه الاقوال وحملها على محامل فقال والاولى ان لا يصح
هذا النقل عن الشافعي ولا عن ابن مجاهد فان الالة انما تستعمل في الالة المبنية واستعمالها في الاعراض مجاز

وكذلك

وكذلك قول من قال انه قوة فانه لا يعقل من القوة الا القدرة والقلانسي اطلق ما اطلقه توسعا في
العبارات وكذلك المحاسبي والعقل ليس بصورة ولا نور ولكن تستفاد به الانوار والبصائر وسياتي
في هذه السورة بيان فايدته في اية التوحيد ان شا الله تعالى **قوله تعالى** واستعينوا بالصبر
والصلاة الاية فيه ثماني مسائل **الاولى** قوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة الصبر الحبس في
اللغة وقتل فلان صبرا اي امسك وحبس حتى اتلف وصبرت نفسي على الشيء حبستها والمصبورة التي
نهي عنها في الحديث هي المحبوسة على الموت وهي المجثمة وقال عنترة •
• فصبرت عارفة لذلك حرة • ترسو اذا نفس الجبان تطلع •
الثانية امر الله بالصبر على الطاعة وعن المخالفة في كتابه فقال واصبروا يقال فلان صابر عن المعاصي
واذا صبر عن المعاصي فقد صبر على الطاعة هذا اصح ما قيل قال النحاس ولا يقال لمن صبر على المصيبة
صابرا انما يقال صابر على كذا فاذا قلت صابر مطلقا فهو على ما ذكرنا قال الله تعالى انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب **الثالثة** قوله تعالى والصلاة خص الصلاة بالذكر من بين ساير العبادات تنويها
بذكرها وكان عليه السلام اذا حزبه امر فزع الى الصلاة ومنه ما روي ان عبد الله بن عباس نعي له اخوه
قثم وقيل بنت له وهو في سفر فاسترجع وقال عورة سترها الله ومؤنة كفاها الله واجر ساقه الله
ثم تنحى عن الطريق وصلى ثم انصرف الى راحلته وهو يقرا واستعينوا بالصبر والصلاة فالصلاة على هذا
التاويل هي الشرعية وقال قوم هي الدعا على عرفها في اللغة فتكون الاية على هذا التاويل مشبهة لقوله
تعالى اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله لان الثبات هو الصبر والذكر هو الدعا وقول ثالث قال مجاهد
الصبر في هذه الاية الصوم ومنه قيل لرمضان شهر الصبر فجا الصوم والصلاة على هذا القول في الاية
متناسبا في ان الصيام يمنع الشهوات ويزهد في الدنيا والصلاة تنهى عن الفحشا والمنكر وتخشع ويقرا
فيها القران الذي يذكر الاخرة والله اعلم **الرابعة** الصبر على الاذى والطاعات من باب جهاد النفس
وقمعها عن شهواتها ومنعها من تطاولها وهو من اخلاق الانبيا والصالحين قال يحيى بن اليمان الصبر ان
لا تتمنى حالة سوى ما رزقك الله والرضى بما قضى الله من امر دنياك واخرتك وقال الشعبي قال علي رضي الله
عنه الصبر من الايمان بمنزلة الراس من الجسد قال الطبري وصدق رضي الله عنه وذلك ان الايمان معرفة
بالقلب واقرار باللسان وعمل بالجوارح فمن لم يصبر على العمل بجوارحه لم يستحق الايمان بالاطلاق فالصبر
على العمل بالشرايع نظير الراس من الجسد للانسان الذي لا تمام له الا به **الخامسة** وصف الله تعالى
جزا الاعمال وجعل لها نهاية وحدا فقال من جا بالحسنة فله عشر امثالها وجعل جزا الصدقة في سبيل الله
فوق هذا فقال مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله الاية وجعل اجر الصابرين بغير حساب ومدح اهله
فقال انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وقال ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وقد قيل ان المراد
بالصابرين في قوله انما يوفى الصابرون اي الصايمون لقوله تعالى في صحيح السنة عن النبي صلى الله عليه وسلم الصيام
لي وانا اجزي به فلم يذكر ثوابا مقدرا على ما يذكره في الصبر والله اعلم **السادسة** من فضل الصبر وصف
الله تعالى نفسه كما في حديث ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس احد او ليس شيء اصبر على اذى سمعه من
الله تعالى انهم ليدعون له ولدا وانه ليعافيهم ويرزقهم اخرجه البخاري قال علماونا وصف الله تعالى بالصبر
انما هو بمعنى الحلم ومعنى وصفه تعالى بالحلم هو تاخير العقوبة عن المستحقين لها ووصفه تعالى بالصبر لم يرد
في التنزيل وانما ورد في حديث ابي موسى وتاوله اهل السنة على تاويل الحلم قاله ابن فورك وغيره وجا في اسمايه
الصبور للمبالغة في الحلم عمن عصاه **السابعة** قوله تعالى وانها لكبيرة اختلف المتاولون في عود الضمير
في قوله وانها فقيل على الصلاة وحدها خاصة لانها تكبر على النفوس ما لا يكبر الصوم والصبر هنا الصوم
فالصلاة فيها سجن النفوس والصوم انما فيه منع الشهوة فليس من منع شهوة او شهوتين كمن منع جميع
الشهوات فالصايم انما منع شهوة النسا والطعام والشراب ثم ينبسط في ساير الشهوات من الكلام والمشي
والنظر الى غير ذلك من ملاقاة الخلق فيتسلى بتلك الاشيا عما منع والمصلي يمتنع جميع ذلك بجوارحه كلها
مقيدة بالصلاة عن جميع الشهوات واذا كان كذلك كانت الصلاة اصعب على النفس ومكابدتها اشد فلذلك
قال وانها لكبيرة وقيل عليهما ولكنه كنى عن الاغلب وهو الصلاة كقوله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا
ينفقونها في سبيل الله وقوله واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها فرد الكناية على الفضة لانها الاغلب
والاعم والى التجارة لانها الافضل والاهم وقيل ان الصبر لما كان داخلا في الصلاة اعاد عليها كما قال والله
ورسوله احق ان يرضوه ولم يقل يرضوهما لان رضا الرسول داخل في رضا الله جل وعز ومنه قول الشاعر •
• ان شرخ الشباب والشعر • الاسود ما لم يعاص كان جنونا •
ولم يقل يعاصيا رد الى الشباب لان الشعر داخل فيه وقيل رد الكناية الى كل واحد منهما لكن حذف اختصارا قال

الله تعالى وجعلنا ابن مريم وامه اية ولم يقل ايتين ومنه قول الشاعر •
فمن يك امسى بالمدينة رحله • فانى وقيار بها لغريب •
وقال اخر • لكل هم من الهموم سعه • والصبح والمسى لافلاح معه •
اراد لغريبان لافلاح معهما وقيل على العبادة التى يتضمنها بالمعنى ذكر الصبر والصلاة وقيل على المصدر وهى الاستعانة
التى يقتضيها قوله واستعينوا وقيل على اجابة محمد عليه السلام لان الصبر والصلاة مما كان يدعو اليه وقيل الى
الكعبة لان الامر بالصلاة انما هو اليها وكبيرة معناه ثقيلة شاقة خبر ان ويجوز فى غير القران وانه لكبيرة
الا على الخاشعين فانها خفيفة عليهم قال ارباب المعانى الا على من ايد فى الازل بخصايص الاجتبا والهدى
الثامنة قوله تعالى على الخاشعين الخاشعون جمع خاشع وهو المتواضع والخشوع هيئة فى النفس يظهر
منها فى الجوارح سكون وتواضع وقال قتادة الخشوع فى القلب وهو الخوف وغض البصر فى الصلاة قال الزجاج
الخاشع الذى يرى اثر الذل والخشوع عليه كخشوع الدار بعد الاقوا هذا هو الاصل قال النابغة
رماد ككحل العين لايا ابينه • ونؤى كجذم الحوض اثلم خاشع •
ومكان خاشع لا يهتدى له وخشعت الاصوات اى سكنت وخشعت خواشى صدره اذا القى بزاقا لزجا وخشع ببصره اذا
غضه والخشعة قطعة من الارض رخوة وفى الحديث كانت خشعة على الماء ثم دحيت بعد وبلدة خاشعة مغبرة
لا منزل بها قال سفيان الثورى سالت الاعمش عن الخشوع فقال يا ثورى انت تريد ان تكون اماما للناس ولا تعرف
الخشوع ليس الخشوع باكل الخشن ولبس الخشن وتطاطى الراس لكن الخشوع ان ترى الشريف والدنى فى الحق سوا وتخشع
لله فى كل فرض افترض عليك ونظر عمر بن الخطاب الى شاب قد نكس راسه فقال يا هذا ارفع راسك فان الخشوع لا يزيد
على ما فى القلب وقال على بن ابى طالب الخشوع فى القلب وان تلين كفيك للمرء المسلم وان لا تلتفت فى صلاتك وسياتى
هذا المعنى مجردا عند قوله تعالى قد افلح المومنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون فمن اظهر للناس خشوعا فوق ما فى
قلبه فانما اظهر نفاقا على نفاق قال سهل بن عبد الله لا يكون خاشعا حتى يخشع كل شعرة على جسده لقول الله
تبارك وتعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم قلت هذا هو الخشوع المحمود لان الخوف اذا اسكن
القلب اوجب خشوع الظاهر فلا يملك صاحبه دفعه فتراه مطرقا متادبا متذللا وقد كان السلف يجتهدون
فى ستر ما يظهر من ذلك واما المذموم فتكلفه والتباكى ومطاطاة الراس كما يفعله الجهال ليروا بعين البر والاجلال
وذلك خدع من الشيطان وتسويل من نفس الانسان روى الحسن ان رجلا تنفس عند عمر بن الخطاب كانه يتحازن فلكزه
عمر او قال لكمه وكان عمر رضى الله عنه اذا تكلم اسمع واذا مشى اسرع واذا ضرب اوجع وكان ناسكا صدقا وخاشعا حقا
وروى ابن ابى نجيح عن مجاهد قال الخاشعون هم المومنون حقا قوله تعالى الذين يظنون الذين فى موضع خفض على
النعت للخاشعين ويجوز الرفع على القطع والظن هنا فى قول الجمهور بمعنى اليقين ومنه قوله تعالى انى ظننت انى ملاق
حسابيه وقوله وظنوا انهم مواقعوها وقال دريد بن الصمة •
فقلت لهم ظنوا بالفى مدجج • سراتهم بالفارسى المسرد •
وقال ابو داود • رب هم فرجته بغريم • وغيوب كشفتها بظنون •
وقد قيل ان الظن فى الاية يصح ان يكون على بابه ويضمر فى الكلام بذنوبهم فكانهم يتوقعون لقاه مذنبين ذكره المهدوى
والماوردى قال ابن عطية وهذا تعسف وزعم الفرا ان الظن قد يقع بمعنى الكذب ولا يعرف ذلك البصريون واصل الظن
وقاعدته الشك مع ميل الى احد معتقديه وقد يوقع موقع اليقين كما فى هذه الاية وغيرها لكنه لا يوقع فيما قد
خرج الى الحس لا تقول العرب فى رجل مرئى حاضر اظن هذا انسانا وانما تجد الاستعمال فيما لم يخرج الى الحس بعد
كهذه الاية والشعر وكقوله تعالى فظنوا انهم مواقعوها وقد يجى اليقين بمعنى الظن وقد تقدم بيانه اول السورة
وتقول سؤت به ظنا واسات به الظن يدخلون الالف اذا جاوا بالالف واللام ومعنى ملاقوا ربهم جزاء ربهم وقيل
جا على المفاعلة وهو من واحد مثل عافاه الله وانهم بفتح الهمزة عطف على الاول ويجوز وانهم بكسرها على القطع
اليه راجعون اى بالموت وقيل الى جزائه راجعون اقرار بالبعث والجزا والعرض على الملك الاعلى قوله تعالى يا بنى اسرائيل
اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم قد تقدم وانى فضلتكم على العالمين يريد على عالمى زمانهم واهل كل زمان عالم وقيل
على كل العالمين بما جعل فيهم من الانبيا وهذا خاصة لهم وليست لغيرهم قوله تعالى واتقوا يوما امر معناه
الوعيد وقد مضى الكلام فى التقوى يوما يريد عذابه وهوله وهو يوم القيامة وانتصب على المفعول باتقوا
ويجوز فى غير القران يوم لا تجزى على الاضافة وفى الكلام حذف بين النحويين فيه اختلاف قال البصريون
التقدير يوما لا تجزى فيه نفس عن نفس شيا ثم حذف فيه كما قال • ويوما شهدناه سليما وعامرا •
اى شهدنا فيه وقال الكسائى هذا خطا لا يجوز حذف فيه ولكن التقدير واتقوا يوما لا تجزيه نفس ثم حذف الهاء
وانما يجوز حذف الهاء لان الظروف عنده لا يجوز حذفها قال لا يجوز ان تقول هذا رجلا قصدت ولا رايت رجلا ارغب
وانت تريد قصدت اليه وارغب فيه قال ولو جاز ذلك لجاز الذى تكلمت زيد بمعنى تكلمت فيه زيد وقال

الفرا يجوز ان يحذف الهاء وفيه وحكى المهدوى ان الوجهين جايزان عند سيبويه والاخفش والزجاج ومعنى لا تجزى
نفس عن نفس شيا اى لا تؤخذ نفس بذنب اخرى ولا تدفع عنها شيا تقول جزى عنى هذا الامر يجزى كما تقول
قضى عنى واجتزات بالشى اجتزا اذا اكتفيت به قال الشاعر •
فان الغدر فى الاقوام عار • وان الحر يجزا بالكراع •
اى يكتفى بها وفى حديث عمر اذا اجريت الما على الما جزى عنك يريد اذا صببت الما على البول فى الارض تجزى
عليه طهر المكان ولا حاجة بك الى غسل ذلك الموضع وتنشف الما بخرقة او غيرها كما يفعل كثير من الناس وفى
صحيح الحديث عن ابى بردة بن نيار فى الاضحية ولن تجزى عن احد بعدك اى لن تغنى فمعنى لا تجزى لا تقضى ولا
تغنى ولا تكفى ان لم يكن عليها شى فان كان فانها تجزى وتقضى وتغنى بغير اختيارها من حسناتها ما عليها
من الحقوق كما فى حديث ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كانت عنده مظلمة لاخيه من عرضه
او شى فليتحلله منه اليوم قبل ان لا يكون دينار ولا درهم ان كان له عمل صالح اخذ منه بقدر مظلمته وان لم
يكن له حسنات اخذ من سيات صاحبه فحمل عليه خرجه البخارى ومثله حديثه الاخر فى المفلس وقد ذكرناه فى التذكرة
خرجه مسلم وقرى تجزى بضم التا والهمز ويقال اجزا واجزا بمعنى واحد وقد فرق بينهما قوم فقالوا اجزى بمعنى
قضى وكافا واجزا بمعنى اغنى وكفى اجزانى الشى يجزينى اى كفانى قال الشاعر •
واجزات امر العالمين ولم يكن • ليجزى الا كامل وابن كامل •
الثالثة قوله تعالى ولا تقبل منها شفاعة الشفاعة ماخوذة من الشفع وهما اثنان تقول كان وترا فشفعته
شفعا والشفعة منه لانك تضم ملك شريكك الى ملكك والشفيع صاحب الشفعة وصاحب الشفاعة
وناقة شافع اذا اجتمع لها حمل وولد يتبعها تقول منه شفعت الناقة شفعا وناقة شفوع وهى التى تجمع بين
محلبين فى حلبة واحدة واستشفعته الى فلان سالته ان يشفع لى اليه وتشفعت اليه فى فلان فشفعنى
فيه فالشفاعة اذا ضم غيرك الى جاهك ووسيلتك فهى على التحقيق اظهار لمنزلة الشفيع عند المشفع وايصال
منفعة للمشفوع الرابعة مذهب اهل الحق ان الشفاعة حق وانكرها المعتزلة وخلدوا المومنين من
المذنبين الذين دخلوا النار فى العذاب والاخبار متظاهرة بان من كان من العصاة المذنبين الموحدين من
امم النبيين هم الذين تنالهم شفاعة الشافعين من الملايكة والنبيين والشهدا والصالحين وقد تمسك
القاضى عليهم فى الرد بشيين احدهما الاخبار الكثيرة التى تواترت فى المعنى والثانى الاجماع من السلف على
تلقى هذه الاخبار بالقبول ولم يبد من احد منهم فى عصر من الاعصار نكير فظهور روايتها واطباقهم على صحتها
وقبولهم لها دليل قاطع على صحة عقيدة اهل الحق وفساد دين المعتزلة فان قالوا قد وردت نصوص من الكتاب
بما يوجب رد هذه الاخبار مثل قوله ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع قالوا واصحاب الكباير ظالمون وقاله
من يعمل سوا يجز به ولا تقبل منها شفاعة قلنا ليست هذه الايات عامة فى كل ظالم والعموم لا صيغة له فلا
تعم هذه الايات كل من يعمل سوا وكل نفس وانما المراد بها الكافرون دون المومنين بدليل الاخبار الواردة فى ذلك
وايضا فان الله تعالى اثبت شفاعة لاقوام ونفاها عن اقوام فقال فى صفة الكافرين فما تنفعهم شفاعة الشافعين
وقال ولا يشفعون الا لمن ارتضى وقال لا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له فعلمنا بهذه الجملة ان الشفاعة
انما تنفع المومنين دون الكافرين وقد اجمع المفسرون على ان المراد بقوله واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيا
ولا تقبل منها شفاعة النفس الكافرة لا كل نفس ونحن وان قلنا بعموم العذاب لكل ظالم عاص فلا نقول انهم مخلدون
فيها بدليل الاخبار التى رويناها وبدليل قوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشا وقوله انه لا ييئس من روح الله الا القوم
الكافرون فان قالوا فقد قال تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى والفاسق غير مرتضى قلنا لم يقل لمن لا يرتضى
وانما قال لمن ارتضى ومن ارتضاه الله للشفاعة هم الموحدون بدليل قوله لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند
الرحمن عهدا وقيل للنبى صلى الله عليه وسلم ما عهد الله مع خلقه قال ان يومنوا ولا يشركوا به شيا وقال المفسرون عهدا م
الا من قال لا اله الا الله فان قالوا المرتضى هو التايب الذى اتخذ عند الله عهدا بالانابة اليه بدليل ان الملايكة
استغفروا لهم وقال فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وكذلك شفاعة الانبيا عليهم السلام انما هى لاهل
التوبة دون اهل الكباير قلنا عندكم يجب على الله قبول التوبة فاذا قبل الله توبة المذنب فلا يحتاج الى الشفاعة
ولا الى الاستغفار واجمع اهل التفسير على ان المراد بقوله فاغفر للذين تابوا اى من الشرك واتبعوا سبيلك اى
سبيل المومنين سالوا الله تعالى ان يغفر لهم ما دون الشرك من ذنوبهم كما قال تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشا فان قالوا
جميع الامة يرغبون فى شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم فلو كانت لاهل الكباير خاصة بطل سؤالهم قلنا انما يطلب
كل مسلم شفاعة الرسول ويرغب الى الله فى ان تناله لاعتقاده انه غير سالم من الذنوب ولا قايم لله سبحانه بكل
ما افترض عليه بل كل واحد معترف على نفسه بالنقص فهو لذلك يخاف العقاب ويرجو النجاة وقال صلى الله عليه وسلم
لا ينجو احد الا برحمة الله تعالى فقيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدنى الله برحمته الخامسة
قوله تعالى ولا تقبل قرا ابن كثير وابو عمرو ولا تقبل بالتا لان الشفاعة مؤنثة وقرا الباقون باليا على التذكير

لانها بمعنى الشفيع وقال الاخفش حسن التذكير لانك قد فرقت كما تقدم في قوله فتلقى ادم من ربه كلمات السادسة
قوله تعالى ولا يؤخذ منها عدل اي فدا والعدل بفتح العين الفدا وبكسرها المثل يقال عدل وعديل للذي يماثلك
في الوزن والقدر ويقال عدل الشي هو الذي يساويه قيمة وقدرا وان لم يكن من جنسه والعدل بالكسر هو الذي
يساوي الشي من جنسه وفي جرمه وحكى الطبري ان من العرب من يكسر العين من معنى الفدية فاما واحد الاعدال
فبالكسر لا غير قوله تعالى ولا هم ينصرون اي يعانون والنصر العون والانصار الاعوان ومنه قوله من
انصاري الى الله اي من يضم نصرته الى نصرتي وانتصر الرجل انتقم والنصر الاتيان يقال نصرت ارض بني فلان
اتيتها قال الشاعر • اذا دخل الشهر الحرام فودعي • بلاد تميم وانصري ارض عامر •
والنصر المطر يقال نصرت الارض مطرت والنصر العطا قال •
• اني واسطار سطرن سطرا • لقايل يا نصر نصر نصرا •
وكان سبب هذه الاية فيما ذكروا ان بني اسرايل قالوا نحن ابنا الله واحباوه وابنا انبيايه وسيشفع لنا
اباونا فاعلمهم الله تعالى عن يوم القيامة انه لا يقبل فيه الشفاعات ولا يوخذ فيه فدية وانما خص الشفاعة
والفدية والنصر بالذكر لانها هي المعاني التي اعتادها بنو ادم في الدنيا فان الواقع في الشدة لا يتخلص الا
بان يشفع له او ينصر او يفتدي قوله تعالى واذ نجيناكم من ال فرعون الاية فيه ثلاث عشرة مسيلة الاولى
قوله تعالى واذ نجيناكم من ال فرعون اذ في موضع نصب عطف على اذكروا نعمتي وهذا وما بعده تذكير بعض النعم
التي كانت له عليهم اي اذكروا نعمتي بانجايكم من عدوكم وجعل الانبيا فيكم والخطاب للموجودين والمراد من سلف
من الابا كما قال انا لما طغى الما حملناكم في الجارية اي حملنا اباكم وقيل انما قال انجيناكم لان نجاة الابا كان سببا
لنجاة هولا الموجودين ومعنى نجيناكم القيناكم على نجوة من الارض وهي ما ارتفع منه هذا هو الاصل ثم سمي كل
فايز ناجيا فالناجي من خرج من ضيق الى سعة وقرى واذ نجيتكم على التوحيد الثانية قوله تعالى من ال فرعون ال
فرعون قومه واتباعه واهل دينه وكذلك ال الرسول صلى الله عليه وسلم من هو على دينه وملته في عصره وساير الاعصار
سوا كان نسيبا له او لم يكن ومن لم يكن على دينه وملته فليس من اله ولا اهله وان كان نسيبه وقريبه خلافا
للرافضة حيث قالت ان ال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة والحسن والحسين فقط دليلنا قوله تعالى واغرقنا ال
فرعون ادخلوا ال فرعون اشد العذاب اي ال دينه اذ لم يكن له ابن ولا بنت ولا اب ولا عم ولا اخ ولا عصبة ولانه
لا خلاف انه من ليس بمومن ولا موحد فانه ليس من ال محمد وان كان قريبا له ولاجل هذا يقال ان ابا لهب وابا
جهل ليسا من اله ولا من اهله وان كان بينهما وبين النبي صلى الله عليه وسلم قرابة ولاجل هذا قال الله تعالى في ابن
نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح وفي صحيح مسلم عن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
جهارا غير سر يقول ان ال ابي يعني فلانا ليسوا لي باوليا انما وليي الله وصالح المومنين وقالت طايفة ال محمد ازواجه
وذريته خاصة لحديث ابي حميد الساعدي انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد
وعلى ازواجه وذريته كما صليت على ال ابراهيم وبارك على محمد وعلى ازواجه وذريته كما باركت على ال ابراهيم انك
حميد مجيد رواه مسلم وقالت طايفة من اهل العلم الاهل معلوم والال الاتباع والاول اصح لما ذكرناه ولحديث
عبد الله بن ابي اوفى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل عليهم فاتاه ابي
بصدقته فقال اللهم صل على ال ابي اوفى الثالثة اختلف النحاة هل يضاف الال الى البلدان اولا فقال
الكسائي انما يقال ال فلان وال فلانة ولا يقال في البلدان هو من ال حمص ولا من ال المدينة قال الاخفش انما
يقال في الرئيس الاعظم نحو ال محمد صلى الله عليه وسلم وال فرعون لانه رئيسهم في الضلالة قال وقد سمعناه
في البلدان قالوا اهل المدينة وال المدينة الرابعة واختلف النحاة ايضا هل يضاف الال الى المضمر اولا فمنع
من ذلك النحاس والزبيدي والكسائي فلا يقال اللهم صل على محمد وعلى ال محمد ولا يقال واله والصواب ان يقال
اهله وذهبت طايفة اخرى الى ان ذلك يقال منهم ابن السيد وهو الصواب لان السماع الصحيح يعضده فانه
قد جا في قول عبد المطلب • لاهم ان العبد يمنع رحله فامنع حلالك • وانصر على ال الصليب وعابديه اليوم الك
وقال ندبه • انا الفارس الحامي حقيقة والدي • والي كما تحمي حقيقة الكا •
الحقيقة بقافين ما يحق على الانسان ان يحميه اي يجب عليه حمايته الخامسة واختلفوا ايضا في اصل ال
فقال النحاس اصله اهل ثم ابدل من الها الفا فان صغرته رددته الى اصله فقلت اهيل وقال المهدوي اصله
اول وقيل اهل قلبت الها همزة ثم ابدلت الهمزة الفا وجمعه الون وتصغيره اويل فيما حكى الكسائي وحكى غيره
اهيل وقد ذكرناه عن النحاس وقال ابو الحسن بن كيسان اذا جمعت اا الا قلت الون فان جمعت اا الا الذي هو السراب
قلت اوال مثل مال واموال السادسة قوله تعالى فرعون فرعون قيل انه اسم ذلك الملك بعينه وقيل انه اسم
كل ملك من ملوك العمالقة مثل كسرى للفرس وقيصر للروم والنجاشي للحبشة وان اسم فرعون موسى قابوس
في قول اهل الكتاب وقال وهب اسمه الوليد بن مصعب بن الريان ويكنى ابا مرة وهو من بني عمليق بن لاوذ بن
ارم بن سام بن نوح عليه السلام قال السهيلي وكل من ولي القبط ومصر فهو فرعون وكان فارسيا من اهل اصطخر قال

المسعودي

المسعودي لا يعرف لفرعون تفسير بالعربية قال الجوهري فرعون والعتاة الفراعنة وقد تفرعن وهو ذو فرعنة
اي دها ونكر وفي الحديث اخذنا فرعون هذه الامة وفرعون في موضع خفض الا انه لا ينصرف لعجمته السابعة
قوله يسومونكم قيل معناه يذيقونكم ويلزمونكم اياه وقال ابو عبيدة يولونكم يقال سامه خطة خسف
اذا اولاه اياها ومنه قول عمرو بن كلثوم •
• اذا ما الملك سام الناس خسفا • ابينا ان نقر الخسف فينا •
وقيل يديمون تعذيبكم والسوم الدوام ومنه سائمة الغنم لمداومتها الرعي قال الاخفش وهو في موضع
رفع على الابتدا وان شيت كان في موضع نصب على الحال اي سايمين لكم الثامنة قوله تعالى سو العذاب
مفعول ثان ليسومونكم ومعناه اشد العذاب ويجوز ان يكون بمعنى سوم العذاب وقد يجوز ان يكون نعتا
بمعنى سوما سيا فروي ان فرعون جعل بني اسرايل خدما وخولا وصنفهم في اعماله فصنف يبنون وصنف يحرثون
ويزرعون وصنف يتخدمون وكان قومه جندا ملوكا ومن لم يكن منهم في عمل من هذه الاعمال ضربت عليه الجزية
فذلك سو العذاب التاسعة قوله تعالى يذبحون ابناكم يذبحون بغير واو على البدل من قوله يسومونكم
كما انشده سيبويه • متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا • تجد حطبا جزلا ونارا تاججا •
قال الفرا وغيره يذبحون بغير واو على التفسير بقوله يسومونكم سو العذاب كما تقول اتاني القوم زيد وعمرو
فلا تحتاج الى الواو في زيد ونظيره ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب وفي سورة ابراهيم
ويذبحون بالواو لان المعنى يعذبونكم بالذبح وبغير الذبح فقوله ويذبحون ابناكم جنس اخر من العذاب
لا تفسير لما قبله والله اعلم قلت قد يحتمل ان يقال الواو زايدة بدليل سورة البقرة والواو قد تزاد كما
قال • فلما اجزنا ساحة الحي وانتحى • اي قد انتحى وقال اخر •
• الى الملك القرم وابن الهمام • وليث الكتيبة في المزدحم •
اراد الى الملك القرم ابن الهمام ليث الكتيبة وهو كثير العاشرة قوله تعالى يذبحون قراة الجماعة بالتشديد
على التكثير وقرا ابن محيصن يذبحون بفتح اليا والذبح الشق والذبح والمذبوح والذباح تشقق في اصول الاصابع
وذبحت الدن نزلته اي كشفته وسعد الذابح احد السعود والمذابح المحاريب والمذابح جمع مذبح وهو اذا جا السيل
فخد في الارض فما كان كالشبر ونحوه سمي مذبحا فكان فرعون يذبح الاطفال ويبقي البنات وعبر عنهم باسم النسا بالمال
وقالت طايفة يذبحون ابناكم يعني الرجال وسموا ابنا لما كانوا كذلك واستدل هذا القايل بقوله نساكم والاول
اصح لانه الاظهر والله اعلم الحادية عشرة نسب الله الفعل الى ال فرعون وهم انما كانوا يفعلونه بامره
وسلطانه لتوليهم ذلك بانفسهم وليعلم ان المباشر ماخوذ بفعله قال الطبري ويقتضي هذا ان من امره ظالم
بقتل احد فقتله المامور فهو الماخوذ به قلت وقد اختلف العلما في هذه المسيلة على ثلاثة اقوال
يقتلان جميعا هذا بامره والمامور بمباشرته هكذا قال النخعي وقاله الشافعي ومالك في تفصيل لهما قال
الشافعي اذا امر السلطان رجلا بقتل رجل والمامور يعلم انه امر بقتله ظلما كان عليه وعلى الامام القود كقاتلين
معا وان اكرهه الامام عليه وعلم انه يقتله ظلما كان على الامام القود وفي المامور قولان احدهما ان عليه القود
والاخر لا قود عليه وعليه نصف الدية حكاه ابن المنذر وقال علماونا لا يخلو المامور ممن تلزمه طاعة الامر
ويخاف شره كالسلطان والسيد لعبده فالقود في ذلك لازم لهما او يكون ممن لا يلزمه ذلك فيقتل المباشر
وحده دون الامر وذلك كالاب يامر ولده او المعلم بعض صبيانه او الصانع بعض متعلميه اذا كان محتلما
فان كان غير محتلم فالقتل على الامر وعلى عاقلة الصبي نصف الدية وقال ابن نافع لا يقتل السيد اذا امر
عبده وان كان اعجميا بقتل انسان قال ابن حبيب وبقول ابن القاسم اقول ان القتل عليهما فاما امر من لا خوف
على المامور في مخالفته فانه لا يلحق بالاكراه بل يقتل المامور دون الامر ويضرب الامر ويحبس وقال احمد في
السيد يامر عبده ان يقتل رجلا يقتل السيد وروي هذا القول عن علي بن طالب وابي هريرة رضي الله عنهما
وقال علي ويستودع العبد السجن وقال احمد ويحبس العبد ويضرب ويودب وقال الثوري يعزر السيد وقال
الحكم وحماد يقتل العبد وقال قتادة يقتلان جميعا وقال الشافعي ان كان العبد فصيحا يعقل قتل العبد
وعوقب السيد وان كان العبد اعجميا فعلى السيد القود وقال سليمان بن موسى لا يقتل الامر ولكن يديه
ثم يعاقب ويحبس وهو القول الثاني ويقتل المامور للمباشرة كذلك قال عطا والحكم وحماد والشافعي
واحمد واسحاق في الرجل يامر الرجل بقتل الرجل ذكره ابن المنذر وقال لا يقتل واحد منهما عنده والله اعلم
وهو القول الثالث حكاه ابو المعالي في البرهان وراى ان الامر والمباشر ليس كل واحد منهما مستقلا في القود
فلذلك لا يقتل واحد منهما عنده والله اعلم الثانية عشرة قرا الجمهور يذبحون بالتشديد على المبالغة
وقرا ابن محيصن يذبحون بالتخفيف والاولى ارجح اذ الذبح متكرر وكان فرعون على ما روي قد راى في منامه نارا
خرجت من بيت المقدس فاحرقت بيوت مصر فاولت له روياه على ان مولودا من بني اسرايل ينشا فيكون خراب

ملكك على يديه وقيل غير هذا والمعنى متقارب **الثالثة عشرة** قوله تعالى وفي ذلكم اشارة الى جملة الامر اذ
هو خبر فهو كمفرد حاضر اي وفي فعلهم ذلكم بكم بلاء اي امتحان واختبار وبلاء نعمة ومنه قوله تعالى وليبلي المؤمنين
منه بلاء حسنا قال ابو الهيثم البلاء يكون حسنا ويكون سيئا واصله المحنة والله عز وجل يبلو عبده بالصنع
الجميل ليمتحن شكره ويبلوه بالبلوى التي يكرهها ليمتحن صبره فقيل للحسن بلاء وللسيء بلاء حكاه الهروي وقال
قوم الاشارة بذلكم الى التنجية فيكون البلاء على هذا في الخير اي تنجيتكم نعمة من الله عليكم وقال الجمهور الاشارة
الى الذبح ونحوه والبلاء هنا في الشر والمعنى وفي الذبح مكروه وامتحان وقال ابن كيسان ويقال في الخير ابلاه
الله وبلاه وانشد • جزى الله بالاحسان ما فعلا بكم • فابلاهما خير البلاء الذي يبلو •
فجمع بين اللغتين والاكثر في الخير ابليته وفي الشر بلوته وفي الاختبار ابتليته وبلوته قاله النحاس **قوله**
تعالى واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم اذ في موضع نصب وفرقنا فلقنا فكان كل فرق كالطود العظيم اي الجبل
العظيم واصل الفرق الفصل ومنه فرق الشعر ومنه الفرقان لانه يفرق بين الحق والباطل ومنه يوم الفرقان
يعني يوم بدر كان فيه فرق بين الحق والباطل ومنه قرانا فرقناه اي فصلناه واحكمناه وقرا الزهري فرقنا
بتشديد الراء اي جعلناه فرقا ومعنى بكم اي لكم فالباء بمعنى اللام وقيل الباء في مكانها اي فرقنا البحر بكم حولكم اياه
اي صاروا بين الماءين فصار الفرق بهم وهذا اولى ببينه فانفلق **قوله تعالى** البحر البحر معروف سمي بذلك
لاتساعه ويقال فرس بحر اذا كان واسع الجري اي كثيره ومن ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في مندوب
فرس ابي طلحة وان وجدناه لبحرا والبحر الماء الملح ويقال ابحر الماء ملح قال نصيب •
• وقد عاد ماء الارض بحرا فزادني • الى مرضي ان ابحر المشرب العذب •
والبحر البلدة يقال هذه بحرتنا اي بلدتنا قاله الاموي والبحر السلال يصيب الانسان ويقولون
لقيته ضحوة بحرة اي بارزا مكشوفا وفي الخبر عن كعب الاحبار قال ان لله ملكا يقال له صندفا يبل البحار
كلها في نقرة ابهامه ذكره ابو نعيم عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن كعب قوله فانجيناكم اي اخرجناكم
منه يقال نجوت من كذا نجاء ممدود ونجاة مقصور والصدق منجاة وانجيت غيري ونجيته وقرئ بهما
واذ نجيناكم فانجيناكم قوله واغرقنا ال فرعون يقال غرق في الماء غرقا فهو غرق وغارق ايضا ومنه قول ابي النجم
من بين مقتول وطاف غارق • واغرقه غيره وغرقه فهو مغرق وغريق ولجام مغرق بالفضة اي محلى والتغريق
القتل قال الاعشى • الا ليت قيسا غرقته القوابل • وذلك ان القابلة كانت تغرق المولود في ماء
السلا عام القحط ذكرا كان او انثى حتى يموت ثم جعل كل قتل تغريقا ومنه قول ذي الرمة •
• اذا غرقت ارباضها ثني بكرة • بتيها لم يصبح روسا سلولها •
الارباض الحبال والبكرة الناقة الفتية وثنيها بطنها الثاني وانما لم تعطف على ولدها لما لحقها من التعب
القول في اختلاف العلماء في كيفية انجاء بني اسرائيل فذكر الطبري ان موسى عليه السلام اوحى
اليه ان يسري من مصر ببني اسرائيل فامرهم موسى ان يستعيروا الحلي والمتاع من القبط واحل الله ذلك لبني
اسرائيل فسرى بهم موسى من اول الليل فاعلم فرعون فقال لا يتبعهم احد حتى تصيح الديكة فلم يصح تلك الليلة
بمصر ديك وامات الله تلك الليلة كثيرا من ابناء القبط فاشتغلوا في الدفن وخرجوا في الاتباع مشرقين
كما قال تعالى فاتبعوهم مشرقين وذهب موسى الى ناحية البحر حتى بلغه وكانت عدة بني اسرائيل نيفا على ستمائة
الف وكانت عدة فرعون الف الف ومائتي الف وقيل ان فرعون اتبعه في الف الف حصان سوى الاناث وقيل
دخل اسرائيل وهو يعقوب عليه السلام مصر في ستة وسبعين نفسا من ولده وولد ولده فانمى الله عددهم
وبارك في ذريته حتى خرجوا الى البحر يوم فرعون وهم ستمائة الف من المقاتلة سوى الشيوخ والذرية والنساء
وذكر ابو بكر عبد الله بن محمد بن ابي شيبة قال حدثنا شبابة بن سوار عن يونس بن ابي اسحاق عن عمرو بن ميمون عن
عبد الله بن مسعود ان موسى عليه السلام حين اسرى ببني اسرائيل بلغ فرعون فامر بشاة فذبحت ثم قال لا والله
لا تنزع من سلخها حتى يجتمع لي ستمائة الف من القبط قال فانطلق موسى حتى انتهى الى البحر فقال له افرق فقال
له البحر لقد استكبرت يا موسى وهل فرقت لاحد من ولد ادم فافرق لك قال ومع موسى رجل على حصان له قال
فقال له ذلك الرجل اين امرت يا نبي الله فقال ما امرت الا بهذا الوجه قال فاقتحم فرسه فسبح فخرج فقال اين
اين امرت يا نبي الله قال ما امرت الا بهذا الوجه قال والله ما كذبت ولا كذبت ثم اقتحم الثانية فسبح به ثم
خرج فقال اين امرت يا نبي الله قال ما امرت الا بهذا الوجه قال والله ما كذبت ولا كذبت فاوحى الله اليه ان
اضرب بعصاك فضربه موسى بعصاه فانفرق فكان كل فرق كالطود العظيم فكان فيه اثنى عشر فرقا لاثني عشر
سبطا لكل سبط طريق يتراءون وذلك ان اطواد الماء صار فيها طيقان وشبابيك يرى منها بعضهم بعضا فلما
خرج اصحاب موسى وقام اصحاب فرعون التط البحر عليهم فاغرقهم ويذكر ان البحر هو بحر القلزم وان الرجل
الذي كان مع موسى على الفرس هو فتاه يوشع بن نون وان الله تعالى اوحى الى البحر ان انفرق لموسى اذا ضربك

فبات

فبات البحر تلك الليلة يضطرب فحين اصبح ضرب موسى البحر وكناه ابا خالد ذكره ابن ابي شيبة ايضا وقد اكثر
المفسرون في قصص هذا المعنى وما ذكرناه كاف وسياتي في سورة يونس والشعراء زيادة بيان ان شاء الله تعالى
فصل ذكر الله الانجاء والاغراق ولم يذكر اليوم الذي كان ذلك فيه فروى مسلم عن ابن عباس ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فوجد اليهود صياما يوم عاشورا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما هذا اليوم الذي تصومونه فقالوا هذا يوم عظيم انجى الله فيه موسى وقومه وغرق فيه فرعون وقومه فصامه
موسى شكرا فنحن نصومه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن احق واولى بموسى منكم فصامه رسول الله صلى
الله عليه وسلم وامر بصيامه واخرجه البخاري ايضا عن ابن عباس وان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه انتم
احق بموسى منهم فصوموه **مسئلة** ظاهر هذه الاحاديث تدل على ان النبي صلى الله عليه وسلم انما صام عاشورا
وامر بصيامه اقتداء بموسى عليه السلام على ما اخبره به اليهود وليس كذلك لما روته عائشة قالت كان صوم
عاشورا يصومه قريش في الجاهلية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه في الجاهلية فلما قدم المدينة صامه
وامر بصيامه فلما فرض رمضان ترك صيام يوم عاشورا فمن شاء صامه ومن شاء تركه اخرجه البخاري ومسلم
فان قيل يحتمل ان تكون قريش انما صامته باخبار اليهود لها لانهم كانوا يسمعون منهم لانهم كانوا عندهم اهل علم فصامه
النبي صلى الله عليه وسلم في الجاهلية اي بمكة فلما قدم المدينة ووجد اليهود يصومونه قال نحن احق واولى بموسى منكم
فصامه اتباعا لموسى وامر بصيامه اي اوجبه واكد امره حتى كانوا يصومونه الصغار **قلنا** هذه شبهة
من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم لعله كان متعبدا بشريعة موسى وليس كذلك على ما ياتي بيانه في الانعام عند
قوله تعالى فبهداهم اقتده **مسئلة** اختلف في يوم عاشورا هل هو التاسع من المحرم او العاشر فذهب
الشافعي الى انه التاسع لحديث الحكم بن الاعرج قال انتهيت الى ابن عباس وهو متوسد برداه في زمزم فقلت له
اخبرني عن صوم عاشورا فقال اذا رايت هلال المحرم فاعدد واصبح يوم التاسع صائما فقلت هكذا كان محمد صلى الله
عليه وسلم يصومه قال نعم خرجه مسلم وذهب سعيد بن المسيب والحسن البصري ومالك وجماعة من السلف الى انه
العاشر وذكر الترمذي حديث الحكم ولم يصفه بصحة ولا حسن ثم اردفه ثنا قتيبة نا عبد الوارث عن يونس عن
الحسن عن ابن عباس قال امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصوم يوم عاشورا يوم العاشر قال ابو عيسى حديث
ابن عباس حديث حسن صحيح قال الترمذي وروي عن ابن عباس انه قال صوموا التاسع والعاشر وخالفوا
اليهود وبهذا الحديث يقول الشافعي واحمد واسحاق قال غيره وقول ابن عباس للسائل فاعدد واصبح يوم التاسع
صائما ليس فيه دليل على ترك صوم العاشر بل وعد ان يصوم التاسع مضافا الى العاشر قالوا فصيام اليومين
جمع بين الاحاديث وقول ابن عباس للحكم لما قال له هكذا كان محمد صلى الله عليه وسلم يصومه قال نعم معناه ان لو عاش
والا فما كان النبي صلى الله عليه وسلم صام التاسع قط تبيينه ما خرجه ابن ماجة في سننه ومسلم في صحيحه
عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن بقيت الى قابل لاصومن اليوم التاسع فضيلة روى ابو
قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال صيام يوم عاشورا احتسب على الله ان يكفر السنة التي قبله اخرجه مسلم
والترمذي وقال لا نعلم في شيء من الروايات انه قال في صيام عاشورا كفارة سنة الا في حديث ابي قتادة
قوله تعالى وانتم تنظرون جملة في موضع الحال ومعناه بابصاركم فيقال ان ال فرعون طفوا على الماء فنظروا
اليهم يغرقون والى انفسهم ينجون ففي هذا اعظم المنة وقد قيل انهم اخرجوا لهم حتى راوهم فهذه منة بعد منة
وقيل المعنى وانتم تنظرون اي ببصائركم الاعتبار لانهم كانوا في شغل عن الوقوف والنظر بالابصار وقيل
المعنى وانتم بحال من ينظر لو نظر كما تقول هذا الامر منك بمرأى ومسمع اي بحال تراه وتسمعه ان شئت
وهذا القول والاول اشبه باحوال بني اسرائيل لتوالي عدم الاعتبار فيما صدر من بني اسرائيل بعد خروجهم من
البحر وذلك ان الله تعالى لما انجاهم وغرق عدوهم قالوا يا موسى ان قلوبنا لا تطمئن ان فرعون قد غرق
حتى امر الله البحر فلفظه فنظروا اليه ذكر ابو بكر بن ابي شيبة عن قيس بن عباس ان بني اسرائيل قالت ما
مات فرعون وما كان ليموت ابدا قال فلم يعد ان سمع الله نبيه عليه السلام رمى به على ساحل البحر كانه ثور
احمر يتراءاه بنو اسرائيل فلما اطمانوا وبعثوا من طريق البر الى مداين فرعون حتى نقلوا كنوزه وغرقوا في النعمة
راوا قوما يعكفون على اصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة حتى زجرهم موسى وقال اغير الله
ابغيكم الها وهو فضلكم على العالمين اي عالمي زمانه ثم امرهم ان يسيروا الى الارض المقدسة التي كانت مساكن ابائهم
ويتطهروا من ارض فرعون وكانت الارض المقدسة في ايدي الجبارين قد غلبوا عليها فاحتاجوا الى دفعهم عنها
بالقتال فقالوا اتريد ان تجعلنا لحمة للجبارين فلو انك تركتنا في يد فرعون كان خيرا لنا قال يا قوم ادخلوا الارض
المقدسة التي كتب الله لكم الى قوله قاعدون حتى دعا عليهم وسماهم فاسقين فبقوا في التيه اربعين سنة
عقوبة ثم رحمهم فمن عليهم بالسلوى وبالغمام على ما ياتي بيانه ثم قيل لهم قد وصلتم الى بيت المقدس فادخلوا
الباب سجدا وقولوا حطة على ما ياتي وكان موسى عليه السلام شديد الحياء ستيرا فقالوا انه ادر فلما اغتسل

وضع على الجر بتوبة فعدا الجر بتوبه الى مجالس بنى اسرائيل وموسى على اثره عريان وهو يقول يا حجر ثوبى قد ذلك
فذلك قوله يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها
فقلت هارون وحسدته حتى نزلت الملائكة صريره وهارون مبتدئ عليه وسيأتى فى المائدة نظير سؤالهم ان يعلموا آية
فى قبول قربانهم فجعلت نار تجئ من السماء فتقبل قربانهم ثم سألوه ان تبين لنا كفارات ذنوبنا فى الدنيا فكان من
اذنب ذنبا اصبح على بابه مكتوب عملت كذا وكفارته قطع عضو من اعضائك فيسميه له ومن اصاب بول لم يطهر
حتى يقرضه وبزيل جلدته من بدنه ثم بدلوا التوراة واقتتلوا على الله وكتبوا بايديهم واشتروا به عرضا ثم صاروا يرمون
الى ان قتلوا انبيائهم ورسلهم فهذه معاملتهم مع ربهم وسيرتهم فى دينهم وسوء اخلاقهم وسيأتى بيان كل فصل
من هذه الفصول مستوفى فى موضعه ان شاء الله تعالى وقال الطبرى وفى اخبار القرآن على لسان محمد عليه السلام
بهذه المغيبات التى لم تكن فى علم العرب ولا وقعت الا فى حق بنى اسرائيل دليل واضح عند بنى اسرائيل قايم عليهم بنبوة
محمد صلى الله عليه وسلم **قوله تعالى** واذ وعدنا موسى اربعين ليلة فيه ست مسائل **الاولى** قوله تعالى واذ
وعدنا موسى اربعين ليلة قرا ابو عمرو وعدنا بغير الف واختاره ابو عبيد ورجحه وانكروا واعدنا قال لان المواعدة
انما تكون من البشر فاما الله عز وجل فانما هو المنفرد بالوعد والوعيد على هذا وجدنا القرآن كقوله عز وجل
وعدكم وعد الحق وقوله وعدا عليه انا كنا فاعلين وقوله واذ يعدكم الله احدى الطايفتين انها لكم
فالمكى وايضا فان ظاهر اللفظ فيه وعد من الله تعالى لموسى وليس فيه وعد من موسى فوجب حمله على الواحد الظاهر
النص الفعل مضاف الى الله تعالى وحده وهى قراءة الحسن وابى رجا وابى جعفر وشيبة وعيسى بن عمر وبه قال قتادة
وابن ابى اسحاق قال ابو حاتم قراءة العامة عندنا وعدنا بغير الف لان المواعدة اكثر ما تكون من المخلوقين بعضهم للبعض
كلوا احد منهما بعد صاحبه قال الجوهرى الميعاد المواعدة والوقت والموضع قال مكى المواعدة اصلها من اثنين وقد
تاتى المفاعلة من واحد فى كلام العرب قالوا طارقت النعل وداويت العليل وعاقبت اللص والفعل من واحد
فيكون لفظ المواعدة من الله خاصة لموسى كمعنى وعدنا فتكون القراءتان بمعنى واحد والاختيار واعدنا بالالف
لانه بمعنى وعدنا فى احد معنييه ولانه لابد لموسى من وعد وقبول يفهم مقام الوعد فتضح المفاعلة قال النحاس
وقراءة واعدنا بالالف اجود وافصح وهى قراءة مجاهد والاعرج وابن كثير ونافع والاعمش وحمزة والكسائى
وليس قوله عز وجل وعدا عليه الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات من هذا فى شئ لان واعدنا موسى انما هو من باب
الموافاة وليس هذا من الوعد والوعيد فى شئ وانما هو من قولك موعدك يوم الجمعة وموعدك الموضع كذا
والفصيح فى هذا ان يقال واعد لله قال ابو اسحاق الزجاج واعدنا ها هنا بالالف جيد لان الطاعة فى القبول
بمنزلة المواعدة من الله عز وجل وعد ومن موسى قبول واتباع يجرى مجرى المواعدة قال ابن عطية وهو ابو عبيد
وعدنا وكبير بصحيح لان قبول موسى لوعد الله واكترامه وارتقابه يشبه المواعدة **الثانية** قوله تعالى
موسى موسى اسم اعجمى لا ينصرف للعجمة والتعريف وقد يروى عن ابى عمرو انه كان يقول للماء موه وللشجر ساه فلما وجد موسى
فى التابوت عند ماء وشجر سمى موسى قال السدى لما خافت عليه امه جعلته فى التابوت والقته فى اليم كما اوحى الله
اليها فالقته فى اليم بمكان كذا وشجر كذا عند بيت فرعون فخرج جواري اسية امراة فرعون يغتسلن فوجدنه فسمى باسم
المكان وذكر النقاش وغيره ان اسم الذى التقطه صابوت قال ابن اسحاق وموسى هو موسى بن عمران بن يصهر
ابن قاهث بن لاوى بن يعقوب اسرائيل الله بن اسحاق بن ابراهيم عليه السلام **الثالثة** قوله تعالى اربعين
ليلة اربعين نصب على المفعول الثانى وفى الكلام حذف قال الاخفش التقدير واذ واعدنا موسى تمام اربعين
ليلة كما قال واسال القرية والاربعون كلها داخلة فى الميعاد والاربعون فى قول اكثر المفسرين ذو القعدة
وعشر من ذى الحجة وكان ذلك بعد ان جاوز البحر وسأله قومه ان ياتيهم بكتاب من عند الله فخرج الى الطور فى
سبعين من خيار بنى اسرائيل وصعدوا الجبل وواعدهم الى تمام اربعين ليلة فعدوا فيما ذكر المفسرون عشرين يوما
وعشرين ليلة وقالوا قد اخلفنا موعده فاتخذوا العجل وقال لهم السامرى هذا الهكم واله موسى فعكفوا
فاطلعوا الى قوله ولما رجع موسى فقال يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعونى واطيعوا امرى فقالوا
لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى فلم يتبع هارون ولم يطعه فى ترك عبادة العجل الا اثنى عشر
الفا فيما روى فى الخبر وقضاف فى عبادته سايرهم وهم اكثر من الفى الف فلما رجع موسى ووجدهم على ذلك
الذى الالواح فرفع من جملتها ستة اجزاء وبقى جزء واحد وهو الحلال والحرام وما يحتاجون واحرق العجل وذراه
فى البحر فشرب من مائه حبا للعجل فطهرت على شفاههم صفرة ورمت بطونهم فتابوا ولم تقبل توبتهم دون
ان يقتلوا انفسهم فذلك قوله فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم فقاموا بالخناجر والسيوف يعضهم الى بعض
من لدن طلوع الشمس الى ارتفاع الضحى فقتل بعضهم بعضا لا يسئل الله عن قتيل ولا ولد عن والده ولا اخ
عن اخيه ولا احد عن احد كل من استقبله ضربه بالسيف ضربه الاخر بمثله حتى مج الى الله موسى صارخا يا ربا
قد فنيت بنو اسرائيل فرحمهم الله وجاد عليهم بفضله فقبل توبة من بقى وجعل من قتل فى الشهداء على ما يأتى

الرابعة

الرابعة ان قيل لم خص الليالى بالذكر دون الايام فيل له لان الليلة اسبق من اليوم فمى قبله فى الرتبة ولذلك
وقع بها التاريخ فالليالى اول الشهور والايام تبع لها **الخامسة** قال النقاش فى هذه الاية اشارة الى صلة الصوم
لانه لو ذكر الايام لامكن ان يعتقد انه كان يفطر بالليل فلما نص على الليالى اقتضت قوة الكلام انه عليه السلام
واصل اربعين يوما بليليها قال ابن عطية سمعت ابى يقول سمعت الشيخ الزاهد الامام الواعظ ابا الفضل
الجوهرى رحمة الله يقظ الناس فى الخلوة بالله والدؤمنه فى الصلاة ونحوه وان ذلك يشغل عن كل طعام وشراب
ويقوى لما بين خالد موسى فى القرب من الله ووصل ثمانين مرا لدهر من قوله حين سار للخضر لقناه فى بعض يوم
انتا غدانا **قلت** وهذا استدلال على الصوفية على الوصال وان افضله اربعون يوما وسيأتى الكلام فى
الوصال فى اى الصيام من هذه السورة ان شاء الله ويأتى فى الاعراف زيادة احكام لهذه الاية عند قوله تعالى
ووعدنا موسى ثلاثين ليلة ويأتى لقصة العجل بيان فى كيفيته وخواره هناك وفى فحله ان شاء الله تعالى
السادسة قوله تعالى ثم اتخذتم العجل اى اخذتموه الها من بعد موسى واصل اتخذتم ايتخذ فخم من الاخذ
ووزنه افتعلتم سهلت الهمزة الثانية لامتناع همزتين فجاء ايتخذتم فاضطرب اليا فى التصريف جاز القاف
يأتخذ وواوا فى مؤتخذ فبدلت بحرف جلد وقد يستغنى عنها اذا كان معنى الكلام التقرير كقوله تعالى قل اتخذتم
عند الله عهدا فاستغنى عن الف الوصل بالف التقرير قال الشاعر

• استخبرت الركب عن اشياعهم خبرا • ام راجع القلب من اطرابه طرب •

ونحوه فى القرآن اطلع الغيب اصطفى البنات استكبرت ام كنت ومذهب الخليل والفارسى ان اتخذتم من تخذ
لا من اخذ وانتم ظالمون جملة فى موضع الحال وقد تقدم معنى الظلم والحمد لله **قوله تعالى** ثم عفونا عنكم الاية
فيه اربع مسائل **الاولى** ثم عفونا عنكم العفو عفو الله جل وعز عن خلقه وقد يكون بعد العقوبة وقبلها
بخلاف الغفران فانه لا يكون معه عقوبة البتة ولذلك متى استحق عقوبة فتركت له فقد عفى عنه فالعفو محو الذنب
اى بمحو اثاركم ونجاوزنا عنكم ما خوذ من قولك عفت الريح الاثر اى اذهبته وعفى الشئ كثر فهو من الاضداد
ومنه قوله تعالى حتى عفوا **الثانية** قوله تعالى من بعد ذلك اى من بعد عبادتكم العجل وسمى العجل مجملا
لاستجمالهم عبادته والله اعلم والعجل ولد البقرة والجمع العجاجيل والانثى عجلة عن ابى الجراح
الثالثة قوله تعالى لعلكم تشكرون كى تشكرون عفو الله عنكم وقد تقدم معنى لعل واما الشكر فهو فى اللغة
الظهور من قولهم دابة شكور اذا اظهرت عليها من السمن فوق ما تعطى من العلف وحقيقته الثناء على الانسان
بمعروف يوليكه كما تقدم فى الفاتحة قال الجوهرى الشكر الثناء على المحسن بما اولاكه من المعروف يقال شكرته
وشكرت له وما باللام افصح والشكر ان خلاف الكفران وتشكرت له مثل شكرت له وروى الترمذى وابو داود
عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يشكر الله من لا يشكر الناس قال الخطابى وهذا الكلام بنا ولا على معنيين
احدهما ان من كان من طبعه كفران نعمة الناس وترك الشكر لهم فهم كان من عادته كفران نعم الله عز وجل وترك
الشكر له والوجه الاخر ان الله سبحانه لا يقبل شكر العبد على احسانه اليه اذا كان العبد لا يشكر احسان الناس
اليه ويكفر معروفهم لا بصال احد الامرين بالاخر **الرابعة** فى عبارات العلماء فى معنى الشكر فقال سهل بن
عبد الله الشكر الاجتهاد فى بذل الطاعة مع الاجتناب للمعصية فى السر والعلانية وقالت فرقة اخرى
الشكر هو الاعتراف فى تقصير الشكر للمنعم وذلك انك تقول اعملوا آل داود شكرا فقال داود وكيف اشكرك
يا رب والشكر نعمة منك قال الآن قد عرفتنى وشكرتنى اذ قد عرفت ان الشكر منى نعمة قال يا رب فارانى اخفى
نعمك على قال يا داود تنفس فتنفس داود فقال الله تعالى من يحصى هذه النعمة الليل والنهار وقال لموسى عليه
السلام الهى كيف اشكرك واصغر نعمة وضعتها بيدى من نعمك لا يجازى بها عملى كله فاوحى الله اليه يا موسى الان
شكرتنى وقال الجنيد حقيقة الشكر العجز عن الشكر وعنه قال كنت بين يدى السرى السقطى العب وانا ابن سبع
سنين وبين يديه جماعة يتكلمون فى الشكر فقال لى يا غلام ما الشكر فقلت ان لا يعصى الله بنعمة فقال
لى اخشى ان يكون حظك من الله كسانك قال الجنيد فلا ازال ابكى على هذه الكلمة التى قالها السرى لى وقال
الشبلى الشكر التواضع والمحافظة على الحسنات ومخالفة الشهوات وبذل المطاعات ومرافقة جبال الارض
والسموات وقال ذو النون المصرى ابو الفيض الشكر لمن فوقك بالطاعة ولنظيرك بالمكافاة ولمن دونك بالاحسان
والافضال **قوله تعالى** واذ اتينا موسى الكتاب والفرقان اذ اسم للوقت الماضى واذا اسم للوقت المستقبل
واتينا اعطينا وقد تقدم جميع هذا والكتاب التوراة باجماع من المتاولين واختلف فى الفرقان فقال الفراء
وقطرب المعنى واتينا موسى التوراة ومحمدا عليهما السلام الفرقان قال النحاس هذا خطا فى الاعراب والمعنى
اما الاعراب فان المعطوف على الشئ مثله وعلى هذا القول يكون المعطوف على الشئ خلافه واما المعنى فقد قال
تعالى ولقد اتينا موسى وهارون الفرقان قال ابو اسحاق الزجاج يكون الفرقان هو الفرقان اعيد ذكره
باسمين تاكيدا وحكى عن الفراء ومنه قول الشاعر • وقدمت الاديم لراهشيه • فالفى قولها كذابا ومينا •

وقال اخر • الا حبذا هند وارض بها هند • وهند اتى من دونها الناى والبعد •
فنسق البعد على الناى والمين على الكذب لاختلاف اللفظين تاكيدا ومنه قول عنترة •
حييت من طلل تقادم عهده • اقوى واقفر بعد ام الهيثم •
قال النحاس وهذا انما يجى فى الشعر واحسن ما قيل فى هذا قول مجاهد فرقا بين الحق والباطل اى الذى علمه اياه وقال ابن زيد الفرقان انفراق البحر له حتى صار فرقا فعبروا وقيل الفرقان الفرج من الكرب لانهم كانوا مستعبدين مع القبط ومنه قول الله تعالى ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا اى فرجا ومخرجا وقيل انه الحجة والبيان قاله ابن بحر وقيل الواو صلة والمعنى اتينا موسى الكتاب الفرقان والواو قد تزاد فى النعوت كقولهم فلان حسن وطويل وانشد •
الى الملك القرم وابن الهمام • وليث الكتيبة فى المزدحم •
اراد الى الملك القرم بن الهمام ليث الكتيبة ودليل هذا التاويل قوله عز وجل ثم اتينا موسى الكتاب تماما على الذى احسن وتفصيلا اى بين الحلال والحرام والكفر والايمان والوعد والوعيد وغير ذلك وقيل الفرقان الفرق بينهم وبين قوم فرعون انجى هولا وغرق اوليك ونظيره يوم الفرقان فقيل يعنى به يوم بدر قوله تعالى واذ قال موسى لقومه اى واذكروا اذ قال موسى لقومه القوم جماعة الرجال دون النسا قال الله تعالى لا يسخر قوم من قوم ثم قال ولا نسا من نسا وقال زهير •
وما ادرى وسوف اخال ادرى • اقوم آل حصن ام نساء •
وقال تعالى ولوطا اذ قال لقومه اراد الرجال دون النسا وقد يقع القوم على الرجال والنسا جميعا قوله تعالى يا قوم منادى مضاف وحذفت اليا فى يا قوم لانه موضع حذف والكسرة تدل عليها وهى بمنزلة التنوين فحذفتها كما تحذف التنوين من المفرد ويجوز فى غير القران اثباتها ساكنة فتقول يا قومى لانها اسم وهى فى موضع خفض وان شيت فتحتها وان شيت الحقت معها ها فقلت يا قومية وان شيت ابدلت منها الفا لانها اخف فقلت يا قوما وان شيت قلت يا قوم بمعنى يا ايها القوم وان جعلتهم نكرة نصبت ونونت وواحد القوم امرء على غير اللفظ وتقول قوم واقوام واقاوم جمع الجمع والمراد هنا بالقوم عبدة العجل وكان مخاطبته عليه السلام لهم بامر من الله تعالى قوله تعالى انكم ظلمتم انفسكم استغنى بالجمع القليل عن الكثير والكثير نفوس وقد يوضع الجمع الكثير موضع جمع القلة والقليل موضع الكثرة قال الله تعالى ثلاثة قروء وقال وفيها ما تشتهى الانفس ويقال لكل من فعل فعلا يعود عليه ضرره انما اسات على نفسك واصل الظلم وضع الشى فى غير موضعه ثم قال تعالى باتخاذكم العجل قال بعض ارباب المعانى عجل كل انسان نفسه فمن اسقطه وخالف مراده فقد برى من ظلمه والصحيح انه هنا عجل على الحقيقة عبدوه كما نطق به التنزيل والحمد لله قوله تعالى فتوبوا لما قال لهم فتوبوا الى باريكم قالوا كيف قال فاقتلوا انفسكم قال ارباب الخواطر ذللوها بالطاعات وكفوها عن الشهوات والصحيح انه قتل على الحقيقة والقتل اماتة الحركة وقتلت الخمر كسرت شدتها بالما قال سفيان بن عيينة التوبة نعمة من الله انعم الله بها على هذه الامة دون غيرها من الامم وكانت توبة بنى اسرائيل القتل واجمعوا على انه لم يومر كل واحد من عبدة العجل بان يقتل نفسه بيده قال الزهرى لما قيل لهم فتوبوا الى باريكم فاقتلوا انفسكم قاموا صفين وقتل بعضهم بعضا حتى قيل لهم كفوا فكان ذلك شهادة للمقتول وتوبة للحى على ما تقدم وقال بعض المفسرين ارسل الله عليهم ظلاما ففعلوا ذلك وقيل وقف الذين عبدوا العجل صفا ودخل الذين لم يعبدوه عليهم بالسلاح فقتلوهم وقيل قام السبعون الذين كانوا مع موسى فقتلوا اذ لم يعبدوا العجل من عبد العجل ويروى ان يوشع بن نون خرج عليهم وهم محتبون فقال ملعون من حل حبوته او مد طرفه الى قاتله او اتقاه بيد او رجل فما حل احد منهم حبوته حتى قتل منهم يعنى من قتل واقبل الرجل يقتل من يليه ذكره النحاس وغيره وانما عوقب الذين لم يعبدوا بقتل انفسهم على القول الاول لانهم لم يغيروا المنكر حين عبدوا وانما اعتزلوا وكان الواجب عليهم ان يقاتلوا من عبده وهذه سنة الله فى عباده اذا فشا المنكر ولم يغير عوقب الجميع روى جرير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصى هم اعز منهم وامنع لا يغيرون الا عمهم الله بعقاب اخرجه ابن ماجة فى سننه وسياتى الكلام فى هذا المعنى ان شا الله تعالى فلما استحر فيهم القتل وبلغ سبعين الفا عفا الله عنهم قاله ابن عباس وعلى رضى الله عنهم وانما رفع الله عنهم القتل لانهم اعطوا المجهود فى قتل انفسهم فما انعم الله على هذه الامة بعد الاسلام هى افضل من التوبة وقرا قتادة فاقيلوا انفسكم من الاقالة استقيلوها من العثرة بالقتل قوله تعالى باريكم البارى الخالق وبينهما فرق وذلك ان البارى هو المبدع المحدث والخالق هو المقدر الناقل من حال الى حال والبرية الخلق وهى فعيلة بمعنى مفعولة غير انها لا تهمز وقرا ابو عمرو باريكم بسكون الهمزة ويشعركم وينصركم ويامركم واختلف النحاة فى هذا فمنهم من يسكن الضمة والكسرة فى الوصل وذلك فى الشعر وقال ابو العباس المبرد لا يجوز التسكين مع توالى الحركات فى حرف الاعراب

فى كلام

فى كلام ولا شعر وقراة ابى عمرو لحن قال النحاس وغيره قد اجاز ذلك النحويون القدما الايمة وانشدوا •
اذا اعوججن قلت صاحب قوم • بالدو امثال السفين العوم •
وقال امرء القيس • فاليوم اشرب غير مستحقب • اثما من الله ولا واغل •
وقال اخر • قالت سليمى اشتر لنا سويقا • وقال اخر •
رحت وفى رجليك ما فيهما • وقد بدا هبك من المئزر •
فمن انكر التسكين فى حرف الاعراب فحجته ان ذلك لا يجوز من حيث كان علما للاعراب قال ابو على واما حركة البنا فلم يختلف النحاة فى جواز تسكينها مع توالى الحركات فاصل برا من بيرى الشى من الشى وهو انفصاله منه فالخلق قد فصلوا من العدم الى الوجود ومنه برات من المرض برا بالفتح كذا يقوله اهل الحجاز وغيرهم تقول بريت من المرض برا بالضم وبريت منك ومن الديون ومن العيوب براة ومنه المباراة للمراة وقد بارا شريكه وامراته قوله تعالى فتاب عليكم فى الكلام حذف تقديره ففعلتم فتاب عليكم اى فتجاوز عنكم اى على الباقين منكم انه هو التواب الرحيم تقدم معناه والحمد لله قوله تعالى واذ قلتم يا موسى لن نومن لك فيه خمس مسايل الاولى قوله تعالى واذ قلتم معطوف يا موسى ندا مفرد لن نومن لك اى نصدقك حتى نرى الله جهرة قيل هم السبعون الذين اختارهم موسى وذلك انهم لما اسمعهم كلام الله تعالى قالوا له بعد ذلك لن نومن لك والايمان بالانبيا واجب بعد ظهور معجزتهم فانزل الله عليهم نارا من السما فاحرقهم ثم دعا موسى ربه فاحياهم كما قال تعالى ثم بعثناكم من بعد موتكم وسياتى قصة السبعين فى الاعراف ان شا الله تعالى قال ابن فورك يحتمل ان تكون معاقبتهم لاخراجهم طلب الروية عن طريقه بقولهم لموسى ارنا الله وليس ذلك من مقدور موسى عليه السلام وقد اختلف فى جواز روية الله تعالى فاكثر المبتدعة على انكارها فى الدنيا والاخرة واهل السنة والسلف على جوازها فيهما ووقوعها فى الاخرة فعلى هذا لم يطلبوا من الروية محالا وقد سالها موسى عليه السلام وسياتى الكلام فى الروية فى الانعام والاعراف ان شا الله تعالى الثانية قوله تعالى جهرة مصدر فى موضع الحال ومعناه علانية وقيل عيانا قاله ابن عباس واصل الجهر الظهور ومنه الجهر بالقراة انما هو اظهارها والمجاهرة بالمعاصى المظاهرة بها ورايت الامير جهارا وجهرة اى غير مستتر بشى وقرا ابن عباس جهرة بفتح الها وهما لغتان مثل زهرة وزهرة وفى الجهر وجهان احدهما انه صفة لخطابهم لموسى انهم جهروا به واعلنوا فيكون فى الكلام تقديم وتاخير والتقدير واذ قلتم جهرة يا موسى الثانى صفة لما سالوه من روية الله ان يروه جهرة وعيانا فيكون الكلام على نسقه لا تقديم ولا تاخير فيه واكد بالجهر فرقا ما بين روية العيان وروية المنام الثالثة قوله تعالى فاخذتكم الصاعقة وقد تقدم فى اول السورة معنى الصاعقة وقرا عمر وعثمان وعلى الصعقة وهى قراة ابن محيصن فى جميع القران وانتم تنظرون جملة فى موضع الحال ويقال كيف يموتون وهم ينظرون فالجواب ان العرب تقول دور ال فلان ترا اى يقابل بعضها بعضا وقيل المعنى وانتم تعلمون وقيل تنظرون اى الى حالكم وما نزل بكم من الموت واثار الصعقة الرابعة قوله تعالى ثم بعثناكم اى احييناكم قال قتادة ماتوا وذهبت ارواحهم ثم ردوا لاستيفا اجالهم قال النحاس وهذا احتجاج على من لم يومن بالبعث من قريش واحتجاج على اهل الكتاب اذ خبروا بهذا والمعنى لعلكم تشكرون ما فعل بكم من البعث بعد الموت وقيل ماتوا موت هود يعتبر به الغير ثم ارسلوا واصل البعث الارسال وقيل بل اصله اثارة الشى من محله بعثت الناقة اثرتها اى حركتها قال امرء القيس •
وفتيان صدق قد بعثت سحيرة • فقاموا جميعا بين عاث ونشوان •
وقال عنترة • وصحابة شم الانوف بعثتهم • ليلا وقد مال الكرى بطلاها •
وقال بعضهم بعثناكم من بعد موتكم علمناكم من بعد جهلكم قلت والاول اصح لان الاصل الحقيقة وكان موت عقوبة ومنه قوله تعالى الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم على ما ياتى الخامسة قال الماوردى واختلف فى بقا تكليف من اعيد بعد موته ومعاينة الاحوال المضطرة الى المعرفة على قولين احدهما بقا تكليفهم لئلا يخلو عاقل من تعبد الثانى سقوط تكليفهم ليكون تكليفهم معتبرا بالاستدلال دون الاضطرار قلت والاول اصح وان بنى اسرائيل قد راوا الجبل فى الهوا ساقطا عليهم والنار محيطة وذلك مما اضطرهم الى الايمان وبقا التكليف ثابت عليهم ومثلهم قوم يونس ومحال ان يكونوا غير مكلفين والله اعلم قوله تعالى وظللنا عليكم الغمام الاية فيه ثمانية مسايل الاولى قوله تعالى وظللنا عليكم الغمام اى جعلناه عليكم كالظلة والغمام جمع غمامة كسحابة وسحاب قاله الاخفش سعيد قال الفرا ويجوز غمايم وهى السحاب لانها تغم السما اى تسترها وكل مغطى فهو مغموم ومنه المغموم على عقله وغم الهلال اذا غطاه الغيم والغين مثل الغيم ومنه قوله عليه السلام انه ليغان على قلبى قال صاحب العين غين عليه غطى عليه والغين شجر ملتف وقال السدى الغمام السحاب

الا يبصر وفعل هذا بهم ليفيهم حر الشمس نهارا ويتجلى في آخره ليستضيئوا بالقمر ليلا وذكر المفسرون ان هذا جرى في التيه بين مصر والشام لما امتنعوا من دخول مدينة الجبارين وقتالهم وقالوا لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون فعوقبوا في ذلك المخصل اربعين سنة يتيهون في ستة فراسخ او ستة روى انهم كانوا يمسون النهار كله ويصبحون للميت فيصبحون حيث كانوا بكرة امس واذا كانوا ياجمهم في التيه قالوا لموسى من لنا بالطعام فانزل عليهم المن والسلوى قالوا امن لنا من حر الشمس فظلل عليهم الغمام قالوا بم نستصبح وضرب لهم عمود نور في وسط محلتهم وذكر مكي عمود نار قالوا امر لنا بالماء فامر موسى بضرب الحجر قالوا امن لنا بالدباس فاعطوا ان لا يبلى لهم ثوب ولا يخلق ولا يدرن وان نتم صغارها حيث تنمو الصبيان والله اعلم **الثانية** قوله تعالى وانزلنا عليكم المن والسلوى كذا اختلف في المن ما هو وتعيينه على اقوال فقيل الترنجبين بتشديد الراء وتسكين النون وذكره النحاس ويقال الطرنجبين بالطاء وعلى هذا اكثر المفسرين وقيل صمغة حلوة وقيل عسل وقيل شراب حلو وقيل خبز الرقاق عن وهب ابن منبه وقيل المن مصدر ريع جميع ما من الله به على عباده من غير تعب ولا زرع ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل الكمأة من المن الذي انزل الله على بني اسرائيل وماؤها شفاء للعين في رواية من المن الذي انزل الله على موسى رواه مسلم قال علماؤنا وهذا الحديث يدل على ان الكمأة مما انزل الله على بني اسرائيل اي مما خلقه الله لهم في التيه قال ابو عبيد انما شبهها بالمن لانه لا مؤنة فيها ببذر ولا سقي ولا علاج فهي منه اي من جنس من الذي اسرائيل في انه كان دون تكلف روى انه كان ينزل عليهم من طلوع الفجر الى طلوع الشمس كالثلج فيأخذ الرجل ما يكفيه ليومه فان ادخر فسد عليه الا في يوم الجمعة فانهم كانوا يدخرون ليوم السبت فلا يفسد عليهم لان يوم السبت يوم عبادة وما كان ينزل عليهم يوم السبت شيء **الثالثة** لما نص عليه السلام على ان ماء الكمأة شفاء للعين قال بعض اهل العلم بالطب انما تنفع العين من بعض ما يكون فيها من الحرارة فتستعمل بنفسها مفردة واما لغير ذلك فمركبة مع غيرها وذهب ابو هريرة رضي الله عنه الى استعمالها بعجنها في جميع امراض العين وهذا كما استعمل ابو وجزة العسل في جميع الامراض كلها حتى في الكحل على ما ياتي بيانه في سورة النحل ان شاء الله تعالى وقال اهل اللغة الكمأة واحد وكمأن اثنان وكمؤ ثلاثة فاذا اراد وا قالوا الكمأة بالتاء على لفظ شجرة وشجر والمن اسم جنس لا واحد له من لفظه مثل الخير والشر قاله الاخفش **الرابعة** قوله تعالى والسلوى اختلف في السلوى فقيل هو السمانى بعينه قاله الضحاك قال ابن عطية السلوى طير باجماع المفسرين وقد غلط الهذلي فقال

• وقاسمها بالله حمدا لانتما • لذمن السلوى اذا ما نشورها •

ظن السلوى العسل **قلت** ما ادعاه من الاجماع لا يصح وقد قال الموزج احد علماء اللغة والتفسير انه العسل واستدل ببيت الهذلي وذكر انه كذلك بلغة كنانة سمي به لانه يسلى به ومنه عين السلوان وانشد

• لو اشرب السلوان ما سليت • ما لي عن هنك وان عتيت

وقال الجوهري السلوى العسل وذكر بيت الهذلي الذمن السلوى اذا ما نشورها ولم يذكر غلطا والسلواة بالضم خرزة كانوا يقولون اذا اصيبت عينها ما، المطر فشربة العاشق سلا قال

• شربت على سلوانة ما مزنة • فلا وجديدا لعيش يا مح ما اسلو •

واسم ذلك الماء السلوان وقال بعضهم السلوان دواء يسقاه المحزون فيسلو والاطباء يسمونه المفرح يقال سليت وسلوت لغتان وهو في سلوة من العيش اي في رغد عن ابي زيد **الخامسة** واختلف في السلوى هل هو جمع او مفرد فقال الاخفش لا واحد له من لفظه مثل الخير والشر وهو يشبه ان يكون واحده سلوى مثل جماعة كما قالوا دال في الواحد وادلة وسمانا وسمانى في الواحد والجميع وقال الخليل واحده سلواة والشد

• واني لتغروني لذكراك سلوة • كما انتفض السلواة من بلل القطر •

وقال الكسائي السلوى واحدة وجمعه سلاوى **السادسة** السلوى عطف على المن ولم يظهر فيه الاعراب لانه مقصور وجب هذا في المقصور كله لانه لا يخلو من ان يكون في آخره الف قال الخليل والالف حرف هوائي لا مستقر له فاشبه الحركة فاستحق التحريك وقال الفراء لو حركنا الالف صارت همزة **السابعة** قوله تعالى كلوا من طيبات ما رزقناكم حذف تقديره وقلنا كلوا فحذف واختصر لدلالة الظاهر عليه والطيبات هنا قد جمعت الحلال واللذيذ **الثامنة** قوله تعالى وما ظلمونا يقتضي قبله فعصوا ولم يقابلوا النعم بالشكر ولكن كانوا انفسهم يظلمون لمقابلتهم النعم بالمعاصي **قوله تعالى** واذ قلنا ادخلوا هذه القرية الآية فيها تسع مسائل **الاولى** قوله تعالى واذ قلنا ادخلوا حذفت الالف من قلنا لسكونها وسكون الدال بعدها والالف التي بينهما فنقل الدال الف وصل لانه من يدخل **الثانية** قوله تعالى هذه القرية اي المدينة سميت بذلك لانها تقرى اي اجتمعت ومنه قريت الماء في الحوض اي جمعته واسم ذلك الماء قرى بكسر القاف مقصور وكذلك ما قرى به الضيف قاله الجوهري والمقراة الحوض والقرى لمسيل الماء والقرى للظهر ومنه قوله لاحق بطن قرى سميع

والمقارى الجفان الكبار قال • عظام المقارى صيفهم لا يقزع • وواحد المقارى مقراة وكله بمعنى الجمع غير مهموز والقرية بكسر القاف لغة اليمن واختلف في تعيينها فقال الجمهور هي بيت المقدس وقيل اريحا من بيت المقدس قال عمرو بن شبة كانت قاعدة ومسكن ملوك ابن كيسان الشام الضحاك الرملة والاردن وفلسطين وتدمر وهذه نعمة اخرى وعلى انه اباح لهم دخول المدينة واذ لا يعنهم التيه **الثالثة** قوله تعالى وكلوا اباحة ورغدا كثيرا واسعا وهو نعت لمصدر محذوف اي اكلا رغدا ويجوز ان يكون في موضع الحال على ما تقدم وكانت ارضا مباركة عظيمة الغلة فلذلك رغدا **الرابعة** قوله تعالى وادخلوا الباب سجدا الباب يجمع ابوابا وقد قالوا البوبة للازدواج قال الشاعر

• هناك اخبية ولاج ابوبه • يخلط بالجدة منه البر واللينا •

ولو افرده لم يجز ومثله قوله عليه السلام مرحبا بالقوم او بالوفد غير خزايا ولا الندامى وتثنية بابا ان اتخذته وابواب مبوبة كما قالوا اصناف مصنفة وهذا شيء من بابك اي يصلح لك وقد تقدم معنى السجود فلا معنى لاعادته والجدد والباب الذي امروا بدخوله هو باب في بيت المقدس يعرف اليوم بباب حطة عن مجاهد وغيره وقيل باب القبة التي كان يصلي اليها موسى وبنو اسرائيل وسجدا قال ابن عباس ساجدين لركوع وقيل متواضعين خضوعا على هيئة متغيرة **الخامسة** قوله تعالى وقولوا حطة قرأ الجمهور على انها رفع مبتدأ اي مسئلتنا حطة او يكون حكاية قال الاخفش وقرئ بنصبة حطة فكأنه قال معنى احطط عنا ذنوبنا حطة قال النحاس جاء الحديث عن ابن عباس انه قيل لهم قولوا لا اله الا الله وفي حديث اخر عنه قيل لهم قولوا مغفرة تفسير للنصب اي قولوا شيئا يحط ذنوبكم كما يقال قل خيرا والآية من القرآن على الرفع وهو اولى في اللغة لما حكى عن العرب في معنى بدل قال احمد بن يحيى يقال بدلته اي غيرته ولم ازل عينه وابرلته ازلت عينه وشخصه كما قال • عزل الامير للامير المبدل • وقال الله عز وجل وقال الذين لا يرجون لقاءنا ايت بقرآن غير هذا او بدله وحديث ابن مسعود قالوا حطة تفسير على الرفع وهذا كله قول النحاس وقال الحسن وعكرمة حطة بمعنى حطة ذنوبنا امروا ان يقولوا لا اله الا الله ليحط بها ذنوبهم وقال ابن جبير معناه الاستغفار اباذن بن ثعلب التوبة قال الشاعر

• فاز بالحطة التي جعل الله • بها ذنب عبده مغفورا •

وقال ابن فارس في المجمل حطة كلمة امرهم بها بنو اسرائيل فلوها فحطت اوزارهم وقال الجوهري ايضا في الصحاح **قلت** يحتمل ان يكونوا نفذوا ما امروا به على الوجه المأمور به فحطت عنهم خطاياهم وهذا ظاهر من الحديث روى مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لبني اسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم فدخلوا الباب يزحفون على استاههم وقالوا واحية في شعرة في غير الصحيحين حنطة في شعير وقيل قالوا اهطل سمها ما وهي لفظة عبرانية تفسيرها حنطة حكاها ابن قتيبة وحكاه الهروي عن السدي ومجاهد فكان قصدهم خلاف ما امرالله به فعصوا وتمردوا واستهزؤا فعاقبهم الله بالرجز وهو العذاب قال ابن زيد كان طاعونا فاهلك منهم سبعين الفا وروى ان الباب جعل قصيرا لئلا يدخلوه ركعا فدخلوا متوركين على استاههم فالله اعلم **السادسة** استدل بعض العلماء بهذه الاية على ان تبديل الاقوال المنصوص عليها في الشريعة لا يحلوان يقع التعبد بلفظها او بمعناها فان كان التعبد وقع بلفظها فلا يجوز تبديلها لان امر الله تعالى من بدل ما امره بقوله وان وقع بمعناها جاز تبديلها بما يؤدي الى ذلك ولا يجوز تبديلها بما يخرج عنه وقد اختلف العلماء في هذا المعنى فحكي عن مالك والشافعي وابي حنيفة واصحابهم انه يجوز للعالم بمواقع الخطاب البصير باحكام كلامه نقل الحديث بالمعنى لكن بشرط المطابقة للمعنى كما له وهو قول الجمهور ومنع ذلك جمع كثير من العلماء منهم ابن سيرين والقاسم بن محمد ورجا بن حيوة وقال مجاهد لا نقص من الحديث ان شيئا ولا تزد فيه وكان مالك بن انس يشدد في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في التاء والباء ونحو هذا وعلى هذا جماعة من ائمة الحديث لا يرون ابدال اللفظ ولا تغييره حتى انهم يسمعون ملحونا ويعلمون ذلك ولا يغيرونه وروى ابو مجلز عن قيس بن عباد قال قال عمر بن الخطاب من سمع حديثا فحدث به كما سمع فقد سلم وروى نحوه عن عبد الله بن عمرو زيد وكذا الخلاف في التقديم والتاخير والزيادة والنقصان فان منهم من يعيد المعنى ولا يعيد باللفظ ومنهم من يشدد في ذلك ولا يفارق اللفظ وذلك هو الاحوط في الدين والاتقى والاولى ولكن اكثر العلماء على خلافه والقول بالجواز هو الصحيح ان شاء الله تعالى وقد ذلك ان المعلوم من سيرة الصحابة رضي الله عنهم هو انهم كانوا يروون الوقائع المتحدة بالفاظ مختلفة ومادة ذلك الا انهم يصرفون عنايتهم للمعاني ولم يلتزموا التكرار على الاحاديث ولا كثيرها وروى عن الحلة بن الاسقع انه قال ليس كلما اخبرنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم نقدر ان نقول هو كما سمعت للمعنى وقال قتادة عن زرارة بن اوفى لقيت عدة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فاختلفوا علي في اللفظ

واجتمعوا في المعنى وكان النخعي والحسن والشعبي رحمهم الله يأتون بالحديث على المعاني وقال الحسن اذا اصبت
المعنى اجزاه وقال سفيان الثوري اذا قلت لكم اني احدثكم كما سمعت فلا تصدقوني انما هو المعنى وقال وكيع
رحمه الله ان لم يكن المعنى واسعا فقد هلك الناس واتفق العلما على جواز نقل الشرع للعجم بلسانهم وترجمتهم
لهم وذلك هو النقل بالمعنى وقد فعل الله ذلك في كتابه فيما قص من انبا ما قد سلف فقص قصصا
ذكر بعضها في مواضع بالفاظ مختلفة والمعنى واحد ونقلها من السنتهم الى اللسان العربي وهو مخالف لها
في التقديم والتاخير والحذف والالغا والزيادة والنقصان واذا جاز ابدال العربية بالعجمية فلان يجوز
بالعربية اولى احتج بهذا المعنى الحسن والشافعي وهو الصحيح في الباب فان قيل فقد قال صلى الله عليه وسلم
نضر الله امرا سمع مقالتي فبلغها كما سمعها وذكر الحديث وما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه امر رجلا ان
يقول عند مضجعه في دعا علمه امنت بكتابك الذي انزلت ونبيك الذي ارسلت فقال الرجل ورسولك
الذي ارسلت فقال النبي صلى الله عليه وسلم ونبيك الذي ارسلت قالوا افلا ترى انه لم يسوغ لمن علمه
الدعا مخالفة اللفظ وقال فاداها كما سمعها قيل لهم اما قوله فاداها كما سمعها فالمراد حكمها لا لفظها
لان اللفظ غير معتبر به ويدلك على ان المراد من الخطاب حكمه قوله فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه
الى من هو افقه منه ثم ان هذا الحديث بعينه فقد نقل بالفاظ مختلفة والمعنى واحد وان امكن ان يكون
جميع الالفاظ قول النبي صلى الله عليه وسلم في اوقات مختلفة وذلك ادل دليل على الجواز واما رده عليه
السلام الرجل من قوله برسولك الى قوله ونبيك فان النبي صلى الله عليه وسلم امدح ولكل نعت من هذين
النعتين موضع الا ترى ان اسم الرسول يقع على الكافة واسم النبي لا يستحقه الا الانبيا عليهم السلام وانما
فضل المرسلون من الانبيا لانهم جمعوا النبوة والرسالة فلما قال ونبيك جا بالنعت الامدح ثم قيده بالرسالة
الذي ارسلت وايضا فان نقله من قوله وبرسولك الى قوله ونبيك ليجمع بين النبوة والرسالة ومستقبح في
الكلام ان يقول هذا رسول فلان الذي ارسله وهذا قتيل الذي قتله لانك تجتزي بقولك رسول فلان
وقتيل فلان عن اعادة المرسل والقاتل اذ كنت لا تقيد به الا المعنى الاول وانما يحسن ان يقول هذا رسول
عبد الله الذي ارسله الى عمرو وهذا قتيل زيد الذي قتله بالامس او في وقعة كذا والله ولي التوفيق فان قيل
اذا جاز للراوي الاول تغيير الفاظ الرسول عليه السلام جاز للثاني تغيير الفاظ الاول ويودي ذلك الى طمس
الحديث بالكلية لدقة الفروق وخفايها قيل له الجواز مشروط بالمطابقة والمساواة كما ذكرنا فان عدمت
لم يجز قال ابن العربي الخلاف في هذه المسئلة انما يتصور بالنظر الى عصر الصحابة والتابعين لتساويهم في
معرفة اللغة الجلية الذوقية واما من بعده فلا يشك في ان ذلك لا يجوز اذ الطباع قد تغيرت والفهوم
قد تباينت والعوايد قد اختلفت وهذا هو الحق والله اعلم قال بعض علمائنا لقد تعاجم ابن العربي رحمه الله
فان الجواز اذا كان مشروطا بالمطابقة فلا فرق بين زمن الصحابة والتابعين وزمن غيرهم ولهذا لم يفصل احد
من الاصوليين ولا اهل الحديث هذا التفصيل نعم لو قال ان المطابقة في زمنه ابعد كان اقرب والله اعلم
السابعة قوله تعالى نغفر لكم خطاياكم قراة نافع بالياء مع ضمها وابن عامر بالتاء مع ضمها وهي قراة مجاهد
وقراها الباقون بالنون مع نصبها وهي ابينها لان قبلها واذ قلنا ادخلوا فجرى نغفر على الاخبار عن الله تعالى
والتقدير وقلنا ادخلوا الباب سجدا نغفر ولان بعده وسنزيد بالنون وخطاياكم اتباعا للسواد وانه على بابه
ووجه من قرا بالتاء انه انث لتانيث لفظ الخطايا لانها جمع خطية على التكسير ووجه القراة بالياء انه ذكر
لما حال بين المونث وبين فعله على ما تقدم في قوله فتلقى ادم من ربه كلمات وحسن الياء والتاء وان كان قبله
اخبار عن الله تعالى في قوله واذ قلنا لانه قد علم ان ذنوب الخاطين لا يغفرها الا الله تعالى فاستغنى عن النون
ورد الفعل الى الخطايا المغفورة الثامنة واختلف في اصل خطايا جمع خطية بالهمز فقال الخليل الاصل
في خطايا ان يقول خطائي ثم قلب فقيل خطاءي بهمزة بعدها يا ثم تبدل من اليا الفا بدلا لازما
فتقول خطاآ فلما اجتمعت الفان بينهما همزة والهمزة من جنس الالف صرت كانك جمعت بين ثلاث
الفات فابدلت من الهمزة يا فقلت خطايا واما سيبويه فمذهبه ان الاصل مثل الاول خطايي ثم وجب
بهذه ان تهمز اليا كما همزتها في مداين فتقول خطايي ولا تجتمع همزتان في كلمة فابدلت من الثانية يا فقلت
خطايي ثم عملت كما عملت في القول وقال الفرا خطاي جمع خطية بلا همز كما تقول هدية وهدايا قال الفرا ولو جمعت
خطية مهموزة لقلت خطاآ وقال الكسائي لو جمعتها مهموزة ادغمت الهمزة في الهمزة كما قلت دواب
التاسعة قوله تعالى وسنزيد المحسنين اي نزيدهم احسانا على الاحسان المتقدم عندهم وهو اسم
فاعل من احسن والمحسن من صحح عقد توحيده واحسن سياسة نفسه واقبل على اداء فرايضه وكفى الناس
شره وفي حديث جبريل عليه السلام ما الاحسان قال ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك
قال صدقت وذكر الحديث خرجه مسلم قوله تعالى فبدل الذين ظلموا قولا فيه اربع مسايل الاولى

قوله

قوله تعالى فبدل الذين ظلموا قولا الذين في موضع رفع اي فبدل الظالمون منهم قولا غير الذي قيل لهم
وذلك انه قيل لهم حطة فقالوا حنطة على ما تقدم فزادوا حرفا في الكلام فلقوا من البلا ما لقوا تعريفا
ان الزيادة في الدين والابتداع في الشريعة عظيمة الخطر شديدة الضرر هذا في تغيير كلمة هي عبارة عن
التوبة اوجبت كل ذلك من العذاب فما ظنك بتغيير ما هو من صفات المعبود هذا والقول انقص من العمل
فكيف بالتغيير والتبديل في الفعل الثانية قوله تعالى فبدل تقدم معنى بدل وابدل وقرى عسى ربنا ان
يبدلنا على الوجهين قال الجوهري وابدلت الشي بغيره وبدله الله من الخوف امنا وتبديل الشي ايضا تغييره
وان لم تات ببدل واستبدل الشي بغيره وتبدله به اذا اخذه مكانه والمبادلة التبادل والابدال قوم من
الصالحين لا تخلو الدنيا منهم اذا مات واحد منهم ابدل الله مكانه باخر قال ابن دريد الواحد بديل والبديل
البدل وبدل الشي غيره يقال بدل وبدل لغتان مثل شبه وشبه ومثل ومثل ونكل ونكل قال ابو عبيدة لم
يسمع في فعل وفعل غير هذه الاربعة الاحرف والبدل وجع في اليدين والرجلين وقد بدل بالكسر يبدل
بدلا الثالثة قوله تعالى فانزلنا على الذين ظلموا كرر لفظ ظلموا ولم يضمر تعظيما للامر والتكرير على ضربين
احدهما استعماله بعد تمام الكلام كما في هذه الاية وقوله فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم قال بعد
فويل لهم مما كتبت ايديهم ولم يقل مما كتبوا وكرر الويل تغليظا لفعلهم ومنه قول الخنسا

تعرفني الدهر نهشا وحزا • واوجعني الدهر قرعا وغمزا

ارادت اوجعها بكبريات نوايبه وصغرياتها والضرب الثاني مجي تكرير الظاهر في موضع المضمر قبل ان يتم
الكلام كقوله الحاقة ما الحاقة والقارعة ما القارعة كان القياس لولا ما اريد به من التعظيم والتفخيم
الحاقة ما هي والقارعة ما هي ومثله واصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشامة ما اصحاب
المشامة كرر اصحاب الميمنة تفخيما لما ينيلهم من جزيل الثواب وكرر لفظ اصحاب المشامة لما ينالهم من
اليم العذاب ومن هذا الضرب قول الشاعر

ليت الغراب غداة ينعب دايبا • كان الغراب مقطع الاوداج

وقد جمع عدي بن زيد المعنيين فقال

لا ارى الموت يسبق الموت شي • يغص الموت ذا الغنى والفقيرا

فكرر لفظ الموت ثالثا وهو من الضرب الاول ومنه قول الاخر

الا حبذا هند وارض بها هند • وهند اتى من دونها الناي والبعد

فكرر ذكر محبوبته ثلاثا تفخيما لها الرابعة قوله تعالى رجزا قراة الجماعة رجزا بكسر الرا وابن محيصن
بضم الرا والرجز العذاب بالزاي وبالسين النتن والقذر ومنه قوله تعالى فزادتهم رجسا الى رجسهم اي
نتنا الى نتنهم قاله الكسائي وقال الفرا الرجز هو الرجس قال ابو عبيد كما يقال السدغ والزدغ وكذا رجس
ورجز بمعنى قال الفرا وذكر بعضهم الرجز بالضم اسم صنم كانوا يعبدونه وقرى بذلك في قوله تعالى والرجز
فاهجر والرجز بفتح الرا والجيم نوع من الشعر وانكر الخليل ان يكون شعرا وهو مشتق من الرجز وهو دا يصيب
الابل في اعجازها فاذا ثارت ارتعشت افخاذها بما كانوا يفسقون اي بفسقهم والفسق الخروج وقد تقدم
وقال ابن وثاب والنخعي يفسقون بكسر السين قوله تعالى واذ استسقى موسى لقومه الى قوله مفسدين فيه
ثماني مسايل الاولى قوله تعالى واذ استسقى موسى لقومه كسرت الذال لالتقا الساكنين والسين سين
السوال مثل استعلم واستخبر واستنصر ونحو ذلك اي طلب وسال السقي لقومه والعرب تقول سقيته
واسقيته لغتان بمعنى قال • سقى قومي بني مجد واسقى • نميرا والقبايل من هلال •
وقيل سقيته من سقي الشفة واسقيته دللته على الما الثانية الاستسقا انما يكون عند عدم الما
وحبس القطر واذا كان ذلك فالحكم حينيذ اظهار العبودية والفقر والمسكنة والذلة مع التوبة والنصوح
وقد استسقى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فخرج الى المصلى متواضعا متذللا متخشعا متوسلا متضرعا
وحسبك به فكيف بنا ولا توبة معنا الا العناد ومخالفة رب العباد فاني نسقي لكن قد قال صلى الله عليه وسلم
في حديث ابن عمر ولم يمنعوا زكاة اموالهم الا منعوا القطر من السما ولولا البهايم لم يمطروا الحديث وسياتي
بكماله ان شا الله تعالى الثالثة سنة الاستسقا الخروج الى المصلى على الصفة التي ذكرنا والخطبة
والصلاة وبهذا قال جمهور العلما وذهب ابو حنيفة الى انه ليس من سنته صلاة ولا خروج وانما هو دعا
لا غير واحتج بحديث انس الصحيح اخرجه البخاري ومسلم ولا حجة له فيه فان ذلك كان دعا عجلت اجابته
فاكتفى به عما سواه ولم يقصد بذلك بيان سنته ولما قصد البيان بين بفعله حسب ما رواه عبد الله بن
زيد المازني قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المصلى فاستسقى وحول رداه ثم صلى ركعتين رواه مسلم
وسياتي من احكام الاستسقا زيادة في سورة هود ان شا الله تعالى الرابعة قوله تعالى فقلنا اضرب

بعصاك الحجر العصا معروف وهو اسم مقصور مؤنث والفه منقلبة عن واو قال على عصوهما شاهدي مشرق
والجمع عصى وعصي وهو نحول وانما كسرت العين لما بعدها من الكسرة واعصر ايضا مثله مثل زمن وازمن وفي
المثل العصا من العصية اي بعض الامر من بعض وقولهم التي عصاه اي اقام وترك الاسفار وهو مثل قال

• فالقت عصاها واستقر بها النوى • كما قر عينا بالاياب المسافر •

وفي التنزيل وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي اتوكأ عليها وهناك باتي الكلام في معناها ان شاء الله تعالى
قال الفراء ولم يخص سمع بالعراق هذه عصا بني وقد يعبر بالعصا عن الاجتماع والافتراق ومنه يقال في الخوارج قد
شقوا عصا المسلمين اي اجتماعهم وافترقهم وانشقت العصا اي وقع الخلاف فقال الشاعر

• اذ اكلت المسحاة وانشقت العصا • محسبتك والضحاك سيف مهند •

اي يكفيك ويكفي الضحاك وقولهم لا ترفع عصاك عن اهلك يراد به الادب والله اعلم والمحمعرو فيقاس جمعه
في ادنى العدد اجمار وفي الكثير حجار وحجارة والحجارة نادر وهو كقولنا حمل وحمالة وذكروه كذا قال ابن فارس
والجوهري قلت وفي القرآن نهي كالحجارة قيل كبودا حجارة ترميهم بحجارة وامطرنا عليهم فكيف يكون
نادرا الا ان يراد به نادر في القياس كثير في الاستعمال والصحيح والله اعلم قوله تعالى فانفجرت الى الكلام حذف تقديره
فضرب فانفجر وفكان تعالى قادرا على تفجرها وقلق الحجر من غير ضرب لكن اراد ان يربط المسببات بالاسباب حكمة
منه للعباد في وصولهم الى المراد وليرتب على ذلك ثوابهم وعقابهم في المعاد والانفجار والانشقاق ومنه انشق
الفجر وانفجر الماء انفجارا انفتح والفجرة موضع ففتح الماء والانبجاس اضيق من الانفجار لانه يكون انبجاسا ثم
يصير انفجارا وقيل انبجس وتبجس وتفجر وتفتق بمعنى واحد حكاه الهروي وغيره الخامسة قوله تعالى اثنتا
عشرة عينا اثنتا في موضع رفع بانفجرت وعلامة الرفع فيها الالف واعربت دون نظائرها لان التثنية
معربة ابدا الصحة معناها عينا نصب على البيان وفرا يجاهد وطلحة وعيسى عشرة بكسر الشين وهي لغة بني
تميم وهذا من لغتهم نادر لان سبيلهم التخفيف ولغة اهل الحجاز عشرة وسبيلهم التثقيل قال جميعه النحاس والعين
من الاسماء المشتركة يقال عين الماء وعين الانسان وعين الركبة وعين الشمس والعين سحابة تقبل من ناحية
القبلة والعين مطر يدوم خمسا وسبعا لا يقلع وكذلك قليل العين اي قليل الناس وما بها عاعين بحركة الباء والعين
النقب في المزادة والعين من الماء مشبهة بالعين من الحيوان لخروج الماء منها كخروج الدمع من الحيوان وقيل لما كان
عين الحيوان اشرف ما فيه شبهت به عين الماء لانها اشرف ما في الارض السادسة لما استسقى موسى عليه السلام
لقومه امر ان يضرب عند استسقائه بعصاه حجرا قيل مربعا طوله عشرة اذرع وكان اسم الشاة يلقى في كمرجوانق
ويرحل به فاذا نزلوا وضع في وسط محلتهم وذكرانهم لم يكونوا يحملون الحجر لكنهم كانوا يجدونه في كل مرحلة في
منزلته من المرحلة الاولى وهذا اعظم في الاية والاعجاز وقيل انه اطلق له اسم الحجر ليضرب موسى اي حجر شا وهذا
ابلغ في الاعجاز وقيل ان الله تعالى امره ان يضرب حجرا بعينه بينه لموسى عليه السلام ولذلك ذكر بلفظ التعريف
قال سعيد بن جبير هو الحجر الذي وضع عليه موسى ثوبه اذ اغتسل وفر بثوبه حتى جراه الله مما رموه به قومه
قال ابن عطية ولا خلاف انه كان حجرا منفصلا مربعا يطرد من كل جهة للامة عيون اذ اضربه موسى واذا استقوا
من الماء وارتحلوا جفت العيون قلت ما اوتي محمد صلى الله عليه وسلم من منع الماء وانفجاره من بين اصابعه
اعظم في المعجزة فانا نشاهد الماء ينفجر من لا حجارا انا الليلة وانا النهار ومعجزة نبينا عليه السلام لم تكن لنبي
قبل نبينا صلى الله عليه وسلم يخرج الماء من بين لحم ودم روى الائمة الثقات والفقهاء الاثبات عن عبد الله قال كنا مع النبي
صلى الله عليه وسلم فلم نجد وضوءا فاتى بتور فادخل يده فجعل الماء ينفجر من بين اصابعه ويفور لحم على الظهور
قال الاعمش فحدثني سالم بن ابي الجعد قال قلت لجابر كنتم يومئذ قال الفا وخمسمائة لفظ النسائي السابعة
قد علم كل اناس مشربهم يعني ان لكل سبط منهم عينا قد عرفها لا يشرب من غيرها والمشرب موضع الشرب وقيل
المشروب والاسباط في بني اسرائيل كالقبائل في العرب وهم ذرية الاثني عشر اولاد يعقوب عليه السلام
وكان لكل سبط عين من تلك العيون لا ينبعها قال عطا كان للحجر اربعة اوجه يخرج من كل وجه لثلاثة اعين لكل
سبط عين لا يخالطهم سواهم وبلغنا انه كان في كل سبط جسيم الف مقاتل من سوى حيثهم ودوابهم قال عطا
كان يظهر على كل موضع من ضربة موسى مثل ثدي المرأة على الحجر فيعرف اولا تفر يسيل الثامنة قوله تعالى كلوا
واشربوا في الكلام حذف تقديره وقلنا لهم كلوا المن والسلوى واشربوا الماء المنفجر من الحجر المنفصل ولا تعثوا اي
لا تفسدوا والعيث شدة الفساد تقول عاث يعيث عيثا وعثا يعثو عثوا وعاث يعيث عيثا
وعيوثا ومعاثا والاول لغة القرآن وتقال عث يعث في المضاعف افسد ومنه العثة وهي السوسة التي تاكل
الصوفة ومفسدين حال وتكرر المعنى تاكيدا لاختلاف اللفظ وفي هذه الكلمات اباحة النعم وتعدادها والتقدم
في المعاصي والنهي عنها قوله تعالى واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد كان هذا القول منهم في التيه حين
ملوا المن والسلوى وتذكروا عيشهم الاول بمصر قال الحسن كانوا نشأوا اهل كراث وابصال واعداس فنزعوا الى عكر

عكر التوم وانتنت قتا عهم الى ما حرص عليه عادتهم فقالوا لن نصبر على طعام واحد وكنوا عن المن والسلوى
بطعام واحد ومما اثنان لانهم كانوا يأكلون احدهما بالاخر فلذلك قالوا طعام واحد وقيل لتكرارهما في كل يوم غداء
كما تقول لمن يديم الصوم والصلاة والقراءة هو على امر واحد ملازم منه لذلك وقيل المعنى لن نصبر على الغنى فيكون
جميعا الغنيا فلا يقدر ويعضنا على الاستغاثة يبعض لاستغنا كل واحد منا بنفسه وكذلك كانوا فيما اولى من
الخبز العبيد والخزم فقوله تعالى على طعام الطعام يطلق على ما ينطعم ويشرب قال الله تعالى ومن لم يطعمه
فانه مني وقال ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اي ما شربوا من الخمر على ما ياتي وان كان السلوى
العسل كما حكى الموزج فهو مشروب ايضا وربما خصت بالطعام البر والتمر كما في حديث ابي سعيد الخدري كنا نخرج صدقة
الفطر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم صاعا من طعام او صاعا من شعير الحديث والعرفج جار بان القايل ذهبت
الى سوق الطعام فليس يفهم منه الا موضع بيعه دون غيره مما هو كالاوبيشرب والطعم بالفتح ما يؤدي به الذوق بقال
طعمه مرا والطعم ايضا ما يشتهى منه يقال ليس له طعم وما فلان بذي طعم اذا كان غثا والطعم بالضم الطعام
قال ابن خزانش

• اردد نجاع البطن لو تعلمينه • واوثر غيري من عيالك بالطعم •
• واغتبق الماء القراح فانني • اذا الزاد امسى للمزهر ذا طعم •

اراد بالاول الطعام وبالثاني ما ينتشى منه وقارطعم يطعم فهو طاعم اذا اكل وذاق ومنه قوله تعالى ومن لم يطعمه
فانه مني اي من لم يذقه وقال فاذا طعمتم فانتشروا اي اكلتم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في زمزم انها طعام
طعم وشفاء سقم واستطعمني فلان الحديث اذا اراد ان يجدثه وفي الحديث اذا استطعمكم الامام فاطعموه يقول
اذا استفتح فافتحوا عليه وفلان ما يطعم اليوم الا قائما قال النابغة

• نعاما بوجرة صفر الخدود • ما تطعم اليوم الا صئبا ما •

قوله تعالى فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض لغة بني عامر فادع لنا بكسر العين لالتقا الساكنين يجوز في العين
مجرى الصحيح ولا يراعون المحذوف ويخرج محذوف وفي على معنى سله وقيل له اخرج يخرج وقيل هو على معنى الدعا على تقدير
حذف اللام وضعفه الزجاج ومن في قوله مما زايدة في قول الاخفش وغير زايدة في قول غير سيبويه لان الكلام
موجب قال النحاس وانما دعا الاخفش الى هذا لانه لم يجد مفعولا يخرج فاراد ان يجعل ما مفعولا والاولى ان يكون
المفعول محذوفا قال ابو علي سائر الكلام التقدير يخرج لنا مما تنبت الارض ما كولا ثم الاول على هذا للتبعيض
والثانية للتخصيص ومن بقلها بدل من مما باعادة الحرف وقثائها عطف عليه وكذا ما بعده فاعله والبقل معروف
وهو كل نبات ليس له ساق والنشجر ما له ساق والقثا ايضا معروف وقد نقضم قافه وهي قراءة يحيى بن وثاب
وطلحة بن مصرف لغتان والكسر اكثر وقيل في جمع قثاة ثاني مثل غدة وغدد الا ان قثاة من ذوات الواو وتقول
اقتاث القوم اي اطعمتهم ذلك وقثاث القدر سكنت غليانها بالماء قال الجعيدي

• تفور علينا قدرهم فنديمها • ونقثاها عنا اذا حميها غلا •

وقثاث الرجل اذا كسرته عنك بقول وغيره وسكنت غضبه وغداحتى قثا اي اعيى وانبهر والقثا الحراي سكر
ومزامتالهم في اليسير من البر فولهم ان الرتيئة بقثا الغضب واصله ان رجلا كان عقيب على قوم وكان مع غضبه
جايعا فسقوه رتيئة فسكن غضبه وكف عنهم الرتيئة اللبن الحلو يصب على الحامض ليخثر ثاث اللبن ثا اذا احلبته
على حامض فخثر والاسم الرتيئة وارتثا اللبن خثر وروى ابن ماجة نا محمد بن عبد الله بن نمير نا ابو نعيم بن بكير نا
هشام بن عروة عن ابيه عن عايشة قالت كانت اي تعالجني للسمنة تريدان تدخلني على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فما استقام لها ذلك حتى اكلت الرطب بالقثا فسمنت كاحسن سمنة وهذا اسناد صحيح قوله تعالى وفومها
اختلف في الفوم فقيل هو الثوم لانه المشاكل للبصل رواه جبير عن الضحاك والثابت كما ذكرنا لما مر فاير ومعاثير
وجدث وجدف للقبر وقرا ابن مسعود وثومها بالثا المثلثة وروي ذلك عن ابن عباس وقال امية بن ابي الصلت

• كانت منازلهم اذ ذاك ظاهرة • فيها الفراديس والفومان والبصل •

الفراديس واحدها فردیس وكرم مفردس اي معرش وقال حسان

• وانتم اناس لئام الاصول • طعامكم الفوم والحوفل •

يعني الثوم والبصل وهو قول الكسائي والفرين شميل وقيل الفوم الحنطة روى عن ابن عباس ايضا واكثر المفسرين
واختاره النحاس قال وهو اولى ومما قاله على واسانيده وليس جوبير بنظير لروايته وان كان الكسائي والفرا
قد اختارا القول الاول لان العرب الفامن لشا والابدال لا يقاس عليه وليس ذلك بكثير في كلام العرب
وانشد ابن عباس رجلا سأله وانه الحنطة قول احيحة بن الجلاح

• قد كنت اغنى الناس شخصا واحدا • ورد المدينة عن زراعة فوم •

وقال ابو اسحاق الزجاج وكيف يطلب الفوم طعاما لا برفيه والبر اصل الغذا وقال الجوهري ابو نصر الفوم
الحنطة وانشد الاخفش • قد احسبني كاغنى واحد • نزل المدينة عن زراعة فوم •

وقال ابن زيد الفومة الحنطة وانشد ... وقال ربيعهم لما اتانا ... بكفه فومة او فومتان

والهاء في كفه غير مشبعة وقال بعضهم الفوم الحمص لغة شامية وبابعه فاي مغير عن هوي لانهم يغيرون في النسب كما قالوا اشهلي ودهري ويقال هو من الناي اختبروا قال الفراء لغة قديمة وقال عطاء قناة القوم كلهم يختبز

مسئلة اختلف العلماء في اكل البصل والثوم وماله رايحة كريهة من سائر البقول فذهب جمهور العلماء الى اباحة ذلك للاحاديث الثابتة في ذلك وذهبت طائفة من اهل الظاهر المقايسين بوجوب الصلاة في الجماعة وههنا الى المنع وقالوا كلما منع من اتيان الفرض والقيام به حرام عمله والتشاغل به واحتجوا بان رسول الله صلى الله عليه وسلم سماها خبيثة والله عز وجل قد وصف نبيه عليه السلام بانه يحرم الخبايث ومن الحجة للجمهور ما ثبت عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم اتى بقدر فيه خضرات من بقول فوجد لها ريحا قال فاخبر بما فيها من البقول فقال قربوها الى بعض اصحابه كان معه فلما راه كره اكلها قال كل فاني اناجي من لا تناجي اخرجه مسلم وابو داود فهذا بين في الخصوص له والاباحة لغيره وفي صحيح مسلم عن ابي ايوب ان النبي صلى الله عليه وسلم نزل على ابي ايوب فصنع للنبي صلى الله عليه وسلم طعاما فيه ثوم فلما رد اليه سال عن موضع اصابع النبي صلى الله عليه وسلم فقيل له لم ياكل فترع وصعد اليه فقال احرام هو فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا ولكن اكرهه قال فاني اكره ما تكره او ما كرهت قال وكان النبي صلى الله عليه وسلم يوتى يعني ياتيه الوحي فهذا نص على عدم التحريم وكذلك ما رواه ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم حين اكلوا الثوم ثم خيبر وقتها ايها الناس انه ليس في تحريم ما احل الله ولكنها شجرة اكره ريحها فهذه الاحاديث تشعر بان الحكم خاص به او هو المخصوص بمناجاة الملك لكن قد علل هذا الحكم في حديث جابر بما يقتضي التسوية بينه وبين غيره في هذا الحكم حيث قال من اكل من هذه البقلة الثوم وقال مرة من اكل البصل والثوم والكراث فلا يقربن مسجدنا فان الملايكة تتاذى مما يتاذى منه بنو ادم وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث فيه طويل ايها الناس انكم تاكلون شجرتين لا ارى هما الا خبيثتين هذا البصل والثوم لقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وجد ريحهما من الرجل في المسجد امر به فاخرج الى البقيع فمن اكلهما فليمتهما طبخا اخرجه مسلم قوله تعالى وعدسها وبصلها العدس معروف والعدسة بثرة تخرج بالانسان وربما قتلت وعدس زجر للبغال قال

عدس ما لعباد عليك امارة ... نجوت وهذا تحملين طليق

والعدس شدة الوطء والكدح ايضا يقال عدسه وعدس في الارض ذهب فيها وعدست اليه المنية اي سارت قال الكميت

اكلفها هول الظلام ولم ازل ... اخا الليل معدوسا الى وعاديا

اي يسار الى بالليل وعدس لغة في خدس قاله الجوهري ويوثر عن النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعا حديث على انه قال عليكم بالعدس فانه مبارك مقدس وانه يرقق القلب ويكثر الدمعة فانه بارك فيه سبعون نبيا اخرهم عيسى بن مريم ذكره الثعلبي وغيره وكان عمر بن عبد العزيز ياكل يوما خبز البر يابس ويوما بالخل ويوما بالزيت ويوما بعدس قال الحليمي والعدس والزيت طعام الصالحين ولو لم يكن له فضيلة الا انه ضيافة ابراهيم عليه السلام في مدينة لاخلو منه لكان فيه كفاية وهو مما يخفف الكبد فيخف للعبادة ولا تثور منه الشهوات كما تثور من اللحم والحنطة من جملة الحبوب وهي القوم على الصحيح والشعير قريب منها وكان طعام اهل المدينة كما العدس من طعام قرية ابراهيم عليه السلام فصار لكل واحد من الجنسين باخذ النبيين عليهما السلام فضيلة وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشبع هو واهله من خبز بر ثلاثة ايام متتابعة منذ دخل المدينة الى ان توفاه الله عز وجل قوله تعالى انستبدلون الذي هو ادنى هو اي خير الاستبدال وضع الشيء موضع الاخر ومنه البدل وقد تقدم وادنى ماخوذ عند الزجاج من الدنو اي القرب في القيمة من قولهم ثوب مقارب اي قليل الثمن وقال علي بن سليمان هو مهموز من الدنيء البين الدناءة بمعنى الاخس لانه خفف همزته وقيل هو ماخوذ من الدون اي الاحط فاصله ادون افعل قلبت فيه الواو الفا ثم نظر فيها وقرى في الشواذ ادنى ومعنى الاية انستبدلون البقل والقثاء والفوم والعدس والبصل الذي هو ادنى بالمن والسلوى الذي هو خير واختلف في الوجوه التي توجب فضل المن والسلوى على الثمي الذي طلبوه وهي خمس الاول ان البقول لما كانت لا خطر لها بالنسبة الى المن والسلوى كانا افضل قاله الزجاج الثاني لما كان المن والسلوى طعاما من الله به عليهم وامرهم باكله وكان في استدامة امر الله وشكر نعمته اجر وذخر في الاخرة والذي طلبوه عار عن هذه الخصال كان ادنى في هذا الوجه الثالث لما كان ما من به عليهم اطيب والذ من الذي سالوه كان ما سالوه ادنى من هذا الوجه لا محالة الرابع لما كان ما اعطوه لا كلفة فيه ولا تعب والذي طلبوه لا يحصل الا بالحرث والزراعة والتعب كان ادنى الخامس لما كان ما يترل عليهم لا مرية في حله وخلوصه لانه من عند الله والحبوب والارض يتخللها البيوع والغصوب وقد دخلها الشبه كانت ادنى في هذا الوجه مسئلة في هذه الاية دليل على جواز اكل الطيبات والمطاعم المستلذات وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحب الحلوى والعسل ومشرب الماء البارد العذب وسياتي هذا المعنى في المائدة والنحل ان شاء الله مستوفى وقوله تعالى اهبطوا مصرا تقدم معنى الهبوط وهذا امر معناه التعجيز كقوله تعالى قل كونوا حجارة او حديدا لانهم كانوا في التيه وهذا

عقوبة لهم وقيل انهم اعطوا ما طلبوه ومصرا بالتنوين منكرا قراءة الجمهور وهو خط المصحف قال مجاهد وغيره مصرفيها اراد مصرا من الامصار غير معين وروى عكرمة عن ابن عباس في قوله اهبطوا مصرا قال مصرا من هذه الامصار وقالت طايفة مصر فيها ايضا اراد مصرا معروفا بعينه لان الارض لهم بها اقتضاه ظاهر القران من امرهم دخول القرية وبما تظاهرت به الرواية انهم سكنوا الشام بعد التيه واستدل لهذا الحرف بما في القران من ان الله اورث بني اسرايل ديار الفرعونية واثارهم والحاذر هو الحاذق قاله الاخفش والكسائي الحفيظ لها وشبهها بعد وعدو والشد

لم تلتفع بفضل ميزرها عد ... ولم تسق وعدي العلب

جمع بين اللغتين وسيبويه والخليل والفراء لا يجيزون ذلك لانك لو سميت امراة بزيد لم تصرف وقال غير الاخفش اراد المكان فصرف وقرا الحسن وابان بن ثعلب وطلحة مصرا بترك الصرف وكذلك هي في مصحف ابي بن كعب وقراة ابن مسعود وقال ابو حاتم مصر غوث قال الشهاب قال في مالك هي عندي مصر فرعون سميت بمسكن فرعون ذكره ابن عطية والمصر اصله في اللغة الحد وسمي الحاكم مصرا لانه يحد ويمنع وبها قال ابن فارس ويقال ان اهل هجر يكتبون في شروطهم اشترى فلان الدار بحدودها اي حدودها قال عدي

وجاعل الشمس مصر الا حضابه ... بين الضراء وبين الليل قد فصلا

قوله تعالى فان لكم ما سالتم ما نصب بان وفي اعرابه وثاب والنحي سالتم بكسر السين يقال سلت وسلت بغير همز وهو مرة وات الواو يدل قولهم يتساولان ومعنى ضربت عليهم الذلة والمسكنة اي لزمتهم وقضي عليهم بهما ماخوذ من ضرب القباب قال القزدق بن جرير

ضرب عليك العنكبوت بنسجها ... وقضى عليك به الكتاب المنزل

وضرب الحاكم على البداي حكم والزم الصغار والمسكنة الفقر فلا يوجد يهودي وان كان غنيا الا وفي من زي الفقر وخضوعه وممانته وقيل الذلة فرض الجزية عن الحسن وقتادة والمسكنة الخضوع وهما ماخوذة من السكون اي فلل الفقر حركته قاله الزجاج وقال ابو عبيدة الذلة الصغار والمسكنة مصدر المسكين وروى الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس وضربت عليهم الذلة والمسكنة فالاكثر اصحاب النبالات وقوله تعالى وباؤا اي انقلبوا ورجعوا به اي لزمهم ذلك ومنه قول علية السلام وقد عاد ومناجاته ابوء بنعمتك علي اي اقربها واذعن بها تقسي ه واصله في اللغة الرجوع يقال باء بكذا اي رجع به وبا الى المباءة وهي المنزل اي رجع والبوا الرجوع بالفقود وهم في هذا الامر بوا اي سوا لا يرجعون فيه الى معنى واحد قال الشاعر

الا يبتغي عند الملوك وتتقي ... محارمنا لا يبوء الدم بالدم

اي لا يرجع الدم بالدم في القود وقال

فابوا بالنهاب وبالسبايا ... وانبا بالملوك مصفدينا

اي رجعوا ورجعنا وقد تقدم معنى الغضب في الفاتحة وقوله تعالى وذلك تعليل بانهم كانوا يكفرون اي يكذبون باياات الله اي بكتابه ومعجزات انبيايه ويقتلون معطوف على يكفرون وروى عن الحسن يقتلون وعنه ايضا كالجماعة وقرا نافع النبيين بالهمز حيث وقع في القران الا في موضعين في سورة الاحزاب ان وهبت نفسها للنبي ان اراد ولا تدخلوا بيوت النبي الاية فانه قرا بلا مد ولا همز وانما ترك همز هذين لاجتماع همزتين مكسورتين وترك الهمز في جميع ذلك التباعون فاما من همز فهو عنده من نبا اذا اخبر واسم فاعله مبني ويجمع بني انبيا وقد جاء في جمع نبي نبا قال العباس بن مرداس يمدح النبي صلى الله عليه وسلم

يا خاتم النباء انك مرسل ... بالحق كل هدى السبيل هداكا

هذا معنى قراة الهمز واختلف القايلون بترك الهمز فمنهم من اشتق اشتقاق من همز نشر سهل الهمز ومنهم من قال هو مشتق من نبا ينبو اذا ظهر فالنبي من النبوة وهو الارتفاع فمنزلة النبي رفيعة والنبي بترك الهمز ايضا الطريق فسمي الرسول نبيا لانه هتدا الخلق به كالطريق قال النابغة

لاصبح رثماء قاق الحصى ... مكان النبي من الكاتب

رثمت الشيء كسرته يقال رثم انفه ورثمه بالتا والثا جميعا والرثم ايضا المرثوم اي المكسور والكاتب اسم جبل فالانبيا لنا كالسبل في الارض ويروى ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم السلام عليك يا نبي الله وهمز فقال النبي صلى الله عليه وسلم لست بنبي الله وهمز ولكني نبي الله ولم يهمز قالا ابو علي ضعيف سند هذا الحديث وما يقوي ضعفه انه عليه السلام قد انشده المادح يا خاتم النباء ولم يوثر في ذلك انكار قوله تعالى بغير الحق تعظيم للشنعة والذنب الذي اتوه فان قيل هذا دليل على انه قد صح ان يقتلوا بالحق ومعلوم ان الانبيا معصومون من ان يصدر منهم ما يقتلون به قيل له ليس كذلك وانما خرج هذا مخرج الصفة لقتلهم انه ظلم وليس بحق فكان هذا تعظيما للشنعة عليهم ومعلوم انه لا يقتل نبي بحق ولكن يقتل على الحق فخرج قوله بغير الحق عن شنعة الذنب ووضوحه ولم يات نبي قط بشيء يوجب قتله فان قيل كيف جاز ان يخلي بين الكافرين

وقتل الانبيا قيل ذلك كرامة لهم وزيادة في منازلهم كمن يقتل في سبيل الله من المؤمنين وليس ذلك
بخذلان لهم قال ابن عباس والحسن لم يقتل قط من الانبيا الا من لم يومر بقتال وكل من امر بقتال
نصر قوله تعالى ذلك بما عصوا ذلك رد على الاول وتاكيد للاشارة اليه والبا في بما بالسبب
قال الاخفش اي بعصيانهم والعصيان خلاف الطاعة واعتصت التوراة اذا اشتدت والاعتدا تجاوز
الحد في كل حد وعرفه في الظلم والمعاصي قوله تعالى ان الذين امنوا والذين هادوا الاية فيه ثمان مسايل
الاولى قوله تعالى ان الذين امنوا اي صدقوا محمدا صلى الله عليه وسلم وقال سفيان المراد المنافقون كانه
قال الذين امنوا في ظاهر امرهم فلذلك قرنهم باليهود والنصارى والصابيين ثم بين حكم من امن بالله
واليوم الاخر من جميعهم الثانية قوله تعالى والذين هادوا معناه صاروا يهودا نسبوا الى يهوذا وهو
اكبر ولد يعقوب عليه السلام فقلبت العرب الذال دالا لان الاعجمية اذا عربت غيرت عن لفظها
وقيل سموا بذلك لتوبتهم من عبادة العجل هاد تاب والهايد التايب قال الشاعر اني امرؤ من حبه هايد
اي تايب وفي التنزيل انا هدنا اليك اي تبنا وهاد القوم يهودون هودا وهيادة اذا تابوا وقال ابن
عرفة هدنا اليك اي سكنا الى امرك والهوادة السكون والموادة قال ومنه قوله ان الذين امنوا والذين
هادوا وقرا ابن السماك هادوا بفتح الدال الثالثة قوله تعالى والنصارى جمع واحده نصراني وقيل
نصران باسقاط اليا وهذا قول سيبويه والانثى نصرانة كندمان وندمانة وهو نكرة يعرف بالالف واللام
قال الشاعر

صدت كما صد عما لا يحل له ... ساقي نصارى قبيل الصبح صوام

وصفه بالنكرة وقال الخليل واحد النصارى نصري كمهري ومهاري وانشد سيبويه شاهدا على قوله

تراه اذا دار العشا متحنفا ... ويضحي لديه وهو نصران شامس

وانشد

فكلتاهما خرت واسجد راسها ... كما سجدت نصرانة لم تحنف

يقال اسجد اذا مال ولكن لا يستعمل نصران ونصرانة الا بيا النسب لانهم قالوا رجل نصراني وامراة نصرانية
ونصره جعله نصرانيا وفي الحديث فابواه يهودانه وينصرانه وقال عليه السلام لا يسمع بي احد من هذه الامة
يهودي ولا نصراني ثم لم يومن بالذي ارسلت به الا كان من اصحاب النار وقد جات جموع على غير ما يستعمل واحدها
وقياسه النصرانيون ثم قيل سموا بذلك لقرية تسمى ناصرة كان ينزلها عيسى عليه السلام فنسب اليها فقيل
عيسى الناصر فلما نسب اصحابه اليه قيل النصارى قاله ابن عباس وقتادة وقال الجوهري ونصران قرية
بالشام ينسب اليها النصارى وقيل ناصرة وقيل سموا بذلك لنصرة بعضهم بعضا قال الشاعر

لما رايت نبطا انصارا ... شمرت عن ركبتي الازارا
كنت لهم من النصارى جارا

وقيل سموا بذلك لقوله من انصاري الى الله الرابعة قوله تعالى والصابيين جمع صابي وقيل صاب ولذلك
اختلفوا في همزه وهمزه الجمهور الا نافعا فمن همزه جعله من صبات النجوم اذا طلعت وصبات ثنية الغلام
اذا خرجت ومن لم يهمز جعله من صبا يصبو اذا مال فالصابي في اللغة من خرج ومال من دين الى دين ولهذا كانت
العرب تقول لمن اسلم قد صبا فالصابيون قد خرجوا من دين اهل الكتاب الخامسة لا خلاف في ان اليهود والنصارى
اهل كتاب ولاجل كتابهم جاز نكاح نسايهم واكل طعامهم على ما ياتي بيانه في المايدة وضرب الجزية عليهم على ما ياتي
في سورة براة ان شا الله واختلف في الصابيين فقال السدي هم فرقة من اهل الكتاب وقاله اسحاق بن
راهويه قال ابن المنذر وقال اسحاق لا باس بذبايح الصابيين لانهم طايفة من اهل الكتاب وقال ابو حنيفة
لا باس بذبايحهم ومناكحة نسايهم وقال الخليل هم قوم يشبه دينهم دين النصارى الا ان قبلتهم نحو مهب الجنوب
يزعمون انهم على دين نوح عليه السلام وقال مجاهد والحسن وابن ابي نجيح هم قوم تركب دينهم بين اليهودية والمجوس
لا تؤذ بايحهم ابن عباس ولا تنكح نساوهم وقال الحسن ايضا وقتادة هم قوم يعبدون الملايكة ويصلون الى القبلة
ويقرون الزبور ويصلون الخمس راهم زياد بن ابي سفيان فاراد وضع الجزية عنهم حتى عرف انهم يعبدون الملايكة
والذي تحصل من مذهبهم فيما ذكره بعض العلما انهم موحدون يعتقدون تاثير النجوم وانها فعالة ولهذا افتى
ابو سعيد الاصطخري بكفرهم القادر بامر الله حين ساله عنهم السادسة قوله تعالى من امن اي صدق ومن في
قوله من امن في موضع نصب بدل من الذين والفا في قوله فلهم داخلة بسبب الابهام الذي في من ولهم اجرهم ابتدا
وخبر في موضع خبر ان ويحسن ان تكون من في موضع رفع بالابتدا ومعناها الشرط وامن في موضع جزم
بالشرط والفا الجواب ولهم اجرهم خبر من والجملة كلها خبر ان والعايد على الذين محذوف تقديره من امن منهم
وفي الايمان بالله واليوم الاخر اندراج الايمان بالرسل والكتب والبعث السابعة ان قال قايل لم جمع
الضمير في قوله تعالى لهم اجرهم وامن لفظ مفرد ليس بجمع وانما كان يستقيم لو قال له اجره فالجواب
ان من يقع على الواحد والتثنية والجمع فجايز ان يرجع الضمير مفردا ومثنى ومجموعا قال الله تعالى ومنهم من
يستمعون اليك على المعنى وقال ومنهم من يستمع اليك على اللفظ قال الشاعر

الما بسلمى عنكما ان عرضتما ... وقولا لها عوجي على من تخلفوا

وقال الفرزدق

تعال فان عاهدتني لا تخونني ... تكن مثل من يا ذيب يصطحبان

فحمل على المعنى ولو حمل على اللفظ لقال يصطحب ويتخلف وقال الله تعالى ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات
فحمل على اللفظ ثم قال خالدين فحمل على المعنى ولو حمل على اللفظ لقال خالدا فيها واذا جرى ما بعدها على المعنى لم
يجز ان يخالف به بعد على اللفظ لان الالباس يدخل في الكلام وقد مضى الكلام في قوله تعالى فلا خوف عليهم
ولا هم يحزنون والحمد لله الثامنة روى عن ابن عباس ان قوله ان الذين امنوا والذين هادوا الاية منسوخة
بقوله تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وقال غيره ليست بمنسوخة وهي فيمن ثبت على ايمانه
من المومنين بالنبي عليه السلام قوله تعالى واذ اخذ ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور هذه الاية تفسر معنى قوله
تعالى واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة قال ابو عبيدة معناه زعزعناه فاستخرجناه من مكانه قال وكل شي
قلعته فرميت به فقد نتقته وقيل نتقناه رفعناه قال ابن الاعرابي الناتق الرافع والناتق الباسط والناتق
الفاتق وامراة ناتق ومنتاق كثيرة الولد وقال القتبي اخذ ذلك من نتق السقا وهو نفضه حتى تقتلع الزبدة
منه قال وقوله واذ نتقنا الجبل كانه قلع من اصله واختلف في الطور فقيل الطور اسم للجبل الذي كلم الله عليه
موسى عليه السلام وانزل عليه فيه التوراة دون غيره رواه ابن جريج عن ابن عباس وروى الضحاك عنه ان الطور
ما انبت من الجبال خاصة دون ما لم ينبت وقال مجاهد وقتادة اي جبل كان الا مجاهدا قال هو اسم لكل جبل بالسريانية
وقاله ابو العالية وقد مضى الكلام هل وقع في القران الفاظ مفردة غير معربة من غير كلام العرب في مقدمة
الكتاب والحمد لله وزعم البكري انه سمي بطور بن اسمعيل عليه السلام القول في سبب رفع الطور وذلك
ان موسى عليه السلام لما جا بني اسرايل من عند الله بالالواح فيها التوراة قال لهم خذوها والتزموها فقالوا لا
الا ان يكلمنا الله بها كما كلمك فصعقوا ثم احيوا فقال لهم خذوها فقالوا لا فامر الله الملايكة فاقتلعت
جبلا من جبال فلسطين طوله فرسخ في مثله وكذلك كان عسكرهم فجعل عليهم مثل الظلة واوتوا ببحر من خلفهم
ونار من قبل وجوههم وقيل لهم خذوها وعليكم الميثاق الا تضيعوها والا سقط عليكم الجبل فسجدوا توبة
لله واخذوا التوراة بالميثاق قال الطبري عن بعض العلما لو اخذوها اول مرة لم يكن عليهم ميثاق وكان سجودهم
على شق لانهم كانوا يرقبون الجبل خوفا فلما رحمهم الله قالوا لا سجدة افضل من سجدة يقبلها الله ورحم بها
فامروا سجودهم على شق واحد قال ابن عطية والذي لا يصح سواه ان الله تعالى اخترع وقت سجودهم الايمان
لا انهم امنوا كرها وقلوبهم غير مطمينة بذلك قوله تعالى خذوا اي فقلنا خذوا فحذف ما اتيناكم اعطيناكم
بقوة اي بجد واجتهاد قاله ابن عباس وقتادة والسدي وقيل بنية واخلاص مجاهد القوة العمل بما فيه وقيل
بكثرة درس واذكروا ما فيه اي تدبروه واحفظوا اوامره ووعيده ولا تنسوه ولا تضيعوه قلت هذا هو المقصود
من الكتب العمل بمقتضاها لا تلاوتها باللسان وتزيينها فان ذلك نبذ لها على ما قاله الشعبي وابن عيينة وسياتي
قولهما عند قوله تعالى نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب وقد روى النساي عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ان من شر الناس رجلا فاسقا يقرا القران لا يرعوي الى شي منه فبين صلى الله عليه وسلم ان المقصود
العمل كما بينا وقال مالك قد يقرا القران من لا خير فيه فما لزم اذا من قبلنا واخذ عليهم لازم لنا وواجب علينا قال
الله عز وجل واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم فامرنا باتباع كتابه والعمل بمقتضاه لكن تركنا ذلك كما
تركت اليهود والنصارى وبقيت اشخاص الكتب والمصاحف لا تفيد شيا لغلبة الجهل وطلب الرياسة
واتباع الهوى روى الترمذي عن جبير بن نفير عن ابي الدردا قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فشخص ببصره
الى السما ثم قال هذا اوان يختلس فيه العمل من الناس حتى لا يقدروا منه على شي فقال زياد بن لبيد الانصاري
كيف يختلس منا وقد قرانا القران فوالله لنقرانه ولنقرينه نسانا وابنانا فقال ثكلتك امك يا زياد ان كنت
لاعدل من فقها المدينة هذه التوراة والانجيل عند اليهود والنصارى فماذا تغني عنهم وذكر الحديث وسياتي
وخرجه النساي من حديث جبير بن نفير ايضا عن عوف بن مالك الاشجعي من طريق صحيحة وان النبي صلى الله عليه
وسلم قال لزياد ثكلتك امك يا زياد هذه التوراة عند اليهود والنصارى وفي الموطا عن عبد الله بن مسعود
قال لانسان انك في زمان كثير فقهاوه قليل قراوه يحفظ فيه حدود القران ويضيع حروفه قليل من يسال
كثير من يعطي يطيلون الصلاة ويقصرون الخطبة يبدون لله اعمالهم قبل اهوايهم وسياتي على الناس زمان
قليل فقهاوه كثير قراوه يحفظ فيه حروف القران وتضيع حدوده كثير من يسال قليل من يعطي يطيلون
الخطبة ويقصرون الصلاة يبدون اهواهم قبل اعمالهم وهذه نصوص تدل على ما ذكرناه وقد قال يحيى سالت
ابن نافع عن قوله يبدون اهواهم قبل اعمالهم قال يقول يتبعون اهواهم ويتركون العمل بالذي افترض
عليهم وتقدم القول في معنى قوله لعلكم تتقون فلا معنى لاعادته وقوله تعالى ثم توليتم تولى تفعل
واصله الاعراض والادبار عن الشي بالجسم ثم استعمل في الاعراض عن الامور والاديان والمعتقدات اتساعا

ومجازا وقوله من بعد ذلك اى من بعد البرهان وهو اخذ الميثاق ورفع الجبل وقوله فلولا فضل الله عليكم فضل مرفوع بالابتدا عند سيبويه والخبر محذوف لا يجوز اظهاره لان العرب استغنت عن اظهاره الا انهم اذا اراد واظهاره جاوا بان فاذا جاوا بها لم يجدوا الخبر والتقدير فلولا فضل الله تداركم ورحمته عطفا على فضل اى لطفه به وامهاله لكنتم جواب لولا من الخاسرين خبر كنتم والخسران النقصان وقد تقدم وقيل فضله قبول التوبة ورحمته العفو والفضل الزيادة على ما وجب والافضال ما لم يجب قالا ابن فارس فى المجمل الفضل الزيادة والخير والافضال الاحسان قوله تعالى ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت فيه سبع مسايل الاولى قوله تعالى ولقد علمتم الذين علمتم معناه عرفتم اعيانهم وقيل علمتم احكامهم والفرق بينهما ان المعرفة متوجهة الى ذات المسمى والعلم متوجه الى الاحوال المسمى فاذا قلت عرفت زيدا فالمراد شخصه واذا قلت علمت زيدا فالمراد العلم باحواله من فضل ونقص فعلى الاول يتعدى الفعل الى مفعول واحد وهو قول سيبويه علمتم بمعنى عرفتم وعلى ذلك قوله تعالى الله يعلم وانتم لا تعلمون اى لا تعرفونهم وحكى الاخفش ولقد علمت زيدا ولم ار له على هذا التاويل شاهدا والمعنى عندى والله اعلم ولقد علمتم اعتدوا منكم فى السبت صلة الذين والاعتداء التجاوز وقد تقدم الثانية روى النسائى عن صفوان بن عسال قال قال يهودى لصاحبه اذهب بنا الى هذا النبى فقال له صاحبه لا تقل نبى لو سمعك فان له اربعة اعين فاتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وساله عن تسع ايات بينات فقال لهم لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ولا تمشوا ببرى الى سلطان ولا تسحروا ولا تاكلوا الربا ولا تقذفوا المحصنة ولا تولوا يوم الزحف وعليكم خاصة ان لا تعدوا فى السبت فقبلوا يديه ورجليه فقالوا نشهد انك نبى قال فما يمنعكم تتبعونى قالوا ان داود عاب ان لا يزال من ذريته نبى واما نحن فان اتبعناك ان يقتلنا يهود وخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وسيانى لفظه فى سورة سبحان ان شا الله تعالى الثالثة فى السبت معناه فى يوم السبت ويحتمل ان يريد فى حكم السبت والاول قول الحسن وانهم اخذوا فيه الحيتان على جهة الاستحلال وروى اشهب عن مالك قال زعم ابن رومان انهم كانوا ياخذ الرجل منهم حيطا ويضع فيه وهقه والقاها فى ذنب الحوت وفى الطرف الاخر من الحيط وتد وتركه كذلك الى الاحد ثم تطرق الناس حين راوا من صنع لا يبتلى حتى كثر صيد الحوت ومشى به فى الاسواق واعلن الفسقة بصيده فقامت فرقة فنهت وجاهرت بالنهى واعتزلت وقالا ان الناهين قالوا لا انساكنكم ففسموا القرية بجدار فاصبح الناهون ذات يوم فى مجالسهم ولم يخرج من المعتدين احد فقالوا ان للناس لشانا فعلوا على الجدار فنظروا فاذا هم قردة فقفزوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت القردة انسبائها من الانس ولا تعرف الانس انسبائها من القردة فجعلت القردة تاتى نسيبها من الانس فتشم ثيابه وتبكى فتقول الم ننهكم فتقول براسها نعم قال قتادة صار الشبان قردة والشيوخ خنازير فما نجا الا الذين نهوا وهلك سايرهم وسيانى فى الاعراف قول من قال انهم كانوا ثلاث فرق وهو اصح من قول من قال انهم لم يفترقوا فرقتين والله اعلم والسبت ماخوذ من السبت وهو القطع فقيل ان الاشيا فيه سبتت وتمت خلقتها وقيل هو ماخوذ من السبوت الذى هو الراحة والدعة واختلف العلما فى الممسوخ هل ينسل على قولين قال الزجاج قالت قوم يجوز ان تكون هذه القردة منهم واختار ابو بكر بن العربى وقال الجمهور الممسوخ لا ينسل وان القردة والخنازير وغيرها كانت قبل ذلك والذين مسخهم الله قد هلكوا ولم يبق لهم نسل لانه قد اصابهم السخط والعذاب فلم يكن لهم قرار فى الدنيا بعد ثلاثة ايام قال ابن عباس لم يعش مسخ قط فوق ثلاثة ايام ولم ياكل ولم يشرب ولم ينسل قال ابن عطية وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم وثبت ان المسوخ لا تنسل ولا تاكل ولا تشرب ولا تعيش اكثر من ثلاثة ايام قلت هذا هو الصحيح من القولين واما ما احتج به ابن العربى وغيره على صحة القول الاول من قوله صلى الله عليه وسلم فقد زنت امة من بنى اسرايل لا يدرى ما فعلت ولا اراها الا القرد والخنزير وفى الضب لا ادرى لعله واذا اوضع لها البان الشا شربته رواه ابو هريرة اخرجه مسلم وحديث الضب رواه مسلم ايضا عن ابى سعيد وجابر قال جابر اتى النبى صلى الله عليه وسلم بضب فابى ان ياكل منه وقال لا ادرى لعله من القرون التى مسخت فتاول على ما بانى قال ابن العربى وفى البخارى عن عمرو بن ميمون انه قال رايت فى الجاهلية قردة قد زنت وسقط زنت فرجموها فرجمتها معهم ثبت فى بعض نسخ البخارى وسقط فى بعضها وثبت فى نص الحديث قد زنت وسقط هذا اللفظ عند بعضهم قال ابن العربى فان قيل وكان البهايم بقيت فيهم تعارف الشرايع حتى وربوها خلفا عن سلف الى زمان عمرو قلنا نعم كذلك كان لان اليهود غير والرجم فاراد الله ان يبقيه فى ممسوخهم حتى يكون ابلاغا فى الحجة عليهم انكروه من ذلك وغيره ومحتى تشهد عليهم كتبهم واخبارهم وممسوخهم حتى يعلموا ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ويحصى ما يبدلون وما يغيرون ويقيم عليهم الحجة من حيث لا يشعرون وينصر نبيه عليه السلام وهم لا يبصرون قلت هذا كلامه فى الاحكام ولا حجة فى شئ منه اما ما ذكر من قصة عمرو فقد ذكر الحميدى فى جمع الصحيحين حكى ابو مسعود الدمشقى ان لعمرو بن ميمون الاودى فى الصحيحين حكاية

الاية ح

بعود ح

فعام

من رواية حصين عنه قال رايت فى الجاهلية قردة اجتمع عليها قردة فرجموها فرجمتها معهم كذا حكى ابو مسعود ولم يذكر فى اى موضع اخرجه البخارى من كتابه فبحثنا عن ذلك فوجدناه فى بعض النسخ لا فى كلها فذكر فى كتاب ايام الجاهلية وليس فى رواية النعيمى عن الفربرى اصلا شئ من هذا الخبر فى القردة ولعلها من المحاق فى كتاب البخارى والذى قال البخارى فى التاريخ الكبير قال لى نعيم بن حماد اخبرنا هشيم عن ابى بلج وحصين بن عمرو بن ميمون قال رايت فى الجاهلية قردة اجتمع عليها قردة فرجموها فرجمتها معهم وليس فيه قد زنت فان صحت هذه الرواية فانما اخرجها البخارى دلالة على ان عمرو بن ميمون قد ادرك الجاهلية ولم يرها بل ظنه الذى ظنه فى الجاهلية وذكر ابو عمر فى الاستيعاب عمرو بن ميمون وان كنيته ابو عبد الله معدود فى كبار التابعين من الكوفيين وهو الذى راى الرجم فى الجاهلية من اصح ذلك لان رواته مجهولون وقد ذكر البخارى عن نعيم عن هشيم عن حصين عن عمرو بن ميمون الاودى مختصرا قال رايت فى الجاهلية قردة زنت فرجموها يعنى القردة فرجمتها معهم ورواه عباد بن العوام عن حصين كما رواه هشيم مختصرا واما القصة بطولها فانما تدور على عبد الملك بن مسلم عن عيسى بن حطان وليسا ممن يحتج بهما وهذا عند جماعة اهل العلم منكر اضافة الزنا الى غير مكلف واقامة الحدود فى البهايم ولو صح لكانوا من الجن لان العبادات فى الانس والجن دون غيرهما واما قوله عليه السلام فى حديث ابى هريرة ولا اراها الا الفار وفى الضب لا ادرى لعله من القرون التى مسخت وما كان مثله فانما كان خلقا وحوقا لان يكون الضب والفار وغيره مما مسخ فكان هذا احد سببا صلى الله عليه وسلم قبل ان يوحى اليه ان الله لم يجعل لمسخ نسلا فلما اوحى اليه تلك زال عنه ذلك التخوف وعلم ان الضب والفار ليسا مما مسخ وعند ذلك اخبر انا بقوله صلى الله عليه وسلم لمن ساله عن القردة والخنازير هى مما مسخ فقال ان الله لم يهلك قوما او يعذب قوما فيجعل لهم نسلا وان القردة والخنازير كانوا قبل ذلك وهذا نص صريح صحيح رواه عبد الله بن مسعود اخرجه مسلم فى كتاب القدر وثبتت النصوص باكل الضب بحضرته وعلى مايدته ولم ينكر فدل على صحة ما ذكرنا والله توفيقنا وروى عن مجاهد فى تفسير هذه الاية انه انما مسخت قلوبهم فقط وردت افهامهم كافهام القردة لم يقله غيره من المفسرين فيما اعلم والله اعلم قوله تعالى فقلنا لهم كونوا قردة قردة خبر كان خاسئين نعت والى شئت جعلته خبرا ثانيا لكان وحالا من الضمير فى كونوا ومعناه مبعدين يقال اخسا نه فخسا وخسى وانخسا اى ابعده فبعد وقوله تعالى ينقلب اليك البصر خاسئا اى مبعدا وقوله اخسوا فيها اى تباعدوا وانباعد سخط قال الكسائى خسا الرجل خسوءا وخسانة خسا ويكون لما سى بمعنى الصاغر الفعل يقال قمؤ الرجل قماءة فهو قميا وهو الصاغر الذليل واتمامه صغرته وذللته فهو قمى على فعيل قوله تعالى فجعلناها نكالا لا نكالا لانصب على المفعول الثانى وفى المجعول نكالا اقاويل قيل العقوبة وقيل القرية اذ معنى الكلام يقتضيها وقيل الامة التى مسخت وقيل الحيتان وفيه بعد والنكال الزجر والعقاب والنكل والانكال القيود سميت نكالا لانها ينكل بها اى يمنع ويقال للجام الثقيل نكل ونكل لان الدابة تمنع به ونكل عن الامر ينكل ونكل ينكل اذا امتنع والتنكيل اصابة الاعدا بعقوبة تنكل من وراهم عن مجانبتهم وقال الازهرى النكال العقوبة ابن دريد والنكال الشئ الذى ينكل به الانسان قال • وارم على ما فيهم بمنكل •

لما بين يديها قال ابن عباس والسدى لما بين يدى المسخة ما قبلها من ذنوب القوم وما خلفها لمن يعمل بعدها مثل ذلك الذنوب قال الفرا جعلت المسخة نكالا لما مضى من الذنوب ولما يعمل بعدها لئلا يخافوا المسخ بذنوبهم وقال ابن عطية وهذا قول جيد والضميران للعقوبة وروى الحكم عن مجاهد عن ابن عباس لما خرج معهم ولمن ياتى بعدهم واختاره النحاس قال وهو اشبه بالمعنى والله اعلم وعن ابن عباس ايضا لما بين يديها وما خلفها من القرى وقال قتادة لما بين يديها من ذنوبهم وما خلفها من صيد الحيتان قوله تعالى وموعظة عطف على نكالا ووزنها مفعلة من الانقاظ والازدجار والوعظ التخويف والعظة الاسم قال الخليل الوعظ التذكير بالخير فيما يرق له قلبه قال الماوردى وخص المتقين وان كانت موعظة للعالمين لتقدم بها عن الكافرين المعاندين ابن عطية والملفوظ به كل مستق من كلامة وقال الزجاج وموعظة للمتقين لامة محمد صلى الله عليه وسلم ان ينتهكوا امرا حرمه الله جل وعز مما نهاهم عنه فيصيبهم ما اصاب اصحاب السبت اذا انتهكوا ما حرم الله فى سبتهم قوله تعالى واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى يامرهم هكذا عن ابى عمرو وانه قرا يامركم بالسكون وحذف الضمة من الراء لثقلها قال ابو العباس المبرد لا يجوز هذا لان الراء حرف الاعراب واما الصحيح عن ابى عمرو انه كان يختلس الحركة ان تذبحوا فى موضع نصب اى بان تذبحوا بقرة نصب بتذبحوا وقد تقدم معنى الذبح فلا معنى لاعادته الثانية قوله ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة مقدم فى التلاوة وقوله قتلتم نفسا مقدم فى المعنى على جميع ما ابتدا به من شان البقرة ويجوز ان يكون قوله قتلتم فى النزول مقدما والامر بالذبح موخرا ويجوز ان يكون ترتيب نزولها على حسب تلاوتها فكان

من زواية

٧٤

الله امرهم بذبح البقرة حتى ذبحوها ثم وقع ما وقع من امر القتل فامروا ان يضربوه ببعضها ويكون واذ قتلتم
مقدما في المعنى على القول الاول حسب ما ذكرنا لان الواو لا توجب الترتيب ونظيره في التنزيل في قصة نوح بعد
ذكر الطوفان وانقضائه في قوله حتى اذا جا امرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين الى قوله الا قليل
فذكر اهلاك من هلك منهم ثم عطف عليه بقوله وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها فذكر الركوب
متاخرا في الخطاب ومعلوم ان ركوبهم كان قبل الهلاك وكذلك قوله تعالى الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب
ولم يجعل له عوجا قيما وتقديره انزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا ومثله في القران كثير الثالثة
لا خلاف بين العلما ان الذبح اولى في الغنم والنحر اولى في الابل والتخيير في البقر وقيل الذبح اولى لانه الذي
ذكره الله ولقرب المنحر من الذبح قال ابن المنذر لا اعلم احدا حرم اكل ما نحر مما يذبح او ذبح مما ينحر وكره مالك
ذلك وقد يكره المرء الشي ولا يحرمه وسياتي في سورة المائدة احكام الذبح والذابح وشرايطهما عند قوله
تعالى الا ما ذكيتم مستوفى ان شا الله قال الماوردي وانما امروا والله اعلم بذبح بقرة دون غيرها لانها
من جنس ما عبدوه من العجل ليهون عندهم ما كانوا يرونه من تعظيمه وليعلم باجابتهم ما كان في نفوسهم
من عبادته وهذا المعنى علة في ذبح البقرة وليس بعلة في جواب السايل ولكن المعنى فيه ان يحيا القتيل
بقتل حي فيكون اظهر لقدرته في اختراع الاشيا من اضدادها الرابعة قوله تعالى بقرة البقرة اسم للانثى
والثور اسم للذكر مثل ناقة وجمل وامراة ورجل وقيل البقرة واحد البقر الانثى والذكر سوا واصله من قولك
بقر بطنه اي شقه فالبقرة تشق الارض بالحرث وتثيره ومنه الباقر لابي جعفر محمد بن علي زين العابدين لانه
بقر العلم وعرف اصله اي شقه والبقيرة ثوب يشق فتلقيه المراة في عنقها من غير كمين وفي حديث ابن عباس
في شان الهدهد فبقر الارض قال شمر بقر نظر موضع فراى الما تحت الارض قال الازهري البقر اسم للجنس
وجمعه باقر ابن عرفة يقال بقير وباقير وبيقور وقرا عكرمة وابن يعمر ان الباقر والثور واحد الثيران
والثور السيد من الرجال والثور القطعة من الاقط والثور الطحلب وثور جبل وثور قبيلة من العرب وفي
الحديث ووقت العشا ما لم يغب ثور الشفق يعني انتشاره يقال ثار يثور ثورا وثورانا اذا انتشر في الافق
وفي الحديث من اراد العلم فليثور القران قال شمر تثوير القران قراته ومقايسة العلما به قوله تعالى قالوا
اتتخذنا هزوا هذا جواب منهم لموسى عليه السلام لما قال لهم ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة وذلك انهم وجدوا
قتيلا بين اظهرهم قيل اسمه عاميل واشتبه امر قاتله عليهم ووقع بينهم خلاف فقالوا نقتتل ورسول
الله بين اظهرنا فاتوه وسالوه البيان وذلك قبل نزول القسامة في التوراة فسالوا موسى ان يدعو الله
فسال موسى عليه السلام ربه فامرهم بذبح بقرة فلما سمعوا ذلك من موسى وليس في ظاهره جواب عما سالوه
عنه واحتكموا فيه عنده قالوا اتتخذنا هزوا والهزو اللعب والسخرية وقد تقدم وقرا الجحدري ايتخذنا
بالياء اي قال ذلك بعضهم لبعض فاجابهم موسى عليه السلام بقوله اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين لان الخروج
عن جواب السايل المسترشد الى الهزو جهل فاستعاذ منه عليه السلام لانها صفة تنتفي عن الانبيا والجهل
نقيض العلم فاستعاذ من الجهل كما جهلوا في قولهم اتتخذنا هزوا لمن يخبرهم عن الله تعالى وظاهر هذا القول
يدل على فساد اعتقاد ممن قال ولا يصح ايمان من قال لنبي قد ظهرت معجزته وقال ان الله يامرك بكذا
اتتخذنا هزوا ولو قال ذلك اليوم احد عن بعض اقوال النبي صلى الله عليه وسلم لوجب تكفيره وذهب قوم الى
ذلك منهم على جهة غلظ الطبع والجفا والمعصية على نحو ما قال القايل للنبي صلى الله عليه وسلم في قسمة غنايم
حنين ان هذه لقسمة ما اريد بها وجه الله وكما قال له الاخر اعدل يا محمد وفي هذا كله ادل دليل على قبح الجهل
وانه مفسد للدين قوله تعالى هزوا هزوا مفعول ثاني ويجوز تخفيف الهمزة بجعلها بين الواو والهمزة
وجعلها حفص واوا مفتوحة لانها همزة مفتوحة قبلها ضمة فهي تجري على البدل كقوله السفها الا ويجوز
حذف الضمة من الزاي كما تحذفها من عضد فتقول هزا كما قرا اهل الكوفة وكذلك ولم يكن له كفوا احد وحكى
الاخفش عن عيسى بن عمر ان كل اسم على ثلاثة احرف اوله مضموم ففيه لغتان التخفيف والتثقيل نحو اليسر
والعسر والهزو ومثله ما كان من الجمع على فعل ككتب وكتب ورسل ورسل وعون وعون واما قوله تعالى
وجعلوا له من عباده جزا فليس مثل هزو وكفو لانه على فعل من الاصل على ما ياتي في موضعه ان شا الله تعالى
مسئلة في الاية دليل على منع الاستهزا بدين الله وبالمسلمين ومن يجب تعظيمه وان ذلك جهل وصاحبه
مستحق للوعيد وليس المزاح من الاستهزا بسبيل الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يمزح والايمة بعده
قال ابن خواز منداد وقد بلغنا ان رجلا تقدم الى عبيد الله بن الحسن وهو قاضي الكوفة فمازحه عبيد الله فقال
جبتك هذه من صوف نعجة او من صوف كبش فقال له لا تجهل ايها القاضي فقال له عبيد الله واين وجدت
المزاح جهلا فتلى عليه هذه الاية فاعرض عنه عبيد الله لانه جاهلا لا يعرف المزح من الاستهزا وليس
احدهما من الاخر بسبيل قوله تعالى قالوا ادع لنا ربك هذا تعنيت منهم وقلة طواعية ولو امتثلوا

الامر

الامر وذبحوا اي بقرة كانت لحصل المقصود لكنهم شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم قاله ابن عباس وابو
العالية وغيرهما ونحو ذلك روى الحسن البصري عن النبي صلى الله عليه وسلم ولغة بني عامر ادع وقد تقدم ويبين
مجزوم على جواب الامر ما هي ابتدا وخبر وماهية الشي حقيقته وذاته التي هو عليها قوله تعالى قال انه يقول
انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك في هذا دليل على جواز النسخ قبل وقت الفعل لانه لما امر ببقرة
اقتضى اي بقرة كانت فلما زاد في الصفة نسخ الحكم الاول بغيره كما لو قال في ثلاثين من الابل بنت مخاض
ثم نسخه بابنة لبون او حقة وكذلك هاهنا لما عين الصفة صار ذلك نسخا للحكم المتقدم والفارض
المسنة وقد فرضت تفرض فروضا اي اسنت ويقال للشي القديم فارض قال الراجز

شيب اصداغي فراسي ابيض ... محامل فيها رحال فرض

يعني هرما وقال اخر لعمرك قد اعطيت جارك فارضا ... تساق اليه ما يقوم على رجل
اي قديما وقال اخر يا رب ذي ضغن علي فارض ... له قرء كقرء الحايض
اي قديم ولا فارض رفع على الصفة لبقرة ولا بكر عطف وقيل لا فارض خبر مبتدا مضمر اي لا هي فارض
وكذا لا ذلول وكذا لا تسقي الحرث وكذلك مسلمة فاعلمه وقيل الفارض الذي قد ولدت بطونا كثيرة
فيتسع جوفها لذلك لان معنى الفارض في اللغة الواسع قاله بعض المتاخرين والبكر الصغيرة التي
لم تحمل وحكى القتبي انها التي ولدت والبكر البطن الاول من الاولاد قال الشاعر

يا بكر بكرين ويا خلب الكبد ... انت مني كذراع من عضد

والبكر ايضا من اناث البهايم وبني ادم ما لم يفتحله الفحل وهي مكسورة البا وبفتحها الفتى من الابل
والعوان النصف التي قد ولدت بطنا او بطنين وهي اقوى ما يكون من البقر واحسنه بخلاف الخيل قال
الشاعر يصف فرسا كميت بهيم اللون ليس بفارض ... ولا بعوان ذات لون مخصف
فرس اخصف اذا ارتفع البلق من بطنه الى جنبه وقال مجاهد العوان من البقر هي التي قد ولدت مرة
بعد مرة وحكاه اهل اللغة ويقال ان العوان النخلة الطويلة وهي فيما زعموا لغة يمانية وحرب عوان
اذا كان قبلها حرب بكر وقال زهير

اذا لقحت حرب عوان مضرة ... ضروس تهر الناس انيابها عضل

اي لا هي صغيرة ولا هي مسنة اي عوان وجمعها عون بضم العين وسكون الواو وسمع عون بضم الواو
كرسل ورسل وقد تقدم وحكى الفرا من العوان عونت تعوينا قوله تعالى فافعلوا ما تومرون تجديد
للامر وتاكيد وتنبيه على ترك التعنت فما تركوه وهذا يدل على مقتضى الامر الوجوب كما يقوله الفقها
وهو الصحيح على ما هو مذكور في اصول الفقه وعلى ان الامر على الفور وهو مذهب اكثر الفقها ايضا ويدل
على صحة ذلك انه تعالى استقصرهم حين لم يبادروا الى فعل ما امروا به فقال فذبحوها وما كادوا يفعلون
وقيل لا بل على التراخي لانه لم يعنفهم على التاخير والمراجعة في الخطاب قاله ابن خواز منداد قوله تعالى
قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها ما استفهام مبتداة ولونها الخبر ويجوز نصب لونها بيبين وتكون ما
زايدة واللون واحد الالوان وهو هيئة كالسواد والحمرة واللون النوع وفلان متلون اذا كان لا يثبت على
خلق واحد وحال واحد قال كل يوم تتلون غير ذا بك اجمل ولون البسر تلوينا اذا بدا فيه اثر النضج
واللون الدفل وهو ضرب من النخل قال الاخفش هو جماعة واحدها لينة صفرا جمهور المفسرين انها صفرا
اللون من الصفرة المعروفة قال مكي عن بعضهم حتى القرن والظلف وقال الحسن وابن جبير كانت صفرا القرن
والظلف فقط وعن الحسن ايضا صفرا معناه سودا قال الشاعر

تلك خيلي وتلك ركابي ... هن صفر اولادها كالزبيب

قلت والاول اصح لانه الظاهر وهذا شاذ لا يستعمل مجازا الا في الابل قال الله تعالى كانه جمالات صفر وذلك
ان السود من الجمال سوادها صفرة ولو اراد السواد لما اكده بالفقوع وذلك نعت مختص بالصفرة وليس
بوصف السواد بذلك تقول العرب اسود حالك وحلكوك وحلكوك ودجوجي وغربيب واحمر قاني وابيض
ناصع ولهق ولهاق ويقق واخضر ناضر واصفر فاقع هكذا نص نقلة اللغة عن العرب قال الكسائي يقال
فقع لونها يفقع فقوعا اذا خلصت صفرته والافقاع سو الحال وفواقع الدهر بوايقه وفقع باصابعه
اذا صوت ومنه حديث ابن عباس نهى عن التفقع في الصلاة وهي الفرقعة وهي غمز الاصابع حتى تنقص ولم
تنصرف صفرا في معرفة ولا نكرة لان فيها الف التانيث وهي ملازمة فخالفت الها لان ما فيها الها تنصرف
في النكرة كفاطمة وعايشة قوله تعالى فاقع لها يريد خالص لونها لا لون فيها سوى لون جلدها تسر
الناظرين قال وهب كان شعاع الشمس يخرج من جلدها ولهذا قال ابن عباس الصفرة تسر النفس وحض
على لباس النعال الصفر حكاه عنه النقاش وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه من لبس نعلي جلد اصفر

قل همه لان الله تعالى يقول صفرا فاقع لونها فسر الناظرين حكاه عنه الثعلبي ونهى ابن الزبير ومحمد بن ابي كثير
عن لباس النعال السود لانها تهم ومعنى تسر تعجب وقال ابو العالية معناه في سمتها ومنظرها فهي ذات
وجهين وصفين والله اعلم قوله تعالى ان البقر تشابه علينا سالوا سؤالا رابعا ولم يمتثلوا الامر بعد البيان
وذكر البقر لانه بمعنى الجمع ولذلك قال ان البقر تشابه علينا فذكره للفظ تذكير البقر قال فطرب جمع
البقرة باقر وباقور وبقر وقال الاصمعي الباقر جمع باقرة قال ويجمع بقر على باقورة حكاه النحاس وقال
الزجاج المعنى ان جنس البقر وقرا الحسن فيما ذكر النحاس والاعرج فيما ذكر الثعلبي ان البقر تشابه بالتا
وشد الشين جعله فعلا مستقبلا وانثه واصله تتشابه ثم ادغم التا في الشين وقرا مجاهد تشبه
كقراتهما الا انه بغير الف وفي مصحف تشابهت بتشديد الشين قال ابو حاتم وهو غلط لان التا في هذا
الباب لا تدغم الا في المضارعة وقرا يحيى بن يعمر ان الباقر تشابه جعله فعلا مستقبلا وذكر البقر
وادغم ويجوز ان البقر تشابه بتخفيف الشين وضم الها وحكاها الثعلبي عن الحسن النحاس ولا يجوز
يشابه بتخفيف الشين والبا وانما جاز في التا لان الاصل تتشابه فحذفت لاجتماع التائين والبقر
والباقر والبيقور والبقير لغات بمعنى والعرب تذكره وتونثه والى ذلك يرجع معاني القراات في تشابه
وقيل انما قالوا ان البقر تشابه علينا لان وجوه البقر تتشابه ومنه حديث حذيفة بن اليمان عن النبي
صلى الله عليه وسلم ذكر فتنا كقطع الليل تاتي كوجوه البقر يريد انها يشبه بعضها بعضا ووجوه البقر
تتشابه قالت بنوا اسرائيل ان البقر تشابه علينا قوله تعالى وانا ان شا الله لمهتدون استثنا منهم
وفي استثنايهم في هذا السؤال الاخير ابانة ما وانقياد ودليل تدبر على عدم موافقة الامر وروي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال لما استثنوا ما اهتدوا اليها ابدا وتقدير الكلام وانا لمهتدون ان شا الله فقدم
ذكر الاهتدا اهتماما به وشا في موضع جزم بالشرط وجوابه عند سيبويه الجملة ان وما عملت فيه وعند ابي
العباس المبرد محذوف قوله تعالى انها بقرة لا ذلول قرا الجمهور لا ذلول بالرفع على الصفة لبقرة قال الاخفش
لا ذلول نعته ولا يجوز نصبه وقرا ابو عبد الرحمن السلمي لا ذلول بالنصب على النفي والخبر مضمر ويجوز لا هي
ذلول لا هي تسقي الحرث هي مسلمة ومعنى لا ذلول لم يذللها العمل يقال بقرة مذللة بينة الذل بكسر الذال
ورجل ذليل بين الذل بضم الذال الذي هي بقرة صعبة غير ريضة لم تذلل بالعمل قوله تعالى تثير الارض
تثير في موضع رفع على الصفة للبقرة اي بقرة لا ذلول مثيرة قال الحسن كانت تلك البقرة وحشية ولهذا
وصفها الله تعالى بانها لا تثير الارض ولا تسقي الحرث اي لا يسقى بها لسقي الزرع ولا يسقى عليها والوقف
هاهنا حسن وقال قوم تثير فعل مستانف والمعنى ايجاب الحرث لها وانها كانت تحرث ولا تسقي والوقف
على هذا التاويل لا ذلول والقول الاول اصح لوجهين احدهما ما ذكره النحاس عن علي بن سليمان انه قال
لا يجوز ان يكون تثير مستانفا لان بعده ولا تسقي الحرث فلو كان مستانفا لما جمع بين الواو ولا الثاني
انها لو كانت تثير الارض لكانت الاثارة قد ذللتها والله تعالى قد نفى عنها الذل بقوله لا ذلول
ويحتمل ان يكون تثير الارض في غير العمل مرحا ونشاطا كما قال امرؤ القيس

يهيل ويذري تربه ويثيره • اثارة بنات الهواجر محمس

فعلى هذا يكون تثير مستانفا ولا تسقي معطوف عليه فتامله واثارة الارض تحريكها ونحتها ومنه الحديث
اثيروا القران فانه علم الاولين والاخرين في رواية اخرى من اراد العلم فليثور القران وقد تقدم وفي التنزيل
واثاروا الارض اي قلبوها للزراعة والحرث ما حرث وزرع وسياتي مسيلة في هذه الاية ادل دليل
على حصر الحيوان بصفاته واذا ضبط بالصفة وحصر بها جاز السلم وبه قال مالك واصحابه والاوزاعي
والليث والشافعي وكذلك كل ما يضبط بالصفة لوصف الله تعالى البقرة في كتابه وصفا يقوم مقام
التعيين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصف المراة المراة كزوجها كانه ينظر اليها اخرجه
مسلم فجعل صلى الله عليه وسلم الصفة تقوم مقام الروية وجعل صلى الله عليه وسلم دية الخطا في ذمة من
اوجبها عليه دينا الى اجل ولم يجعلها على الحلول وهو يرد قول الكوفيين ابي حنيفة واصحابه والثوري والحسن بن
صالح حيث قالوا لا يجوز السلم في الحيوان وروي عن ابن مسعود وحذيفة وعبد الرحمن بن سمرة لان الحيوان
لا يوقف على حقيقة صفته من مشي وحركة وكل ذلك يزيد في ثمنه ويرفع في قيمته وسياتي حكم السلم
وشروطه في اخر السورة في اية الدين ان شا الله تعالى قوله تعالى مسلمة اي هي مسلمة ويجوز ان يكون
وصفا اي انها بقرة مسلمة من العرج وساير العيوب قاله قتادة وابو العالية ولا يقال مسلمة من العمل
لنفي الله العمل عنها وقال الحسن يعني سليمة القوايم لا اثر فيها للعمل قوله تعالى لا شية فيها اي ليس فيها لون
يخالف معظم لونها هي صفرا كلها لا بياض فيها ولا حمرة ولا سواد كما قال فاقع لونها واصل شية وشية
حذفت الواو كما حذفت من يشي والاصل يوشي ونظيره الزنة والعدة والصلة والشية ماخوذة من

وشي

وشي الثوب اذا نسج على لونين مختلفين وثور موشى في وجهه وقوايمه سواد قال ابن عرفة الشية اللون
ولا يقال لمن نم واش حتى يغير الكلام ويلونه فيجعله ضروبا ويزين منه ما شا والوشي الكثرة ووشى بنوا
فلان كثروا ويقال فرس ابلق وكبش اخرج وتيس ابرق وغراب ابقع وثور اشية كل ذلك بمعنى البلقة
هكذا نص اهل اللغة وهذه الاوصاف في البقرة شبهها انهم شددوا فشدد الله عليهم ودين الله يسر
والتعمق في سوال الانبيا وغيرهم من العلما مذموم نسال الله العافية وروي في قصص هذه البقرة روايات
تلخيصها ان رجلا من بني اسرائيل ولد له ابن وكانت له عجلة فارسلها في غيضة وقال اللهم اني استودعتك هذه
العجلة لهذا الصبي ومات الرجل فلما كبر الصبي قالت له امه وكان برا بها ان اباك استودع الله عجلة فاذهب
فخذها فذهب فلما راته البقرة جات اليه حتى اخذ بقرنيها وكانت مستوحشة فجعل يقودها نحو امه
فلقيه بنوا اسرائيل ووجدوا بقرته على الصفة التي امروا بها فساموه فاشتط عليهم وكان قيمتها
على ما روي عن عكرمة ثلاثة دنانير فاتوا به موسى عليه السلام وقالوا ان هذا اشتط علينا فقال
لهم ارضوه في ملكه فاشتروها منه بوزنها مرة قاله عبيدة السدي بوزنها عشر مرار وقيل بملء
مسكها دنانير وذكر مكي ان هذه البقرة نزلت من السما ولم تكن من بقر الارض فالله اعلم قوله تعالى قالوا
الان جيت بالحق اي بينت الحق قاله قتادة وحكى الاخفش قالوا الان قطع الف الوصل كما يقال تالله
وحكى وجها اخر قالوا الان باثبات الواو نظيره قراة اهل المدينة وابي عمرو عادا الولا وقرا الكوفيون قالوا
الان بالهمز وقراة اهل المدينة قالوا الان بتخفيف الهمز مع حذف الواو لالتقا الساكنين قال الزجاج
الان مبني على الفتح لمخالفته ساير ما فيه الالف واللام لان الالف واللام دخلتا لغير عهد تقول انت الى الان
هنا فالمعنى الى هذا الوقت فبنيت كما بني هذا وفتحت النون لالتقا الساكنين وهو عبارة عما بين الماضي
والمستقبل قوله تعالى وما كادوا يفعلون اجاز سيبويه كاد ان يفعل تشبيها بعسى وقد تقدم اول
السورة وهذا اخبار عن تثبطهم في ذبحها وقلة مبادرتهم الى امر الله وقال القرظي محمد بن كعب لغلاء
ثمنها وقيل خوفا من الفضيحة على انفسهم في معرفة القاتل منهم قاله وهب بن منبه قوله تعالى واذ
قتلتم نفسا فادارأتم فيها هذا الكلام مقدم على اول القصة التقدير واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقال
موسى ان الله يامركم بكذا هذا كقوله الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما اي انزل
على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا ومثله كثير وقد بيناه اول القصة وفي سبب قتله قولان
احدهما لابنة له حسنا احب ان يتزوجها ابن عمها فمنعه عمه فقتله وحمله من قريته الى قرية اخرى فالقاه
هناك وقيل القاه بين قريتين الثاني قتله طلبا لميراثه فانه كان فقيرا وادعى قتله على بعض الاسباط
قال عكرمة كان لبني اسرائيل مسجد له اثنى عشر بابا لكل باب قوم يدخلون منه فوجدوا قتيلا في سبط من الاسباط
فادعى هولا على هولا ثم اتوا موسى يختصمون اليه فقال ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة الاية ومعنى
ادارأتم اختلفتم وتنازعتم قاله مجاهد واصله تدارأتم ثم ادغمت التا في الدال ولا يجوز الابتداء
بالمدغم لانه ساكن وزيد الف الوصل والله مخرج ابتدا وخبر ما كنتم ما في موضع نصب بمخرج ويجوز حذف
التنوين على الاضافة تكتمون جملة في موضع خبر كان والعايد محذوف التقدير تكتمونه وعلى القول بانه
قتله طلبا لميراثه لم يرث قاتل عمد من حينئذ قاله عبيدة السلماني قال ابن عباس قتل هذا الرجل عمه
ليرثه قال ابن عطية وبمثله جا شرعنا وحكى مالك رحمه الله في موطاه ان قصة احيحة بن الجلاح في عمه هي
كانت سبب ان لا يرث قاتل ثم ثبت ذلك الاسلام كما ثبت كثيرا من نوازل الجاهلية ولا خلاف بين العلما
انه لا يرث قاتل العمد من الدية ولا من المال الا فرقة شذت عن الجمهور كلهم اهل بدع ويرث قاتل الخطا من
المال ولا يرث من الدية في قول مالك والاوزاعي وابي ثور والشافعي لانه لا يتهم على انه قتله ليرثه وياخذ
ماله وقال سفيان الثوري وابو حنيفة واصحابه والشافعي في قول له اخر لا يرث القاتل عمدا ولا خطا شيا
من المال ولا من الدية وهو قول شريح وطاووس والشعبي والنخعي ورواه الشعبي عن عمر وعلي وزيد قالوا
لا يرث القاتل عمدا ولا خطا شيا وروي عن مجاهد القولان جميعا وقالت طايفة من البصريين يرث قاتل
الخطا من الدية ومن المال جميعا حكاه ابو عمر وقول مالك اصح على ما ياتي بيانه في اية المواريث ان شا الله
تعالى قوله تعالى فقلنا اضربوه ببعضها قيل باللسان لانه الة الكلام وقيل بعجب الذنب اذ فيه يركب
خلق الانسان وقيل بالفخذ وقيل بعظم من عظامها والمقطوع به عضو من اعضايها فلما ضرب به حيي
واخبر بقاتله ثم عاد ميتا كما كان مسيلة استدل مالك رحمه الله في رواية ابن وهب وابن القاسم على
صحة القول بالقسامة بقول المقتول دمي عند فلان او فلان قتلني ومنعه الشافعي وجمهور العلما
قالوا وهو الصحيح لان قول المقتول دمي عند فلان او فلان قتلني خبر يحتمل الصدق والكذب ولا خلاف
ان دم المدعى عليه معصوم ممنوع اباحته الا بيقين ولا يقين مع الاحتمال فبطل اعتبار قول المقتول

دمى عند فلان واما قتيل بنى اسرائيل فكان معجزة واخبر تعالى انه يحييه وذلك يتضمن بالاخبار بقاتله خبرا
جزما لا يدخله احتمال فافترقا قال ابن العربى المعجزة انما كانت فى احيائه فلما صار حيا كان كلامه كسائر كلام الناس
كلهم فى القبول والرد وهذا فرق دقيق من العلم لم ينتبه له الا مالك وليس فى القرآن انه اذا اخبر وجب صدقه
فلعله امرهم بالقسامة معه واستبعد ذلك البخارى والشافعى وجماعة من العلماء فقالوا كيف يقبل
قوله فى الدم وهو لا يقبل قوله فى درهم **مسئلة** اختلف العلماء فى الحكم بالقسامة فروى عن عمر وابى قلابة
وعمر بن عبد العزيز والحكم بن عيينة التوقف فى الحكم بها واليه مال البخارى لانه انى بحديث فى غير موضعه
وقال الجمهور الحكم بالقسامة ثابت عن النبى صلى الله عليه وسلم ثم اختلفوا فى كيفية الحكم بها فقالت طائفة
يبدأ فيها المدعون بالايمان فان حلفوا استحقوا وان نكلوا حلف المدعى عليهم خمسين يمينا وبروا هذا قول اهل
المدينة والليث والشافعى واحمد وابى ثور وهو مقتضى حديث خويصة ومحيصة خرجه الائمة مالك
وغيره وذهبت طائفة الى انه يبدأ بالايمان المدعى عليهم فيحلفون ويبرؤن روى هذا عن عمر بن الخطاب
والشعبى والنخعى وبه قال الثورى والكوفيون واحتجوا بحديث سعيد بن عبيد عن بشير بن يسار وفيه فبدأ
بالايمان المدعى عليهم وهم اليهود وبما رواه ابو داود عن الزهرى عن ابى سلمة بن عبد الرحمن عن رجال من الانصار
ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لليهود ويدايهم ايحلف منكم خمسون رجلا فابوا فقال للانصار استحقوا
فقالوا نحلف على الغيب يا رسول الله فجعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم دية على يهود لانه وجد بين
اظهرهم وبقوله عليه السلام ولكن اليمين على المدعى عليه قالوا وهذا هو الاصل المقطوع به فى الدعاوى
الذى نبه الشرع على حكمته بقوله عليه السلام لو يعطى الناس بدعواهم لادعى ناس دماء رجال واموالهم
ولكن اليمين على المدعى عليه ورد عليهم اهل المقالة الاولى فقالوا حديث سعيد بن عبيد فى تبدية اليهود
وهم عندنا اهل الحديث وقد اخرجه النسائى وقال ولم يتابع سعيدا على هذه الرواية فيما اعلم وقد
اسند حديث بشير عن سهل ان النبى صلى الله عليه وسلم بدأ المدعين يحيى بن سعيد وابن عيينة وحماد بن
زيد وعبد الوهاب الثقفى وعيسى بن حماد وبشر بن المفضل فهؤلاء سبعة وان كان ارسله مالك فقد
وصله جماعة الحفاظ وهو اصح من حديث سعيد بن عبيد قال ابو محمد الاصيلى فلا يجوز ان يعترض
بخبر واحد على خبر جماعة مع ان سعيد بن عبيد قال فى حديثه فوداه رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة
من ابل الصدقة والصدقة لا تعطى فى الديات ولا يصالح بها عن غير اهلها وحديث ابى داود مرسل فلا
تعارض به الاحاديث الصحاح المتصلة واجابوا عن التمسك بالاصل بان هذا الحكم اصل بنفسه لحرمة
الدماء قالوا ابن المنذر ثبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حكما فى شىء من الاشياء فيستثنى
بظاهره لك يجب الا ان يخصص الله فى كتابه او على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم حكما فى شىء من الاشياء فيستثنى
من جملة هذا الخبر فيما دل عليه الكتاب الزام القاذف حد المفترى وفاء المدعين معه اربعة شهداء يشهدون له
على صدق ما رمى به المقذوف وخصص من رمى زوجته بان اسقط عنه الحد اذا اشهد اربع شهادات وما خصت
السنة حكم النبى صلى الله عليه وسلم بالقسامة وقد روى ابن جريج عن عطاء عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم
قال البينة على من ادعى واليمين على من انكر الا فى القسامة خرجه الدارقطنى وقد احتج مالك لهذه المسئلة
فى موطاه بما فيه كفاية فتمامه هناك **مسئلة** واختلفوا ايضا فى وجوب القود بالقسامة فاوجبت
طائفة القود بها وهو قول مالك والليث واحد وابى ثور لقوله عليه السلام لحويصة ومحيصة وعبد الرحمن المخلوف
وتستحقون دم صاحبكم وروى ابو داود عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان النبى صلى الله عليه وسلم قتل رجلا
بالقسامة من بنى نضر بن مالك قال الدارقطنى تنسخه عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده صحيحة وكذلك ابو عمر
ابن عبد البر يصحح حديث عمرو بن شعيب ويحتج به وقال البخارى رأيت على بن المدينى واحمد بن حنبل والحميدى
واسحاق بن راهويه يحتجون به قالت الدارقطنى فى السنن وقالت طائفة لا قود بالقسامة وانما يوجب
الدية روى هذا عن عمر وابن عباس وهو قول النخعى والحسن والبتى وذهب الثورى والكوفيون والشافعى
واسحاق واحتجوا بما رواه مالك عن ابى هريرة عن عبد الله عن سهل بن ابى حثمة عن النبى صلى الله عليه وسلم
قوله للانصار اما ان تدوا صاحبكم واما ان تؤذنوا بحرب قالوا وهذا يدل على الدية لا القود قالوا ومعنى
قوله عليه السلام وتستحقون دم صاحبكم دية دم قتيلكم لان اليهود ليس باصحاب لهم ومن استحق دية
صاحبه فقد استحق دمه لان الدية قد توخذ فى العمد فيكون ذلك استحقاقا للدم **مسئلة** الموجب
للقسامة اللوث لا بد منه واللوث امارة يغلب على الظن صدق مدعى القتيل كشهادة العدل الواحد على
رؤية القتل او يرى المقتول يتشحط فى دمه والمتهم نحوه او فهذه علية اثار القتل وقد اختلف فى اللوث
والقول به فقال مالك هو قول المقتول دمى عند فلان والشاهد العدل لوث كذا فى رواية ابن القاسم عنه
وروى اشهب عن مالك انه يقسم مع الشاهد غير العدل ومع المرأة وروى ابن وهب ان شهادة النساء

لوث وذكر محمد عن ابن القاسم ان شهادة المراتين لوث دون شهادة المرأة الواحدة قال القاضى ابو بكر بن العربى اختلف
فى اللوث اختلافا كثيرا مشهور المذهب انه الشاهد العدل وقال محمد هو الحب الى قال واخذه بن القاسم
وابن عبد الحكم وروى عن عبد الملك بن مروان ان المجروح او المضروب اذا قاله دمى عند فلان وما ت كانت القسامة
به قال مالك والليث بن سعد واحتج مالك بقتيل بنى اسرائيل انه قال قتلنى فلان وقال الشافعى اللوث
الشاهد العدل او باقى ببينة وان لم يكونوا عدولا واوجب الثورى والكوفيون القسامة بوجود القتيل
فقط واستغنوا عن مراعاة قول المقتول وعن الشاهد قالوا اذا وجد قتيل فى محلة قوم وبه اثر خلف
اهل تلك الموضع انهم لم يقتلوه ويكون عقله عليهم واذ المدعين به لم يكن على العاقلة شىء الا ان تقوم
البينة على احد قال سفيان وهذا مما اجمع عليه عندنا وهو قول ضعيف خالفوا فيه اهل العلم ولا سلف
لهم فيه وهو مخالف للقرآن والسنة ولان فيه الزام العاقلة ما لا يغيب ببينة تبينت عليهم ولا اقرار
منهم وذهب مالك والشافعى الى ان القتيل اذا وجد فى محلة قوم انه هدر لا يوجد به اقرب الناس
دارا لان القتيل قد يقتل ثم يلقى على باب قوم ليطرحوا به فلا يؤخذ بمثل ذلك حتى تكون الاسباب
التى شرطوها فى وجوب القسامة وقد قال عمر بن عبد العزيز هذا مما لم يوخر فيه القضاء حتى يقضى الله
فيه يوم القيامة **مسئلة** قال القاسم بن مسعدة قلت للنسائى لا يقول مالك بالقسامة الا باللوث
فلو ورد حديث القسامة ولا لوث فيه قال النسائى انما قال مالك العداوة التى كانت بينهم وبين اليهود
بمنزلة اللوث وانزل اللوث او قول المقتول بمنزلة العداوة قال ابن ابى زيد واصل هذا فى قصة بنى اسرائيل
حين احيى الله الذى ضرب ببعض البقرة فقال قتلنى فلان وبان العداوة لوث قال الشافعى ولا نرى قول
المقتول لوثا كما تقدم قال الشافعى اذا كان بين قوم وقوم عداوة ظاهرة كالعداوة التى كانت بين الانصار
واليهود ووجد قتيل فى احد الفريقين ولا يحالطهم غيرهم ووجبت القسامة فيه **مسئلة** واختلفوا
فى القتيل يوجد فى المحلة التى اكراها اربابها فقال اصحاب الراى هو على اهل المحلة وليس على السكان شىء وان
كان ارباب الدور غيبا وقد اكروا دورهم فالقسامة والدية على ارباب الدور الغيب وليس على السكان الذى
وجد القتيل بين اظهرهم شىء وشذ ربيع يعقوب من بينهم عن هذا القول فقال القسامة والدية على السكان
فى الدور وحكى هذا القول عن ابن ابى ليلى واحتج بان اهل خيبر كانوا عمالا يسكنها يهود فوجد القتيل فيهم
قال الثورى ونحن نقول هو على اصحاب الاصل يعنى اهل الدور وقال احمد القول قول ابن ابى ليلى فى القسامة
لا فى الدية وقال الشافعى وذلك كله سواء ولا اعقل ولا فرق الا ببينة تقوم او ما يوجب القسامة
فيقسم الاولياء قال ابن المنذر وهذا اصح **مسئلة** ولا يحلف فى القسامة اقل من خمسين يمينا لقوله
عليه السلام فى حديث حويصة ومحيصة يقسم خمسون منكم على رجل منهم فان كان للمدعين حلف
كل واحد منهم يمينا واحدة فان كانوا اقل من ذلك او نكل منهم من لا يجوز عفوه ردت الايمان عليهم بحسب
عددهم ولا يحلف فى العمد اقل من اثنين من الرجال لا يحلف فيه الواحد من الرجال ولا النساء يحلف الاولياء
ومن يستحق بهم الاولياء من العصبة خمسين يمينا هذا مذهب مالك والليث والثورى والاوزاعى واحمد
وداود وروى مطرف عن مالك انه لا يحلف مع المدعى عليه احد ويحلف هم انفسهم كانوا واحدا او اكثر
خمسين يمينا يبرون بها انفسهم وهو قول الشافعى قال الشافعى لا يقسم الاولاد ان كان القتل عمدا او
خطا ولا يحلف على مال ويستحقه الا من له الملك لنفسه او من جعل اليه الملك من الورثة والورثة
يقسمون على قدر مواريثهم وبه قال ابو ثور واختاره ابن المنذر وهو الصحيح لان من لم يدع عليه
لم يكن له سبب يتوجه عليه فيه ثم مقصود هذه الايمان البراءة ومن لم يدع عليه برىء وقال
مالك فى الخطا يحلف فيها الواحد من الرجال والنساء فيها كانت خمسون يمينا من واحدا واكثر استحق
الحالف ميراثه ومن نكل لم يستحق شيئا فان جاء من غاب حلف من الايمان ما كان يجب عليه لو حضر يحسب
ميراثه هذا قول مالك المشهور عنه وقد روى عنه انه لا يرى فى الخطا قسامة وتتميم مسايل القسامة
وفروعها واحكامها مذكورة فى كتب الفقه والخلاف والحاوى وقد ذكرنا كفاية والله الموفق **مسئلة**
فى قصة البقرة هذه دليل على ان شرع من قبلنا شرع لنا وقد ابه طوائف من المتكلمين وقوم من الفقهاء
واختاره الكرخى ونص عليه ابن بكير القاضى من علمائنا وقال القاضى ابو محمد عبد الوهاب هو الذى
يقتضيه اصول مالك ومنازعه فى كتبه واليه ميل الشافعى وقد قال الله فبهداهم اقتده على ما
ياتى ان شاء الله تعالى **قوله تعالى** كذلك يحيى الله الموتى اى كما احيى هذا بعد موته كذلك يحيى كل ميت
فالكاف فى موضع نصب لانه نعت لمصدر محذوف ويريكم اياته اى علاماته وقدرته لعلكم تعقلون
كى تعقلوا وقد تقدم اى تمتنعون من عصيانه وعقلت نفسى عن كذا اى منعتها منه والعاقل الحصون
قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك القسوة الصلابة والشدة واليبس وهى عبارة عن خلوها

من الانابة والاذعان لآيات الله تعالى قال ابو العالية وقتادة وغيرهما المراد قلوب جميع بني اسرائيل وقال ابن عباس المراد خلوها وقسوتها فالقليل لانه حين جبى واخبر بقاتله وعاد الى مونه انكروا قتله وقالوا ما كذبنا بعد ما رأوا معجزة الاية العظمى فلم يكونوا قط اعمى قلبا ولا اشد تكذيبا للنبي منهم عند ذلك لكن مثل لكم الله لقسوة قلوبكم في تعذر الكلام بغير ذكر الله فسوة قسوة للقلب وان ابعد الناس من الله القلب القاسي وفي مسند البزار عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة من الشقاء جمود العين وقسا القلب وطول الامل والحرص على الدنيا قوله تعالى فهي كالحجارة او اشد قسوة او قبل هي بمعنى الواو وكما قال اثما او كفورا عدوا او نذرا وقال الشاعر

• نال الخلافة او كانت له قدرا •

اي وكانت وقيل هي بمعنى بل كقوله تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون المعنى بل يزيدون وقال الشاعر

• بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى • وصورتها او انت في العين املح •

اي بل انت وقيل معناها الابهام على المخاطب ومنه قول ابي الاسود الدولي

• احب محمدا حبا شديدا • وعباسا وحمزة او عليا •
• فان يك حبهم رشدا اصبه • ولست بمخطئ ان كان غيا •

ولم يشك ابو الاسود ان حبهم رشد ظاهر وانما قصد الابهام وقد قيل لابي الاسود حين قال ذلك شككت قال لا ولكن استشهد بقوله تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين وقال او كان شكا فمن اخبر بهذا وقيل معناها التخيير اي شبهوها بالحجارة تصيبوا او باشد من الحجارة تصيبوا وهذا كقولك القائل جالس الحسن او ابن سيرين وتعلم الفقه او الحديث وقيل هي على بابها من الشك ومعناها عند كم ايها المخاطبون وفي نظركم ان لو شاهدتم قسوتها لشككتم اهي كالحجارة او اشد من الحجارة وقد قيل هذا المعنى في قوله تعالى الى مائة الف او يزيدون وقالت فرقة انما اراد الله تعالى ان فيهم من قلبه كالحجر ومنهم من قلبه اشد من الحجر فالمعنى هي فرقتان قوله تعالى او اشد منصوب بالعطف على موضع الكاف في قوله كالحجارة لان المعنى هي مثل الحجارة او اشد ويجوز او اشد بالفتح عطفه على الحجارة وقسوة نصب على التمييز وقرأ ابو حيوة قسوة والمعنى واحد قوله تعالى وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء تقدم معنى الانفجار ويشقق اصله يتشقق ادغمت التاء في الشين وهذه عبارة عن العيون التي لم تعظم حتى تكون انهارا او عن الحجارة التي تتشقق وان لم يخرج منها شيء فسيح وقرأ ابن مصرف لتشقق بالنون وقرأ لما ينفجر بتشديد الفاء في الموضعين وهي قراءة غير متجهة وقرأ مالك بن دينار تنفجر بالنون وكسر الجيم قال قتادة عذر الحجارة ولم يعذر شقي بني ادم قال ابو حاتم يجوز لما تنفجر بالتا ولا يجوز لما تتشقق بالتا لانه اذا قال تنفجر انثه بنا نيث الانهار وهذا لا يكون في تشقق قال النحاس يجوز ما انكم على المعنى لان منها الحجارة تشقق وانما تتشقق محمول على لفظها والشق واحد الشقوق فهو في الاصل مصدر تقول بيد فلان وجله شقوق ولا تقل شقاق انما الشقاق ان يكون بالدواب وهو تشقق يصيب ارساغها وربما ارتفع الى ظفيفة عن يعقوب والشق الصحيح وما في قوله لما ينفجر في موضع نصب لانها اسم ان واللام مؤكدة للتاكيد منه على لفظها ويجوز منها على المعنى وكذلك وان منها لما يشقق منه الماء وقرأ قتادة وان في الموضعين مخففة من الثقيلة قوله تعالى وان منها لما يهبط من خشية الله يقول ان من الحجارة ما هو انفع من قلوبكم خروج الماء منها وترديها فالا مجاهد ما تردى حجر من راس جبل ولا تفجر نهر من حجر ولا خرج منه ماء الا من خشية الله ترك بذلك القرآن ومثله عن ابن جريج وقال بعض المتكلمين في قوله تعالى وان منها لما يهبط من البرد الهابط من السحاب وقيل لفظة الهبوط مجاز وذلك ان الحجارة لما كانت القلوب تعتبر خلقتها وتخشع بالنظر اليها اضيف تواضع الناظر اليها كما قالت العرب ناقة تاجرة اي تبعث من يراها على شرائها وحكى الطبري عن فرقة ان الخشية للحجارة مستعارة كما استعير في الارادة للجدار في قوله يريد ان ينقض وكما قال زيد الخيل

• لما اتى خبر الزبير تواضعت • سور المدينة والجبال الخشع •

وذكر ابن جرير ان الضمير في قوله تعالى وان منها راجعة الى القلوب لا الى الحجارة اي من القلوب ما يخضع من خشية الله قلت كلما قيل يجعله اللفظ والاول صحيح فانه لا يمتنع ان يعطى بعض الجمادات المعرفة فيعقل كالذي روي عن الجذع الذي كان يستند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب فلما تحول عنه حن وثبت عنه انه قال ان جملا كان يسلم علي في الجاهلية اني لاعرفه الان وكما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لي ثبير اهبط فاني اخاف ان يقتلوك على ظهري فيعذبني الله فناداه حراء

الى

الى يا رسول الله وفي التنزيل انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال الاية وقالوا لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله يعني تذللا وخضوعا وسيأتي لهذا مزيد بيان في سبحان الذي ان شأ الله تعالى قوله تعالى وما الله بغافل عما تعملون بغافل في موضع نصب على لغة اهل الحجاز وعلى لغة تميم في موضع رفع والباء توكيد عما تعملون اي عن عملكم حتى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا يحصيها عليكم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ولا يحتاج ما الى عايد الا ان تجعلها بمعنى الذي فتحذف العايد لطول الاسم اي عن الذي تعملونه وقرأ ابن كثير يعلون بالياء والخاطبة على هذا لمحمد عليه السلام قوله تعالى افتطمعون ان يومنوا لكم الاية قوله وهم يعلمون فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى افتطمعون ان يومنوا لكم هذا استفهام فيه معنى الانكار كانه ايساهم من ايمان هذه الفرقة منهم لما سبق في علمه ان كفروا فانهم سابقة في ذلك والخطاب لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وذلك ان الانصار كان لهم حرص على اسلام اليهود للحلف والجوار الذي كان بينهم وان في موضع نصب اي في ان يومنوا نصب باد ولذلك حذفت منه النون يقال طمع فيه طمعا وطماعية مخفف فهو طمع على وزن فعل واطمعه فيه غيره ويقال في التعجب طمع الرجل بضم الميم اي صار كثير الطمع والطمع رزق الجند يقال امر لهم الامير باطماعهم اي بارزاقهم وامراة مطماع تطمع ولا تملك الثانية قوله تعالى وقد كان فريق منهم الفريق اسم جمع لا واحد له من لفظه وجمعه فوادي العدد افرقة وفي الكثير افراق قد يسمعون في موضع نصب خبر كان ويجوز ان يكون الخبر منهم ويكون يسمعون نعتا للفريق وفيه بعد كلام الله قراءة الجماعة وقرأ الاعمش كلم الله على جمع كلمة قال سيبويه واعلم ان ناسا من ربيعة يقولون منهم بكسر الهاء اتباعا لكسرة الميم وكم يكن المسكن حاجزا حصينا عندهم كلام الله مفعول يسمعون والمراد السبعون الذين اختارهم موسى عليه السلام فسمعوا كلام الله فلم يمتثلوا امره وحرفوا القول في اخبارهم لقومهم هذا قول الربيع وابن سنكاق وفي هذا القول ضعف ومن قال ان السبعين سمعوا ما سمع موسى فقد اخطا واذهب بفضيلة موسى واختصاصه بالتكليم وقد قال السدي وغيره لم يطيقوا سماعه واختلطت اذهانهم وزعموا ان يكون موسى سمع ويعبر لهم فلما فرغوا وخرجوا ابتدلت طايفة منهم ما سمعت من كلام الله على لسان نبيهم موسى عليه السلام كما قال تعالى وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله فان قيل فقد روى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس ان قوم موسى سالوا موسى ان يسال ربه ان يسمعهم كلامه فسمعوا اصواتا كصوت الشيور الى اما الله لا اله الا انا الحي القيوم اخرجتكم من مصر بيد رفيعة وذراع شديدة قلنا هذا حديث باطل لا يصح رواه ابن مروان عن الكلبي وكلاهما ضعيف لا يحتج به وانما الكلام شيء خص به موسى من بين جميع ولده ادم فان كان كلم قومه ايضا حتى اسمعهم كلامه فما فضل موسى عليهم وقد قال وقوله الحق الى اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي وهذا واضح الثالثة واختلف الناس بماذا عرف موسى كلام الله ولم يكن سمع ذلك خطابا به منهم من قال انه سمع كلاما ليس بحروف واصوات وليس تقطيع ولا نفس مخيتيد علم انه ذلك ليس هو كلام البشر وانما هو كلام رب وقال اخرون انه لما سمع كلاما لا من جهة وكلام البشر يسمع من جهة من الجهات اكتسب علم انه ليس من كلام البشر وقيل انه صار جسده كله مسامع حتى سمع بها ذلك الكلام فعلم انه كلام الله وقيل غير ان المعجزة دلت على ان ما سمعه هو كلام الله وذلك انه قيل له القي عصاك فالقاها فصارت ثعبانا فكان ذلك علامة له على صدق الحال وان الذي يقول له انا ربك هو الله جل وعز وقيل انه قد كان اضمر في نفسه شيئا لا يقف عليه الا علام الغيوب فاخبره الله تعالى في خطابه بذلك الضمير فعلم ان الذي خاطبه هو الله جل وعز وسيأتي في سورة القصص بيان معنى قوله تعالى نودي من الشجرة ان بورك من في النار الرابعة قوله تعالى يحرفونه قال مجاهد والسدي هم علماء اليهود الذين يحرفون التوراة فيجعلون الحرام حلالا والحلال حراما اتباعا لاهوايهم من بعد ما عقلوه اي عرفوه وعلموه وهذا توبيخ ان هؤلاء اليهود قد سلفت لابايهم افاعيل سوء وعناد فهؤلاء على ذلك السنن فكيف تطمعون في ايمانهم ورد لهذا الكلام ايضا على ان العالم بالحق المعاند فيه بعيد من الرشد لانه عالم الوعد والوعيد ولم يبهه ذلك عن عناده قوله تعالى واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا هذا في المنافقين واصل لقوا لقيوا وقد تقدم واذا خلا بعضهم الى بعض الاية في اليهود ودوا ذلك ان ناسا منهم اسلموا ثم نافقوا فكانوا يحدثون المومنين من العرب بما عذب به اباؤهم فقالت لهم اليهود اتحدثونهم بما فتح الله عليكم اي حكم الله عليكم من العذاب ليقولوا انحن اكرم على الله منكم عن ابن عباس والسدي وقيل ان عليا لما نازل قريظة يوم حنين سمع سب رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرف اليه وقال يا رسول الله لا تبلغ اليهم وعرض له فقال اظنك سمعت شتمي منهم لو رأوني لكفوا عن ذلك وبعض الناس يهم فلما راوه اسكتوا فقال لهم نقضتم العهد يا اخوة القردة والخنازير اخزاكم الله وانزل بكم نقمة فقالوا ما كنت جاهلا يا محمد فلا تجهل علينا من حدثك بهذا ما خرج هذا الخبر الا من عندنا روى هذا المعنى عن مجاهد قوله تعالى

فيه م العالمين م

واذا خلا الاصل في خلا خلو قلبت الواو الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها وتقدم معنى خلا والى في اول السورة
ومعنى فتح حكم والفتح عند العرب القضا والحكم ومنه قوله تعالى ثم يفتح بيننا بالحق وهو خير الفاتحين
اي الحاكمين والفتاح القاضي بلغة اليمن يقال بيني وبينك الفتاح قيل ذلك لانه ينصر المظلوم على الظالم
والفتح النصر ومنه قوله يستفتحون على الذين كفروا وقوله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ويكون بمعنى
الفرق بين الشيئين قوله تعالى ليحاجوكم به عند ربكم نصب بلام كي وان شئت باضمار ان وعلامة النصب
حذف النون قال يونس وناس من العرب يفتحون لام كي قال الاخفش لان الفتح الاصل قال خلف الاحمر هي
لغة بني العنبر ومعنى ليحاجوكم ليغيروكم ويقولوا نحن اكرم على الله منكم وقيل المعنى ليحتجوا عليكم بقولكم
يقولون كفرتم به بعد ان وقفتم على صدقه وقيل ان الرجل من اليهود كان يلقى صديقه من المسلمين فيقول
له تمسك بدين محمد فانه نبي حقا عند ربكم قيل في الاخرة كما قال ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون
وقيل عند ذكر ربكم وقيل عند بمعنى في اي ليحاجوكم به في ربكم فيكونوا احق به منكم لظهور الحجة عليكم روى
عن الحسن والحجة الكلام المستقيم على الاطلاق ومن ذلك محجة الطريق وحاججت فلانا فحججته اي غلبته
بالحجة ومنه الحديث فحج ادم موسى افلا تعقلون قيل هو من قول الاحبار للاتباع وقيل هو خطاب من الله
تعالى للمؤمنين اي افلا تعقلون ان بني اسرائيل لا يؤمنون وهم بهذه الاحوال ثم وبخهم توبيخا يتلى
فقال اولا يعلمون الاية فهو استفهام معناه التوبيخ والتقريع وقرا الجمهور يعلمون بالياء وابن محيصن
بالتاء وخطابا للمؤمنين والذي اسروه كفرهم والذي اعلنوه الحجة به قوله تعالى ومنهم اميون
لا يعلمون الكتاب الا اماني فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى ومنهم اي من اليهود وقيل من اليهود
والمنافقين اميون اي من لا يكتب ولا يقرا واحدهم امي منسوب الى الامة الامية التي هي على اصل
ولادات امهاتها لم تتعلم الكتابة ولا قراتها ومنه قوله عليه السلام انا امة امية لا نكتب ولا
نحسب الحديث وقيل قيل لهم اميون لانهم لم يصدقوا بام الكتاب عن ابن عباس وقال ابو عبيدة
انما قيل لهم اميون لنزول الكتاب عليهم كانهم نسبوا الى ام الكتاب فكانه قال ومنهم اهل الكتاب لا يعلمون
عكرمة والضحاك هم نصارى العرب وقيل هم قوم من اهل الكتاب رفع كتابهم لذنوب ارتكبوها فصاروا
اميين علي رضي الله عنه المجوس قلت والقول الاول اظهر والله اعلم الثانية قوله تعالى لا يعلمون
الكتاب الا اماني الا هنا بمعنى لكن فهو استثنا منقطع كقوله تعالى ما لهم به من علم الا اتباع الظن
وقال النابغة • حلفت يمينا غير ذي مثنوية • ولا علم الا حسن ظن بصاحب •
وقرا ابو جعفر وشيبة والاعرج الا اماني خفيفة اليا حذفوا احدى اليائين استخفافا قال ابو حاتم كل ما
جا من هذا النحو واحده مشدد فلك فيه التشديد والتخفيف مثل اناني واغاني واماني ونحوه وقال
الاخفش هذا كما يقال في جمع مفتاح مفاتيح ومفاتح وهي يا الجمع قال النحاس الحذف في المعتل اكثر كما قال
الشاعر • وهل يرجع التسليم او يكشف العمى • ثلاث الاثافي والرسوم البلاقع •
والاماني جمع امنية وهي التلاوة واصلها امنوية على وزن افعولة فادغمت الواو في التا فانكسرت
النون من اجل اليا فصارت امنية ومنه قوله تعالى الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته اي اذا تلا
القى الشيطان في تلاوته وقال كعب بن مالك
• تمنى كتاب الله اول ليلة • واخره لاقى حمام المقادر •
وقال اخر • تمنى كتاب الله اخر ليلة • تمنى داود الزبور على رسل •
والاماني ايضا الاكاذيب ومنه قول عثمان رضي الله عنه ما تمنيت منذ اسلمت اي ما كذبت
وقول بعض العرب لابن داب وهو يحدث اهذا شي رويته ام شي تمنيته اي افتعلته وبهذا المعنى
فسر ابن عباس ومجاهد اماني في الاية والاماني ايضا ما يتمناه الانسان ويشتهيه قال قتادة الا
اماني يعني انهم يتمنون على الله ما ليس لهم وقيل الاماني التقدير يقال منى له اي قدر قاله الجوهري
وحكاه ابن بحر وانشد قول الشاعر
• لا تامنن وان امسيت في حرم • حتى تلاقي ما تمنى لك الماني •
اي يقدر لك المقدر الثالثة قوله تعالى وان هم الا يظنون ان بمعنى ما النافية كما قال تعالى ان
الكافرون الا في غرور ويظنون يكذبون ويحدسون لانه لا علم لهم بصحة ما يتلون وانما هم مقلدون
لاحبارهم فيما يقرون به قال ابو بكر الانباري وقد حدثنا احمد بن يحيى النحوي ان العرب تجعل الظن
علما وشكا وكذبا وقال اذا قامت براهين العلم فكانت اكثر من براهين الشك فالظن يقين واذا
اعتدلت براهين اليقين وبراهين الشك فالظن شك واذا زادت براهين الشك على براهين
اليقين فالظن كذب قال الله عز وجل وان هم الا يظنون اراد الا يكذبون الرابعة قال علماؤنا

رحمة

رحمة الله عليهم نعت الله تعالى احبارهم بانهم يبدلون ويحرفون فقال وقوله الحق فويل للذين يكتبون الكتاب
بايديهم الاية وذلك انه لما درس الامر فيهم وساءت رعية علمائهم واقبلوا على الدنيا حرصا وطمعا طلبوا
اشيا تصرف وجوه الناس اليهم فاحدثوا في شريعتهم وبدلوها والحقوا ذلك بالتوراة وقالوا لسفهائهم
هذا من عند الله ليقبلوها عنهم فتتاكد رياستهم وينالوا به حطام الدنيا واوساخها وكان مما احدثوا
فيه ان قالوا ليس علينا في الاميين سبيل وهم العرب اي ما اخذنا من اموالهم فهو حل لنا وكان مما
احدثوا فيه ان قالوا لا يضرنا ذنب فنحن احباؤه وابناؤه تعالى الله عن ذلك وانما كان في التوراة يا احباري
ويا ابناء رسلي فغيروه وكتبوا يا احبائي ويا ابنائي فانزل الله تكذيبهم وقالت اليهود والنصارى نحن
ابنا الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم فقالت لن يعذبنا الله وان عذبنا فاربعين يوما مقام ايام
العجل فانزل الله تعالى وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة قل اتخذتم عند الله عهدا قال ابن مقسم
يعني توحيدا بدليل قوله تعالى الا من اتخذ عند الرحمن عهدا يعني لا اله الا الله فلن يخلف الله عهده ام
تقولون على الله ما لا تعلمون ثم اكذبهم فقال بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته فاولئك اصحاب
اصحاب النار هم فيها خالدون فبين تعالى ان الخلود في النار والجنة انما هو بحسب الايمان والكفر
لا بما قالوه قوله تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم فيه خمس مسايل الاولى فويل للذين اختلف
في الويل ما هو فروى عثمان بن عفان عن النبي صلى الله عليه وسلم انه جبل من نار وروى ابو سعيد الخدري
ان الويل واد في جهنم بين جبلين يهوي فيه الهاوي اربعين خريفا وروى سفيان وعطا بن يسار ان
الويل في هذه الاية واد يجري بفنا جهنم من صديد اهل النار وقيل صهريج في جهنم وحكى الزهراوي
عن اخرين انه باب من ابواب جهنم وعن ابن عباس الويل المشقة من العذاب وقال الخليل الويل شدة
الشر الاصمعي الويل تفجع والويل ترحم سيبويه ويل لمن وقع في الهلكة وويح زجر لمن اشرف على الهلكة
ابن عرفة الويل الحزن يقال تويل الرجل اذا دعا بالويل وانما يقال ذلك عند الحزن والمكروه ومنه قوله
فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم وقيل اصله الهلكة وكل من وقع في هلكة دعا بالويل ومنه يا ويلتنا
ما لهذا الكتاب وهي الويل والويلة وهما الهلكة والجمع الويلات قال • له الويل ان امسى ولا ام هاشم
وقال ايضا • فقالت لك الويلات انك مرجل • وارتفع الويل بالابتدا وجاز الابتدا به وان كان نكرة
لان فيه معنى الدعا قال الاخفش ويجوز النصب على اضمار فعل اي الزمهم الله ويلا وقال الفرا الاصل في
الويل وي اي حزن تقول وي لفلان اي حزن له فوصلته العرب باللام وقدروها انها منه فاعربوها
والاحسن فيه اذا فصل عن الاضافة الرفع لانه يقتضي الوقوع ويصح النصب على معنى الدعا كما ذكرنا
قال الخليل ولم يسمع على بنائه الا ويح وويس وويه وويك وويل وويب وكله يتفاوت في المعنى وقد
فرق بينها قوم وهي مصادر لم ينطق العرب منها بفعل قال الجرمي ومما ينتصب انتصاب المصادر ويلة
وعولة وويحة وويسة فاذا ادخلت اللام رفعت فقلت ويل له وويح له الثانية قوله تعالى للذين
يكتبون الكتابة معروفة واول من كتب بالقلم وخط به ادريس عليه السلام جا ذلك في حديث ابي ذر خرجه
الاجري وغيره وقد قيل ان ادم عليه السلام اعطي الخط فصار وراثة في ولده الثالثة قوله تعالى
بايديهم تاكيد فانه قد علم ان الكتب لا تكون الا باليد فهو مثل قوله ولا طاير يطير بجناحيه وقوله
يقولون بافواههم وقيل فايدة بايديهم بيان لجرمهم واثبات لمجاهرتهم فان من تولى الفعل اشد
مواقعة ممن لم يتوله وان كان رايا له قال ابن السراج بايديهم كناية عن انه من تلقايهم دون ان
ينزل عليهم وان لم تكن حقيقة في كتب ايديهم الرابعة في هذه الاية والتي قبلها التحذير من التبديل
والتغيير والزيادة في الشرع فكل من بدل او غير او ابدع في دين الله ما ليس منه ولا يجوز فيه فهو
داخل تحت هذا الوعيد الشديد والعذاب الاليم وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم امته لما
قد علم في اخر الزمان فقال الا ان من قبلكم من اهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة وان
هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين كلها في النار الا واحدة الحديث وسياتي فحذرهم ان يحدثوا
من تلقا انفسهم في الدين خلاف كتاب الله او سنته او سنة اصحابه فيضلوا به الناس وقد وقع
ما حذره وشاع وكثر وذاع فانا لله وانا اليه راجعون الخامسة ليشتروا به ثمنا قليلا وصف الله
تعالى ما ياخذونه بالقلة اما لفنائه وعدم ثوابه واما لكونه حراما لان الحرام لا بركة فيه ولا يربو عند
الله قال ابن اسحاق والكلبي كانت صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتابهم ربعة اسمر فجعلوه
ادم سبطا طويلا وقالوا لاصحابهم واتباعهم انظروا الى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي
يبعث في اخر الزمان ليس يشبهه نعت هذا وكانت للاحبار والعلما رياسة ومكاسب فخافوا ان
يبينوا ان تذهب ماكلهم ورياستهم فمن ثم غيروا ثم قال تعالى فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما

يكسبون قيل من المآكل وقيل من المعاني وكرر الويل تغليظا لفعلهم قوله تعالى وقالوا لن تمسنا النار الا اياما
معدودة الاية فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة اختلف
في سبب نزولها فقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لليهود من اهل النار قالوا نحن ثم تخلفونا انتم
فقال كذبتم لقد علمتم انا لا نخلفكم فنزلت هذه الاية قاله ابن زيد وقال عكرمة عن ابن عباس قدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ويهود يقول انما هذه الدنيا سبعة الاف وانما يعذب الناس في
النار لكل الف سنة من ايام الدنيا يوم واحد في النار من ايام الاخرة وانما هي سبعة ايام فانزل الله
الاية وهذا قول مجاهد وقالت طايفة قالت اليهود ان في التوراة ان جهنم مسيرة اربعين سنة
وانهم يقطعون في كل يوم سنة حتى يكملوها وتذهب جهنم ورواه الضحاك عن ابن عباس وعن ابن
عباس زعموا اليهود انهم وجدوا في التوراة مكتوبا ان ما بين طرفي جهنم مسيرة اربعين سنة
الى ان ينتهوا الى شجرة الزقوم وقالوا انما نعذب حتى ننتهي الى شجرة الزقوم فتذهب جهنم وتهلك
وعن ابن عباس ايضا وقتادة ان اليهود قالت ان الله اقسم ان يدخلهم النار اربعين يوما عدد عبادتهم
العجل فاكذبهم الله كما تقدم الثانية في هذه الاية رد على ابي حنيفة واصحابه حيث استدلوا بقوله
عليه السلام دعي الصلاة ايام اقرايك في ان مدة الحيض ما يسمى ايام الحيض واولها ثلاثة واكثرها عشرة قالوا
لان ما دون الثلاثة يسمى يوما ويومين وما زاد على العشرة يقال فيه احد عشر يوما ولا يقال فيه
ايام وانما يقال ايام من الثلاثة الى العشرة قال الله تعالى فصيام ثلاثة ايام في الحج تمتعوا في داركم
ثلاثة ايام سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام فيقال لهم فقد قال الله تعالى في الصوم اياما
معدودات يعني جميع الشهر وقال لن تمسنا النار الا اياما معدودات يعني اربعين يوما وايضا فاذا
اضيفت الايام الى عارض لم يرد به تجديد العدد بل يقال ايام مشيك وسفرك واقامتك وان كان
ثلاثين وعشرين وما شيت من العدد ولعله اراد ما كان معتادا لها والعادة ست او سبع فخرج الكلام
والله اعلم الثالثة قوله تعالى قل اتخذتم تقدم القول في اتخذ فلا معنى لاعادته عند الله عهدا
اي اسلفتم عملا صالحا فامنتم واطعتم مستوجبون بذلك الخروج من النار وهل عرفتم ذلك بوحيه
الذي عهده اليكم فلن يخلف الله عهده قولان ام تقولون على الله ما لا تعلمون توبيخ قوله تعالى بلى
من كسب سيئة واحاطت به خطيئته فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى بلى اي ليس الامر كما ذكرتم
قال سيبويه ليس بلى ونعم اسمين وانما هما حرفان مثل بل وغيره وهي رد لقولهم لن تمسنا وقال الكوفيون
اصلها بل التي للاضراب عن الاول زيدت عليها اليا ليحسن الوقف عليها وضمت اليا معنى الايجاب
والانعام قيل يدل على رد الجحد واليا تدل على الايجاب لما بعد قالوا ولو قال قايل الم تاخذ دينارا فقلت
نعم لكان المعنى لا لم اخذ لانك حققت النفي وما بعده فاذا قلت بلى صار المعنى قد اخذت قال الفرا
اذا قال الرجل لصاحبه ما لك على شي فقال الاخر نعم كان تصديقا لان لا شي له عليه ولو قال بلى كان
ردا لقوله وتقديره بلى لي عليك وفي التنزيل الست بربكم قالوا بلى ولو قالوا نعم لكفروا الثانية قوله
تعالى سيئة السيئة الشرك قال ابن جريج قلت لعطا من كسب سيئة قال الشرك وتلى ومن جا بالسيئة
فكبت وجوهكم في النار وكذا قال الحسن وقتادة قالا والخطيئة الكبيرة الثالثة لما قال تعالى من كسب
سيئة واحاطت به خطيئته دل على ان المعلق على شرطين لا يتنجز باقلهما ومثله قوله تعالى قالوا ربنا الله
ثم استقاموا وقوله عليه السلام لسفيان بن عبد الله الثقفي وقال له يرسول الله قل لي في الاسلام
قولا لا اسال عنه احدا بعدك قال قل امنت بالله ثم استقم رواه مسلم وقد مضى القول في هذا المعنى وما
للعلما فيه عند قوله تعالى لادم وحوا ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين وقرا نافع خطيئاته بالجمع
الباقون بالافراد والمعنى الكثرة مثل قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قوله تعالى واذ اخذنا
ميثاق بني اسرايل الاية فيها عشر مسايل الاولى قوله تعالى واذ اخذنا ميثاق بني اسرايل تقدم الكلام
في بيان هذه الالفاظ واختلف في الميثاق هنا فقال مكي هو الميثاق الذي اخذ عليهم حين اخرجوا من
صلب ادم كالذر وقيل هو ميثاق اخذ عليهم وهم عقلا في حياتهم على السنة انبيايهم وهو قوله لا تعبدون
الا الله وعبادة الله اثبات توحيده وتصديق رسله والعمل بما انزل في كتبه الثانية قوله
تعالى لا تعبدون قال سيبويه لا تعبدون متعلق بقسم والمعنى واذ استخلفناكم والله لا تعبدون واجازه
المبرد والكساي والفرا وقرا ابي وابن مسعود لا تعبدوا على النهي ولهذا وصل الكلام بالامر فقال وقوموا
وقولوا واقيموا واتوا وقيل هو في موضع الحال اي اخذنا ميثاقهم موحدين او غير معاندين قاله قطرب
والمبرد ايضا وهذا انما يتجه على قراة ابن كثير وحمزة والكساي يعبدون باليا من اسفل وقال الفرا
والزجاج وجماعة المعنى اخذنا ميثاقهم بان لا يعبدون الا الله وبان يحسنوا للوالدين وبان لا يسفكوا

عشرة ح

الدما

الدما ثم حذفت ان واليا فارتفع الفعل لزوالها كقوله عز وجل افغير الله تامروني قال المبرد هذا خطا لان
كل ما اضمر في العربية فهو يعمل عمله مظهرا تقول وبلد قطعت اي ورب بلد قلت ليس بخطا بل هما
وجهان صحيحان وعليهما انشد الا ايها الزاجري احضر الوغا وان اشهد اللذات هل انت مخلدي
بالنصب والرفع فالنصب على اضمار ان والرفع على حذفها الثالثة قوله تعالى وبالوالدين احسانا اي
وامرناهم بالوالدين احسانا وقرن الله عز وجل في هذه الاية حق الوالدين بالتوحيد لان النشاة
الاولى من عند الله والنشو الثاني وهو التربية من جهة الوالدين ولهذا قرن تعالى الشكر لهما بشكره
فقال ان اشكر لي ولوالديك والاحسان الى الوالدين معاشرتهما بالمعروف والتواضع لهما وامتثال امرهما
والدعا بالمغفرة بعد مماتهما وصلة اهل ودهما على ما ياتي بيانه مفصلا في الاسرا ان شا الله تعالى الرابعة
قوله تعالى وذي القربى عطف ذي القربى على الوالدين والقربى بمعنى القرابة وهو مصدر كالرجعى
والعقبى اي وامرناهم بالاحسان الى القرابات بصلة ارحامهم وسياتي بيان هذا في سورة القتال
ان شا الله تعالى الخامسة قوله تعالى واليتامى اليتامى عطف ايضا وهو جمع يتيم مثل ندامى جمع نديم
واليتم في بني ادم بفقد الاب وفي البهايم بفقد الام وحكى الماوردي ان اليتم يقال في بني ادم في فقد الام
والاول المعروف واصله الانفراد يقال صبي يتيم اي مفرد من ابيه وبيت يتيم اي ليس قبله ولا بعده شي
من بيوت الشعر ودرة يتيمة ليس لها نظير وقيل اصله الابطا فسمي به اليتيم لان البر يبطي عنه ويقال
يتم ييتم يتما مثل عظم يعظم ويتم ييتم يتما ويتما مثل سمع يسمع ذكر الوجهين الفرا وقد ايتمه الله
ويدل هذا على الرافة باليتيم والحض على كفالته وحفظ ماله على ما ياتي بيانه في النسا وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم كافل اليتيم له او لغيره انا وهو كهاتين في الجنة واشار مالك بالسبابة والوسطى
رواه ابو هريرة اخرجه مسلم وخرج الامام الحافظ ابو محمد عبد الغني بن سعيد من حديث الحسن بن دينار
ابو سعيد البصري هو الحسن بن واصل قال حدثنا الاسود بن عبد الرحمن عن مصان عن ابي موسى الاشعري
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما قعد يتيم مع قوم على قصعتهم فيقرب قصعتهم الشيطان وخرج ايضا
من حديث حسين بن قيس وهو ابو علي الرحبي عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من ضم يتيما من بين مسلمين الى طعامه وشرابه حتى يغنيه الله عز وجل غفرت له ذنوبه البتة
الا ان يعمل عملا لا يغفر ومن اذهب الله كريمتيه فصبر واحتسب غفرت له ذنوبه قالوا وما كريمتاه
قال عيناه ومن كان له ثلاث بنات او ثلاث اخوات فانفق عليهن واحسن اليهن حتى يبر او يمتن غفرت
له ذنوبه البتة الا ان يعمل عملا لا يغفر فناداه رجل من الاعراب ممن هاجر فقال يرسول الله او
اثنتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم او اثنتين فكان ابن عباس اذا حدث هذا الحديث قال
هذا والله من غرايب الحديث وغروره السادسة السبابة من الاصابع هي التي تلي الابهام وكانت
في الجاهلية تدعى بالسبابة لانهم كانوا يسبون بها فلما جا الله بالاسلام كرهوا هذا الاسم فسموها
المشيرة لانهم كانوا يشيرون بها الى الله بالتوحيد وتسمى ايضا بالسباحة جا تسميتها بذلك في حديث
وايل بن حجر وغيره ولكن اللغة شارت بما كانت تعرفه في الجاهلية فغلبت وروي عن اصابع رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان المشيرة منها كانت اطول من الوسطى ثم الوسطى اقصر منها ثم البنصر اقصر من
الوسطى روى يزيد بن هارون قال اخبرنا عبد الله بن مقسم الطايفي قال حدثتني عمتي سارة
بنت مقسم انها سمعت ميمونة بنت كردم قالت خرجت في حجة حجها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته وساله ابي عن اشيا فلقد رايتني اتعجب وانا
جارية من طول اصبعه التي تلي الابهام على ساير اصابعه فقوله عليه السلام انا وهو كهاتين في الجنة
وقوله في الحديث الاخر احشر انا وابو بكر وعمر يوم القيامة هكذا واشار باصابعه الثلاث فانما اراد ذكر
المنازل والاشراف على الخلق فقال نحشر هكذا ونحن مشرفون وكذا كافل اليتيم تكون منزلته رفيعة
فمن لم يعرف شان اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم حمل تاويل الحديث على الانضمام والاقتراب
بعضهم من بعض في محل القرابة وهذا معنى بعيد لان منازل الرسل والنبيين والصديقين والشهدا
والصالحين مراتب متباينة ومنازل مختلفة السابعة قوله تعالى والمساكين المساكين عطف ايضا اي
وامرناهم بالاحسان الى المساكين وهم الذين اسكنتهم الحاجة وذللتهم وهذا يتضمن الحض على الصدقة
والمواساة وتفقد احوال المساكين والضعفا روى مسلم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
الساعي على الارملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله واحسبه قال وكالقايم لا يفتر من صلاته لا يفطر
قال ابن المنذر وكان طاوس يرى السعي على الاخوات افضل من الجهاد في سبيل الله الثامنة قوله
تعالى وقولوا للناس حسنا حسنا نصب على المصدر على المعنى لان المعنى ليحسن قولكم وقيل التقدير

وقولوا للناس قولا اذا حسن فهو مصدر كالعلى الجعفى وقرا حمزة والكسائى حسنا بفتح الحاء والسين قال
الاخفش هما بمعنى واحد مثل البخل والبخل والرشد والرشد وحكى الاخفش حسنى بغير تنوين على فعلى
قال النحاس وهذا لا يجوز فى العربية لا يقال من هذا شئ الا بالالف واللام نحو الفضلى والكبرى والحسنى
هذا قول سيبويه وقرا عيسى بن عمر حسنا بضمتين مثل الحلم قال ابن عباس المعنى قولوا لهم لا اله الا الله
ومروهم بها ابن جريج قولوا للناس صدقا فى امر محمد صلى الله عليه وسلم ولا تغيروا نعته سفيان الثورى كلموهم
بالمعروف وانهوهم عن المنكر ابو العالية قولوا لهم الطيب من القول وحاوروهم باحسن ما تحبون ان يحاوروا
به وهذا كله حض على مكارم الاخلاق فينبغى للانسان ان يكون قوله للناس ليبا ووجهه منبسطا منطلقا
مع البر والفاجر والسنى والمبتدع من غير مداهنة ومن غير ان يتكلم معه بكلام يظن انه يرضى مذهبه لان
الله تعالى قال للموسى وهارون فقولا له قولا لينا فليس باخفض من موسى وهارون والفاجر ليس باخبث
من فرعون وقد امرهما الله تعالى بالدين معه وقال طلحة بن عمر قلت لعطا انك رجل يجتمع عندك ناس
ذوو اهواء مختلفة وانا رجل فى حدة فاقول لهم بعض القول الغليظ فقال لا تفعل يقول الله تعالى وقولوا
للناس حسنا فدخل فى هذه الاية اليهود والنصارى فكيف بالحنفى وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال
لعايشة لا تكونى فحاشة فان الفحش لو كان رجلا لكان رجل سوء وقيل اراد بالناس محمدا صلى الله عليه وسلم
كقوله ام يحسدون الناس فكانه قال وقولوا للنبى صلى الله عليه وسلم حسنا وحكى المهدوى عن قتادة ان قوله
وقولوا للناس حسنا منسوخ بآية السيف وحكاه ابو نصر عبد الرحيم عن ابن عباس قال ابن عباس نزلت
هذه الاية فى الابتداء ثم نسختها آية السيف قال ابن عطية وهذا على هذه الامة حوطتهم بمثل هذا
اللفظ فى صدر الاسلام واما الخبر عن بنى اسرائيل وما امروا به فلا نسخ فيه والله اعلم التاسعة قوله
تعالى واقيموا الصلاة واتوا الزكاة تقدم القول فيه والخطاب لبنى اسرائيل قال ابن عطية وزكاتهم
هى التى كانوا يضعونها فتنزل النار على ما تقبل ولا تنزل على ما لم يتقبل ولم تكن كزكاة امة محمد صلى الله
عليه وسلم قلت وهذا يحتاج الى نقل كما ثبت ذلك فى الغنايم وقد روى عن ابن عباس انه قال الزكاة التى
امروا بها طاعة الله والاخلاص العاشرة قوله تعالى ثم توليتم الخطاب لمعاصرى امة محمد صلى الله عليه
وسلم واسند اليهم تولى اسلافهم اذ هم كلهم بتلك السبيل فى اعراضهم عن الحق مثلهم كما قال

شمشنه اعرفهما من اخزم • الا قليلا ابو عبد الله بن سالم واصحابه وقليلا نصب على الاستثناء
والمستثنى عند سيبويه منصوب لانه مشبه بالمفعول وقال محمد بن يزيد هو مرفوع على الحقيقة المعنى
استثنيت قليلا وانتم معرضون ابتداء وخبر والاعراض والتولى بمعنى واحد مخالف بينهما فى اللفظ وقيل
التولى بالجسم والاعراض بالقلب قال المهدوى وانتم معرضون حال كان التولى فيه دلالة على الاعراض قوله
تعالى واذ اخذنا ميثاقكم تقدم القول فيه ثم قيل هو خطاب لمعاصرى امة محمد صلى الله عليه وسلم
تعالى واذ اخذنا ميثاقكم تقدم القول فيه لا تسفكون المراد بنو اسرائيل ودخل فيه بالمعنى من بعدهم ولا تسفكون
مثل لا تعبدون فى الاعراب وقرا طلحة بن مصرف وشعيب بن ابى حمزة بضم الفاء وهى لغة وابو نهيك تسفكون
بضم التاء وتشديد الفاء وفتح السين والتشديك النصب وقد تقدم ولا تخرجون معطوف انفسكم النفس
الارتخال وقال الخليل كل موضع حله قوم فهو دارهم وان لم تكن فيه ابنية وقيل سميت دارا لدورها
على سكانها كما يسمى الحايط حيطا لاحاطته على ما يحويه واقررتم من الاقرار اى بهذا الميثاق الذى اخذ
عليكم وعلى اوليكم وانتم تشهدون من الشهادة اى شهدا بقلوبكم على هذا وقيل الشهادة بمعنى الحضور
اى تحضرون سفك دمائكم واخراج انفسكم من ديارهم الثانية فان قيل هل يسفك احد دمه ويخرج
نفسه من داره فيل له لما كانت ملتهم واحدة وامرهم واحدا وكانوا فى الامم كالشخص جعل قتل بعضهم
لبعض واخراج بعضهم بعضا قتلا لانفسهم وتنقيا لها وقيل المراد القصاص اى لا يقتل احد فيقتل
قصاصا فكانه سفك دمه وكذلك لا يزنى ولا يرتد فان ذلك يبيح الدم ولا يفسد فينفى فيكون قد
اخرج نفسه من داره وهذا تاويل فيه بعد وان كان صحيح المعنى وان كان الامر ان الله تعالى قد اخذ على
بنى اسرائيل فى التوراة ميثاقا ان لا يقتل بعضهم بعضا ولا يسفكه ولا يسترقه ولا يدعه يسترق فالى غير
ذلك من الطاعات قلت وهذا كله محرم علينا وقد وقع ذلك كله بالفتن فينا فانا لله وانا اليه راجعون
وفى التنزيل او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض وسياتى قال ابن خويز منداد وقد يجوز ان يراد
به الظاهر لا يقتل الانسان نفسه ولا يخرج من داره سفيها كما يقتل الهند انفسها او يقتل الانسان
نفسه من جهد او بلا يصيبه او يهيم فى الصحراء او يأوى البيوت جهلا فى دينانه وسفها فى جملة فهو عموم
فى جميع ذلك وقد روى ان عثمان بن مظعون بايع فى عشرة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

بلغ مقابلة

فعزموا

فعزموا ان يلبسوا المسوح ويهيموا فى الصحارى ولا يأووا البيوت ولا ياكلوا اللحم ولا يغشوا النساء فبلغ ذلك النبى
صلى الله عليه وسلم فاتى دار عثمان بن مظعون فلم يجده فقال لامراته ما حديث بلغنى عن عثمان فكرهت ان تفشى
سر زوجها وان تكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان كان بلغك شئ فهو كما بلغك فقال
يا عثمان اخلاف لسنتى امر على غير ملتى انى اصلى وانام واصوم وافطر واغشى النساء واوى البيوت واهل
اللهم من رغب عن سنتى فليس منى فرجع عثمان واصحابه عما كانوا عليه قوله تعالى ثم انتم هؤلاء انتم
فى موضع رفع بالابتداء ولا يعرب لانه مضمر وضمت التاء من انتم لانها كانت مفتوحة اذا خاطبت واحدا
مذكرا ومكسورة اذا خاطبت واحدة مؤنثة فلما ثنيت وجمعت لم يبق الا الضمة هؤلاء قالا الفتى التقدير
يا هؤلاء قال النحاس وهذا خطا على قول سيبويه لا يجوز هذا قبل وقال الزجاج هؤلاء بمعنى الذين وتقتلون
داخل فى الصلة اى ثم انتم الذين تقتلون وقيل هؤلاء رفع بالابتداء وانتم خبر مقدم وتقتلون حال مراد
وقيل هؤلاء نصب باضمار اعنى وقرا الزهرى تقتلون بضم التاء مشددة وكذلك فلم تقتلون انبياء الله
وهذه الاية خطاب للمواجهين لا يحتمل رده الى الاسلاف نزلت فى بنى قينقاع وقريظة والنضير من اليهود
وكانت بنو قينقاع اعداء قريظة وكانت الاوس حلفا بنى قينقاع والخزرج حلفا بنى قريظة والنضير
والاوس والخزرج اخوان وقريظة والنضير ايضا اخوان ثم افترقوا فكانوا يقتتلون ثم يرتفع كل
حرب فيفدون اسراهم فعيرهم الله بذلك فقال وان ياتوكم اسارى تفدوهم قوله تعالى تظاهرون
معنى تظاهرون تتعاونون مشتق من الظهر لان بعضهم يقوى بعضا فيكون له كالظهر ومنه قول الشاعر

تظاهر تم استاه بيت بجمعت • على واحد لا زلتم قرن واحد

والاثم الفعل الذى يستحق عليه صاحبه الذم والعدوان الافراط فى الظلم والتجاوز فيه وقرا اهل المدينة
واهل مكة تظاهرون بالتشديد يدغمون التاء فى الظاء لقربها منها والاستظاهرون وقرا الكوفيون
تظاهرون مخففا حذفوا التاء الثانية لدلالة الاولى عليها وكذا وان تظاهروا عليه وقرا قتادة يظهرون
عليهم وكله راجع الى معنى التعاون ومنه وكان الكافر على ربه ظهيرا وقوله والملايكة بعد ذلك ظهير
فاعلمه قوله تعالى وان ياتوكم اسارى تفدوهم فيه ست مسايل الاولى قوله تعالى وان ياتوكم اسارى
شرط وجوابه تفدوهم واسارى نصب على الحال قال ابو عبيد وكان ابو عمرو يقول ما صار فى ايديهم
وما جا مستاسرا فهم الاسرى ولا يعرف اهل اللغة ما قال ابو عمرو وانما هو كما يقول سكارى وسكرى وقراة
الجماعة اسارى ما عدا حمزة فانه قرا اسرى على فعلى جمع اسير بمعنى ما سور والباب فى تكسيره اذا كان كذلك
فعلى كما تقول قتيل وقتلى وجريح وجرحى قال ابو حاتم ولا يجوز اسارى وقال الزجاج يقال اسارى كما يقال
سكارى وفعالى هو الاصل وفعالى داخلة عليها وحكى عن محمد بن يزيد قال يقال اسير واسرا كظريف وظرفا قال
ابن فارس يقال فى جمع اسير اسرى واسارى وقرى بهما وقيل اسارى بفتح الهمزة وليست بالعالية الثانية
الاسير مشتق من الاسار وهو القد الذى يشد به الحمل فسمى اسيرا لانه يشد وثاقه والقرن نقول قد
استرقته اى شده ثم سمى كل اخذ اسيرا وان لم يوسر قال الاعشى

وقيد فى الشعر فى بيته • كما قيد الاسرات الحمارا

اى انا فى بيته يريد بذلك بلوغه والنهاية فاما الاسر فى قوله عز وجل وشددنا اسرهم فمعناه الخلق
واسرة الرجل رهطه لانه يتقوى بهم الثالثة قوله تعالى تفادوهم كذا قرا نافع وحمزة والكسائى
الباقون تفدوهم من الفداء والفداء طلب القدية من الاسير الذى فى ايديهم قال الجوهرى الفداء الكسر
اوله يمد ويقصر واذا فتح فهو مقصور يقال قم فداك الخ ومن العرب من يكسر فدى بالتنوين اذا جاوز لام
الجر خاصة فتقول فداء لك لانه نكرة يريدون به معنى الدعاء وانشد الاصمعى للنابغة

مهلا فداء لك الاقوام كلهم • وما انمر من مال ومن ولد

ويقال فداه وفاداه اذا اعطى فداه فانقده وفداه بنفسه وفداه تفدية اذا قال جعلت فداك ويتفادوا
اى افدى بعضهم بعضا والفدية والفدى والفداء كله بمعنى وفاديت نفسى اذا اطلقتها بعد ان دفعت
شيا بمعنى فديت ومنه قول العباس للنبى صلى الله عليه وسلم فاديت نفسى وفاديت عقيلا وهما فعلان
متعديان الى مفعولين الثانى منهما بحرف الجر تقول فديت نفسى بمالى وفاديته بمالى قال الشاعر

فهى فادى اسيرك ان قوى • وقومك مما ارى لهم اجتماعا

الرابعة قوله تعالى وهو محرم عليكم اخراجهم هو مبتدا وهو كناية عن الاخراج ومحرم خبره واخراجهم بدل
من هو وان شئت كان كناية عن الحديث والقصة والجملة التى بعده خبره اى والامر محرم عليكم اخراجهم
فاخراجهم مبتدا ان ومحرم خبرهن والجملة خبر عن هو وفى محرم ضمير ما لم يسم فاعله يعود على الاخراج ويجوز
ان يكون محرم مبتدا واخراجهم لما لم يسم فاعله يسد مسد خبر محرم والجملة خبر عن هو وزعم الفراء ان هو عماد

وهذا عند البصريين خطأ لا معنى له لان العماد لا يكون في اول الكلام ويقرأ وهو بسكون الهاء لثقل الضمة
كما قال الشاعر
فهو لا تشتي ممتنه ماله ٭ لا عدم من نفره وكذلك الاجيث
باللام وثم وقد تقدم قال علماؤنا ما كان الله تعالى قد اخذ عليهم اربعة عهود ترك القتل وترك الاخراج
وترك المظاهرة وفدا اسريهم فاعرضوا عن كلها الا الفداء وبخهم الله تعالى على ذلك توبيخا يتلى
فقال افتومنون ببعض الكتاب وهي التوراة وتكفرون ببعض قلت ولعمر الله لقد اعرضنا نحن
عن الجمع بالقتل فظاهر بعضنا على بعض لميت بالمسلمين بل بالكافرين حتى تركنا اخواننا الاصاغرين
يجري عليهم حكم المشركين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم قال علماؤنا فداء الاسارى واجب وان لم
يبق درهم واحد قال ابن خواز منداد تضمنت الاية وجوب فك الاسارى وامر بفعلهم وجرى بذلك
عمل المسلمين وانعقد به الاجماع ويجب فك الاسارى من بيت المال فان لم يكن فهو فرض على كافة
المسلمين ومن قام به منهم اسقط الفرض عن الناس وسيأتي الخامسة قوله تعالى فما جزاء من يفعل ذلك
منكم الا خزي في الحياة الدنيا الابتداء وخبر والخزي الهوان قال الجوهري وخزي بالكسر يخزى خزيا اذا ذل وهان
قال ابن السكيت وقع في بلية وأخزاه الله وخزي ايضا يخزى خزاية اذا استحيى فهو خزيان وقوم
خزايا وامرأة خزيا السادسة قوله تعالى ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب وما الله بغافل عما
تعملون تقدم القول فيه وكذا اولئك الذين اشتروا الاية فلا معنى للاعادة ويوم منصوب بيردون
قوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب يعني التوراة وقفينا اي اتبعنا والتقفية الاتباع والارداف
ماخوذ من اتباع القفا وهو مؤخر العنق تقول استقفيته اذا جئت من خلفه ومنه سمي قافية الشعر
لانها تتلو اسا الكلام والقافية القفا ومنه الحديث يعقد الشيطان على قافية راس احدكم
والقفو والقفاوة ما يدخر من الدين وغيره لمن تريد اكرامه وقفوت الرجل قذفته بحجر وفلان
قفوني اي تهمني وقفوني اي خبرني قال ابن دريد كانه من الاضداد قال العلماء وهذه الاية مثل قوله تعالى
ثم ارسلنا رسلنا تترى وكلما جاء بعد موسى فانما جاء بآيات التوراة والامر بلزومها الى عيسى عليه
السلام ويقال رسل ورسل لغتان الاولى لغة الحجاز والثانية لغة تميم وسواء كان مضافا او غير مضاف
وكان ابو عمرو يخفف اذا اضاف الى حرفين وينقل اذا اضاف الى حرف واحد قوله تعالى وآتينا عيسى بن
مريم البينات اي الحج والدلالات وهي التي ذكرها الله في آل عمران والمائدة قاله ابن عباس وايدناه
اي قويناه وقرأ مجاهد وابن محيصن ايدناه بالمد وهما لغتان بروح القدس روى ابو مالك وابو صالح
عن ابن عباس ومعمر عن قتادة قالا جبريل عليه السلام وقال حسان
وجبريل رسول الله فينا ٭ وروح القدس ليس به خفاء
قال النحاس وسمي جبريل روحا واضيف الى القدس لانه كان بتكوين الله عز وجل له روحا من غير ولادة والد
ولده وكذلك سمي عيسى روحا منها وروى غالب بن عبيد الله عن مجاهد قال القدس هو الله عز وجل وكذا
قال الحسن القدس الله وروحه جبريل وروى ابو روق عن الضحاك عن ابن عباس بروح القدس قال هو الاسم
الذي كان يحيي به عيسى الموتى وقاله سعيد بن جبير وعبيد بن عمير وهو اسم الله الاعظم وقيل المراد الانجيل
سماه روحا كما سمى الله القرآن روحا في قوله وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا والله اعلم والاول اظهر والقدس
الطهارة وقد تقدم قوله تعالى افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم اي بما لا توافقها ويلائمها ك
وحذفت الهاء لطول الاسم اي بما لا تهواه استكبرتم اي عن اجابته احتقارا بالرسل واستبعادا للرسالة ك
واصل الهوى الميل الى الشيء ويجمع اهواء كما جاء في التنزيل ولا يجمع اهوية على انهم قد قالوا في ندى اندية قال
الشاعر
في ليلة من جمادى ذات اندية ٭ لا يبصر الكلب في ظلمائها الطنبا
قال الجوهري وهو شاذ وسمي الهوى هوى لانه يهوي بصاحبه الى النار وكذلك لا يستعمل في الغالب الا فيما
ليس بحق وفيما لا خير فيه وهذه الاية من ذلك وقد تستعمل في الحق ومنه قول عمر رضي الله عنه في اسارى
بدر فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ابو بكر ولم يهو ما قلت وقالت عايشة للنبي صلى الله عليه وسلم
في صحيح الحديث والله ما ارى ربك الا يسارع في هواك خرجه مسلم قوله تعالى ففريقا كذبتم ففريقا
منصوب بكذبتم وكذا فريقا تقتلون وكان من كذبوه عيسى ومحمد عليهما السلام ومن قتلوه يحيى وزكريا
عليهما السلام عليها يأتي بيانه في سبحان الله قوله تعالى وقالوا يعني اليهود قلوبنا غلف بسكون
اللام جمع اغلف اي عليها اغطية مما تدعوننا اليه وهو مثل قوله قلوبنا في اكنة اي في وعية قاله مجاهد غلف
غشاوة وقال عكرمة عليها طابع وحكى اهل اللغة غلف السيف جعلت له غلافا فقلنا غلف وهو مسنود
عن الفهم والتمييز وقرأ ابن عباس والاعرج وابن محيصن غلف بضم اللام قال اي قلوبنا مملوة علما لا تحتاج
الى علم محمد صلى الله عليه وسلم ورد الله تعالى عليهم بقوله ولا غيره وقيل هو جمع غلاف مثل حمار وحمر اي قلوبنا اوعية

للعلم فما بالها لا تفهم عنك وقد وعينا علما كثيرا وقيل المعنى فكيف يغرب عنها علم محمد صلى الله عليه وسلم
فرد الله تعالى عليهم بقوله بل لعنهم الله تشريفا ان السبب في نفورهم عن الايمان انما هو انهم لعنوا بما
تقدم من كفرهم واجترامهم وهذا هو الجزاء على الذنب باعظم منه واصل اللعن في كلام العرب الطرد
والابعاد ويقال للذئب لعين وللرجل المطرود لعين قال الشماخ
ذعرت به القطا ونفيت عنه ٭ مقام الذئب كالرجل اللعين
ووجه الكلام مقام الذئب اللعين كالرجل فالمعنى ابعدهم الله من رحمته وقيل من توفيقه وهذا بينه
وقيل من كل خير وهذا عام وقليلا نعت لمصدر محذوف تقديره فايمانا قليلا ما يؤمنون وقال المعرى المعنى
لا يؤمنون الا بقليل مما في ايديهم ويكفرون بالكثرة ويكون قليلا منصوبا بنزع حرف الصفة وما صلة
اي فقليلا يؤمنون وقال الوا قدي معناه لا يؤمنون قليلا ولا كثيرا كما تقول ما اقلما تفعل كذا اي لا تفعله
البتة وقال الكسائي تقول العرب مررنا بارض فلما تنبت الكراث والبصل اي لا تنبت شيئا قوله تعالى
ولما جاءهم يعني اليهود كتاب يعني القرآن من عند الله مصدق نعت لكتاب ويجوز في غير القرآن نصب على
الحال وكذلك هو في مصحف ابي بالنصب فيما روى لما معهم يعني التوراة والانجيل يخبرهم بما فيهما وكانوا
من قبل يستفتحون اي يستنصرون والاستفتاح الاستنصار استفتحت استنصرت وفي الحديث كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح بصعاليك المهاجرين اي يستنصر بدعائهم وصلاتهم ومنه عسى الله
ان ياتي بالفتح والنصر فتح شيء مغلق هو برجع الى فوهر فتح الباب وروى النساي عن ابي سعيد الخدري
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انما نصر الله هذه الامة بضعيفها بدعوتهم وصلاتهم واخلاصهم وروى النساي
ايضا عن ابي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ابغوني في الضعيف فانكم انما تنصرون
وترزقون بضعفائكم قال ابن عباس كان يهود حيين يقاتل غطفان فلما التقوا هزمت يهود فعاذت
يهود بهذا الدعا وقالوا انا نسالك بحق النبي الامي الذي وعدتنا ان تخرجه لنا في اخر الزمان الا نصرتنا
عليهم قال فكانوا اذا التقوا عوا بهذا الدعا فهزموا اغطفان فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم كفروا فانزل الله
وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا اي بك يا محمد الى قوله فلعنة الله على الكافرين قوله تعالى فلما جاءهم
جواب لما الفا وما بعدها في تولد فلما جاءهم ما عرفوا في قول الفرا وجواب لما الثانية كفروا وقال الاخفش
سعيد جواب لما محذوف لعلم السامع وقاله الزجاج وقال المبرد جواب لما ولما في قوله كفروا واعيدت
لما الثانية لطول الكلام ويعيدك لك تقريرا للذنب وتاكيدا قوله تعالى بيسما اشتروا بيس في كلام العرب
مستوفية للذم كما ان نعم مستوفية وفي كل واحد منهما اربع لغات بيس بيس بيس بيس نعم نعم نعم نعم
ومذهب سيبويه ان ما فاعلة بيس ولا تدخل الا على اسما الاجناس والنكرات وكذلك نعم تقول نعم
الرجل زيد ونعم رجلا زيد فاذا كان معها اسم بغير لام فهو نصب ابدا واذا كان فيه الف ولام فهو رفع
ونصب رجلا على التمييز وفي نعم مضمر على شريطة التفسير وزيد مرفوع على وجهين على خبر ابتدا محذوف
كانه قيل من الممدوح قلت هو زيد والاخر على الابتدا وما قبله خبره واجاز ابو علي ان تليها ما موصولة
وغير موصولة من حيث كانت مبهمة تقع على الكثرة والاختصار احدا بعينه والتقدير عند سيبويه
بيس الشيء اشتروا به انفسهم ان يكفروا فان يكفروا في موضع رفع بالابتدا وخبره فيما قبله كقولك
بيس الرجل زيد وما على هذا القول موصولة وقال الاخفش ما في موضع نصب على التمييز كقولك بيس
رجلا زيد فالتقدير بيس شيئا ان يكفروا واشتروا به انفسهم على هذا القول اعتراض لانه يبقى فعل
بلا فاعل وقال الكسائي ما واشتروا بمنزلة اسم واحد قايم بنفسه والتقدير بيس اشتراوهم ان يكفروا
وهذا مردود فان نعم وبيس لا يدخلان على اسم معين معرف والشر اقرب تعرف باضافته الى الضمير قال
النحاس وابين هذه الاقوال قول الاخفش وسيبويه قال الفرا والكسائي ان تكفروا ان شيئت كانت ان في
موضع خفض رد على الهاء في به قال الفرا اي اشتروا انفسهم بان يكفروا بما انزل الله واشتروا بمعنى
باعوا والمعنى بيس الشيء الذي اختاروا لانفسهم حتى استبدلوا الباطل بالحق والكفر بالايمان قوله تعالى
بغيا معناه حسدا قاله قتادة والسدي وهو مفعول من اجله وهو على الحقيقة مصدر قال الاصمعي وهو
ماخوذ من قولهم قد بغى الجرح اذا فسد وقيل اصله الطلب ولذلك سميت الزانية بغيا ان يتزل في
موضع نصب اي ان ينزل اي لاجل ان انزل الله الفضل على نبيه صلى الله عليه وسلم وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب
وابن محيصن ان ينزل مخففا وكذلك سائر ما في القرآن الا وما ننزله الا بقدر معلوم في الحجر وفي الانعام على ان
ينزل الاية قوله تعالى فباوا اي رجعوا واكثر ما يقال في الشر وقد تقدم يقضب على عضب تقدم لمعنى
غضب الله اي عقابه فقيل الغضب الاول عبادتهم العجل والثاني كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم قاله ابن
عباس وقال عكرمة لانهم كفروا بعيسى ثم كفروا بمحمد يعني اليهود وروى سعيد عن ابي قتادة الاول

للمدح م

الفاح

صفة تاه قال الفراء يسمى العجلة شيئا
ولهذا ركب بحتبر او وقد القوارير

لكفرهم بالانجيل والثاني لكفرهم بالقران وقال قوم المراد التابيد وشدة الحال عليهم لا انه اراد غضبين
معللين بغضبين ومهين ماخوذ من الهوان وهو ما اقتضى الخلود في النار ابدا بخلاف خلود العصاة
من المسلمين فان ذلك تمحيص لهم وتطهير كرجم الزاني وقطع السارق على ما ياتي بيانه في سورة النساء
من حديث ابي سعيد الخدري ان شا الله تعالى قوله تعالى واذا قيل لهم امنوا اي صدقوا بما انزل الله
يعني القران قالوا نومن اي نصدق بما انزل علينا يعني التوراة ويكفرون بما وراه اي بما سواه عن الفرا
وقتادة بما بعده وهو قول ابي عبيدة والمعنى واحد قال الجوهري ورا بمعنى خلف وقد تكون بمعنى قدام
وهي من الاضداد قال الله تعالى وكان وراهم ملك اي امامهم وتصغيرها ورية بالها وهي شاذة
وانتصب ورا على الظرف قال الاخفش يقال لقيته من وراء فيرفعه على الغاية اذا كان غير مضاف
تجعله اسما وهو غير متمكن كقولك من قبل ومن بعد وانشد

اذا انا لم اومن عليك ولم يكن ... لقاؤك الا من وراء وراء

قلت ومنه قول ابراهيم عليه السلام في حديث الشفاعة انما كنت خليلا من وراء وراء
والورا ولد الولد ايضا قوله تعالى وهو الحق ابتدا وخبر مصدقا حال موكدة عند سيبويه لما معهم
ما في موضع خفض باللام ومعهم صلتها ومعهم نصب بالاستقرار ومن اسكن جعله حرفا قوله
تعالى قل فلم تقتلون انبيا الله من الله رد من الله تعالى عليهم في قولهم انهم امنوا بما انزل عليهم وتكذيب
منه لهم وتوبيخ المعنى فكيف قتلتم وقد نهيتم عن ذلك فالخطاب لمن حضر محمدا عليه السلام والمراد
اسلافهم وانما توجه الخطاب لابنايهم لانه كانوا يقولون اوليك الذين قتلوا كما قال ولو كانوا يومنون
بالله والنبي وما انزل اليه ما اتخذوهم اوليا فاذا تولوهم فهم بمنزلتهم وقيل لانهم رضوا فعلهم
فنسب ذلك اليهم وجا تقتلون بلفظ الاستقبال وهو بمعنى المضي لما ارتفع الاشكال بقوله من قبل
واذا لم يشكل فجايز ان ياتي الماضي بمعنى المستقبل والمستقبل بمعنى الماضي قال الحطيئة

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه ... ان الوليد احق بالعذر

شهد بمعنى يشهد ان كنتم مومنين اي ان كنتم معتقدين الايمان فلم رضيتم بقتل الانبيا وقيل ان
بمعنى ما واصل لم لما حذفت الالف فرقا بين الاستفهام والخبر ولا ينبغي ان يوقف عليه لانه ان وقف عليه
بلاها كان لحنا وان وقف عليه بالها زيد في الشواهد قوله تعالى ولقد جاكم موسى بالبينات اللام لام
القسم والبينات قوله تعالى ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات وهي العصا والسنوت واليد والدم
والطوفان والجراد والقمل والضفادع وفلق البحر وقيل البينات التوراة وما فيها من الدلالات قوله تعالى
ثم اتخذتم العجل توبيخ وثم ابلغ من الواو في التقريع اي بعد النظر في الايات والاتيان بها اتخذتم وهذا
يدل على انهم انما فعلوا ذلك بعد مهلة من النظر في الايات وذلك اعظم لجرمهم قوله تعالى واذ اخذنا ميثاقكم
ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة واسمعوا تقدم الكلام في هذا ومعنى اسمعوا اطيعوا وليس
معناه الامر بادراك القول فقط وانما المراد اعملوا بما سمعتم والتزموه ومنه قولهم سمع الله لمن حمده
اي قبل واجاب قال

دعوت الله حتى خفت ان لا ... يكون الله يسمع ما اقول

اي يقبل وقال الراجز

والسمع والطاعة والتسليم ... خير واعفى لبني تميم

قالوا سمعنا وعصينا اختلف هل صدر منهم هذا القول حقيقة باللسان نطقا او يكونوا فعلوا فعلا
قام مقام القول فيكون مجازا كما قال

امتلا الحوض وقال قطني ... مهلا رويدا قد ملات بطني

وهذا احتجاج عليهم في قولهم نومن بما انزل علينا قوله تعالى واشربوا في قلوبهم العجل اي حب العجل والمعنى
جعلت قلوبهم مشربة وهذا تشبيه مجاز عبارة عن تمكن امر العجل في قلوبهم وفي الحديث تعرض الفتن على
القلوب كالحصر عودا عودا فايما قلب اشربها نكت فيه نكتة سودا الحديث خرجه مسلم يقال اشرب قلبه
حب كذا قال زهير

فصحوت عنها بعد حب داخل ... والحب يشربه فوادك داء

وانما عبر عن حب العجل بالشرب دون الاكل لان شرب الما يتغلغل في الاعضا حتى يصل الى باطنها والطعام
مجاور لها وغير متغلغل فيها وقد زاد على هذا المعنى احد التابعين فقال في زوجته عثمة كان عتب عليها
في بعض الايام فطلقها وكان محبا لها

تغلغل حب عثمة في فوادي ... فباديه مع الحافي يسير
تغلغل حيث لم يبلغ شراب ... ولا حزن ولم يبلغ سرور
اكاد اذا ذكرت العهد اني ... اطير لو ان انسانا يطير

فقال السدي وابن جريج ان موسى عليه السلام برد العجل وذراه في الما وقال لبني اسرايل اشربوا من ذلك
فشرب جميعهم فمن كان يحب العجل خرجت برادة الذهب على شفته وروي انه ما شربه احد الا جن حكاه
القشيري قلت اما تذريته في البحر فقد دل عليه قوله تعالى ثم لننسفنه في اليم نسفا واما شرب

الما

الما وظهور البرادة على الشفاة فيرده قوله تعالى في قلوبهم والله اعلم قوله تعالى قل بيس ما يامركم به
ايمانكم اي ايمانكم زعمتم في قولكم نومن بما انزل علينا وقيل ان هذا الكلام للنبي صلى الله عليه وسلم وامر ان يوبخهم
اي قل لهم يا محمد بيس هذه الاشيا التي فعلتم وامركم بها ايمانكم وقد مضى الكلام في بيسما والحمد لله وحده
قوله تعالى قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين
لما ادعت اليهود دعاوى باطلة حكاها جل وعز عنهم في كتابه بقوله لن تمسنا النار الا اياما معدودة
وقوله وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقالوا نحن ابنا الله واحباوه اكذبهم الله عز
وجل والزمهم الحجة فقال قل يا محمد ان كانت لكم الدار الاخرة يعني الجنة فتمنوا الموت ان كنتم صادقين
في اقوالكم لان من اعتقد انه من اهل الجنة كان الموت احب اليه من الحياة في الدنيا كما يصير اليه من نعيم الجنة
ويزول عنه من اذى الدنيا فاحجموا عن تمني ذلك فرقا من الله لقبح اعمالهم ومعرفتهم بكفرهم في قولهم نحن
ابنا الله وحرصهم على الدنيا ولهذا قال الله مخبرا عنهم بقوله الحق ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم
تحقيقا لكذبهم وايضا لو تمنوا الموت لماتوا لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو ان اليهود تمنوا
الموت لماتوا وراوا مقاعدهم من النار وقيل ان الله صرفهم عن اظهار التمني وقصرهم على الامساك ليجعل
ذلك اية لنبيه عليه السلام فهذه ثلاثة اوجه في تركهم التمني وحكى عكرمة عن ابن عباس في قوله
فتمنوا الموت ادعوا بالموت على اكذب الفريقين منا ومنكم فما دعوا لعلمهم بكذبهم فان قيل فالتمني يكون
باللسان تارة وبالقلب اخرى فمن اين علم انهم لم يتمنوه بقلوبهم قيل له نطق القران بذلك في قوله
ولن يتمنوه ولو تمنوه بقلوبهم لاظهروه بالسنتهم ردا على النبي صلى الله عليه وسلم واظهارا لحجته وهذا بين
قوله تعالى خالصة نصب على خبر كان وان شيت كان حالا ويكون عند الله في موضع الخبر ابدا ظرف زمان يقع
على القليل والكثير كالحين والوقت وهو هنا من اول العمر الى الموت وما في قوله بما بمعنى الذي والعايد
محذوف والتقدير قدمته وتكون مصدرية ولا تحتاج الى عايد وايديهم في موضع رفع حذفت الضمة
من اليا لثقلها مع الكسرة وان كانت في موضع نصب حركتها لان النصب خفيف ويجوز اسكانها في
الشعر والله عليم بالظالمين ابتدا وخبر قوله تعالى ولتجدنهم احرص الناس على حياة يعني اليهود ومن الذين
اشركوا قيل المعنى واحرص فحذف من الذين اشركوا لمعرفتهم بذنوبهم وان لا خير لهم عند الله ومشركوا العرب
لا يعرفون الا هذه الحياة ولا علم لهم من الاخرة الا ترى قول شاعرهم

تمتع من الدنيا فانك فان ... من النشوات والنسا الحسان

والضمير في احدهم يعود في هذا القول على اليهود وقيل ان الكلام في حياة ثم استوثق للاخبار عن طايفة
من المشركين قيل هم المجوس وذلك بين في ادعايهم للعاطس بلغاتهم ما معناه عش الف سنة وخص الالف
بالذكر لانه نهاية العقد والحساب وذهب الحسن الى ان الذين اشركوا مشركوا العرب خصوا بذلك لانهم
لا يومنون بالبعث فهم يتمنون طول العمر واصل سنه سنهه وقيل سنوة وقيل في الكلام تقديم وتاخير
والمعنى ولتجدنهم وطايفة من الذين اشركوا احرص الناس على حياة قوله تعالى يود احدهم اصل يود يودد
ادغمت لئلا يجمع بين حرفين من جنس واحد متحركين وقلبت حركة الدال على الواو وليدل ذلك على انه
يفعل وحكى الكسائي وددت فيجوز على هذا يود بكسر الواو ومعنى يود يتمنى قوله تعالى وما هو بمزحزحه
من العذاب ان يعمر اختلف النحاة في هو فقيل ضمير لاحد المتقدم ما احدهم بمزحزحه وخبر الابتدا في
المزحزح ان يعمر فاعل بمزحزح والخبر في المجرور ان يعمر بدل من التعمير على هذا القول وحكى الطبري عن فرقة
انها قالت هو عماد قلت وفيه بعد لان حق العماد ان يكون بين شيين متلازمين مثل قوله ان
هذا لهو القصص الحق وقوله ولكن كانوا هم الظالمين ونحو ذلك وقيل ما عاملة حجازية وهو اسمها والخبر في
بمزحزحه وقالت طايفة هو ضمير الامر والشان ابن عطية وفيه بعد فان المحفوظ عن النحاة ان يفسر بجملة
سالمة من حرف جر قوله بمزحزحه الزحزحة الابعاد والتنحية يقال زحزحته اي تباعدته فتزحزح اي
تنحى وتباعد يكون لازما ومتعديا قال الشاعر في المتعدي

يا قابض الروح من نفس اذا احتضرت ... وغافر الذنب زحزحني عن النار

وانشد ذو الرمة

يا قابض الروح عن جسم عصى زمنا ... وغافر الذنب زحزحني عن النار

وقال اخر

خليلي ما بال الرحا لا يتزحزح ... وما بال ضو الصبح لا يتوضح

وروى النسائي عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صام يوما في سبيل الله زحزح الله وجهه
عن النار سبعين خريفا وقوله والله بصير بما يعملون اي بما يعمل هولا الذين يود احدهم ان يعمر الف سنة
ومن قرا بالتا فالتقدير عنده قل لهم يا محمد بصير بما تعملون وقال علماونا وصف الله جل وعز نفسه
بانه بصير على معنى عالم بخفيات الامور والبصير في كلام العرب العالم بالشي الخبير به ومنه قولهم

وقالت طايفة هو ضمير التعمير والتقدير وما التعمير بمزحزحه صح
هو

فلان بصير بالطب وبصير بالفقه وبصير بملاقات الرجال قال

وان تسالوني بالنسا فانني ... بصير بادوا النسا طبيب

قال الخطابي البصير العالم والبصير المبصر وقيل وصف تعالى نفسه بانه بصير على معنى انه جاعل الاشيا المبصرة ذوات ابصار اي مدركة للمبصرات بما خلق لها من الالة المدركة والقوة فالله بصير بعباده اي جاعل عباده مبصرين قوله تعالى قل من كان عدوا لجبريل الاية سبب نزولها ان اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انه ليس نبي من الانبيا الا ياتيه ملك من الملايكة من ربه بالرسالة وبالوحي فمن صاحبك حتى نتابعك قال جبريل قالوا ذاك الذي ينزل بالحرب والقتال ذاك عدونا لو قلت ميكاييل الذي ينزل بالقطر وبالرحمة تابعناك فانزل الله الاية الى قوله للكافرين اخرجه الترمذي قوله تعالى فانه نزله على الضمير في انه يحتمل معنيين الاول فان الله نزل جبريل على قلبك الثاني فان جبريل نزل بالقران على قلبك وخص القلب بالذكر لانه موضع العقل والعلم وتلقي المعارف ودلت الاية على شرف جبريل عليه السلام وذم معاديه قوله تعالى باذن الله اي بعلمه وارادته مصدقا لما بين يديه يعني التوراة وهدى وبشرى للمومنين تقدم معناه والحمد لله قوله تعالى من كان عدوا لله شرط وجوابه فان الله عدو للكافرين وهذا وعيد وذم لمعادي جبريل واعلام ان عداوة البعض تقتضي عداوة الله لهم وعداوة العبد لله هي معصيته واجتناب طاعته ومعاداة اوليايه وعداوة الله للعبد تعذيبه واظهار اثر العداوة عليه فان قيل لم خص الله تعالى جبريل وميكاييل بالذكر وان كان ذكر الملايكة قد عمهما قيل له خصهما بالذكر تشريفا لهما كما قال فيهما فاكهة ونخل ورمان وقيل يخصا لان اليهود ذكروهما ونزلت الاية بسببهما فذكرهما واجب لئلا تقول اليهود انا لم نعاد الله وجميع ملايكته فنص الله تعالى عليهما لابطال ما يتاولونه من التخصيص ولعلما اللسان في جبريل وميكاييل عليهما السلام لغات فاما التي في جبريل فعشر الاولى جبريل وهي لغة الحجاز قال حسان بن ثابت

وجبريل رسول الله فينا

الثانية جبريل بفتح الجيم وهي قراة الحسن وابن كثير وروي عن ابن كثير انه قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم وهو يقرا جبريل وميكال فلا ازال اقراوهما ابدا كذلك الثالثة جبرئيل بيا بعد الهمزة مثال جبرعيل كما قرا اهل الكوفة وانشدوا

شهدنا فما تلقى من كتيبة ... مدى الدهر الا جبريل امامها

وهذه لغة تميم وقيس الرابعة جبريل على وزن جبرعل مقصور وهي قراة ابي بكر عن عاصم الخامسة مثلها وهي قراة يحيى بن يعمر الا انه شدد اللام السادسة جبرايل بالف بعد الرا ثم همزة وبها قرا عكرمة السابعة مثلها الا ان بعد الهمزة يا الثامنة جبراييل بيايين بغير همز وبها قرا الاعمش ويحيى بن يعمر ايضا التاسعة جبرين بفتح الجيم مع همزة مكسورة بعدها يا ونون العاشرة جبرين بكسر الجيم وتسكين البا بنون من غير همز وهي لغة بني اسد قال الطبري ولم يقرا بها قال النحاس وذكر قراة ابن كثير ولا يعرف في كلام العرب فقليل وفيه تعليل نحو دهليز وقطمير وبرطيل وليس ينكر ان يكون في كلام العجم ما ليس له نظير في كلام العرب ولا ينكر ان يكثر بغيره كما قالوا ابراهيم ابراهم وابراهم وابراهام قال غيره جبريل اسم اعجمي عربته العرب قلنا فيهما هذه اللغات ولذلك لم ينصرف قلت قد تقدم في اول الكتاب ان الصحيح في هذه الالفاظ عربية نزل بها جبريل بلسان عربي مبين قال النحاس ويجمع جبريل على التكسير جباريل واما اللغات التي في ميكاييل فست الاولى ميكايل قراة نافع وميكاييل بيا بعد الهمزة قراة حمزة ميكال لغة اهل الحجاز وهي قراة ابي عمرو وحفص عن عاصم وروي عن ابن كثير الثلاثة الاوجه قال كعب بن مالك

ويوم بدر لقيناكم لنا مدد ... فيه مع النصر ميكال وجبريل

وقال اخر

عبدوا الصليب وكذبوا محمد ... وبجبريل فكذبوا ميكالا

اللغة الرابعة ميكيل مثل ميكعل وهي قراة ابن محيصن الخامسة ميكاييل بيايين وهي قراة الاعمش بخلاف عنه السادسة ميكاال كما يقال اسرا ال بهمزة مفتوحة وهي اسم اعجمي فلذلك لم ينصرف وذكر ابن عباس ان جبر وميكا واسرا وكلها بالاعجمية بمعنى عبد ومملوك وايل اسم الله تعالى ومنه قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه حين سمع سجع مسيلمة هذا كلام لم يخرج من ال وفي التنزيل لا يرقبون في مومن الا ولا ذمة في احد التاويلين وسياتي قال الماوردي ان جبريل وميكايل اسمان احدهما عبد الله والاخر عبيد الله وميكايل عبيد الله هذا قول ابن عباس وليس له في المفسرين مخالف قلت وزاد بعض المفسرين واسرافيل عبد الرحمن قال النحاس ومن تاول الحديث جبر عبد وال الله وجب عليه ان يقول هذا جبر ال ورايت جبر ال ومررت بجبر ال وهذا لا يقال فوجب ان يكون معنى الحديث انه يكون مسمى بهذا قال غيره ولو كان كما قالوا لكان مصروفا فترك الصرف يدل على انه اسم واحد منفرد ليس بمضاف وروى عبد الغني الحافظ من حديث ابن حذيفة وقليت العامري وهو ابو حسان عن حسرة بنت دجاجة

وهو ح

عن عايشة

عن عايشة رضي الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم رب جبريل وميكايل واسرافيل اعوذ بك من حر النار وعذاب القبر قوله تعالى ولقد انزلنا اليك ايات بينات الاية قال ابن عباس هذا جواب لابن صوريا حيث قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد جيتنا بشي نعرفه وما انزل عليك من اية بينة فنتبعك بها احد فانزل الله هذه الاية ذكره الطبري قوله تعالى اوكلما عاهدوا عهدا الواو واو العطف دخلت عليها الف الاستفهام كما تدخل على الفا في قوله افحكم الجاهلية افانت تسمع الصم افتتخذونه وذريته وعلى ثم كقوله اثم اذا ما وقع هذا قول سيبويه وقال الاخفش الواو زايدة ومذهب سيبويه والكساي انها او حركة الواو ومن قراها قوم او ساكنة الواو فتجي بمعنى بل كما يقول القايل لاضربنك فيقول المجيب او يكفي الله قال ابن عطية وهذا كله متكلف والصحيح قول سيبويه كلما نصب على الظرف والمعنى بالاية مالك بن الصيف ويقال فيه بن الصيف كان قد قال والله ما اخذ علينا عهد في كتابنا ان نومن بمحمد ولا ميثاق فنزلت الاية وقيل ان اليهود عاهدوا لين خرج محمد ليومنن به وليكونن معه على مشركي العرب فلما بعث كفروا به وقال عطا هي العقود التي كانت بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين اليهود فنقضوها كفعل قريظة والنضير قوله تعالى الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون قوله تعالى نبذ فريق منهم النبذ الطرح والالقا ومنه النبيذ والمنبوذ قال ابو الاسود

وخبرني من كنت ارسلت انما ... اخذت كتابي معرضا بشمالكا

نظرت الى عنوانه فنبذته ... كنبذك نعلا اخلقت من نعالكا

اخر

ان الذين امرتهم ان يعدلوا ... نبذوا كتابك واستحل المحرم

وهذا مثل يضرب لمن يستخف بالشي فلا يعمل به تقول العرب اجعل هذا خلف ظهرك ودبرا منك وتحت قدمك اي اتركه واعرض عنه قال الله تعالى واتخذتموه وراكم ظهريا وانشد الفرا

تميم بن زيد لا تكونن حاجتي ... نظير فلا يغني علي جوابها

بل اكثرهم ابتدا وخبر لا يومنون فعل مستقبل في موضع الخبر قوله تعالى ولما جاهم رسول من عند الله مصدق نعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويجوز نصبه على الحال نبذ فريق جواب لما من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله ونصب بنبذ والمراد التوراة لان كفرهم بالشي وتكذيبهم له نبذ لها قال السدي نبذ التوراة واخذوا بكتاب اصف وسحر هاروت وماروت وقيل يجوز ان يعني به القران وقال الشعبي هو بين ايديهم يقرونه ولكن نبذوا العمل به وقال سفيان بن عيينة ادرجوه في الحرير والديباج وحلوه بالذهب والفضة ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه فلذلك النبذ وقد تقدم مستوفى كانهم لا يعلمون تشبيه بمن لا يعلم اذا فعلوا فعل الجاهل فيجي من اللفظ انهم كفروا على علم قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان الى قوله من خلاق فيه اربع وعشرون مسيلة الاولى قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان هذا اخبار من الله تعالى عن الطايفة الذين نبذوا الكتاب بانهم اتبعوا السحر ايضا وهم اليهود قال السدي عارضت اليهود محمدا بالتوراة فاتفقت التوراة والقران فنبذوا التوراة واخذوا بكتاب اصف وبسحر هاروت وماروت وقال محمد بن اسحاق لما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم سليمان من المرسلين قال بعض احبارهم يزعم محمد ان ابن داود كان نبيا والله ما كان الا ساحرا فانزل الله عز وجل ان سليمان ما كفر ولكن الشياطين كفروا اي القت الى بني ادم ان ما فعله سليمان من ركوب الريح واستسخار الطير والشياطين كان سحر قال الكلبي كتبت الشياطين السحر والزنجيات على لسان اصف كاتب سليمان استخرجوه وقالوا للناس انما ملككم بهذا فتعلموه فاما علما بني اسرايل فقالوا معاذ الله ان يكون هذا علم سليمان واما السفلة فقالوا هذا علم سليمان واقبلوا على تعليمه وقضوا كتب انبيايهم حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل على نبيه عذر سليمان واظهر براته مما رمي به فقال واتبعوا ما تتلوا الشياطين قال عطا تتلوا تقرا من التلاوة وقال ابن عباس تتلوا تتبع كما تقول جا القوم يتلوا بعضهم بعضا وقال الطبري اتبعوا بمعنى فضلوا قلت لان من اتبع شيا وجعله امامه فقد فضله على غيره ومعنى تتلوا بمعنى تلت فهو معنى المضي قال الشاعر

واذا مررت بقبره فاغفر به ... لوم الهجان وكل طرف سابح

وانضح جوانب قبره بدمايها ... فلقد يكون اخا دم وذبايح

اي فلقد كان وما مفعول واتبعوا اي اتبعوا ما تقولته الشياطين على سليمان وتلته وقيل ما نفي وليس بشي لا في نظام الكلام ولا في صحته قاله ابن العربي على ملك سليمان اي شرعه ونبوته قال الزجاج المعنى على عهد ملك سليمان وقيل المعنى في ملك سليمان يعني في قصصه وصفاته واخباره قال الفرا تصلح على وفي مثل هذا الموضع وقال علي ولم يقل بعد لقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته في تلاوته وقد تقدم معنى الشيطان واشتقاقه فلا معنى لاعادته والشياطين

هنا هم شياطين الجن وهو المفهوم من هذا وقيل المراد شياطين المتمردين في الضلال كقول جرير
ايام يدعونني الشيطان من غزلي • ولن يهوينني اذ كنت شيطانا
الثانية قوله تعالى وما كفر سليمان تبرية من الله لسليمان ولم يتقدم في الاية ان احدا نسبه الى الكفر
ولكن اليهود نسبته الى السحر لكن لما كان السحر كفرا صار بمنزلة من نسبه الى الكفر ثم قال ولكن الشياطين
كفروا فاثبت كفرهم بتعليم السحر ويعلمون في موضع نصب على الحال ويجوز ان يكون في موضع رفع على انه خبر
ثان وقرا الكوفيون سوى عاصم ولكن الشياطين بالتخفيف لكن ورفع النون من الشياطين وكذلك
في الانفال ولكن الله رمى وافقهم ابن عامر الباقون بالتشديد والنصب ولكن كلمة لها معنيان نفي
الخبر الماضي واثبات الخبر المستقبل وهي مبنية من ثلاث كلمات لا ك ان لا النفي والكاف خطاب وان
اثبات وتحقيق فذهبت الهمزة استثقالا وهي تثقل وتخفف فاذا ثقلت نصبت بان الثقيلة واذا
خففت رفعت بها كما ترفع بان الخفيفة الثالثة السحر قيل اصله التمويه بالحيل والتخاييل وهو ان
يفعل الساحر اشياء ومعاني فيخيل للمسحور انها بخلاف ما هي به كالذي يرى السراب من بعيد
فيخيل اليه انه ما وكراكب السفينة السايرة سيرا حثيثا يخيل اليه ان ما يرى من الاشجار والجبال
سايرة معه وقيل هو مشتق من سحرت الصبي اذا خدعته وكذلك اذا عللته والتسحير مثله قال لبيد
فان تسالينا فيم نحن فاننا • عصافير من هذا الانام المسحر
اخر
ارانا موضعين لامر غيب • ونسحر بالطعام وبالشراب
عصافير وذبان ودود • واجرا من مجللة الذياب
وقوله تعالى انما انت من المسحرين يقال المسحر الذي خلق ذا سحر ويقال من المعللين اي ممن ياكل
الطعام ويشرب الشراب وقيل اصله الخفا فان الساحر يفعله في خفية ويقال اصله الصرف يقال
ما سحرك عن كذا اي ما صرفك عنه فالسحر مصروف عن جهته وقيل اصله الاستمالة وكل من استمالك فقد
سحرك وقيل في قوله تعالى بل نحن قوم مسحورون اي سحرنا فازلنا بالتخييل عن معرفتنا وقال الجوهري
السحر الاخذة وكل ما لطف ماخذه ودق فهو سحر يسحره سحرا والساحر العالم وسحره ايضا بمعنى خدعه
وقد ذكرناه وقال ابن مسعود كنا نسمي السحر في الجاهلية العضة والعضة عند العرب شدة البهت
وتمويه الكذب قال الشاعر • اعوذ بربي من النفاثات • من عضه العاضه المعضه
الرابعة واختلف هل له حقيقة ام لا فذكر الغزنوي الحنفي في عيون المعاني له ان السحر عند المعتزلة
خدع لا اصل له وعند الشافعي وسوسة وامراض وعندنا اصله طلسم يبنى على تاثير خصايص الكواكب
كتاثير الشمس في زيبق عصي فرعون او تعليم الشياطين ليسهلوا له ما عسر قلت وعندنا انه حق وله
حقيقة يخلق الله عنده ما يشا على ما ياتي ان من السحر ما يكون بخفة اليد كالشعوذة والشعوذي البريد
لخفة بسيرة قال ابن فارس في المجمل الشعوذة ليست من كلام اهل البادية وهي خفة في اليدين واخذة
كالسحر ومنه ما يكون كلاما يحفظ ورقى من اسما الله تعالى وقد يكون من عهود الشياطين ويكون ادوية
وادخنة وغير ذلك الخامسة سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفصاحة في الكلام واللسانة فيه سحرا
فقال ان من البيان سحرا اخرجه مالك وذلك لان فيه تصويب الباطل حتى يتوهم السامع انه حق
فعلى هذا يكون قوله عليه السلام ان من البيان سحرا خرج مخرج الذم للبلاغة والتفصيل للبيان قاله جماعة
من اهل العلم والاول اصح والدليل عليه السلام فلعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض وقوله ان ابغضكم
الي الثرثارون المتفيهقون الثرثرة كثرة الكلام وترديده يقال ثرثر الرجل فهو ثرثار مهذار والمتفيهق
نحوه قال ابن دريد فلان يتفيهق في كلامه اذا توسع فيه وتنطع قال واصله الفهق وهو الامتلا كانه
ملا به فمه قلت وبهذا المعنى الذي ذكرناه فسره عامر الشعبي راوي الحديث وصعصعة بن صوحان
فقال اما قوله صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا فالرجل يكون عليه الحق وهو الحن بالحجج من صاحب الحق
فيسحر القوم ببيانه فيذهب بالحق وهو عليه انما يحمد العلما البلاغة واللسانة ما لم يخرج الى حد الاسهاب
والاطناب وتصوير الباطل في صورة الحق وهذا بين والحمد لله السادسة من السحر ما يكون كفرا
من فاعله مثل ما يدعون من تغيير صور الناس واخراجهم من هيئة بهيمة وقطع مسافة شهر في ليلة
والطيران في الهوى فكل من فعل هذا ليوهم الناس انه محق فذلك كفر منه قاله ابو نصر عبد الرحمن القشيري
قال ابو عمرو ومن زعم ان الساحر يقلب الحيوان من صورة الى صورة فيجعل الانسان حمارا او نحوه ويقدر على
نقل الاجسام وتبديلها فهذا يرى قتل الساحر لانه كافر بالانبيا يدعي مثل اياتهم ومعجزاتهم ولا يتهيا مع
هذا صحة النبوة واذ قد يحصل مثلها بالحيلة واما من زعم ان السحر خدع ومخاريق وتمويهات وتخييلات
فلا يجب على اصله قتل الساحر الا ان يقتل بفعله احدا فيقتل به السابعة ذهب اهل السنة الى ان

الانس م

قوله عليه م

السحر

السحر ثابت وله حقيقة وذهب عامة المعتزلة وابو اسحاق الاسترابادي من اصحاب الشافعي الى ان السحر
لا حقيقة له وانما هو تمويه وتخييل وايهام لكون الشي على ما هو به وانه ضرب من الخفة والشعوذة كما
قال عز من قائل يخيل اليه من سحرهم انها تسعى على الحقيقة ولكن قال يخيل اليه وقال ايضا سحروا اعين
الناس وهذا لا حجة فيه لانا لا ننكر ان يكون التخييل وغيره من جملة السحر لكن ثبت وراء ذلك امور
جوزها العقل وورد بها السمع فمن ذلك ما جا في هذه الاية من ذكر السحر وتعليمه ولو لم يكن حقيقة
لم يكن تعليمه ولا اخبر تعالى انهم يعلمونه الناس فدل على ان له حقيقة وقوله تعالى في قصة سحرة
فرعون وجاوا بسحر عظيم وسورة الفلق مع اتفاق المفسرين ان سبب نزولها ما كان من سحر لبيد
ابن الاعصم وهو مما اخرجه البخاري ومسلم وغيرهما عن عايشة قالت سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم
يهودي من يهود بني زريق يقال له لبيد بن الاعصم الحديث وفيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لما حل السحر
ان الله شفاني والشفا انما يكون برفع العلة وزوال المرض فدل على ان له حقا وحقيقة فهو مقطوع باخبار
الله تعالى ورسوله على وجوده ووقوعه وعلى هذا اهل الحل والعقد الذين ينعقد بهم الاجماع ولا عبرة
مع اتفاقهم بحثالة المعتزلة ومخالفتهم اهل الحق ولقد شاع السحر وذاع في سابق الزمان وتكلم الناس فيه
ولم يبد من الصحابة ولا من التابعين انكار لاصله وروى سفيان عن ابي الاعور عمن كذب به فهو كافر مكذب
لله ولرسوله منكر لما علم مشاهدة وعيانا الثامنة قال علماونا لا ينكر ان يظهر على يد الساحر خرق
العادات مما ليس في مقدور البشر من مرض وتفريق وزوال عقل وتعويج عضو الى غير ذلك مما قام الدليل
على استحالة كونه من مقدورات العباد قالوا ولا يبعد من السحر ان يستدق جسم الساحر حتى يتولج في
الكوات والخوخات والانتصاب على راس قصبة والجري على خيط مستدق والطيران في الهوا والمشي على الما
وركوب كلب وغير ذلك ومع ذلك فلا يكون السحر موجبا لذلك ولا علة لوقوعه ولا سببا مولدا ولا
يكون الساحر مستقلا به وانما يخلق الله تعالى هذه الاشيا ويحدثها عند وجود السحر كما يخلق الشبع
عند الاكل والري عند شرب الما روى سفيان عن عمار الدهني ان ساحرا كان عند الوليد بن عقبة يمشي
على الحبل ويدخل في است الحمار ويخرج من فيه فاشتمل له جندب على السيف فقتله جندب هذا هو جندب
ابن كعب الازدي ويقال له البجلي وهو الذي قال في حقه النبي صلى الله عليه وسلم يكون في امتي رجل يضرب
ضربة بالسيف يفرق بين الحق والباطل فكانوا يرونه جندب هذا قاتل الساحر قال علي بن المديني روى
عنه حارثة بن مضرب التاسعة اجمع المسلمون على انه ليس في السحر ما يفعل الله عنده انزال الجراد والقمل
والضفادع وفلق البحر وقلب العصا واحيا الموتى وانطاق العجمى وامثال ذلك من عظيم ايات الرسل عليهم
السلام فهذا ونحوه مما يجب القطع به بانه لا يكون ولا يفعله الله عند ارادة الساحر قال القاضي ابو بكر بن
الطيب وانما منعناه للاجماع ولولاه لاجزناه العاشرة في الفرق بين السحر والمعجزة قال علماونا السحر
وغيره قد يكون جماعة يعرفونه ويمكنهم الاتيان به في وقت واحد والمعجزة لا يمكن الله احدا ان ياتي بمثله
وبمعارضته ثم الساحر لم يدع النبوة والتحدي بها كما تقدم في مقدمة الكتاب الحادية عشرة واختلف
الفقها في حكم الساحر المسلم والذمي فذهب مالك ان المسلم اذا سحر بنفسه بكلام يكون كفرا يقتل ولا
يستتاب ولا تقبل توبته كالزنديق والزاني ولان الله سمى السحر كفرا بقوله تعالى وما يعلمان من احد حتى
يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر وهو قول احمد بن حنبل وابي ثور واسحاق والشافعي وابي حنيفة وروى قتل
الساحر عن عمر وعثمان وابن عمر وحفصة وابي موسى وقيس بن سعد وعن سبعة من التابعين وروى
عن النبي صلى الله عليه وسلم حد الساحر ضربة بالسيف خرجه الترمذي وليس بالقوي انفرد به اسمعيل بن
مسلم عن الحسن مرسلا ومنهم من جعله عن الحسن عن جندب قال ابن المنذر وقد روينا عن عايشة انها باعت
ساحرة كانت سحرتها وجعلت ثمنها في الرقاب قال ابن المنذر واذا اقر الرجل انه سحر بكلام يكون كفرا وجب
قتله ان لم يتب وكذلك لو ثبت به عليه بينة ووصفت البينة كلاما يكون كفرا وجب قتله ان لم يتب
وان كان الكلام الذي ذكر انه سحر به ليس بكفر لم يجز قتله فان كان احدث في المسحور جناية توجب القصاص
اقتص منه ان كان عمد ذلك وان كان لا قصاص فيه ففيه دية ذلك قال ابن المنذر واذا اختلف اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسيلة وجب اتباع اشبههم بالكتاب والسنة وقد يجوز ان يكون السحر
الذي امر من امر منهم بقتل الساحر سحرا يكون كفرا فيكون ذلك موافقا لسنة رسول الله صلى الله
عليه وسلم ويحتمل ان تكون عايشة امرت ببيع ساحرة لم يكن سحرها كفرا فان احتج محتج بحديث جندب
عن النبي صلى الله عليه وسلم حد الساحر ضربة بالسيف فلو صح لاحتمل ان يكون امر بقتل الساحر الذي يكون
سحره كفرا فيكون ذلك موافقا للاخبار الذي جات عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يحل دم امري
مسلم الا باحدى ثلاث قلت هذا اصح ودما المومنين محظورة لا تستباح الا بيقين ولا يقين

ابي م

مع اختلاف والله اعلم وقال بعض العلما ان قال اهل الصناعة ان السحر لا يتم الا مع الكفر والاستكبار او
تعظيم الشيطان فالسحر اذا دل على الكفر على هذا التقدير والله اعلم وروى عن الشافعي لا يقتل الساحر
الا ان يقتل بسحره ويقول تعمدت القتل وان قال لم اتعمده لم يقتل وكانت فيه الدية لقتل الخطاء
وان اضر به ادب على قدر الضرر قال ابن العربي وهذا باطل من وجهين احدهما انه لم يعلم السحر وحقيقته
انه كلام مؤلف يعظم به غير الله وينسب اليه المقادير والكاينات الثاني ان الله سبحانه قد صرح في
كتابه بانه كفر فقال وما كفر سليمان يقول السحر ولكن الشياطين كفروا به وبتعليمه وهاروت وماروت
يقولان انما نحن فتنة فلا تكفر وهذا تاكيد للبيان احتج اصحاب مالك بانه لا تقبل توبته كالزنديق
وانما يستتاب من اظهر الكفر مرتدا قال مالك فان جا الساحر والزنديق تايبا قبل ان يشهد عليهما قبلت
توبتهما والحجة لذلك قوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين ايمانهم قبل نزول العذاب فكذلك هذان
الثانية عشرة واما ساحر الذمة فقيل يقتل وقال مالك لا يقتل الا ان قتل بسحره ويضمن ما جنى
ويقتل ان جا منه ما لم يعاهد عليه وقال ابن خوازمنداد فاما اذا كان ذميا فقد اختلف الرواية عن مالك
فقال مرة يستتاب وتوبته الاسلام وقال مرة يقتل وان اسلم فاما الحربي فلا يقتل اذا تاب ولذلك قال
مالك في ذمي سب النبي صلى الله عليه وسلم يستتاب وتوبته الاسلام وقال مرة يقتل ولا يستتاب كالمسلم
وقال مالك ايضا في الذمي اذا سحر يعاقب الا ان يكون قتل بسحره او احدث حدثا فيوخذ منه بقدره
وقال غيره يقتل لانه قد نقض العهد ولا يرث الساحر ورثته لانه كافر الا ان يكون سحره لا يسمى كفرا وقال
مالك في المراة تعقد زوجها عن نفسها او عن غيرها تنكل ولا تقتل الثالثة عشرة هل يسال الساحر حل السحر
عن المسحور فاجازه سعيد بن المسيب على ما ذكره البخاري واليه مال المزني وكرهه الحسن البصري وقال
الشعبي لا باس بالبشرة قال ابن بطال وفي كتاب وهب بن منبه ان ياخذ سبع ورقات من سدر اخضر
فيدقه بين حجرين ثم يضربه بالما ويقرا فيه اية الكرسي ثم يحسو منه ثلاث حسوات ويغتسل به فانه
يذهب عنه كل ما به ان شا الله وهو جيد للرجل اذا حبس عن اهله الرابعة عشرة انكر معظم المعتزلة
الشياطين والجن ودل انكارهم على قلة مبالاتهم وليس في اثباتهم وركاكة دياناتهم وليس في اثباتهم مستحيل
عقيل وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على اثباتهم وحق على اللبيب المعتصم بحبل الدين ان يثبت ما قضى
حق العقل بجوازه ونص الشرع على ثبوته قال الله تعالى ولكن الشياطين كفروا وقال ومن الشياطين من
يغوصون له الى غير ذلك من الاي وسورة الجن تقضي بذلك وقال عليه السلام ان الشيطان يجري من ابن
ادم مجرى الدم وقد انكر هذا الخبر كثير من الناس واحالوا روحين في جسد والعقل لا يحيل سلوكهم في الانس
اذ كانت اجسامهم رقيقة بسيطة على ما يقوله بعض الناس بل اكثرهم ولو كانوا اكثافا لصح ذلك ايضا منهم
كما يصح دخول الطعام والشراب في الفراغ من الجسم وكذلك الديدان قد يكون في بني ادم وهي اخبار الخامسة
عشرة قوله تعالى وما انزل على الملكين ما نفي والواو للعطف على قوله وما كفر سليمان وذلك ان اليهود
قالوا ان الله انزل جبريل وميكايل بالسحر فنفى الله ذلك في الكلام تقديم وتاخير التقدير وما كفر
سليمان وما انزل على الملكين ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت فهاروت
وماروت بدل من الشياطين في قوله ولكن الشياطين كفروا هذا اولى ما حملت عليه الاية من التاويل واصح
ما قيل فيها ولا يلتفت الى سواه فالسحر من استخراج الشياطين للطافة جوهرهم ودقة افهامهم واكثر
ما يتعاطاه من الانس النسا وخاصة من حال طمثهن قال الله تعالى ومن شر النفاثات في العقد وقال
الشاعر • اعوذ بربي من النفاثات • السادسة عشرة ان قال قائل كيف يكون اثنان بدلا من جمع
والبدل انما يكون على حد المبدل منه فالجواب من وجوه ثلاثة الاول ان الاثنين قد يطلق عليهما اسم
الجمع كما قال تعالى فان كان له اخوة فلامه السدس ولا يحجبها عن الثلث الا الاثنان من الاخوة فصاعدا
على ما ياتي بيانه في النسا الثاني انهما لما كانا الراس في التعليم نص عليهما دون اتباعهما كما قال تعالى
عليها تسعة عشر الثالث انما خصا بالذكر من بينهم لتمردهما كما قال فيهما فاكهة ونخل ورمان وقوله
وجبريل وميكال وهذا كثير في القران وفي كلام العرب فقد ينص بالذكر على بعض اشخاص العموم اما
لفضله كقوله تعالى ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي وقوله وجبريل وميكال واما لطيبه
كقوله فاكهة ونخل ورمان واما لاكثريته كقوله عليه السلام جعلت لي الارض مسجدا وتربتها طهورا
واما لتمرده وتمرده كما في هذه الاية والله اعلم وقد قيل ان ما عطف على السحر وهي مفعولة فعلى هذا يكون
ما بمعنى الذي ويكون السحر منزلا على الملكين فتنة للناس وامتحانا ولله ان يمتحن عباده بما شا كما امتحن
بنهر طالوت ولهذا يقول الملكان انما نحن فتنة اي محنة من الله نخبرك ان عمل السحر كفر فان اطعتنا نجوت
وان عصيتنا هلكت وقد روي عن علي وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وكعب الاحبار والسدي والكلبي

لما ح

شرفه ح

كما معناه

ما معناه انه لما كثر الفساد من اولاد ادم عليه السلام وذلك في زمن ادريس عليه السلام عيرتهم الملايكة
فقال الله تعالى اما انكم لو كنتم مكانهم وركبت فيهم ما ركبت فيهم لعملتم مثل اعمالهم فقالوا سبحانك
ما كان ينبغي لنا ذلك قال فاختاروا ملكين من خياركم فاختاروا هاروت وماروت فانزلهما الله الى الارض
فركب فيهما الشهوة فما مر بهما شهر حتى فتنا بامراة اسمها بالنبطية بيدخت وبالفارسية ناهيد وبالعربية
الزهرة اختصمت اليهما وراوداها عن نفسها فابت الا ان يدخلا في دينها ويشربا الخمر ويقتلا النفس
التي حرم الله فاجاباها وشربا الخمر والما بها فراهما رجل فقتلاه وسالتهما عن الاسم الذي يصعدان به
الى السما فعلماها فتكلمت به فعرجت فمسخت كوكبا وقال سالم عن عبد الله فحدثني كعب الخير انهما
لم يستكملا يومهما حتى عملا بما حرم الله عليهما وفي غير هذا الحديث فخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب
الاخرة فاختارا عذاب الدنيا فهما يعذبان ببابل في سرب من الارض قيل بابل العراق وقيل بابل نهاوند
وكان ابن عمر فيما يروي عن عطا انه كان اذا راى الزهرة وسهيلا سبهما ويقول ان سهيلا كان عشارا
باليمن يظلم الناس وان الزهرة كانت صاحب هاروت وماروت قلنا هذا كله ضعيف وبعيد عن ابن عمر
وغيره لا يصح منه شي فانه قول يدفعه الاصول في الملايكة الذين امنا الله على وحيه وسفراوه الى رسله
لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون
يسبحون الليل والنهار لا يفترون واما العقل لا ينكر وقوع المعصية من الملايكة ويوجد فيهم خلاف
ما كلفوه ويخلق فيهم الشهوات اذ في قدرة الله تعالى كل موهوم ومن هذا خوف الانبيا والاوليا الفضلا
العلما لكن وقوع هذا الجايز لا يدرك الا بالسمع ولم يصح ومما يدل على عدم صحته ان الله تعالى خلق
النجوم وهي الكواكب حين خلق السما ففي الخبر ان السما لما خلقت خلق فيها سبعة دوارة • زحل • والمشتري
وبهرام • وعطارد • وزهرة • والشمس • والقمر • وهذا معنى قول الله تعالى كل في فلك يسبحون فثبت
بهذا ان الزهرة وسهيلا قد كانا قبل خلق ادم ثم ان قول الملايكة ما كان ينبغي لنا عوره لا تقدر على
فتنتنا وهذا كفر نعوذ بالله منه ومن نسبته الى الملايكة الكرام صلوات الله عليهم وقد نزهناهم وهم
عن كل ما ذكره ونقله المفسرون سبحان ربك رب العزة عما يصفون السابعة عشرة قرا ابن عباس وابن
ابزى والضحاك والحسن الملكين بكسر اللام قال ابن ابزى هما داود وسليمان فما على هذا القول ايضا نافية
وضعف هذا القولين ابن العربي وقال الحسن هما علجان كانا ببابل ملكين فما على هذا القول مفعولة
غير نافية الثامنة عشرة قوله تعالى ببابل بابل لا ينصرف للتانيث والتعريف والعجمة وهي قطر من
الارض قيل العراق وما والاها وقال ابن مسعود لاهل الكوفة انتم بين الحيرة وبابل وقال قتادة هي
من نصيبين الى راس العين وقال قوم هي بالمغرب قال ابن عطية وهذا ضعيف وقال قوم هو جبل نهاوند
والله اعلم واختلف في تسميته ببابل فقيل سمي بذلك لتبلبل الالسن بها حين سقط صرح نمرود
وقيل سمي به لان الله تعالى لما اراد ان يخالف بين السنة بني ادم بعث ريحا فحشرتهم من الافاق الى بابل
فبلبل الله بها السنتهم ثم فرقتهم تلك الريح في البلاد والبلبلة التفريق قال معناه الخليل
وقال عمر بن عبد البر من اخصر ما قيل في البلبلة واحسنه ما رواه ابن ابي هند عن علقا بن احمر عن عكرمة عن
ابن عباس ان نوحا عليه السلام لما اهبط الى اسفل الجودي ابتنى قرية وسماها ثمانين فاصبح ذات
يوم وقد تبلبلت السنتهم على ثمانين لغة احدها اللسان العربي وكان لا يفهم بعضهم عن بعض
التاسعة عشرة روى عبد الله بن بشر المازني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا الدنيا
فوالذي نفسي بيده انها لاسحر من هاروت وماروت قال علماونا انما كانت الدنيا اسحر منهما لانها
تسحرك بخدعها وتكتمك فتنتها فتدعوك الى التحارص عليها والتنافس فيها والجمع لها والمنع لها حتى
تفرق بينك وبين طاعة الله وتفرق بينك وبين روية الحق فالدنيا اسحر منهما تاخذ بقلبك عن الله
وعن القيام بحقوقه وعن وعده ووعيده وسحر الدنيا محبتها وتلذذك بشهواتها وتمنيك بامانيها
الكاذبة حتى تاخذ بقلبك ولهذا ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حبك الشي يعمي ويصم
الموفية عشرين قوله تعالى هاروت وماروت لا ينصرف هاروت لانه عجمي معرفة وكذا ماروت ويجمع
هواريت ومواريت مثل طواغيت ويقال هوارتة وهوار وموارتة وموار ومثله جالوت وطالوت
فاعلم وقد تقدم هل هما ملكان او ملكان او غيرهما خلاف قال الزجاج وروي عن علي رضي الله عنه اي
والذي انزل على الملكين وان الملكين يعلمان الناس تعليم انذار من السحر لا تعليم دعا اليه قال الزجاج
وهذا القول الذي عليه اكثر اهل العلم والنظر ومعناه انهما يعلمان الناس على النهي فيقولان لهم
لا تفعلوا كذا ولا تحتالوا بكذا لتفرقوا بين المرء وزوجه والذي انزل عليهما هو النهي كانه قولا للناس
لا تعلموا كذا فيعلمان بمعنى تعلمان كما قال ولقد كرمنا بني ادم اي اكرمنا الحادية والعشرون قوله تعالى

المتنزهون ح

وما يعلمان من احد من زايدة للتوكيد والتقدير وما يعلمان احدا حتى يقولا نصب بحتى فلذلك حذفت
منه النون ولغة هذيل وثقيف عتى بالعين غير المعجمة والضمير في يعلمان لهاروت وماروت وفي
يعلمان قولان احدهما انه على بابه من التعليم الثاني انه من الاعلام لا من التعليم فيعلمان بمعنى يعلمان
وقد جا في كلام العرب تعلم بمعنى اعلم ذكره ابن الاعرابي وابن الانباري قال كعب بن مالك

تعلم رسول الله انك مدركي ... وان وعيدا منك كالاخذ باليد

وقال القطامي

ان بعد الغي رشدا ... وان لذلك الغي انقشاعا

وقال زهير

تعلمن ها لعمر الله ذا قسما ... فاقدر بذرعك وانظر اين ينسلك

وقال اخر

تعلم انه لا طير الا ... على متطير وهو الثبور

انما فتنة فلا تكفر لما انبا بفتنتهما كانت الدنيا اسحر منهما حين كتمت فتنتها فلا تكفر قالت فرقة
بتعليم السحر وقالت فرقة باستعماله وحكى المهدوي انه استهزا لانهما انما يقولانه لمن قد تحققا
ضلاله **الثانية والعشرون** فيتعلمون منهما قال سيبويه التقدير فهم يتعلمون قال ومثله كن فيكون
وقيل معطوف على موضع ما يعلمان لان قوله وما يعلمان وان دخلت عليه ما النافية فمضمنه الايجاب
في التعليم وقال الفراء هي مردودة على قوله يعلمون الناس السحر فيتعلمون ويكون فيتعلمون متصلة
بقوله انما نحن فتنة فياتون فيتعلمون قال السدي كانا يقولان لمن جاءهما انما نحن فتنة فلا تكفر
فان ابى ان يرجع قالا له ايت هذا الرماد فبل فيه فاذا بال خرج منه نور يسطع الى السما وهو الايمان
يخرج منه دخان اسود فيدخل في اذنيه وهو الكفر فاذا اخبرهما بما راه من ذلك علماه ما يفرق به
بين المرء وزوجه ذهب طايفة من العلما الى ان الساحر ليس يقدر على اكثر مما اخبر الله عنه من التفرقة
لان الله ذكر ذلك في معرض الذم للسحر والغاية في تعليمه فلو كان يقدر على اكثر من ذلك لذكره
وقالت طايفة ذلك خرج على الاغلب ولا ينكر ان السحر له تاثير في القلوب بالحب والبغض وبالقا
الشرور حتى يفرق الساحر بين المرء وزوجه ويحول بين المرء وقلبه وذلك بادخال الالام وعظيم
الاقسام وكل ذلك مدرك بالمشاهدة وانكاره معاندة وقد تقدم هذا والحمد لله **الثالثة والعشرون**
قوله تعالى وما هم بضارين به من احد الا باذن الله ما هم اشارة الى السحر وقيل الى اليهود وقيل الى الشياطين
بضارين به اي بالسحر من احد اي احدا ومن زايدة الا باذن الله اي بارادته وقضايه لا بامره لانه تعالى
لا يامر بالفحشا ويقضي على الخلق بها وقال الزجاج الا باذن الله الا بعلم الله غلط لانه انما يقال في العلم اذن وقد
اذنت اذنا ولكن لما لم يحل فيما بينهم وبينه وخلوا يفعلونه كان كانه اباحة مجازا **الرابعة والعشرون**
قوله تعالى ويتعلمون ما يضرهم يريد في الاخرة وان اخذوا نفعا قليلا في الدنيا وقيل يضرهم في الدنيا
لان ضررهم السحر والتفريق يعود على الساحر في الدنيا اذا عثر عليه لانه يودب ويزجر ويلحقه شوم
السحر وباقي الاي بين لتقدم معانيها واللام في ولقد علموا لام توكيد لمن اشتراه لام يمين وهي للتوكيد
ايضا وموضع من رفع بالابتدا لانه لا يعمل ما قبل اللام فيما بعدها ومن بمعنى الذي وقال الفراء هي للمجازاة
قال الزجاج ليس هذا بموضع شرط ومن بمعنى الذي كما تقول لقد لمن جاءك ما له عقل من خلاق من زايدة والتقدير
ما له في الاخرة خلاق ولا يزاد في الواجب هذا قول البصريين وقال الكوفيون تكون زايدة في الواجب واستدلوا
بقوله تعالى يغفر لكم من ذنوبكم والخلاق النصيب قاله مجاهد قال الزجاج وكذلك هو عند اهل اللغة
الا انه لا يكاد يستعمل الا للنصيب من الخير وسيل عن قوله ولقد علموا لمن اشتراه ما في الاخرة من خلاق
فاخبر انهم قد علموا ثم قال ولبيس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون فاخبر انهم لا يعلمون فالجواب
وهو قول قطرب والاخفش ان يكون الذين يعلمون الشياطين والذين شروا انفسهم اي باعوها هم الانس
الذين لا يعلمون قال الزجاج وقال علي بن سليمان الاجود ان يكون ولقد علموا للملكين لانهما اولى بان يعلموا
وقال علموا كما يقال الذين ان قاموا وقال الزجاج الذين علموا علما اليهود لكن قيل لو كانوا يعلمون اي قد دخلوا
في محل من يقال له لست بعالم لانهم تركوا العمل بعلمهم واسترشوا من الذين عملوا بالسحر **قوله تعالى**
ولو انهم امنوا واتقوا اي اتقوا السحر لمثوبة والمثوبة الثواب وهو جواب ولو انهم امنوا عند قوم وقال
الاخفش سعيد ليس للو هنا جواب في اللفظ ولكن في المعنى والمعنى لا يثبتوا وموضع ان من قوله ولو
انهم موضع رفع اي لو وقع ايمانهم لان لو لا يليها الا الفعل ظاهرا او مضمرا لانها بمنزلة حرف الشرط اذ كان
لا بد له من جواب لان بينه فعل قال محمد بن يزيد وانما لم يجاز بلو لان سبيل حروف المجازاة كلها ان تقلب
الماضي الى معنى المستقبل فلما لم يكن هذا في لو لم يجز ان يجازا بها **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا لا تقولوا
راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا فيه خمس مسايل **الاولى** قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقولوا عنا الاية
ذكر شيا اخر من جهالات اليهود والمقصود نهي المسلمين عن مثل ذلك وحقيقته راعنا في اللغة ارعنا ولنرعك

لان

لان المفاعلة من اثنين فيكون من رعاك الله اي احفظنا ولنحفظك وارقبنا ولنرقبك ويجوز ان يكون
من رعانا سمعك اي فرغ سمعك لكلامنا وفي المخاطبة بهذا جفا فامن المومنون ان يتخيروا من الالفاظ
احسنها ومن المعاني ارقها قال ابن عباس كان المسلمون يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم راعنا على جهة
الطلب والرعية من المراعاة اي التفت الينا وكان هذا بلسان اليهود سبا اي اسمع لا سمعت فاغتنموها
وقالوا كنا نسبه سرا فالان نسبه جهرا فكانوا يخاطبون بها النبي صلى الله عليه وسلم ويضحكون فيما بينهم
فسمعها سعد بن معاذ وكان يعرف لغاتهم فقال لليهود عليكم لعنة الله لين سمعتها من رجل منكم يقولها
للنبي صلى الله عليه وسلم لاضربن عنقه فقالوا اولستم تقولونها فنزلت الاية ونهوا عنها لئلا يقتدي
بها اليهود في اللفظ وتقصد المعنى الفاسد فيه **الثانية** في هذه الاية دليلان احدهما على تجنب
الالفاظ المحتملة التي فيها التعريض للتنقيص والغض ويخرج من هذا فهم القذف بالتعريض وذلك
يوجب الحد عندنا خلافا لابي حنيفة والشافعي واصحابهما حين قالوا التعريض يحتمل القذف وغيره
والحد مما يسقط بالشبهة وسياتي في النور بيان هذا ان شا الله تعالى والدليل الثاني التمسك بسد
الذرايع وحمايتها وهو مذهب مالك واصحابه واحمد بن حنبل في رواية عنه وقد دل على هذا الاصل
الكتاب والسنة والذريعة عبارة عن امر غير ممنوع لنفسه يخاف من ارتكابه الوقوع في ممنوع اما الكتاب
فهذه الاية ووجه التمسك بها ان اليهود كانوا يقولون ذلك وهي سب بلغتهم فلما علم الله تعالى ذلك
منهم منع من اطلاق ذلك اللفظ لانه ذريعة للسب وقوله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون فيسبوا
الله عدوا بغير علم فمنع من سب الهتهم مخافة مقابلتهم بمثل ذلك وقوله تعالى واسالهم عن القرية التي
كانت حاضرة البحر الاية فحرم عليهم تبارك وتعالى الصيد في يوم السبت فكانت الحيتان تاتيهم يوم السبت
شرعا اي ظاهرة فسدوا عليها يوم السبت واخذوها يوم الاحد وكان السد ذريعة للاصطياد فمسخهم
الله قردة وخنازير وذكر الله تعالى لنا ذلك في معنى التحذير عن ذلك وقوله تعالى لادم وحوا ولا تقربا
هذه الشجرة وقد تقدم واما السنة فاحاديث كثيرة ثابتة صحيحة منها حديث عايشة ان ام حبيبة
وام سلمة ذكرتا كنيسة راتاها بالحبشة فيها تصاوير لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان اوليك اذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك
الصورة اوليك شرار الخلق عند الله اخرجه البخاري ومسلم قال علماونا ففعل ذلك اوايلهم
ليتانسوا برؤية تلك الصورة ويتذكروا احوالهم الصالحة فيجتهدون كاجتهادهم ويعبدون الله
عند قبورهم فمضت لهم بذلك ازمان ثم انهم خلف من بعدهم خلوف جهلوا اعراضهم وسوس لهم الشيطان
ان اباكم واجدادكم كانوا يعبدون هذه الصور فعبدوها فحذر النبي صلى الله عليه وسلم عن مثل ذلك وشد
النكير والوعيد على من فعل ذلك وسد الذرايع المودية الى ذلك فقال اشتد غضب الله على قوم اتخذوا
قبور انبيايهم مساجد وقال اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد وروى مسلم عن النعمان بن بشير قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الحلال بين والحرام بين وبينهما امور متشابهات فمن اتقى
الشبهات استبرا لعرضه ودينه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي حول الحمى يوشك ان يقع
فيه الحديث فمنع من الاقدام على الشبهات مخافة الوقوع في المحرمات وذلك سد للذريعة وقال
صلى الله عليه وسلم لا يبلغ العبد ان يكون من المتقين حتى يدع ما لا باس به حذرا مما به الباس وقال
صلى الله عليه وسلم ان من الكباير شتم الرجل والديه قالوا يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه قال
نعم يسب ابا الرجل فيسب اباه ويسب امه فيسب امه فجعل التعريض لسب الابا كسب الابا وقال
صلى الله عليه وسلم اذا تبايعتم بالعينة واخذتم اذناب البقر وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه
منكم حتى ترجعوا الى دينكم قال ابو عبيد الهروي العينة هي ان يبيع رجل من رجل سلعة بثمن معلوم الى اجل
معلوم ثم يشتريها منه باقل من الثمن الذي باعها به قال فان اشترى بحضرة طالب العينة سلعة من اخر
بثمن معلوم وقبضها ثم باعها من طالب العينة بثمن اكثر مما اشتراه الى اجل مسمى ثم باعها المشتري من البايع
الاول بالنقد باقل من الثمن فهذه ايضا عينة وهي اهون من الاولى وهو جايز عند بعضهم وسميت عينة
لحصول النقد لصاحب العينة وذلك ان العين هو المال الحاضر والمشتري انما يشتريها ليبيعها بعين حاضر
تصل اليه من فوره وروى ابن وهب عن مالك ان ام ولد لزيد بن ارقم ذكرت لعايشة انها باعت من زيد
عبدا بثمان ماية الى العطا ثم ابتاعته منه بستماية نقدا فقالت عايشة بيس ما شريت وبيس ما اشتريت
ابلغي زيدا انه قد ابطل جهاده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لم يتب ومثل هذا لا يقال بالراي لان
ابطال الاعمال لا يتوصل الى معرفتها الا بالوحي فثبت انه مرفوع الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال عمر بن الخطاب
دعوا الربا والريبة ونهى ابن عباس عن دراهم بدراهم بينهما حريرة **قلت** فهذه هي الادلة التي

لنا على سد الذرايع وعليه بنى المالكية كتاب الاجال وغيره من المسائل في البيوع وغيرها وليس عند الشافعية كتاب الاجال لان ذلك عندهم مختلفة مستقلة قالوا واصل الاشياء على الظواهر الا على الظنون والمالكية جعلوا السلعة محللة ليتوصل بها الى دراهم باكثر منها وهذا هو الربا بعينه فاعلمه **الثالثة** قوله تعالى لا تقولوا راعنا فهي يقتضي التحريم على ما تقدم وقرئ الحسن راعنا منونة وقال ابو حاتم هي لغة وهو مصدر ورصفه بالقول اى لا تقولوا راعونة وقرأ زيد بن حبيش والاعمش راعونا يقال لما قام من الخيل رعن والخيل ارعن وجيش ارعن اى متفرق وكذا رجل ارعن اى متفرق في لجج ليس عقله مجتمعا عن النحاس وقال ابن فارس وعن الرجل يرعن رعنا فهو ارعن اى احوج والمراة رعناء وسميت البصرة رعنا لانها تشبه برعن الخيل قال ابن دريد ذلك وانشد الفرزدق

لولا ابن عتبة عمرو والرجاله ... لكانت البصرة الرعناء طلا

الرابعة قوله تعالى وقولوا انظرنا امروا ان يخاطبوه صلى الله عليه وسلم بالاجلال والمعنى افهمنا وانظر الينا فحذف حرف التعدية كما قال

فانكما ان تنظرا ساعة ... من الدهر تنفعني لدى جدب

والنظار استدعاء نظر العين المقترن بتدبر الحال وقرا الاعمش وغيره انظرنا بقطع الالف وكسر الظا بمعنى اخرنا وامهلنا حتى نفهم عنك وتتلقى منك قال الشاعر

اباهند فلا تعجل علينا ... وانظرنا نخبرك اليقينا

الخامسة قوله تعالى واسمعوا ما فيه امر جل وعز حض على السمع الذي في ضمنه الطاعة واعلم ان من خالف امره فكفر هذا بها اليما **قوله تعالى** ما يود ما يتمنى وقد تقدم الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين معطوف على اهل ويجوز ولا المشركون بعطفه على الذين قاله النحاس ان ينزل عليكم من خير من زايدة خيرا اسم ما لم يسم فاعله وان في موضع نصب اى بان ينزل والله يختص برحمته من يشا قال علي بن ابي طالب يختص برحمته اى بالنبوة خص بها محمدا صلى الله عليه وسلم وقال قوم الرحمة القرآن وقيل الرحمة في هذه الاية عامة تجمع انواعها قد منحها الله عباده قديما وحديثا يقال رحمه يرحمه اذا رق له والرحم والرحمة بمعنى قاله ابن فارس ورحمة الله لعباده انعامه عليهم وعفوه عنهم والله ذو الفضل العظيم ذو بمعنى صاحب **قوله تعالى** ما ننسخ من اية او ننسها ما فات بخير منها او مثلها فيه خمس عشرة مسئلة **الاولى** قوله تعالى ما ننسخ من اية او ننسها عطف على ننسخ وحذف الباء المجزوم ومن قرا ننساها حذف الضمة من الهمزة للجزم وسيأتي معناه ان جواب الشرط وهو اية فطما في الاحكام وسببها ان اليهود لما حسدوا المسلمين في التوجه الى الكعبة وطعنوا في الاسلام بذلك وقالوا ان محمدا يامر اصحابه بشي ثم ينهاهم عنه فاكذبهم الله تعالى وقال ما ننسخ من اية او ننسها نات بخير منها او مثلها وهذا يدخل في الاخبار ايضا فان الله تعالى اخبر عن اشياء وقعت ولم تقع وهذا لا يدخله النسخ وانما النسخ في الامر والنهي وهذا الباب اكيدة وفايدة عظيمة لا يستغني عن معرفته العلما ولا ينكره الا الجهلة والاغبيا لما يترتب عليه من التوازن في الاحكام ومعرفة الحلال من الحرام روى البخاري قال دخل علي رضي الله عنه المسجد فاذا رجل يخوف الناس فقال ما هذا قالوا رجل يذكر الناس لكنه يقول انا فلان بن فلان فاعرفوني فاريد اليه فقالا تعرف الناسخ من المنسوخ فقال لا قال فاخرج من مسجدنا ولا تذكر فيه في رواية اخرى علمت الناسخ والمنسوخ قال لا قال هلكت واهلكت ومثله عن ابن عباس **الثالثة** النسخ في كلام العرب على وجهين احدهما النقل كنقل كتاب من اخر وعلى هذا يكون القرآن كله منسوخا اى من اللوح المحفوظ وانزاله الى بيت العزة في السما الدنيا وهذا لا مدخل له في هذه الاية ومنه قوله تعالى انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون اى نامر بنسخه وكتابته الثاني الابطال والازالة وهو المقصود هنا وهو منقسم في اللغة على ضربين احدهما ابطال الشي وازالته واقامة اخر مقامه ومنه نسخت الشمس الظل اى ازهبته وحلت محله وهو معنى قوله ما ننسخ من اية او ننسها فانه في بخير منها وفي صحيح مسلم لم تكن نبوة قط الا تناسخت اى تحولت من حال الى حال يعني امر الامة قال ابن فارس النسخ نسخ الكتاب ان تزيل امرا كان من قبل بعد به ثم ينسخه يقال انتسخت الشمس الظل والشيب الشباب وتناسخ الورثة ان يموت ورثة بعد ورثة واصل الميراث القايم لم يقسم وكذلك تناسخ الازمنة والقرون الثاني ازالة المتاخر دوران يقوم اخر مقامه كقولهم نسخت الريح الاثر ومن هذا المعنى قوله تعالى فينسخ الله ما يلقي الشيطان اى يزيله فلا يتلى ولا يثبت في المصحف بدله ونحو ابو عبيد ان هذا النسخ الثاني قليل كما لم ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم الشهور فترفع ولا تتلى ولا تكتب

قلت ومنه ما روى عن ابي بن كعب وعايشة رضوان الله عليهما ان سورة الاحزاب تعدل سورة البقرة في الطول علمنا ما بقي مبينا هناك ان شا الله ومما يدل على هذا ما ذكر الانباري نا ابي بضم بن داود نا ابو عبيد نا عبد الله بن صالح عن الليث عن يونس وعقيل بن شهاب قال احدثني ابو امامة بن سهل بن حنيف في مجلس سعيد بن المسيب ان رجلا قام من الليل ليقرا سورة من القرآن فلم يقدر على شي منها وقام اخر فلم يقدر على شي منها وقام اخر فلم يقدر على شي منها فقعدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال احدهم قمت الليلة

يرسول الله لا اقرا سورة من القرآن فلم اقدر على شي منها فقام الاخر فقال والله كذلك يرسول الله وقام الاخر فقال انا كذلك والله يرسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها نسخ الله البارحة وفي احدى الروايات وسعيد بن المسيب يسمع ما يحدث به ابو امامة فلا ينكره **الرابعة** انكر طايفة من المتقدمين للاسلام المتاخرين جوازه وهم محجوجون باجماع السلف السابق على وقوعه في الشريعة وانكر ايضا طوايف من اليهود وهم محجوجون بما جاء في توراتهم يزعمهم ان الله تعالى قال لنوح عليه السلام عند خروجه من السفينة اني جعلت كل دابة ما كلا لك ولذريتك واطلقت ذلك لكم كنبات العشب ما خلا الدم فلا تاكلوه ثم علم موسى وعلى بني اسرايل كثيرا من الحيوان وبما كان ادم عليه السلام يزوج الاخ من الاخت وقد حرم الله ذلك على موسى عليه السلام وعلى غيره وبان ابراهيم الخليل امر بذبح ولده ثم قال لا تذبحه وبان موسى عليه السلام امر بني اسرايل ان يقتلوا من عبد منهم العجل ثم امرهم برفع السيف عنهم وبان نبوته غير متعبد بها قبل بعثه ثم تعبد بها بعد ذلك الى غير ذلك ولبس هذا من باب البدا بل هو من نقل العباد من عبادة الى عبادة وحكم الحكم لضرب من المصلحة اظهار الحكمة وكمال مملكته ولا خلاف بين العقلا ان شرايع الانبيا قصد بها مصالح الخلق الدينية والدنيوية وانما كان يلزم البدا لو لم يكن عالما بمال الامور واما العالم بذلك فانما يتبدل خطابه بحسب تبدل المصالح كالطبيب المراعي احوال العليل فراعى ذلك في خليقته بمشيته وارادته لا اله الا هو فخطابه تبدل وعلمه وارادته لا يتغير فانه ذلك محال في حمة الله تعالى وجعلت اليهود النسخ والبدا شيا واحدا ولذلك لم يجوزوه فضلوا قال النحاس والفرق بين النسخ والبدا ان النسخ تحويل العبادة من شي الى شي فكان حلالا فيحرم او كان حراما فيحلل واما البدا فهو ترك ما عزم عليه كقولك امضي الى فلان اليوم ثم يقول لا تمض اليه فبيد والذلك عن القول الاول وهذا يلحق بالبشر لنقصانهم وكذلك ان قلنا زرع كذا في هذه السنة ثم قلت لا تفعل فهذا البدا **الخامسة** اعلم ان الناسخ على الحقيقة هو الله تعالى ويسمى الخطاب الشرعي ناسخا تجوزا اذ به يقع النسخ كما قد يتجوز فيسمى المحكوم فيه ناسخا فيقال صوم رمضان ناسخ لصوم عاشورا فالمنسوخ هو المزال والمنسوخ عنه هو المتعبد بالعبادة المزالة وهو المكلف **السادسة** اختلفت عبارات ايمتنا في حد الناسخ فالذي عليه الحذاق من اهل السنة انه ازالة ما قد استقر من الحكم الشرعي بخطاب وارد متراخيا هكذا احده القاضي عبد الوهاب والقاضي ابو بكر وزاد لولاه لكان السابق ثابتا فحافظا على معنى النسخ اللغوي اذ هو بمعنى الرفع والازالة ويجوز ان الحكم العقلي وذكر للخطاب ليعم وجوه الدلالة من النص والظاهر والمفهوم وغيره وليخرج القياس والاجماع اذ لا يتصور النسخ فيهما ولا يسمى وقيدنا بالتراخي لانه لو اتصل به لكان بيانا لغاية الحكم لا ناسخا ويكون اخر الكلام يرفع اوله ثول قم لا تقم **السابعة** المنسوخ عند ايمتنا اهل السنة هو الحكم الثابت نفسه لا مثله كما يقوله المعتزلة بانه الخطاب الدال على ان مثل الحكم الثابت فيما يستقبل بالنص المتقدم زايل والذي قاده هم الى ذلك مذهبهم في ان الاوامر مرادة وان الحسن صفة نفسية للحسن ومراده الله حسن وهذا قد ابطله علما ونا في كتبهم **الثامنة** اختلف علما ونا في الاخبار هل يدخلها النسخ فالجمهور على ان النسخ انما هو مختص بالاوامر والنواهي والخبر لا يدخله النسخ لاستحالة الكذب على الله وقيل ان الخبر اذا تضمن حكما شرعيا جاز نسخه كقوله تعالى ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا وهنا ك باقي القرآن شا الله تعالى **التاسعة** التخصيص من العموم يوهم انه نسخ وليس به لان المخصص لم يتناوله العموم قط ولو ثبت تناول العموم لشي ما ثم اخرج ذلك الشي عن العموم لكان نسخا لا تخصيصا والمتقدمون يطلقون على التخصيص نسخا توسعا ومجازا **العاشرة** اعلم انه قد يرد في الشرع اخبار ظاهرها الاطلاق والاستغراق ويرد تقييدها في مواضع اخر فيرفع بذلك الاطلاق كقوله تعالى واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداعي اذا دعان فهذا الحكم ظاهره خبر عن اجابة كل داع على كل حال لكن قد جا ما قيده في موضع اخر كقوله تعالى فيكشف ما تدعون اليه ان شا فقد يظن من لا بصيرة له عنده ان هذا من باب النسخ في الاخبار وليس كذلك بل هو من باب الاطلاق والتقييد وسياتي لهذه المسئلة زيادة بيان في موضعها ان شا الله تعالى **الحادية عشرة** قال علما ونا رحمة الله عليهم جايز نسخ الاثقل الى الاخف كنسخ الثبوت بعشرة بالثبوت لاثنين ويجوز نسخ الاخف الى الاثقل كنسخ يوم عاشورا والايام المعدودة برمضان عليها يا تي بيانه ان شا الله تعالى في اية الصيام وينسخ المثل بمثله ثقلا وخفة كالقبلة وينسخ الشي لا الى بدل كصدقة النجوى وينسخ القرآن بالقرآن والسنة بالعبادة وهذه العبارة يراد بها الخبر المتواتر القطعي وينسخ خبر الواحد بخبر الواحد وحذاق الايمة على ان القرآن بالسنة وذلك موجود في قوله عليه السلام لا وصية لوارث

وهو ظاهر مسايل مالك وابى ذلك الشافعى وابو الفرج المالكى والاول اصح بدليل ان الكل احكم الله تعالى وان
اختلفت فى الاسماء ايضا فان الجلد ساقط فى حد الزنا عن الشيب الذى يرجم ولا مسقط لذلك الا السنة فعل
النبى صلى الله عليه وسلم وهذا بين والحذاق ايضا على ان السنة تنسخ بالقران وذلك موجود فى القبلة فان الصلاة
الى الشام لم يكن فى كتاب الله وفى قوله تعالى فلا ترجعوهن الى الكفار فان رجوعهن انما كان بصلح النبى صلى الله
عليه وسلم المقرين على تجويز نسخ القران بخبر الواحد معقلا واختلفوا اهل وقع شرعا فذهب ابو المعالى وغيره
الى وقوعه فى تاويله مسجد قبا على ما ياتى بيانه والذى ذلك الجمهور ولا يصح نسخ نص بقياس راسا من شرط القياس
ان لا يخالف نصا وهذا كله فى مدة النبى صلى الله عليه وسلم واما بعد موته واستقرار الشريعة فاجتمعت انه
لا نسخ وهذا كان الاجماع لا ينسخ ولا ينسخ به اذ انعقاده بعد انقطاع الوحى فاذا وجدنا اجماعا يخالف
نصا فنعلم ان الاجماع استند الى ناسخ لا نعلمه نحن وان ذلك النص المخالف متروك العمل به وان مقتضاه
نسخ وفى سنة بقرا ويروى كما اية عدة التسنين وفى القران يتلى فتامل هذا فانه نفيس ويكون من باب نسخ
الحكم كاية الرجم دون التلاوة ومثله صدقة النجوى وقد تنسخ التلاوة دون الحكم كاية الرجم وقد
تنسخ التلاوة والحكم معا ومنه قول الصديق رضى الله عنه كنا نقرا لا ترغبوا عن ابايكم فانه كفر ومثله
كثير والذى عليه الحذاق ان مرادم بكليفه الناسخ فهو متعبد بالحكم الاول كما ياتى بيانه فى تحويل القبلة
والحذاق على جواز نسخ الحكم قبل فعله وهو موجود فى فضة الذبيح وفى فرض خمسين صلاة قبل فعلها بخمس
على ما ياتى بيانه فى الاسرا والصفاح ان شا الله **الثانية عشرة** لمعرفة الناسخ طرق منها ان يكون فى اللفظ
ما يدل عليه كقوله عليه السلام كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ونهيتكم عن الاشربة الا فى ظرف
الادم فاشربوا فى كل وعاء غير الا تشربوا مسكرا ونحوه ومنها ان يذكر الراوى التاريخ مثل ان يقول سمعت
عام الخندق وكان المنسوخ معلوما قبله او يقول نسخ حكم كذا بكذا ومنها ان يجمع الامة على حكم انه منسوخ
وان ناسخه متقدم وهذا الباب مبسوط فى كتب الفقه نبهنا منه على ما فيه اقتصر كفاية والله الموفق
للهداية **الثالثة عشرة** الجمهور ما نسخ بفتح النون من نسخ وهو الظاهر المستقل على معنى ما يرفع من
حكم الاية ونلا ونطا على ما ذكرنا وقرا ابن عامر ما ننسخ بضم النون من انسخت الكتاب على معنى وجدته
منسوخا قالا بوحاتم هو غلط وقالا الفراء سمعت ابا ثروان يقال نسخ وانسخ بمعنى الا ان يكون
المعنى ما نجده منسوخا كما يقول احمدت الرجل وانجلته بمعنى وجدته محمودا وبخيلا قال ابو على وليس نجده
منسوخا الا بان نسخه فيتفق القراءان فى المعنى وان اختلفا فى اللفظ وقيل ما ننسخ ما نجعل لك
نسخه يقال نسخت الكتاب اذا كتبته وانتسخته غيرى اذا جعلت نسخه له قال مكى ولا يجوز ان تكون
الهمزة للتعدى لان المعنى يتغير ويصير المعنى ما ننسخك من اية يا محمد وانساخه اياها انزالها عليه
فيصير المعنى ما نترل عليك من اية وننسها نات بخير منها او مثلها فيوول المعنى الى ان كل اية انزلت فى خير
منها فيصير القران كله منسوخا وهذا لا يمكن لانه لم ينسخ الا اليسير من القران فلما امتنع ان يكون افعل
وفعل بمعنى اذ لم يسمع وامتنع ان يكون الهمزة للتعدى لفساد المعنى لم يبق بمكن الا ان يكون من باب اجدته
وانجلته اذا وجدته محمودا وبخيلا **الرابعة عشرة** قوله تعالى او ننسها قرا ابو عمرو وابن كثير بفتح النون
من التاخير اى نوخر فننسخ لفظها اى نتركه فى اخر الكتاب فلا يكون وهذا قول عطا وقال غير عطا بمعنى
او ننسأها ونوخرها عن النسخ الى وقت معلوم من قولهم نسات هذا الامر اذا اخرته ومن ذلك قولهم
بعته نسا اذا اخرته قال ابن فارس ويقولون نسا الله اجلك وقد انسيتها اذا اخروا وتباعدوا
ونسا تهم اذا اخرتهم فالمعنى يوخر تروطها او ننسخها على ما ذكرنا وقيل يذهبها عنكم حتى لا تقراوا ولا تذكروا قرا
الباقون ننسها بضم النون من النسيان الذى بمعنى الترك اى نتركها فلا ننبذها ولا ننسخها قاله ابن
عباس والسدى ومنه قوله تعالى نسوا الله فنسيهم اى تركوا عبادته فتركهم فى العذاب واختاره
الفراء ابو عبيد وابو حاتم قال ابو عبيد سمعت ابا نعيم القارى يقول قرات على النبى صلى الله عليه وسلم
فى المنام بقراة ابى عمرو فلم يغير على الاحرفين قال قرات عليه اذنا فقال اذنا قال ابو عبيد واحسب الحرف الاخر
او ننسأها فقال او ننسيها وحكى الازهرى نسيتها نامر بتركها يقال انسيته الشى اذا امرت بتركه ونسيته
قال الشاعر

• الى على عقبة اقضيها • لست بناسيها ولا منسيها •

اى ولا امر بتركها قال الزجاج ان القراة بضم النون لا يتوجه فيها معنى الترك لا يقال انسى بمعنى ترك وما
روى عن ابن ابى طلحة عن ابن عباس او ننسكها عليه اهل اللغة والنظر ان معنى او ننسها نجعلكم تتركها من
نسى اذا ترك لم يعد به قال ابو على وغيره ذلك بتجه لا بمعنى او ننسكها يا محمد فلا تذكرها فنقلبا بالهمزة
فتعدى الفعل الى مفعولين وهما الشى والهاء لكل اسم الشى محذوف **الخامسة عشرة** قوله تعالى نات بخير

منها لفظ جنسها صفة تفضيل فانتبه لكم ايجاز القران ومهيع عاجل ان كانت الهاء ضمير القران اختف وفى اجلان كانت
الاثل وبعثها ان كانت منسوبة قال مالك محكمة مكان منسوخة وقيل ليس الراد فاخير التفضيل لان الكلام
لا يقتضى ذلك وانما هو مثل قوله من جاء بالحسنة فله خير منها اى نفع واجر لا الخير الذى هو بمعنى الافضل ويدل
على القول الاول قوله او مثلها **قوله تعالى** الم تعلم جزم بلم وحروف الاستفهام لا تغير عمل الجوازم وفتق
ان لا نافية موضع نصب له ملك السموات والارض اى الايجاد والاختراع والملك والتسلط وقوة الامر
والارادة وارتفع ملك بالابتدا والخبر له والجملة خبر ان والخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد امته لقوله
وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير وقيل المعنى ان قل لهم يا محمد الم تعلم ان الله سلطان السموات والارض
وما لكم من دون الله من ولى ولیت امر فلان اى قمت به ومنه ولى الهمدان اى الخيم بها هذا الذى من امر المسلمين
ومعنى من دون الله سوى الله وبعد الله كما انا مية برا الى الكفلت

• يا نفس ما لك دون الله من واق • وما على حدثان الدهر من باق •

وقرا الجماعة ولا نصير بالخفض وعطفا على ولى ويجوز وله نصير بالرفع عطفا على الموضع لان المعنى ما لكم من
دون الله ولى ولا نصير **قوله تعالى** ام تريدون هذه ام المنقطعة التى بمعنى اى بل اتريدون ومعنى
الكلام التوبيخ ان تسالوا فى موضع نصب بتريدون كما سيل المكان فى موضع نصب بغت على المصدر اى سوالا
كما وموسى فى موضع رفع على ما لم يسم فاعله من قبل سوالهم اياه ان يريهم الله جهرة وسالوا محمدا ان ياتى
بالله والملايكة قبيلا عن ابن عباس سالوا ان يجعل لهم الصفا ذهبا وقرا الحسن كما سيل وهذا على لغة من
قال سالت اسال ويجوز ان يكون على بدل الهمزة يا ساكنة على غير قياس فانكسرت السين قبلها قال النحاس
بدل الهمزة بعيد والسوا عن كل شى الوسط قاله ابو عبيدة معمر بن المثنى ومنه قوله فى سوا الجحيم وحكى
عيسى بن عمر ما زلت اكتب حتى انقطع سوای وانشد قول حسان يرثى النبى صلى الله عليه وسلم

• يا ويح اصحاب النبى ورهطه • بعد المغيب فى سوى الملحد •

وقيل السوا القصد عن الفراء اى ذهب عن قصد الطريق وسمته اى طريق طاعة الله وعن ابن عباس ان سبب
نزول الاية ان رافعة بن حزيمة ووهب بن زيد قالا للنبى صلى الله عليه وسلم ايتنا بكتاب من السماء
نقروه وفجر لنا انهارا نتبعك **قوله تعالى** ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا
فيه مسيلتان **الاولى** ود تمنى وقد تقدم كفارا مفعول ثان بيردونكم من عندا تقييدهم اى من تلقايهم من
غير ان يجدوه فى كتاب ولا امر وابه ولا يظنه لحسد نفسى هذا فجاء من عندا نفسهم تاكيدا والزاما كما قال
تعالى يقولون بافواههم يكتبون الكتاب بايديهم ولا طاير يطير بجناحيه والاية فى اليهود **الثانية**
الحسد نوعان مذموم ومحمود فالمذموم تمنى زوال النعمة الله عن اخيك المسلم وسوا تمنيت مع ذلك ان
يعود اليك او لا وهذا النوع الذى ذمه الله تعالى فى كتابه بقوله امم يحسدون الناس على ما اتاهم الله من
فضله واما كان مذموما لان فيه تسفيه الحق سبحانه وانه انعم على من لا يستحق واما المحمود فهو ما جاء
فى صحيح الحديث من قوله عليه السلام لا حسد الا فى اثنتين رجل اتاه الله القران فهو يقوم به اناء الليل واناء
النهار ورجل اتاه الله مالا فهو ينفقه اناء الليل واناء النهار وهذا الحديث معناه الغبطة وكذا ترجم عليه
البخارى باب الاغتباط فى العلم والحكمة وحقيقتها ان تتمنى ان يكون لك كما لاخيك المسلم من الخير والنعمة
ولا يزول عنه خيره وقد يجوز ان يسمى هذا منا فسة ومنه قوله فليتنافس المتنافسون من بعد ما تبين لهم
الحق اى من بعد تبين الحق لهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم والقران الذى جاء به **قوله تعالى** فاعفوا واصفحوا
فيه مسيلتان **الاولى** قوله تعالى فاعفوا الاصل اعفوا واحذفت الصة لنقلها ثم حذفت الواو لالتقا الساكنين
والعفو ترك المواخذة بالذنب والصفح ازالة اثره من النفس صفحت عن فلان اذا اعرضت عن ذنبه وقد يترك
عنه صفحا اذا اعرضت عنه وتركته ومنه قوله تعالى افنضرب عنكم الذكر صفحا **الثانية** هذه الاية منسوخة
بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يومنون بالله الى قوله وهم صاغرون عن ابن عباس وقبل الناسخ لها اقتلوا المشركين
قال ابو عبيدة كل اية فيها ترك القتال فهى مكية منسوخة بالقتال قال ابن عطية وحكمه بان هذه الاية
مكية ضعيف لان معاندات اليهود انما كانت بالمدينة **قلت** وهو الصحيح روى البخارى ومسلم
عن اسامة بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب على حمار عليه قطيفة فركبه واسامة وراه يعود سعد
ابن عبادة فى بنى الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر فسار حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن ابى بن سلول وذلك
قبل ان يسلم عبد الله بن ابى فاذا فى المجلس اخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الاوثان واليهود وفى المسلمين
عبد الله بن رواحة فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر ابن ابى انفه برداية وقال لا تغبروا علينا فسلم
رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم ثم وقف ثم نزل فدعاهم الى الله عز وجل وقرا عليهم القران فقال له عبد
الله بن ابى ابن سلول ايها المرء لا احسن مما تقول ان كان حقا فلا توذينا به فى مجالسنا وارجع الى رحلك

فانشب المشركون والمسلمون والمدوة حتى كانت بينهم ملحمة وانهزم المسلمون وجعل المشركون يقتلون ولم يلتفت
حتى سكتوا ثم رفعت رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسها فسارحتى دخل على سعد بن عبادة فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم الم تسمع الى ما قال ابو حباب يريد عبد الله بن ابى قال كذا وكذا فقال له سعد رسول الله بابى
انت وامى اعف عنه واصفح فوالذى انزل عليك الكتاب بالحق لقد جاء الله بالحق الذى انزل عليك ولقد
اصطلح اهل هذه البحيرة على ان يتوجوه ويعصبوه بالعصابة فلما رد الله ذلك بالحق الذى اعطاك شرق
بذلك فذلك الذى فعل بك ما رأيت فعفا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعفون عن المشركين واهل الكتاب كما امرهم الله ويصبرون على الاذى قال الله عز وجل ولتسمعن من الذين
اوتوا الكتاب من قبلكم وقالوا وكثيرا من اهل الكتاب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتاول فى العفو
عنهم ما امره الله به حتى اذن له فيهم فلما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا فقتل الله بها من قتل
من صناديد الكفار وسادة قريش فقفل رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه غانمين منصورين
معهم اساراى من صناديد وسادة قريش قال عبد الله بن ابى بن سلول ومن معه من المشركين عبدة
الاوثان هذا امر قد توجه فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام فاسلموا **قوله تعالى** حتى
ياتى الله بامره يعنى قتل قريظة واجلاء بنى النضير ان الله على كل شئ قدير واقيموا الصلاة واتوا الزكاة
تقدم والحمد لله **قوله تعالى** وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله قال مقاتل ما قدم
الناس ما خلفوه وقالت الملائكة ما قدم وخرج البخارى والنسائى عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ايكم مال وارثه احب اليه من ماله قالوا يا رسول الله ما منا احد الا ماله احب اليه من ماله وارثه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منكم من احد الا ماله وارثه احب اليه من ماله مالك ما قدمت
ومال وارثك ما اخرت لفظ النسائى ولفظ البخارى قال عبد الله قال النبى صلى الله عليه وسلم ايكم مال وارثه
احب اليه من ماله قالوا يا رسول الله ما منا احد الا ماله احب اليه قال فان ماله ما قدم ومال وارثه
ما اخر وجاء عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه مر ببقيع الغرقد فقال السلام عليكم اهل القبور اخباركم
عندنا ان نساءكم قد تزوجن ودوركم قد سكنت واموالكم قد قسمت فاجابه هاتف يا ابن الخطاب اخبار
ما عندنا ان ما قدمنا وجدنا وما انفقنا فقد ربحنا وما خلفناه فقد خسرناه ولقد احسن القائل

قدم لنفسك قبل موتك صالحا ... واعمل فليس الى الخلود سبيل

وقال اخر

قدم لنفسك توبة مرجوة ... قبل الممات وقبل حبس اللسن
ولدتك اذ ولدتك امك باكيا ... والقوم حولك يضحكون سرورا
فاعمل ليوم تكون فيه اذا بكوا ... فى يوم موتك ضاحكا مسرورا
نساهن الى الخير وبادر به ... فاتما خلقت ما تعلم
وقدم الخير فكل امرى ... على الذى قدمه يقدم

وقال اخر

واحسن من هذا قول ابى العتاهية

اسعد بما لك فى الحياة فانما ... يبقى وذاك مفلح او مفسد
واذا تركت لمفسد لم يبقه ... واخو الصلاح قليله يتزيد
فاذا استطعت فكن لنفسك وارثا ... ان الموارث نفسه لمسدد

ان الله بما تعملون بصير **قوله تعالى** وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى المعنى وقالت
اليهود لن يدخل الجنة الا من كان يهوديا وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصرانيا واجاز الفراء ان
يكون هودا بمعنى يهود يا حذف منه الزايد وان يكون جمع هايد وقال الاخفش سعيد الا من كان جعل
كل واحد على لفظ من ثم قال هودا جمع لان معنى من جمع ويجوز تلك امانيهم وتقدم الكلام فى هذا والحمد لله
وقوله تعالى قل هاتوا برهانكم اصل هاتوا هاتيوا حذفت الضمة لثقلها ثم حذفت الياء لالتقاء الساكنين
يقال فى الواحد المذكر هات مثل رام وفى المونث هاتى مثل رامى والبرهان الدليل الذى يوقع اليقين وجمعه
براهين مثل قربان وقرابين وسلطان وسلاطين قال الطبرى طلب الدليل هنا يقتضى اثبات النظر
ورد على من ينفيه انه كنتم صادقين يعنى فى اماتكم او فى قولكم تدخلون الجنة اى بينوا ما قلتم ببرهان
ثم قال تعالى بلى رد عليهم ونكذيبا لهم اى ليس كما تقولون وقيل ذلك بلى محمولة على المعنى كانه قيل اما يدخل
الجنة احد فقيل بلى من اسلم وجهه لله ومعنى اسلم استسلم وخضع وقيل اخلص عمله وخص لوجه بالذكر لكونه
اشرف ما يرى من الانسان ولانه مواضع الحواس وفيه يظهر العز والذل والعرب تخبر بالوجه عن جملة الشئ
ويصح ان يكون الوجه فى هذه الاية للقصد وهو بحسن جملة فى موضع الحال وعاد الضمير فى وجهه وله على
لفظ من وكذلك اجره وعاد فى عليهم على المعنى وكذلك فى يحزنون وقد تقدم **قوله تعالى** وقالت اليهود
ليست النصارى على شئ الاية معناه ادعى كل فريق منهم ان صاحبه ليس على شئ وانه احق برحمة الله منه

وهم يتلون الكتاب يعنى التوراة والانجيل والجملة فى موضع الحال والمراد بالذين لا يعلمون فى قول الجمهور
كفار العرب لانهم لا كتاب لهم وقال عطا المراد امم كانت قبل اليهود والنصارى الربيع بن انس كذلك قالت
اليهود قبل النصارى ابن عباس قدم اهل نجران على النبى صلى الله عليه وسلم فاتتهم احبار يهود فتنازعوا
عند النبى صلى الله عليه وسلم وقالت كل فرقة منهم للاخرى لستم على شئ فنزلت الاية **قوله تعالى**
ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها فيه تسع مسايل **الاولى** قوله تعالى
ومن اظلم من منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه من رفع ما لابتدا واظلم خبره والمعنى لا احد اظلم وان
نفى فى موضع نصب على البدل من مساجد ويجوز ان يكون التقدير من ان يذكر فيها وحرف الخفض يحذف مع ان
لطول الكلام واراد بالمساجد هنا بيت المقدس ومحاربيه وقيل الكعبة وجمعت لانها قبلة المساجد او لتعظيم
وقيل المراد سايرالمساجد والواحد مسجد بكسر الجيم ومن العرب من يقول مسجد بفتحها قال الفراء كل ما كان
على فعل يفعل مثل دخل يدخل فالفعل منه بالفتح اسما كان او مصدرا ولا يقع فيه الفرق مثل دخل يدخل
مدخلا وهذا مدخله الا حرفا من الاسما للزومها كسر العين من ذلك المسجد والمطلع والمغرب والمشرق
والمسقط والمفرق والمحزز والمسكن والمرفق من رفق يرفق والمنبت والمنتسك من نسك ينسك بضم
علامة للاسم وربما فتحه بعض العرب فى الاسم والمسجد بالفتح جبهة الرجل حيث يصيبه تراب المسجود
والاراف السبعة مساجد قاله الجوهرى **الثانية** واختلف الناس فى المراد بهذه الاية وفيمن نزلت
فذكر المفسرون انها نزلت فى بخت نصر لانه كان اخرب بيت المقدس وقال ابن عباس وغيره نزلت
فى النصارى والمعنى كيف تدعون ايها النصارى انكم من اهل الجنة وقد خربتم بيت المقدس ومنعتم
المصلين من الصلاة فيه ومعنى الاية التعجيب من فعل النصارى ببيت المقدس مع تعظيمهم له واتمامهم
فعلوا اما فعلوا اعداوة لليهود روى سعيد عن قتادة قال اولئك اعداء الله النصارى حملتهم البغاض
اليهود على ان اعانوا بخت نصر البابلى المجوسى على تخريب بيت المقدس وروى ان هذا التخريب بقى الى
زمن عمر وقيل نزلت فى المشركين حين منعوا المصلين والنبى عليه السلام وصدوهم عن المسجد الحرام عام
الحديبية وقيل المراد من منع من كل مسجد الى يوم القيامة وهو الصحيح لان اللفظ عام ورد بصيغة
الجمع فتخصيصها ببعض المساجد وبعض الاشخاص ضعيف والله اعلم **الثالثة** خرب المساجد
قد يكون حقيقة كالتخريب بخت نصر او النصارى ببيت المقدس على ما ذكرنا من خبر واقعة اسرائيل مع بعض
ملوكهم قيل اسمه نطوس بن اسبسيانوس الرومى فى ما ذكر الغزنوى فقتلوا وسبوا وحرقوا التوراة وقد قيل فى
بيت المقدس الحدرة وخربوه ويكون مجازا كمنع المشركين المسلمين حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن المسجد الحرام وعلى الجملة فتعطيل المساجد عن الصلاة واظهار شعار الاسلام فيها خراب لها **الرابعة**
قال علماؤنا وهذا قلناه لا يجوز منع المراة من الحج اذا كان تضرر سواء كان لها محرم او لم يكن ولا تمنع ايضا
من الصلاة فى المساجد ما لم يخف عليها الفتنة وكذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا اماء الله
مساجد الله وكذلك قلنا لا يجوز نقض المسجد ولا تعطيله ولا بيعه وان خربت المحلة ولا يمنع من بناء
المساجد الا ان يقصدوا الشقاق والخلاف بان يبنوا مسجدا الى جنب مسجد الى جنب مسجد او فرقة
يريدون بذلك تفريق اهل المسجد الاول وخرابه واختلاف الكلمة فان المسجد الثانى ينقض ويمنع
من بنيانه وكذلك قلنا لا يجوز ان يكون فى المصر جامعان او لمسجد واحد اماما ان ولا يصلى فى مسجد
جماعتان وسيأتى لهذا كله مزيد بيان فى سورة براءة ان شاء الله وفى الناسخ حكم المساجد وبيانها بحول
الله وقوته الاية ايضا على تعظيم امر الصلاة وانها لما كانت افضل الاعمال واعظمها اجرا كان من
منعها اعظم اثما **الخامسة** كل موضع يمكن ان يعبد الله فيه ويسجد له يسمى مسجدا قال صلى الله عليه وسلم
جعلت لى الارض مسجدا وطهورا اخرجه الائمة واجمعت الامة على ان البقعة اذا عينت للصلاة بالقول
خرجت على جملة الاملاك والمختصة بربها وصارت عامة لجميع المسلمين فلو بنى رجل مزاره مسجدا او
حجره على الناس واختص به لنفسه لبقى على ملكه ولم يخرج على حد المسجدية ولو اباحه للناس كلهم كان
حكمه حكم سايرالمساجد العامة وخرجت عن اختصاص الاملاك **السادسة** قوله تعالى اولئك ما كان
لهم ان يدخلوها الا خايفين اولئك مبتدا وما بعده خبره خايفين حال يعنى اذا استولى عليها المسلمون
وحصلت تحت سلطانهم فلا يتمكن الكافر حينيذ من دخولها فعلى هذا خوف من اخراج المسلمين لهم ونادبهم
على دخولها وفى هذا دليل على ان الكافر ليس له دخول المسجد بحال على ما ياتى بيانه فى براءة ومن جعل
الاية فى النصارى روى انه مر زمان بعد بناء عمر بيت المقدس فى الاسلام لا يدخله نصرانى الا وجع
ضربا بعد ان كان متعبدهم ومن جعلها فى قريش قال كذلك نودى بامر النبى صلى الله عليه وسلم الا يحج
بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت وقيل هو خبر ومقصوده الامر اى جاهدوهم واستاصلوهم

حتى لا يدخل احد منهم المسجد الحرام الا خائفا كقوله ما كان لكم ان تدخلوا رسول الله فانه نهى ورد بلفظ الخبر ه

السابعة قوله تعالى لهم فى الدنيا خزى قيل القتل للحربى والجزية للذمى عن قتادة السدى الخزى لهم فى الدنيا فيما الحربى عمورية وروسية وقسطنطينيه الى غير ذلك من امم اسلمت على ما ذكرناه فى كتاب التذكرة ومن جعلها فى قريش جعل الخزى غلبتهم فى الفتح والعذاب فى الاخرة لمن مات منهم كافرا قوله تعالى ولله

المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله فيه خمس مسايل **الاولى** قوله تعالى ولله المشرق والمغرب المشرق موضع الشروق والمغرب موضع الغروب اى خلقه ملك وملكا يتهما من الجهات والمخلوقات بالايجاد والاختراع كما تقدم وخصهما بالذكر والاضافة اليه تشريفا نحو بيت الله وناقة الله وكان سبب الاية افتضى ذلك على ما ياتى **الثانية** قوله تعالى فاينما تولوا شرط ولذلك حذفت النون وابن العلمة العلمة وما زايدة والجواب فثم وجه الله وقرا الحسن تولوا بفتح التا واللام والاصل تتولوا وثم فى موضع نصب على الظرف ومعناها البعد الا انها مبنية على الفتح غير معربة لانها مبهمة تكون بمنزلة هناك للبعد فان اردت القرب قلت هنا **الثالثة** اختلف العلما فى المعنى الذى نزلت فيه فاينما تولوا على خمسة اقوال فقال عبد الله بن عامر بن ربيعة نزلت فيما صلى الى غير القبلة فى ليلة مظلمة اخرجه الترمذى عنه عن ابيه قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر فى ليلة مظلمة فلم ندر اين القبلة فصلى كل واحد منا على حياله فلما اصبحنا ذكرنا ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فنزل فاينما تولوا فثم وجه الله قال ابو عيسى هذا حديث ليس اسناده بذاك لا نعرفه الا من حديث اشعث السمانى بن سعيد ابو الربيع يضعف فى الحديث وقد ذهب اكثر اهل العلم الى هذا قالوا اذا صلى فى الغيم لغير القبلة ثم استبان له بعد ذلك انه صلى لغير القبلة فان صلاته جايزة وبه قال سفيان وابن المبارك واحمد واسحاق **قلت** ومنه قول ابى حنيفة ومالك غير ان مالكا يستحب له الاعادة فى الوقت وليس ذلك لانه فداى فرضه على ما امر والكمال يستدرك فى الوقت استحبابا الا من استدبر وحده ثم ادرك تلك الصلاة فى وقتها فى جماعة يعيد معهم ولا يعيد فى الوقت استحبابا الا من استدبر القبلة او شرقا او غربا جدا مجتهدا فلا اعادة عليه فى وقت ولا غيره وقال المغيرة والشافعى لا يجزيه الا القبلة شرط من شروط الصلاة وما قاله مالك اصح لان جهة القبلة يدرك الضرورة نزلها فى المسابقة وتيمما فى الرخصة حالة السفر وقال ابو عمر وتزلت فى المسافر يتنفل حيث ما توجهت به راحلته اخرجه مسلم عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى وهو مقبل من مكة الى المدينة على راحلته حيث كان من وجهه قالا وفيه نزلت فاينما تولوا فثم وجه الله ولا خلاف بين العلما فى جواز النافلة على الراحلة لهذا الحديث وما كان مثله ولا يجوز لاحد ان يدع القبلة عامدا بوجهه من الوجوه الا فى شدة الخوف على ما ياتى واختلف قول مالك فى المريض يصلى على محمله مرة قال لا يصلى على ظهر البعير فريضة وان اشتد مرضه قال سحنون فان فعل اعاد حكاه الباجى مرة قال ان كان ممن لا يصلى بالارض الا ايما فليصل على البعير بعد ان يوقفه له ويستقبل القبلة واجمعوا على انه لا يجوز لاحد صحيح ان يصلى فريضة الا بالارض الا فى الخوف الشديد خاصة على ما ياتى بيانه واختلف الفقها فى المسافر يسفر لا يقصر فى مثله الصلاة فقال مالك واصحابه والثورى لا يتطوع على الراحلة الا اثنى سفر تقصر فى مثله الصلاة قالوا الان الاسفار التى حكى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يتطوع فيها كان مما يقصر فيها الصلاة وقال الشافعى وابو حنيفة واصحابهما والحسن بن حى والليث بن سعد وداود بن على يجوز التطوع على الراحلة خارج المصر فى كل سفر سواء كان مما يقصر فيه الصلاة او لا لان ليس فيها تخصيص سفر من سفر فكل سفر جايز ذلك فيه الا ان يخص شى من الاسفار بما يجب التسليم له وقال ابو يوسف يصلى فى المصر على الدابة بالايما لحديث يحيى بن سعيد عن انس بن مالك انه صلى على حمار فى ازقة المدينة يومى ايما وقال الطبرى يجوز لكل راكب وماش حاضرا كان او مسافرا ان يتنفل على دابته وراحلته وعلى رجليه وحكى بعض اصحاب الشافعى ان مذهبهم جواز التنفل على الدابة فى الحضر والسفر وقال الاثرم قيل لاحمد بن حنبل الصلاة على الدابة فى الحضر فقال اما انا فى السفر فقد سمعت وما سمعت فى الحضر قال ابن القاسم من تنفل على محمله تنفل جالسا فيامه برفع بركه واضعا يديه على ركبتيه ولم يرفع راسه وقال قتادة نزلت فى النجاشى وذلك انه لما مات دعا النبى صلى الله عليه وسلم المسلمين الى الصلاة عليه خارج المدينة فقالوا تصلى على رجل مات وهو يصلى لغير قبلتنا وكان النجاشى ملك الحبشة واسمه اصحمة وهو بالعبرية عطية يصلى الى بيت المقدس حتى مات وقد صرفت القبلة الى الكعبة فنزلت الاية ونزل فيها وان من اهل الكتاب لمن يومن بالله فكان هذا عذرا للنجاشى وكانت صلاة النبى صلى الله عليه وسلم باصحابه ستة عشر شهرا او سبعة عشر شهرا على اختلاف من الحديث وقد استدل بهذه الاية من اجاز الصلاة على الغايب وهو الشافعى ومن اغرب مسايل الصلاة على الميت ما قال الشافعى يصلى على الغايب وقد كنت ببغداد فى مجلس الامام فخر الاسلام فيد خل غلبة الرجل من خراسان فيقول له كيف حال فلان فيقول له مات فيقول انا لله وانا اليه راجعون ثم يقول قوموا فلا صلى لكم فيقوم

كيف ح

بلغ مقابلة

فيصلى

عليه م

فيصلى بنا وذلك بعد ستة اشهر من المدة وبينه وبين بلده ستة اشهر والاصل عندهم فى ذلك صلاة النبى صلى الله عليه وسلم على النجاشى قال علما ورحمة الله عليهم النبى صلى الله عليه وسلم بذلك مخصوص لكرامة اوجه احدها ان الارض حينه له جنوبا وشمالا حتى راى نعش النجاشى كما حينه له شمالا حتى راى المسجد الاقصى قال المخالف وراى فايدة فى رويته وانما الفايدة فى لحوق بركته الثانى ان النجاشى لم يكن له هناك ولى من المومنين يقوم بالصلاة عليه قال المخالف هذا محال عادة ملك على من لا يكون له اتباع والتاويل بالمحال محال الثالث ان النبى صلى الله عليه وسلم انما اراد بالصلاة على النجاشى ادخال الرحمة عليه واستيلاءه فى بقية الملوك بعده اذا راوا الاهتمام به حيا وميتا قال المخالف بركة الاعامر النبى صلى الله عليه وسلم ومن سواه يلحق بالميت بانفاق قال ابن العربى والذى عندى فى صلاة النبى صلى الله عليه وسلم على النجاشى انه علم ان النجاشى ومن امن معه ليس عندهم من سنة الصلاة على الميت اثر فعلم انهم سيدفنوه بغير صلاة فبادر الى الصلاة عليه **قلت** والتاويل الاول احسن لانه اذا راه فما صلى على غايب وانما صلى على من هو حاضر والغايب ما لا يرى والله اعلم

القول الرابع قال ابن زيد كانت اليهود قد استحنت صلاة النبى صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس وقالوا ما هذا الا بنا فلما حول الى الكعبة قالت اليهود ما ولاهم عن قبلتهم فنزلت ولله المشرق والمغرب فوجه النظم على هذا القول ان اليهود لما انكروا امر القبلة بين الله تعالى ان له ان يتعبد عباده بما شا امرهم بالتوجه الى بيت المقدس وان شا امرهم بالتوجه الى الكعبة فعل لا حجة عليه ولا يسال عما يفعل وهم يسالون

القول الخامس ان الاية منسوخة بقوله وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وذكره ابن عباس فكانه كان يجوز فى الابتدا ان يصلى الى ايهما شا ثم نسخ ذلك وقال قتادة الناسخ قوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام اى تلقاه حكاه ابو عيسى الترمذى وقول سادس روى عن مجاهد والضحاك انها محكمة المعنى اينما كنتم من مشرق او غرب فثم وجه الله الذى امرنا باستقباله وهو الكعبة وعن مجاهد ايضا وابن جبير لما نزلت ادعونى استجب لكم قالوا الى اين فنزلت فاينما تولوا فثم وجه الله وعن ابن عمر والنخعى ابن ما تولوا فى اسفاركم ومتصرفاتكم فثم وجه الله وقيل هى متصلة بقوله تعالى ومن اظلم ممن منع مساجد الله الاية فالمعنى ان بلاد الله ايها المومنون تسعكم فلا يمنعنكم تخريب من خرب مساجد الله ان تولوا وجوهكم نحو قبلة الله ابن ما كنتم من ارضه وقيل نزلت حين صد النبى صلى الله عليه وسلم عن الحديبية فاغتم المسلمون لذلك فهذه عشرة اقوال ومن جعلها منسوخة فلا اعتراض عليه من جهة كونها محتملة لمعنى الا من يجتمل ان يكون معنى فاينما تولوا فثم وجه الله ولو اوجوهكم نحو وجه الله وهذه الاية هى التى تلى سعيد بن جبير رحمه الله لما امر الحجاج بدجه الى الارض **الرابعة** اختلف الناس فى تاويل الوجه المضاف الى الله تعالى فى القرآن والسنة فقال الخطابى ذلك راجع الى الوجود والعبارة عنه بالوجه من مجاز الكلام اذ كان الوجه اظهر للاعضا فى الشاهد واجلها قدرا قال ابن فورك قد يذكر صفة الشى والمراد به الموصوف توسعا كما يقول القايل رايت علم فلان اليوم ونظرت الى علمه وانما يراد بذلك رايت العالم ونظرت الى العالم كذلك الوجه هنا والمراد منه الوجود وعليه تاول قوله تعالى انما نطعمكم لوجه الله كان المراد به لله الذى له الوجه وكذلك قوله الا ابتغا وجه ربه الاعلى اى الذى له الوجه قال ابن عباس الوجه عبارة عنه عز وجل كما قال ويبقى وجه ربك وقال بعض الايمة تلك صفة ثابتة بالسمع زايدة على ما توجبه العقول من صفة القدير تعالى قال ابن عطية وضعف ابو المعالى هذا القول وكذلك هو ضعيف وانما المراد وجوده وقيل المراد بالوجه هنا الجهة التى وجهنا اليها اى القبلة وقيل الوجه المقصد كما قال الشاعر

• استغفر الله ذنبا لست احصيه • رب العباد اليه الوجه والعمل •

وقيل المعنى فثم رضى الله وثوابه كما قالوا انما نطعمكم لوجه الله اى لرضاه وطلب ثوابه ومنه قوله عليه السلام من بنى مسجدا يبتغى به وجه الله بنى الله له مثله فى الجنة وقوله يجا يوم القيامة بصعف يحتمة فتنصب بين يدى الله تعالى فيقول عز وجل لملايكته الفوا هذا واقبلوا هذا قال فتقول الملايكة وعزتك ما رايا الا الاخير او هو اعلم فيقول ان هذا كان لغير وجهى وانا اقبل من العمل الا ما ابتغى به وجهى اى خالصا خرجه الدارقطنى وقيل المراد فثم الله والوجه صلة وهو قوله وهو معكم قاله الكلبى والقتبى ونحوه قول المعتزلة **الخامسة** قوله تعالى ان الله واسع عليم اى يوسع على عباده فى دينهم ولا يكلفهم ما ليس فى وسعهم وقيل واسع بمعنى انه يسع علمه كل شى كما قال وسع كرسيه كل شى علما وقال الفراء الواسع المغفرة اى لا يتعاظمه ذنب وقيل واسع بمعنى متفضل على العباد وغنى عن اعمالهم يقال فلان يسع ما يسدا اى لا يبخل قال الله تعالى لينفق ذو سعة من سعته اى لينفق الغنى كما اعطاه الله تعالى وقد اثنيا عليه فى كتاب الاسنى والحمد لله **قوله تعالى** وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه فيه خمس مسايل **الاولى** قوله تعالى وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هذا اخبار عن النصارى فى قولهم المسيح بن الله وقيل عن اليهود فى قولهم عزير بن الله وقيل

يقوله وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ذكره ابن عباس فكانه كان م

عن كفرة العرب في قولهم الملايكة بنات الله وقد جا مثل هذا الاخبار عن الجهلة الكفار في مريم والانبياء
الثانية ان يكون له خرج البخاري عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى كذبني ابن ادم ولم
يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياي فزعم اني لا اقدر ان اعيده كما كان واما شتمه
اياي فقوله لي ولد فسبحاني ان اتخذ صاحبة او ولدا الثالثة سبحان منصوب على المصدر ومعناه التبرية
والتنزيه والمحاشاة من قولهم اتخذ الله ولدا بل هو تعالى واحد في ذاته احد في صفاته لم يلد فيحتاج
الى صاحبة انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شي ولم يولد فيكون مسبوقا جل وتعالى عما يقول
الظالمون والجاحدون علوا كبيرا بل له ما في السموات والارض ما رفع بالابتدا والخبر في المجرور اي كل ذلك
له ملك بالايجاد والاختراع والقايل بانه اتخذ ولدا داخل في جملة السموات والارض وقد تقدم ان معنى
سبحان الله براة الله من السو الرابعة لا يكون الولد الا من جنس الوالد فكيف يكون للحق سبحانه
ان يتخذ ولدا من مخلوقاته وهو لا يشبهه شي وقد قال ان كل من في السموات والارض الا ات الرحمن
عبدا كما قال هنا بل له ما في السموات والارض فالوالدية تقتضي الجنسية والحدوث والقدم يقتضي
الوحدانية والثبوت فهو سبحانه القديم الازلي الواحد الاحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم
يكن له كفوا احد ثم قال ان البنوة تنافي الرق والعبودية على ما ياتي بيانه في سورة مريم ان شاء الله
فكيف يكون ولد عبدا هذا محال وما ادى الى المحال محال الخامسة قوله تعالى كل له قانتون ابتدا وخبر
والتقدير كلهم ثم حذف الها والميم قانتون اي مطيعون وخاضعون فالمخلوقات كلها تقنت لله اي
تخضع وتطيع والجمادات قنوتهم في ظهور الصنعة عليهم وفيهم فالقنوت الطاعة والقنوت السكوت
ومنه قول زيد بن ارقم كنا نتكلم في الصلاة يكلم الرجل صاحبه الى جنبه حتى نزلت وقوموا لله قانتين
فامرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام والقنوت الصلاة قال

قانتا لله يتلو كتابه • وعمل عمد من الناس اعتزل

وقال السدي وغيره في قوله كل له قانتون اي يوم القيامة الحسن كل له قايم فالشهادة انه عبد اصله القيام
ومنه الحديث افضل الصلاة طول القنوت قاله الزجاج قانتون اي قايمون بالعبودية اما اقرارا واما
ان يكونوا على خلاف ذلك فاثر الصنعة بين عليهم وقيل اصله الطاعة ومنه قوله تعالى والقانتين
والقانتات وسياتي لهذا مزيد بيان عند قوله تعالى وقوموا لله قانتين قوله تعالى بديع السموات
والارض الاية فيه ست مسايل الاولى قوله تعالى بديع فعيل للمبالغة وارتفع على خبر ابتدا محذوف واسم
الفاعل مبدع كبصير من مبصر ابدعت الشي لا عن مثال والله عز وجل بديع السموات والارض اي منشيها
وموجدها ومبدعها ومخترعها على غير حد ولا مثال وكل من انشا ما لم يسبق اليه قيل له مبدع ومنه اصحاب
البدع وسميت البدعة بدعة لان قايلها ابتدعها من غير فعل ومقال امام وفي البخاري ونعمت البدعة
هذه يعني قيام رمضان الثانية كل بدعة صدرت من مخلوق فلا تخلوا اما ان يكون لها اصل في الشرع
او لا فان كان لها اصل كانت واقعة تحت عموم ما ندب الله اليه وحض رسوله عليه فهي في حيز المدح
وان لم يكن مثاله موجود لنوع من الجود والسخا وفعل المعروف فهذا فعله من الافعال المحمودة وان لم يكن
الفاعل قد سبق اليه ويعضد هذا قول عمر نعمت البدعة هذه لما كانت من افعال الخير وداخلة في حيز
المدح وهي وان كان النبي صلى الله عليه وسلم قد صلاها فمحافظة عمر عليها وجمع الناس لها وثبتهم اليها بدعة
محمودة ممدوحة وان كانت في خلاف ما امر الله به ورسوله فهي في حيز الذم والانكار قال معناه الخطابي
قلت وهو معنى قوله عليه السلام في خطبته وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة يريد ما لم
توافق كتابا او سنة او عمل الصحابة رضي الله عنهم وقد بين هذا بقوله من سن في الاسلام سنة حسنة
كان له اجرها واجر من عمل بها بعده من غير ان ينقص من اجورهم شي ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه
وزرها ووزر من عمل بها بعده من غير ان ينقص من اوزارهم شي وهذا اشارة الى ما ابتدع من قبيح وحسن
وهو اصل هذا الباب وبالله العصمة والتوفيق لا رب غيره الثالثة قوله تعالى واذا قضى امرا اي اراد
احكامه واتقانه كما سبق في علمه قال له كن قال ابن عرفة قضا الشي احكامه وامضاوه والفراغ منه ومنه
سمي القاضي لانه اذا حكم فقد فرغ بين الخصمين وقال الازهري قضى في اللغة على وجوه مرجعها الى
انقطاع الشي وتمامه قال ابو ذويب

وعليهما مسرودتان قضاهما • داود او صنع الشرايع نبع

وقال الشماخ في عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه

قضيت امورا ثم غادرت بعدها • بوايق في اكمامها لم تفتق

قال علماونا قضى لفظ مشترك يكون بمعنى الخلق قال الله تعالى فقضاهن سبع سموات في يومين اي خلقهن

لكنها بدعة ح

ويكون

ويكون بمعنى الاعلام قال الله تعالى وقضينا الى بني اسرايل في الكتاب اي اعلمنا ويكون بمعنى الامر كقوله تعالى
وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه ويكون بمعنى الالزام وامضا الاحكام ومنه سمي الحاكم قاضيا ويكون بمعنى
توفية قال الله تعالى فلما قضى موسى الاجل ويكون بمعنى الارادة كقوله تعالى واذا قضى امرا فانما يقول
له كن فيكون اي اذا اراد خلق شي قال ابن عطية قضى معناه قدر وقد يجي بمعنى امضى ويتجه في هذه المعنيان
على مذهب اهل السنة قدر في الازل وامضى فيه وعلى مذهب المعتزلة امضى عند الخلق والايجاد الرابعة قوله
تعالى امرا الامر واحد الامور وليس بمصدر امر يامر قال علماونا والامر في القران يتصرف على اربعة عشر وجها
الاول الدين قال الله تعالى حتى جا الحق وظهر امر الله يعني دين الله للاسلام الثاني القول ومنه قوله تعالى
فاذا جا امرنا يعني قولنا وقوله فتنازعوا امرهم بينهم يعني قولهم الثالث العذاب ومنه قوله تعالى لما قضى
الامر يعني لما وجب العذاب باهل النار الرابع عيسى عليه السلام قال الله تعالى فاذا قضى امرا يعني عيسى وكان
في علمه ان يكون من غير اب الخامس القتل ببدر قال الله تعالى فاذا جا امر الله يعني القتل ببدر وقوله ليقضي
الله امرا كان مفعولا يعني كفار مكة السادس فتح مكة قال الله تعالى فتربصوا حتى ياتي الله بامره يعني فتح
مكة السابع قتل قريظة وجلا النضير قال الله تعالى فاعفوا واصفحوا حتى ياتي الله بامره الثامن القيامة
قال الله تعالى اتى امر الله التاسع القضا قال الله تعالى يدبر الامر من السما الى الارض يقول ينزل الوحي
من السما الى الارض وقوله تعالى يتنزل الامر بينهن يعني الوحي الحادية عشرة امر الخلق قال الله تعالى الا الى
الله تصير الامور يعني امور الخلايق الثاني عشر النصر قال الله تعالى يقولون هل لنا من الامر من شي يعنون
النصر قل ان الامر كله لله يعنون النصر الثالث عشر الذنب قال الله تعالى فذاقت وبال امرها يعني جزا
ذنبها الرابع عشر الشان والفعل قال الله تعالى وما امر فرعون برشيد يعني فعله وشانه وقال فليحذر
الذين يخالفون عن امره اي فعله وقوله الخامسة قوله تعالى كن قيل الكاف من كينونة والكاف من
نوره وهي المراد بقوله عليه السلام اعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق وروي بكلمة الله التامة على الافراد
والجمع لما كانت هذه الكلمة من الامور كلها فاذا قال لكل امر كن ولكل شي كن فهن كلمات يدل على هذا ما روي عن
ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكي عن الله تعالى عطاي كلام وعذابي كلام خرجه الترمذي في حديث فيه
طول والكلمة على الافراد بمعنى الكلمات ايضا لكن لما تفرقت الكلمة الواحدة في الامور في الاوقات صارت
كلمات ومرجعهن الى كلمة واحدة وانما قيل تامة لان اقل الكلام عند اهل اللغة ثلاثة احرف حرف مبتدا وحرف
يسكت عليه واذا كان على حرفين فهو عندهم منقوص كيد ودم وفم انما نقص لغته فهي من الادميين من
المنقوصات لانها على حرفين ولانها كلمة ملفوظة بالادوات ومن ربنا تبارك وتعالى تامة لانها بغير الادوات
تعالى عن شبه المخلوقين قوله تعالى فيكون قرئ برفع النون على الاستيناف قال سيبويه فهو يكون او فانه يكون
وقال غيره هو معطوف على يقول فعلى الاول كاينا بعد الامر وان كان معدوما فانه بمنزلة الموجود اذ هو عنده
بمنزلة المعلوم على ما ياتي بيانه وعلى الثاني كاينا مع الامور واختاره الطبري وقال امره للشي بكن لا يتقدم
الوجود ولا يتاخر عنه فلا يكون الشي مامورا بالوجود الا وهو موجود بالامر ولا موجود الا وهو مامور
بالوجود قال ونظيره قيام الناس من قبورهم لا يتقدم دعا الله ولا يتاخر عنه كما قال ثم اذا دعاكم دعوة من الارض
اذا انتم تخرجون وضعف ابن عطية هذا القول وقال هو خطا من جهة المعنى لانه يقتضي ان القول مع التكوين
والوجود وتلخيص المعتقد في هذه الاية ان الله عز وجل لم يزل امرا للمعدومات بشرط وجودها قادرا
مع تاخر المقدورات عالما مع تاخر المعلومات فكل ما في الاية يقتضي الاستقبال فهو بحسب المامورات
اذ المحدثات تجي بعد ان لم تكن وكلما يستند الى الله تعالى من قدرة وعلم فهو قديم لم يزل والمعنى الذي
يقتضيه عبارة كن هو قديم قايم الذات قال ابو الحسن الماوردي فان قيل ففي اي حال يقول له كن افي حال عدمه
ام في حال وجوده فان قال في حال عدمه استحال ان يامر الا مامورا كما يستحيل ان يكون الامر الا من امر
وان كان في حال وجوده فتلك حال لا يجوز ان يامر فيها بالوجود والحدوث لانه موجود حادث قيل عن هذا
السوال اجوبة ثلاثة احدها انه خبر من الله تعالى عن نفوذ اوامره في خلقه الموجود كما امر في بني اسرايل
ان يكونوا قردة خاسيين ولا يكون هذا وارد في ايجاد المعدومات الثاني ان الله عز وجل عالم بما هو كاين
قبل كونه فكانت الاشيا التي لم تكن وهي كاينة بعلمه قبل كونها متشابهة التي هي موجودة فجاز ان يقول
لها كوني ويامرها بالخروج من حال العدم الثالث ان ذلك خبر من الله تعالى عام عن جميع ما يحدثه ويكونه
اذا اراد خلقه وانشاه كان ووجد من غير ان يكون هناك قول يقوله وانما هو قضا يريده فعبر عنه بالقول
وان لم يكن قولا كقول ابي النجم • قد قالت الاتساع للظن الخفي • ولا قول هناك وانما اراد ان الظهر
قد لحق بالظن وكقول عمر بن جمعة الدوسي

فاصبحت مثل النسر طارت فراخه • اذا رام تطيارا يقال له قع

الحق ح

وكما قال الاخر • قالت جناحاه لساقه الحقا • ونجيا بحكمكما ان يمزقا •

قوله تعالى وقال الذين لا يعلمون قال ابن عباس هم اليهود مجاهد النصارى ورجحه الطبري لا بحضر المذكورون في الاية والاولى وقال الربيع بن انس وقتادة والسدي مشركو العرب ولو لا بمعنى هلا تخصيص كما قال الاشهب بن رميلة •

• تعدون عقر البيت افضل مجدكم • بني مرطرى لولا الكماة المقنعا •

وليست هذه لولا التي تعطي منع الشيء لوجود غيره والفرق بينهما عند علماء اللسان ان لولا بمعنى التحضيض لا يليها الا الفعل مظهرا او مقدرا والتي للامتناع يليها الابتدا اوجرت العادة بحذف الخبر ومعنى الكلام هلا يكلمنا الله بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فنعلم انه نبي فنؤمن به او بانها بانية تكون علامة على نبوته والاية الدلالة والعلامة وقد تقدم هذا والذين من قبلهم اليهود والنصارى في قول من جعل الذين لا يعلمون كفار العرب والامم السالفة في قول من جعل الذين لا يعلمون النصارى تشابهت قلوبهم قيل في التعنيت والاقتراح وترك الايمان وقال الفراء تشابهت قلوبهم في تفاقم على الكفر قد بينا الايات لقوم يوقنون تقدم قوله تعالى انا ارسلناك بالحق بشيرا نصب على الحال وتذيرا عطف عليه وقد تقدم معناهما ولا تسال عن اصحاب الجحيم قال مقاتل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليت شعري ما فعل ابواي فنزلت انزل الله تاسه باليهود لا منوا فانزل الله ولا تسال عن اصحاب الجحيم برفع تسال وهي قراءة الجمهور ويكون في موضع الحال تعطفه على بشيرا ونذيرا المعنى انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا غير مسؤول وقال الاخفش سعيد لا تسال بفتح التا وضم اللام وتكون في موضع الحال عطفا على بشيرا ونذيرا المعنى انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا غير سايل عنهم ليس علم الله بكفرهم بعد انذارهم يعني عن سؤاله عنهم هذا معنى غير سايل ومعنى غير مسؤول لا تكون مؤاخذا بكفر من كفر بعد البشرى والانذار وقال ابن عباس ومجاهد ليت شعري ما فعل ابواي قال ذات يوم ليت شعري ما فعل ابواي فنزلت هذه الاية كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم ليت شعري ما فعل ابواي فنزلت هذه الاية وهذا على قراءة من قرا ولا تسال جزما على النهي وهي قراءة نافع وحده وفيه وجهان احدهما انه نهي عن السؤال عمن عصى وكفر من الاحيا لانه قد تتغير حاله فينتقل عن الكفر الى الايمان وعن المعصية الى الطاعة والثاني وهو الاظهر انه نهي عن السؤال عمن مات على كفره ومعصيته تعظيما لحاله وتغليظا لشانه وهذا كما يقال لا تسال عن فلان اي قد بلغ فوق ما تحسب وقرا ابن مسعود ولن تسال وقرا ابي وما تسال ومعناهما موافق لقراءة الجمهور يعني ان يكون مسؤولا عنهم وقيل انما قال ذلك ابي ابويه احدث موتا فنزلت وقد ذكرنا في كتاب التذكرة ان الله احيا اباه وامه وامنا به وذكرنا قوله عليه السلام للرجل قوله تعالى ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى الاية حتى تتبع ملتهم فيه مسيلتان الاولى قوله تعالى ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى المعنى ليس غرضهم بما يحدثون من الايات ان يؤمنوا بل لتواتيهم بكل ما يسالون لم يرضوا عنك وانما يرضيهم ترك ما انت عليه من الاسلام واتباعهم يقال رضي يرضى رضى ورضي ورضوانا ومرضاة فهو مرض وقال في التثنية رضوان وحكى الكسائي رضيان وحكى رضاء ممدود وكانه مصدر راضى مرضاة ورضاء وتتبع منصوب بان ولا كانها لا تظهر معها حتى قاله الخليل وذلك ان حتى خافضة للاسم لقوله تعالى حتى مطلع الفجر وما يعمل في الاسم لا يعمل في الفعل وما يخفض شيئا لا ينصب شيئا وقال النحاس تتبع منصوب بحتى وحتى بدل عن ان والملة اسم لما شرع الله تعالى لعباده في كتبه وعلى السنة رسله فكانت الملة والشريعة سواء اما الدين فقد فرق بينه وبين الملة والشريعة بان الملة والشريعة ما دعى الله تعالى عباده الى فعله والدين ما فعله العباد عن امره الثانية تمسك بهذه الاية جماعة ممن لعلمنا منهم ابو حنيفة والشافعي وداود واحد بن حنبل على ان الكفر كله ملة واحدة لقوله تعالى ملتهم قوحد الملة وبقوله لكم دينكم ولي دين وبقوله عليه السلام لا يتوارث اهل ملتين على ان المراد به الاسلام والكفر بدليل قوله عليه السلام لا يرث المسلم الكافر وذهب مالك واحد في الرواية الاخرى الى ان الكفر ملل فلا يرث اليهودي النصراني ولا يرثان المجوسي اخذا بظاهر قوله عليه السلام لا يتوارث اهل ملتين واما قوله تعالى ملتهم فالمراد به الكثرة وان كانت موحدة في اللفظ بدليل اضافتها الى ضمير الكثرة كما يقول اخذت من علما اهل المدينة مثلا علمهم وسمعت عنهم حديثهم يعني علومهم واحاديثهم قوله تعالى قل ان هدى الله هو الهدى المعنى انت عليه يا محمد من هدى الله الحق الذي يصنعه في قلب من يشا هو الهدى الحقيقي لا ما يدعيه هولا قوله تعالى ولئن اتبعت اهوائهم الاهوا جمع هوى كما تقول جمل واجمال ولما كانت تختلفة جمعت ولو جعل لكل افراد الملة لقال هواهم وفي هذا الخطاب وجهان احدهما انه للرسول ليتوجه الخطاب اليه الثاني انه للرسول والمراد به امته وعلى الاول يكون فيه تاديب لامته اذ منزلتهم دون منزلته وسبب الاية انهم كانوا يسالون المسيلة والهدنة ويعدون النبي

صلى الله عليه وسلم بالاسلام فاعلمه الله انهم لن يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم والمراد بهما وهم قوله تعالى من العلم سئل احمد بن حنبل عمن يقول القرآن مخلوق فقال كافر فقيل كفرته قال يا ياتي من كفر الله عز وجل ولئن اتبعت اهوائهم من بعد ما جاءك من العلم فالقرآن من علم الله فمن زعم انه مخلوق فقد كفر قوله تعالى الذين اتيناهم الكتاب قال قتادة هم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والكتاب على هذا الاقاويل القرآن وقال ابن زيد من اسلم من بني اسرائيل والكتاب على هذا التاويل التوراة والاية نعم والذين رفع بالابتدا اتيناهم صلته يتلونه خبر الابتدا وان شيئ كان اوليك يؤمنون به واختلف في معنى يتلونه حق تلاوته فقيل يتبعونه حق اتباعه باتباع الامر والنهي فيحلون حلاله ويحرمون حرامه ويعملون بما تضمنه قاله عكرمة قال عكرمة اما سمعت قول الله تعالى والقمر اذا تلاها اي اتبعها وهو معنى قول ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما وقال الشاعر • تدجعلت دلوي يتلينني • وروى مضر بن عيسى عن مالك عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى يتلونه حق تلاوته قال يتبعونه حق اتباعه في اسناده غير واحد من المجهولين فيما ذكر الخطيب ابو بكر احمد الا ان معناه صحيح وقال ابن حربي الاشعري من يتبع القرآن يحفظ به عن محارم اتاض الجنة وعن عمر بن الخطاب هم الذين اذا مروا باية رحمة سالوا وها من الله واذا مروا باية عذاب استعاذوا منها وقد روي هذا المعنى عن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا مر باية رحمة سال واذا مر باية عذاب تعوذ وقال الحسن هم الذين يعلمون محكمه ويومنون بمتشابهه ويكلون ما اشكل عليهم الى عالمه وقيل يقرونه حق قراته قلت وهذا فيه بعد الا ان يكون المعنى يرتلون الفاظه ويفهمون معانيه فان تفهم المعاني يكون الاتباع لمن رواها قوله تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن الاية فيه عشرون مسيلة الاولى قوله تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه لما جرى ذكر الكعبة والقبلة اتصل ذلك بذكر ابراهيم عليه السلام وانه الذي بنى البيت فكان مرجع اليهود وهم من نسل ابراهيم ان لا يرغبوا عن دينه والابتلا الامتحان والاختبار ومعناه امر ونهى وابراهيم تفسيره بالسريانية فيما ذكر المارودي وبالعربية فيما حكى ابن عطية اب راحيم قال الشهيلي وكثيرا ما يقع الاتفاق بين السريانية والعربي او بقاربه في اللفظ الا ترى ان ابراهيم تفسيره اب راحم لرحمته بالاطفال ولذلك جعل هو وسارة كافلين اطفال المسلمين المومنين الذين يموتون صغارا الى يوم القيامة قلت ومما يدل على هذا ما خرجه البخاري من حديث الرويا الطويل عن سمرة وفيه ان النبي صلى الله عليه وسلم راى في الروضة ابراهيم عليه السلام وحوله اولاد الناس وقد نبهنا عليه في كتاب التذكرة والحمد لله وابراهيم هذا هو ابن تارخ بن ناحور في قول بعض المورخين وفي التنزيل واذ قال ابراهيم لابيه ازر وكذلك في صحيح البخاري فلا تناقض فيما ذكرناه من ذلك على ما بالي في الانعام بيانه ان شا الله تعالى وكان له اربع بنين اسمعيل واسحاق ومدين ومدايين على ما ذكره الشهيلي وقدم على الفاعل للاهتمام اراد كم ابتلى الرب تبارك وتعالى معلوم لكون المفعول في العربية منفصلا بالفاعل فوجه تقديم المفعول وانما بني الكلام على هذا الاهتمام فاعلمه وقراة العامة ابراهيم بالنصب ربه بالرفع على ما ذكرنا وروى عن جابر بن زيد انه قرا على العكس وزعم ابن عباس افراءة ذلك والمعنى دعا ابراهيم ربه وسالوفيه بعد لاجل الباء في قوله بكلمات الثانية قوله تعالى بكلمات الكلمات جمع كلمة ويرجع تحقيقها الى كلام الباري تعالى لكنه عبر عنها في الوظايف التي كلفها ابراهيم عليه السلام ولما كان تكليفها بالكلام سميت به كما سمي عيسى كلمة لانه صدر عن كلمة وهي كن وتسمية الشي بمقدمته احد قسمي المجاز قاله ابن العربي الثالثة واختلف العلما في المراد بالكلمات على قولين احدهما شرايع الاسلام وهي ثلاثون عشرة منها في براة التايبون العابدون الى اخرها وعشر في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات الى اخرها وعشر في المومنون قد افلح المومنون الى قوله والذين هم على صلواتهم يحافظون قاله ابن عباس رضي الله عنه ابتلى احدا بهن فقام بها كلها ابراهيم عليه السلام ابتلي بالاسلام فاتمه فكتب الله له البراة فقال وابراهيم الذي وفى وقال بعضهم بالامر والنهي وقال بعضهم بذبح ابنه وقال بعضهم باداا الرسالة والمعنى متقارب وقال مجاهد هو قوله تعالى اني مبتليك بامر قال تجعلني للناس اماما قال نعم قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين قال فاتم قال تجعل البيت مثابة للناس قال نعم وامنا قال نعم قال وترينا منا سكنا وتتوب علينا قال نعم قال وترزق اهله من الثمرات قال نعم وعلى هذا القول فالله تعالى هو الذي اتم واهم بر هذا ما ذكره عبد الرزاق عن معمر عن بن طاوس عن ابن عباس في قوله تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال ابتلاه الله تعالى بالطهارة خمس في الراس وخمس في الجسد قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الشعر وفي الجسد نقص الاظفار وحلق العانة والاختتان ونتف الابط وغسل مكان الغايط والبول بالما وعلى هذا القول فالذي اتم هو ابراهيم وهو ظاهر القرآن وروى مطرف عن ابي الجدا انها عشر ايضا

الاناء جعل موضع الغرق غسل البراجم وموضع الاستنجاء الاستحداد وقال قتادة هي محاسن المجامع خاصة
الخمس هي الختان الاستحداد الكوكب والقمر والشمس والنار والمجمر والختان قال ابو اسحاق الزجاج وهذه الاشياء
ليست بمنتقضة لان هذا كله مما ابتلى به ابراهيم عليه السلام قلت وفي الموطا وغيره عن يحيى انه سمع
سعيد بن المسيب يقول لابراهيم عليه السلام اول من اختتن واول من ضاف الضيف واول من استحد واول
من قلم الاظفار واول من قص الشارب واول من شاب فلما رأى الشيب قال ما هذا قال وقارا قال يا رب
زدني وقارا وذكر ابو بكر بن ابي شيبة عن سعيد بن ابراهيم عن ابيه قال اول من خطب على المنابر ابراهيم
خليل الله قال غيره واول من ثرد الثريد واول من ضرب بالسيف واول من استاك واول من استنجا بالماء واول
من لبس السراويل وروى معاذ بن جبل قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان اتخذ المنبر فقد اتخذه ابراهيم
وان اتخذ العصا فقد اتخذها ابراهيم قلت وهذه احكام يجب بيانها والوقوف عليها والكلام
فيها فاولها الختان وما جاء فيه وفي المسئلة الرابعة اجمع العلما على ان ابراهيم عليه السلام اول
من اختتن واختلف في السن الذي اختتن فيها فالموطا عن ابي هريرة موقوفا وهو ابن مائة وعشرين سنة
وفاش بعد ذلك ثمانين سنة ومثل هذا لا يكون رايا وقد رواه الاوزاعي مرفوعا عن يحيى بن سعيد عن
سعيد بن المسيب عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اختتن ابراهيم عليه السلام وهو ابن
مائة وعشرين سنة ثم عاش بعد ذلك ثمانين سنة ذكره ابو عمر وروى مسندا مرفوعا من غير رواية يحيى من
وجوه انه اختتن حين بلغ ثمانين سنة واختتن بقدوم كذا في صحيح مسلم وغيره ثمانين سنة وهو
المحفوظ من حديث ابن الهلالك وحديث الاعرج عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عكرمة
اختتن ابراهيم وهو ابن ثمانين سنة قال ولم يطف بالبيت بعد على ملة ابراهيم الا مختون هكذا قال
عكرمة وقاله المسيب بن رافع ذكره المروزي والقدوري مشددا ومخففا قال الزناد والقدوم
موضع الثانية واختلف العلما في الختان مجمور العلما على ان ذلك من سنن الفطرة ومن فطر الاسلام
التي لا يسع تركها في الرجال وقالت طائفة ذلك فرض لقوله تعالى ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا قال قتادة
وهو الاختتان وبه قال بعض المالكيين وهو قول الشافعي واستدل ابن شريح على وجوبه بالاجماع على تحريم
النظر الى العورة وقال لولا ان الختان فرض لما ابيح النظر اليها من المختون واجيب عن هذا بان مثل هذا يباح
للمصلحة كنظر الطبيب والطب ليس بواجب اجماعا على ما بالحق في النقل بيانه ان شا الله تعالى وقد
احتج بعض اصحابنا بما رواه الحجاج بن ارطاة عن ابي المليح عن ابيه عن شداد بن اوس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الختان سنة للرجال مكرمة للنسا والحجاج ليس ممن يحتج به قلت اعلى ما يحتج به في هذا الباب
حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المطهرة حسن الحديث وسياتي وروى ابو داود عن ام عطية ان امرأة
كانت تختن النسا في المدينة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنهكي فان ذلك احظى للمرأة واحب
للبعل قال ابو داود وهذا حديث ضعيف رواية محمول وفي رواية ذكر هارون ولا تنهكي فانه انور للوجه
واحظى عند الرجل الساد سنة فان ولد المنبي مختونا فقد كفي مونة الختان قال الميموني قال احمد ان جهنا
رجلا ولد له ولد مختون فاعلمهم لذلك عما شديدا فقلت ان الكان الله كفاك المونة فما غمك بهذا السابعة
قال ابو الفرج الجوزي حديث عن كعب الاحبار قال خلق من الانبيا ثلاثة عشر مختونين ادم وشيث
وادريس ونوح وسام ولوط ويوسف وموسى وشعيب وسليمان ويحيى وعيسى والنبي
صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن حبيب الهاشمي هم اربعة عشر ادم وشيث ونوح وهود وصالح ولوط
وشعيب ويوسف وموسى وسليمان وزكريا وعيسى وحنظلة من اصحاب الرس ومحمد صلى الله عليه وسلم
قلت اختلفت الروايات في النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ابو نعيم الحافظ في كتاب الحلية باسناده ان
النبي صلى الله عليه وسلم ولد مختونا واسند ابو عمر في التمهيد نا احمد بن محمد نا عيسى نا يحيى بن ايوب عن زياد
العلاف نا محمد بن ابي الشري العسقلاني نا الوليد بن مسلم عن شعيب عن عطا الخراساني عن عكرمة عن ابن
عباس ان عبد المطلب ختن النبي صلى الله عليه وسلم يوم سابعه وجعل له مادبة وسماه محمدا قال ابو عمر
هذا حديث مسند غريب قال يحيى بن ايوب طالبت بهذا الحديث فلم اجده عند احد من اهل الحديث ممن لقيته
الا عند ابن ابي السري الى قال ابو عمر وقد قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم ولد مختونا الثامنة واختلفوا امتى
يختن الصبي فحفلت في الاخبار عن جماعة من العلما انهم قالوا ان ختن ابراهيم اسمعيل لثلاث عشرة سنة وختن
ابنه اسحاق لسبعة ايام وروى عن عائشة انها كانت تختن ولد يوم السابع وانكر ذلك مالك وقال ذلك
من عمل اليهود ذكره عنه ابن وهب وقال الليث بن سعد يختن الصبي ما بين سبع سنين الى عشر ونحوه روى
ابن وهب عن مالك وقال احمد لم اسمع في ذلك شيا وفي البخاري عن سعيد بن جبير قال سئل ابن عباس مثل
مثل ما انتحين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا يومئذ مختون قال وكانوا لا يختنون الرجل

حتى يدرك او يقارب الاحتلام واختلف العلما في الرجل الكبير يسلم ان يختتن وكان عطا يقول لا يتم اسلامه
حتى يختتن وان بلغ ثمانين سنة وروى عن الحسن انه كان يرخص للشيخ الذي يسلم ان لا يختتن ولا يرى به باسا
لا بشهادته وذبيحته وجمعه وصلاته قال ابن عبد البر وعامة اهل العلم على هذا وحديث بريدة في نجم الاغلف
لا يثبت وروى عن ابن عباس وجابر بن زيد وعكرمة ان الاغلف لا توكل ذبيحته ولا تجوز شهادته ٥
التاسعة قوله واول من استحد فالاستحداد استعمال الحديد في حلق العانة روت ام سلمة ان النبي صلى
الله عليه وسلم كان اذا اطلى واعانته بيده وروى ابن عباس ان رجلا طلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا
بلغ الى عانته قال له اخرج عني فقد طليت عانته بيده وروى انس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يستنور وكان
اذا كبر الشعر على عانته حلقه قال ابن خواز منداد وهذا يدل على ان الاكثر من فعله كان الحلق وانما يستنور
نادرا ليجمع بين الحديثين العاشرة في تقليم الاظفار والقلامة ما يزيل السنة وقال مالك احب للمسلم
من قص الاظفار وحلق العانة مثل ما هو على الرجال ذكره لقارش بن مسكين وسحنون عن ابن القاسم وذكر
الترمذي الحكيم في نوادر الاصول له الاصل التاسع والعشرون حد ثنا عمر بن ابي عمر قال نا ابراهيم بن العلا
الزبيدي عن عمر بن بلال الفزاري قال سمعت عبد الله بن بشير المازني يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قصوا اظافيركم وادفنوا قلاماتكم وتقوا براجمكم وتطفوا الثاتكم من الطعام وتنسنوا وانا نطوا على
فمي بحزامي تكلم عليه فاحسن الترمذي قاما فصل الاظفار من اجل انه يجد تحتها وسخا وهو مجتمع الوسخ
فربما اجنب ولا يصل الماء الى البشرة من اجل الوسخ فلا بد ان اجتنبا على حاله حتى يعم الغسل جسده كله فلذلك
ندبهم الى قص الاظافير والاظافير جمع الاظفور والاظفار جمع الظفر وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
حيث سهى في صلاته فقال ومالي لا اوهم وروى احدكم بين ظفره واهمته ويسالني احدكم عن خبر السما وفي
اظافير الجنابة والنتف وذكر هذا الخبر ابو الحسن علي بن محمد الطبري المعروف بالكيا في احكام القرآن له عن
سليمان بن فرج ابي واصل قال اتيت عقبة بن ابي ايوب رضي الله عنه فصافحته واراني في اظفاري طولا فقال اجار جل
الى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن خبر السما فقال يجي احدكم يسال عن خبر السما واظفاره كاظفار الطير
حتى يجتمع فيها الوسخ والتفث واما قوله ادفنوا قلاماتكم فان جسد المومن ذو حرمة فما سقط منه وزال
عنه فحظه من الحرمة قايم فيجق عليه ان يدفنه كما انه لو مات تدفن فاذا مات بعضه فكذلك ايضا قاموا
حرمته بدفنه كي لا يتفرق ولا يبقى في المذاكر او في مزابل قذرة وقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بدفن
دمه حين احتجم حتى لا يبقى عنه الكلاب حدثنا بذلك ابو رحمة الله قال نا موسى بن اسمعيل قال نا
الهنيد بن القاسم بن عبد الرحمن بن ماعز قال سمعت عامر بن عبد الله بن الزبير ان اباه حدثه انه الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو يحتجم فلما فرغ قال يا عبد الله اذهب بهذا الدم فاهرقه حيث لا يراك احد فلما برز
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عمد الى الدم فشربه فلما رجع قال يا عبد الله ما صنعت به قال جعلته في
مكان ظننت انه خاف عنا عن الناس قال لعلك شربته قال نعم قال لم شربت الدم ويل لك من الناس وويل ثم
الى رحمة الله قال نا مالك بن سليمان الهروي قال نا داود بن عبد الرحمن عن هشام بن عروة عن ابيه عن عايشة
قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامر بقرف سبعة اشيا من الانسان الشعر والظفر والدم والحيضة
والسن والغلفة والبيتمة واما قوله نقوا براجمكم فالبراجم تلك العقوص من المفاصل وهو مجمع الدرن
واحدها برجمة وهو ظهر عقدة من كل مفصل ويظهر العقد يسمى برجمة وما بين العقدتين يسمى راجبة
وجمعها رواجب وذلك مما يكفي ظهرها وهي قصبة الاصبع فلكل اصبع برجمتان وثلاث رواجب الا
الابهام فان لها برجمة وراجبتين فامر بتنقيته ليتلايد دون فتبقى فيه الجنابة ويحول الدرن بين الما
والبشرة واما قوله نظفوا الثاتكم والثاث الواحدة والثاث جماعة وهي اللحمة فوق الاسنان ودون
الاسنان وهي منابتها والجمر اللحمة القليلة بين السنين واحدها عمر فامر بتنظيفها لئلا يبقى وضر
الطعام فتتغير المكلة وتنتكر الرايحة وتبتاذى الملكان لانه طريق القرآن ومقعد الملكين عندنا بيه
تاييد لك محمد بن علي الشفيع قال سمعت ابي يذكر ذلك عن سفيان بن عيينة وجاد ما قال وذلك ان اللفظ
هو عمل الشفتين بلفظ الكلام عن لسانه الى المراد وقوله لديه اي عنده والدو العندي لغتهم السايرة
بمعنى واحد وكذلك قوله لدن والنون زايدة فكان الاية تنبي ان الرقيب عتيد عند ملك الكلام وهو الباب
واما قوله تستنوا وهو السوا الماخوذ من السن اي نظفوا السن وقوله لا تدخلوا على مخرا فرا فا لمحفوظ
عندي مخلا وفحا وسمعت الجاودي يذكر عن المطرف الا فلح الذي قد اصفرت اسنانه حتى يخرف عن باطنها
ولا اعرف الفرو البخر الذي تجد له رايحة منتنة للبشرة يقال رجل بخرنا الجاودي قال ناجيرين عن منصور
عن ابي علي عن ابي جعفر عن تمام بن العباس عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استاكوا اما لكم ظوا
على فما الحادية عشر في قص الشارب وهو الاخذ منه حتى يبدو طرف الشفة وهو الاطار ولا يجز فيمثل